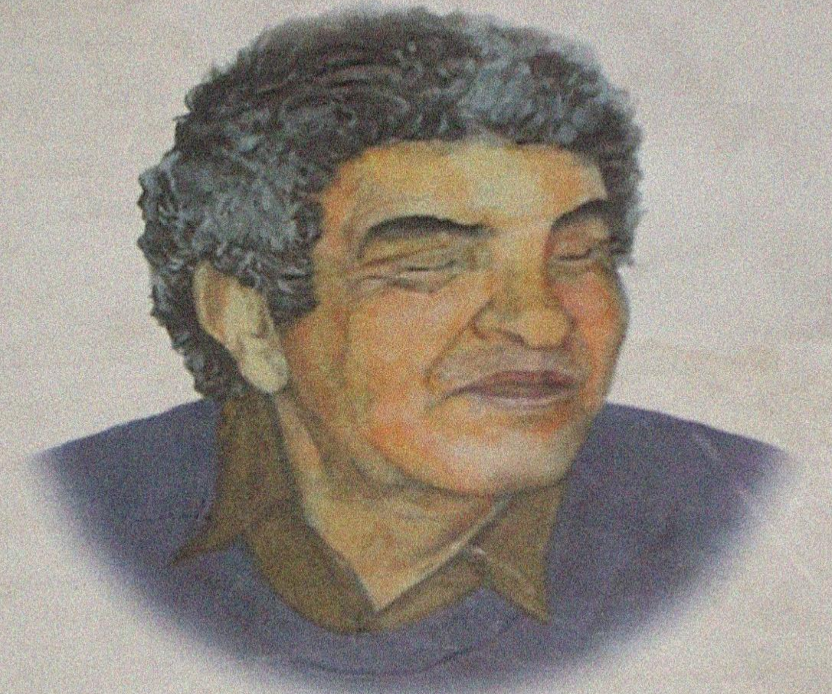
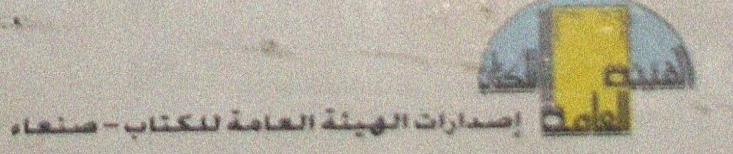
ديوان

عبد الله البردوني



الأعمال الشعرية

المجلد الأول



إصدارات الهيئة العامة للكتاب - صنعاء

دِيوان
عبدالله البردوني

الأعمال الشِعْريّة
١ - ١٢

المجلّد الأوّل

إصدارات
الهيئة العامة للكتاب
صنعاء

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - 2002 م

تصميم الغلاف ولوحة الغلاف

للفنان حكيم العاقل

رقم الإيداع بدار الكتب بصنعاء

(٢٦٥)

الناشر

الهيئة العامة للكتاب

ص.ب. : ١٩٧٧٤

ت : ٤٤٧٣٧٣ مباشر رئيس الهيئة

فاكس : ٤٤٥٣٦٨

صنعاء - نهاية شارع بغداد

الجمهورية اليمنية

شكرٌ واجب

تتقدم الهيئة العامة
للكتاب بواجب الشكر،

لفخامة الأخ

علي عبد اللَّه صالح

رئيس الجمهورية الذي كان تشجيعه
للهيئة ومتابعته لإنجازاتها
الرافد الأكبر في إنجاز طباعة
هذه المجموعة



تنويه لازم

هذه المجموعة الشعرية للشاعر عبد الله البردوني تشمل الدواوين التالية والتي كان قد تم نشرها في حياته:

١ ـ من أرض بلقيس
٢ ـ في طريق الفجر
٣ ـ مدينة الغد
٤ ـ لعيني أم بلقيس
٥ ـ السفر إلى الأيام الخضر
٦ ـ وجوه دخانية في مرايا الليل
٧ ـ زمان بلا نوعية
٨ ـ ترجمة رملية لأعراس الغبار
٩ ـ كائنات الشوق الآخر
١٠ ـ جوّاب العصور
١١ ـ رواغ المصابيح
١٢ ـ رجعة الحكيم بن زايد

وإذا ما تأكد وجود مخطوطات لقصائد أو دواوين جديدة لم تنشر فسوف يتم نشرها في الطبعة الثانية للمجموعة.

شكرٌ خاصٌ

لا بدّ من إعلان التحية والشكر لإخوان كُثر شاركوا في إنجاز وإخراج هذه المجموعة الشعرية إلى النور

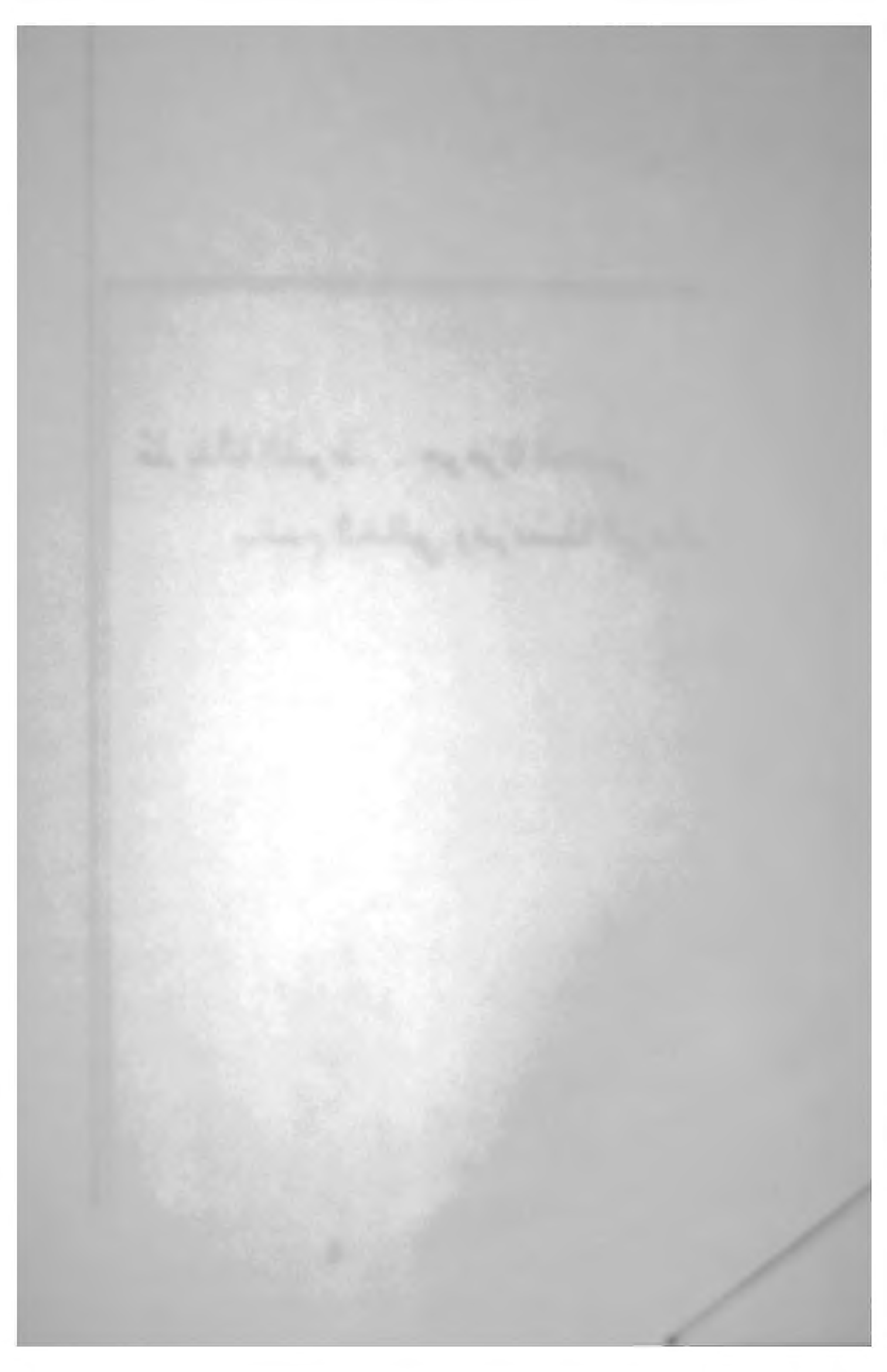
- إنني أخصّ بالشكر هنا الصديق الشاعر الحارث بن الفضل الشميري ـ تلميذ البردوني وصفيّه ـ
- والأساتذة محمد علي المهدي، محمد محمد العرشي، العزي الشاطبي، القاضي/ علي بن علي الآنسي، والشاعرين الصديقين/ محمد مباركي، وفؤاد المحنبي، وكذا الأخت الشاعرة/ ابتسام المتوكل، كما أنّ جهود الأستاذة هويدا اليوسفي، وأسامة القرشي، وجميل الصالحي، ومحمد حامد ـ من موظفي الهيئة ـ تستحقُّ الإشادة والذكر.
- أما اهتمام وعناية الصديق الفنان/ حكيم العاقل فيستطيع، القارئ أن يتأمله من خلال الغلاف الخاص بالمجموعة ولمساته الفنية البديعة، فالشكر واجبٌ ابتداءً والتحيةُ لازمةٌ انتهاءً.

* أخيراً، ربما وجبت الإشارة إلى شكرٍ لازم لأولئك الذين كانت إعاقاتُهم للهيئة سبباً في نجاحاتها، وحرائقُ حروبهم الصغيرة وقوداً لعزائمها!

خالد

مُذ بدأنا الشَّوطَ . . جوهَرْنا الحصى

بالدّمِ الغالي وفرْدَسْنَا الرِّمَال



بين يَدَي البردُّوني

خالد عبد الله الرويشان

بعد أن غربتِ الشمسُ، وغاضتْ مياهُ النهر، .. ماذا بقيَ لنحتفلَ بظلامنا، ونحتفيَ بموتنا؟

يا للعارِ! كيف استطعنا أن نبدّد ضوء تلك الينابيع التي تومئ لنا بينما نحن نديرُ رؤوسنا ونُقفلُ راجعين صوب آكام القسوة ودروبِ النسيان.

لا بدّ من أن أعترف ـ بين يَدَي هذا الديوان ـ بالشعور بوجلٍ وخجلٍ تصعبُ مواراتهما:

الوجل؛ لأن عَالَمَ «عزّافِ الأسى.. عابرِ سبيل»(*) تجلّى لي عوالِمَ رحبةً، هائلةً، وساحرة، على المستويين الإبداعي والإنساني، وتكشّف هذا العالَمُ عن آفاقِ رحلةٍ في بحرٍ بلا ضفاف، زاخرٍ بزبدِ الدهشة، وروعةِ الإكتشاف.

والخجل؛ لأن تساؤلاً مُمضّاً أقضَّ هجعةَ الرضى، وأيقظَ أسنّة اللَّظى.. هل كان لا بدّ أن ينطفئ قلبُ البردّوني كي ندركَ كم كنا مفعمِين باللّامبالاة، مترَعِين بالأوهام!

ربما شعرت ـ بعد تأمّل وتمعّنٍ ـ أنّ الكلَّ أدار رأسَهُ وأغلقَ أذنيه «لعزّاف الأسى» كلٌّ بطريقته:

البعض أدار رأسه دورةً كاملةً، وربما بغضب،

وآخر أدار رأسه نصف دورةٍ وبلا اهتمام،

(*) من عناوين قصائد البردوني.

وثالثٌ نظر شزراً ومضى.

وفي هذه البلاد فإن النظر شزراً قد يكون طريقةً للتعبير عن الحب والصداقة والاكتشاف!

رُبَّما أحاط بعضٌ رابعٌ بعزَّاف الأسى، عابر السبيل، مستمتعاً بعزفه، متحلّقاً حول أحزانه، واهماً أنه قريبٌ منه.. لكنّ هذا البعضَ كان ينظرُ ولا يرى، ويسمعُ ولا يعي، وربّما ضحك وسخِرَ بينما عزّافُ الأسى يحسو بكاءه ويستفُّ خيباته وأشجانه.

قِلّةٌ أحاطت به عن قرب، وأصاختِ الفؤادَ، وأرهفتِ الروحَ لنشيدِ العازفِ ونشيجِه. ومن المؤكّد أنها كانت بعضَ عزائِه. لكنها تشعرُ بحسرةٍ ما، ربما لأنها لم تستطع أن تغيّر من أحواله ولو قليلاً وبما يُسعدُ قلبَه، ويُفرحُ رُوحَه.

هل أكونُ صريحاً؟.. ربما شعرتُ أنَّ الجميعَ مترعٌ بالحسرةِ، حسرةٍ ما بعد غروبِ الشّمس.. حسرةٍ ما بعد فواتِ الأوان.

هل يشعر أحدٌ ما في هذه البلادِ أنّه خفّفَ من عذاباتِ عزّاف الأسى وبما يُسعدُ قلبَ شاعرٍ كفيف ووحيد وبما يُفرِحُ روحَه؟

إنني أُهنّئُ كلَّ من لا يَشعرُ بالحسرة!

* * *

كانَ يَبدو كصائمٍ ما تعشّى المـلايينُ فيه، جوعى وعطشى
أنْتَ القلبَ للعراةِ ويُحكى أنه ما أذاق جنبَيْهِ فَرْشا

* * *

وحدي... نعم كالبحرِ وحدي منّي ولي، جَزري وَمدّي
وحدي وآلاف الرُّبى فوقي.. وكلُّ الدّهرِ عِندي

* * *

لم يكن البردُّوني مجردَ «عابر سبيلٍ» في حياتِنا، ولن يكون. وبالنسبة لليمن، فإنّه شاعرُ كلِّ العُصُورِ. إنّه شاعرُ الألفِ عاماً الماضيةِ على الأقل، وأحسب أنّ زمناً طويلاً سيمرُّ قبل أن تعرفَ اليمنُ شاعراً آخر يمكن أن يرتقي هذه الذّرى التي حلّقَ البردُّوني في أجوائها، وقد كانت ذرىً صعبةً مستحيلةً على المستويين الإبداعي والإنساني.

إنَّ مَا يُحزِنُ حَقاً أنّ الضّوءَ لم يُلقَ بما فيه الكفاية على تجربته الإبداعية، والأكثر مدعاةً للحزنِ أنّ الإهتمام ينصبُّ في العادةِ ـ وفي اليمن على وجه التحديد ـ على تأويلاتٍ مُباشِرةٍ لقصائدَ وربما لأبياتٍ ومواقفَ أو حتى لرأيٍ عابرٍ في ظرفٍ عابر.

وفي هذا الموضع رُبما وجبت الإشارة إلى أنه ليس خطأً اهتمام البعض بقضايا كهذه أو مواقفَ معينة للشاعر الكبير، ولكنّ الخطأ بل الخطيئة ـ في ظني ـ هو التركيز عليها فقط، وتلخيص حياة ثريةٍ ضخمةٍ كحياة البردّوني وقامةٍ إبداعية سامقة كقامته في موقف ما أو رأيٍ ما في ظرفٍ ما!

وفي سنواته الأخيرة، فإن هذه النوعية من الاهتمام البليد والقاسي بما يكتبه البردّوني من آراء وهو يقترب من الثمانين عاماً أوشكت أن تغمر شمسَ روحه المشعّة، وتطمرَ سنا هذه الشخصية الفذّة، وألَقَ إبداعها المعجز.

وللأسف، فإن ذلك لم يكن إلا من فعل البعض بحسن نيّةٍ أحياناً، وبسوئها في أحيانٍ أُخرى، وبرعونةٍ وجهلٍ في معظم الأحيان.

* * *

وإذا كانت التجربة الإبداعية للبردّوني لم تَلقَ اهتماماً كافياً، أو حتى عادياً، وإذا كان ذلك محزناً ـ وهو مُحزِنٌ بحق ـ فإن

تجربته الإنسانية الفريدة وهي تعانق تجربته الإبداعية، لم تَلْقَ اهتماماً من أيِّ نوعٍ على الإطلاق.

وعند تأمّل تفاصيل هذه التجربة الإنسانية، وملامح هذه الشّخصية، لا تستطيع إلا أن تعجبَ وتتساءل. . كيف استطاعت وردةٌ أن تطفح بالحياة، وأن تشرقَ بالأملِ، بين صخور القسوة، وفي قيعان اليأس ووسط بيئةٍ، زهرُ أشجارِها شوكٌ، وأجملُ أيكِها طلحٌ عنيد، يُسقى بالريح ويتيهُ باليباس.

المفارقةُ أنّ صخورَ القسوة وقيعان اليأس هذه تُنبت أحلى عنبٍ تعرفه الدُّنيا! تماماً مثلما أنبتت درّةَ الشعر الخالدة وقيثارتَه العذبة «عبد اللّه البردُّوني» في وسطٍ اجتماعيٍ وظرفٍ تاريخيٍ غير مُواتٍ وأسرة فلّاحة بسيطة لم تعرف قلماً أو كَتاباً ربما لمئات خَلَتْ من السنين. إنها عبقرية اليمن الخاصة، ومفارقاتها اللافتة!

* * *

أَقولُ مَاذا يَا ضُحَى، يا غُرُوبْ؟ في القلبِ شَوقٌ غيرُ ما في القلوبْ
في القلبِ غيرُ البُغضِ غيُر الهوى فكيفَ أَحْكِي يا ضَجِيجَ الدروبْ
لِمْ لا يَذوبُ القلبُ مِمّا بِه كم ذابَ. لكنْ فيهِ ما لا يَذوبْ

* * *

عند تأمّلِ حياة البردُّوني «الإنسان» يتكشّفُ جانبٌ مغمورٌ لكنّه مُضيءٌ كبرقٍ، ومطمورٌ لكنّه سامقٌ كأُفُق، وهيهات أن تطمح عصورٌ من الشعر والشعراء إلى التحليق في سماواته الرّحبة، وأجوائه الإنسانية العذبةِ والمعذَّبة في آنٍ!

تأمّل مَعي ـ أيّها القارئ العزيز ـ نُتَفاً صغيرةً من رِيْشِ هذا الطائر الضخم. مُجرّد نُتفِ ريشٍ يُبهرُنا بهاؤها، ويغسِلُنا ضوؤها وتسحرنا نمانِمُ ألوانِها.

كان البردُّوني محبّاً لوطنه متشرّباً معاناتِ شعبه، ولذلك فإنه كان يدفعُ من قُوْتِهِ الخاص أثمان دواوينِه وكتبِه، وحتى يتم بيعُها للجمهورِ بأقلّ من سعرِ التكلفة، وفي أحيانٍ كثيرةٍ بأثمان زهيدة لا تكاد تُذكر.

وأحسبُ أنّ نواصي الشوارع وتقاطعاتِها بصنعاء شهدت ولسنواتٍ طويلة هذه الظاهرة وما تزال.

إنها ظاهرةٌ فريدةٌ لشاعرٍ فريد يعرفها كلّ أبناء اليمن ويعرفها أكثر أطفالٌ وفتيانٌ فقراء عاش مُعظَمُهم ويعيش على ريعِ هذه الكتب وبيعها في الشوارع وتقاطع إشاراتها.

* * *

مُذ بدأنا الشَّوطَ.. جوهَرْنا الحصى بالدّمِ الغالي وفزد سْنا الرِّمالْ

واتَّقدْنا في حشى الأرضِ هوىً وتحوَّلْنا حُقولاً وتلال

مِن روابي لَحمِنا هذي الرُّبى من رُبى أعظُمِنا هذي الجبال

* * *

وما تزال كتبُ البردُّوني ودواوينُهُ هي الوحيدة - من بين الكتب جميعِها التي تحملها أكُفُّ هؤلاء الأطفال والفتيان الفقراء من البائعين المتجولين! ربما لا يعرفُ هؤلاء الأطفالُ والفتيانُ أنّ شاعراً كفيفاً، فقيراً تجاوَزَ السّبعينَ من عُمُرِه، أصرَّ على دفع كلِّ ما يملك بما في ذلك القيمة الماليّة لجائزةٍ عربية - أكبر مبلغ حصل عليه في حياته - لناشري كتبِه ودواوينِه بهدفِ بيع هذه الكتب والدّواوين للجمهور بنصف التّكلفة وبرُبعِها أيضاً.!

هل عرف ذلك الفتى المتجوّلُ بائعُ الكتُب على ناصية الشّارع أنّ ثمّة فتىً آخر كفيفاً وفقيراً وغريباً كان قد قدِمَ من قريته «البردُّون» ذات يوم قبل ما يقرب من ستين عاماً إلى المدينة ليتعلّم في

مدرستها الشهيرة، وأنّه وبعد عصر يومٍ مكفهرٌ بالغربةِ والجوعِ، والوحشةِ، شعر أنّه بحاجةٍ ملحّةٍ إلى ما يمكن أن يَسدّ رَمَقه، ويسنُدَ قَامَته المتهاوية، وأنّ ذلك الفتى الغريب الكفيف وهو في حَيرته البائسة لم يجد إلّا ثُلّة من صبيةٍ رفعوا عقيرتهم بالسخرية منه وملاحقته بالشتائم.. والحجارة أيضاً!

ولم يحمِهِ من أذيّتهم إلا قُبّةُ سبيلٍ منهجورة عند أطراف المدينة دخلها متعثراً داميَ الروح والوجه والكف.

وعندما حاصره الصّبية ممعنين في أذيّتهم خطر له أن يخيفهم بأن بدأ بإطلاق أصواتٍ مرعبةٍ تنطق بأسماء العفاريت!

ومن داخل القبّة المهجورةِ أطلقَ لصوتِهِ العِنان حتى فرّ الصّبْيَةُ المحاصرون له؛ واهمين أنّ العفاريتَ سَتخرجُ عليهم من تلك القبّةِ النائيةِ عندَ أطراف المدينة.

ويمرّ الوقتُ بطيئاً، ثقيلاً على الفتى المختبئ في قبّة النجاة تلك، حتى تأكّد من ذهاب الصّبية. تحسّس بكفّيه المرتعشتين طريقه وخرجَ في هجير تلك الساعة اللافحة بعذاباتها، اللاهبة بأحزانها، واتجه صوب (مقشامة) (*) يَعرِف أنها في نهاية الشارع الترابي.

تأرجح بهامته بينما يداه تترنحان في الهواء وخطواته تئنّ على الثّرى المتلبّدِ باللامبالاة، وثمةَ عيونٌ متبلّدة تمرُّ بِه بلا فضول، وتتجاوزه بلا سؤال.

* * *

(*) المقشامة قطعة أرض زراعية تكون عادة في وسط المدينة، تزرع بها الخضار وخصوصاً البصل والكراث والفجل وغالباً ما تكون هذه الأراضي من أملاك الوقف.

هل هُنا أو هناك غيرُ جذوعٍ غير طينٍ يضجُّ، يعدو ويقعي
لو عَبَرتُ الطريقَ عريانَ أبكي وأُنادي، من ذا يَعي أو يُوعَي
يا فتى! يا رجالُ! يا.. يا، وأنسَى في دويّ الفراغِ صوتي وسمعي

* * *

وللهفته وجوعه، وخوفه، فإنه نسي أنَّ (المقشامة) مسوّرةٌ بسُورٍ طينيٍّ عالٍ، ولم يُدرك مدى ارتفاع السّور إلا بعد ارتطام وجهه وكفّيه به.

يا لوجهه الذي فعلَتْ به النّدوبُ والجروحُ ما لم يستطع أن يفعله مرضُ الجدَري بكل جبروته وفتكه.!

تحسّس الفتى الكفيفُ السورَ بكفيّه واعتمدَ عليهما ليجلس على حافّة السّور متهيّئاً للقفز إلى داخل (مقشامة الفجل والبصل)!

أمّا كيف استطاع أن يصعد إلى أعلى السّور وكيف واتته قُواهُ الواهنة فإنّه لا يعرفُ كيف فعلها؟!

يا لجوع الساعة الخامسة قبل الغروب، ويا لرائحة الفجل والبصل في هذه الساعة!

إنه يدرك الآن خطورَةَ بقائِه على حافّةِ السّورِ متردّداً في القفز إلى الداخل، فما أسهل أن يلمحه عابرٌما من شياطين الإنس، أو كلبٌ ما من كلاب الشارع الضالة.

همَّ بالقفز لكنه أحجم بغتةً.. فقد تذكّرَ أنّه وإن كان قد عرف قدرَ ارتفاع السّورِ من الشارعِ وصعد سالماً، فإنّه لا يعرفُ قدرَ ارتفاعِهِ من الداخل! فربما أن هاويةً ستبتلعه فور أن يقفز! وحتى لو سلِمَتْ حياته فإنّ كَسْر إحدى قدميه أو كلتيهما أمرٌ وارد.. ثم ما أدراه إن كانت هناك صخرةٌ ما تقف بالمرصاد أسفل السّور لتلتقف جسده الواهن إنْ هو قفز؟!

شعر بغثيانٍ له طعمُ الهباء.. لعن اليوم الذي غادرَ فيه قريته.

تحسّس بكفيّه المذعورتين السّور باحثاً عن حصواتٍ صغيرة بدأ بقذفها تحته، مصغياً بِروحِه وأذنيه، وبكلّ مَسام جسمِه إلى وقعها محاولاً أن يُقدّر المسافة إثرَ كلّ حصاة مقذوفةٍ إلى الأسفل.

قدّر الفتى أنَّ ارتفاعَ السّور الطينيّ الأملس من الداخل أعلى قليلاً من ارتفاعه من الخارج، وهمّ بالقفز ـ بعد أن تشهّد وأشْهد! ـ. . وقفزَ أخيراً كمن يقفز في لُجّة ظلام أو هاوية بئر. . ومثلما استوى على ذروة السّور وهو لا يعرف كيف استطاع ذلك، فإنه قام فور ارتطام جسدِه بالأرض ـ قريباً من البصل والفجل وهو لا يعرف كيف نَهضَ من وقْعَتِه المغامرة وهو أكثر حماساً وربما إندفاعاً صوب وجبته المشتهاه قبل غروب شمس ذلك اليوم الجائع البائس.

يا لِلذّة الوجبة، طعماً ورائحَة! هل عليه أن يملأ جيوبه أيضاً!

على عجلٍ، بدأ بملء جيوبهِ بعد أن ملأ معدته. لكنّ يداً ضخمةً عاجلته فَجأةً بضربةٍ في رأسه، وألحقتها بأخرى في كتفه، ثم انهمر سيلٌ من الشتائم قبل أن يُمسك صاحبُ (البصل والفجل) بتلابيبه ويُجرْجِرهُ جرجرةً هي إلى السّحب أقرب، صوبَ مكانٍ مظلم خاصٍ بالبهائم، بينما الفتى الكفيف صامتٌ مستسلمٌ بعد أن دهمتهُ المفاَجأة. . وأخرسته كفّ القشّام الشبيهة بالمجرفة.

مع اقتراب أذان المغرب فُتحت الزريبة المظلمة، ومرةً أخرى إنهمر سيلٌ من الشتائم على رأس الفتى، الذي قُذف به أخيراً في الشارع. ورغم خجله، وفزعه، إلا أنه حمد الله أنّ المغامرة انتهت عند هذا الحد، . ثم إنّه قد شبع قليلاً!

وهبَّ ماشياً متعثّرَ الخطى مرتطماً بالمارّة وهم في طريقهم إلى المسجد، وتفضّل أحدُهم وقاده صوب المسجد دون أن يسأله حتى عن سبب الخدوش الظاهرة في وجهِهِ وكفّيه. .

* * *

المسَافَاتُ مَعِي تَمْشِي، إلى رُكْبَتِي، تَأتي، ومن سَاقي تُغادرُ
مِن هُنا، مِنْ نِصْفِ وَجْهِي، وإلى نصفِ وجهي سَائرٌ، والدربُ سائرْ

* * *

وفي المسجد وأثناء قيامه بالوضوء استعداداً للصلاة حدث له ما لم يخطر على باله أو على بال المدينة برمّتها! بل إنه شعرَ أنّ كل ما لحقه من إهاناتٍ وآلام في ذلك اليوم الأسود لا يُساوي آلام هذه اللحظات الرهيبة في المسجد. فقد حدث أثناء قيامه بالوضوء وفي وسطِ بِركةِ ماءٍ صغيرة أن فاجأه أحدُهم بالضّربِ. كان الضّربُ مؤلماً وقاسياً. لكنّ الأقسى والأكثر إيلاماً أن الفتى الكفيف لم يكن يعرف من أيّ اتجاه تأتيه اللطمةُ تلو اللطمة، ولسوء حظّه فإنه لم يستطع أن يتقي ولو لطمةً واحدة..!

ولعلّه ردّد (ملعونٌ أبو الشعر في هذه البلاد..ملعونٌ أبو الهجاء).

كان اللّاطم من أعيان المدينة وأثريائها، وكان الفتى المغتربُ قد هجاه ببضعة أبياتٍ قبل بضعة أيامٍ، ولعلّ الرجل وقد رآه أمامه فجأةً في المسجد لم يتمالك نفسه، فانقضّ عليه دون وازعٍ من شفقة أو رحمة. ولعلّ الرجل أحسّ بالنّدم بعد أن أشبع الكفيف ضرباً، ولعلّ نظرات المصلّين أصْلته بوابلٍ من عَتَبٍ أو استهجانٍ، فأعطى الفتى الكفيفَ خمسة ريالات فضيّة على الفور، وقبل أن يُكمل وضوءَه.

كانت فرحةُ الفتى بالريالات الخمسة كبيرةً، أكبر من آلامه، وأكثر من أحزانه في ذلك اليوم!. وظل لسنواتٍ طويلة يتذكّر بحبوحة العيش التي عاشها لأسابيع بكنزه الصغير..الريالات الخمسة!

كان ذلك مجرّدَ يومٍ أو نصفَ يوم من أيام صبا البردّوني وشبابه! ولم تكن أيامه وسنَواته الأُوَلْ في العاصمة أفضلَ حالاً . . ، فديوانه الأوّل والذي كان قد صدَرَ قبل الثورة بفترة وجيزة تَقطُرُ قصائدُه أسىً وأبياتُه غربةً وأحزاناً يصعُبُ التِجوالُ في حنايا آلامها وثنايا عذاباتها .

* * *

هو الشرُّ مِلءُ الأرضِ والشرُّ طَبعُها هو الشرُّ مِلءُ الأمْسِ واليومِ والغدِ

وهـذَا غُبـارُ الأرضِ آهـاتُ خُيّـبٍ وهذا الحصى حَبّاتُ دَمعٍ مُجمَّدِ

* * *

يستطيع ان يكتشف المتأمِّلُ للديوان الأولْ عبقريةً شعريةً فريدةً، وجديدةً توشكُ أن تَهلَّ بضوئها على المشهد الشعري اليمني والعربي، وسوف تَتَكشَّفَ له من خلال ذلك رُوحٌ غامرةٌ بالحبِ، ناضحةٌ بالعطف والحنان، تأسى لأحوال ناسها، وأبناء مدينتها بينما هي في أمسّ الحاجة إلى لمسةِ مواساةٍ أوهمسةِ مَحبّة .

إنَّ هذه الميزة هي ذروةُ ذُرى الشاعر ذي القلب الكبير والحسّ المرهَف، والإحساس الشفيف بآلامِ البيوت والتوجّعِ لأنينها، في أزقّة المدينة البائسة اليائسة، بينما هو يمشي هائمَ الخطو، ساهمَ الروحِ، واجفَ القلب، تائهَ الأصابع، راجفَ القدم، متلمّساً ضوءَ ابتسامةٍ في ظلامِ نهارِه، أو يداً حانيةً في وحشةِ ليلهِ .

ورغمَ معاناته الطويلة وعذاباته المستديمة، لم يفقد البردُوني وفاءه وحبّه لأبناء شعبِه، وتحسُّسَه لأحوالهم وإحساسَه بأتراحهم طوال حياته .

تقول ذلك قصائدُهُ، بل دواوينُهُ جميعُها، وتقول ذلك

مؤسّسات الدولة، وأروقةُ وزاراتها التي كان يؤمُّها ـ فقط ـ مراجعاً لأديبٍ ريفيٍّ شاب، أو لطالبٍ مُغتربٍ يبحث عن وظيفة، أولسياسيٍّ مُلاحَقٍ هَارب! وكان يقوم بذلك بحماس، وهو الذي لم تفترسهُ غوايةُ حزبٍ، أو غوائلُ رؤيةٍ سياسيةٍ لفردٍ أو جماعة.

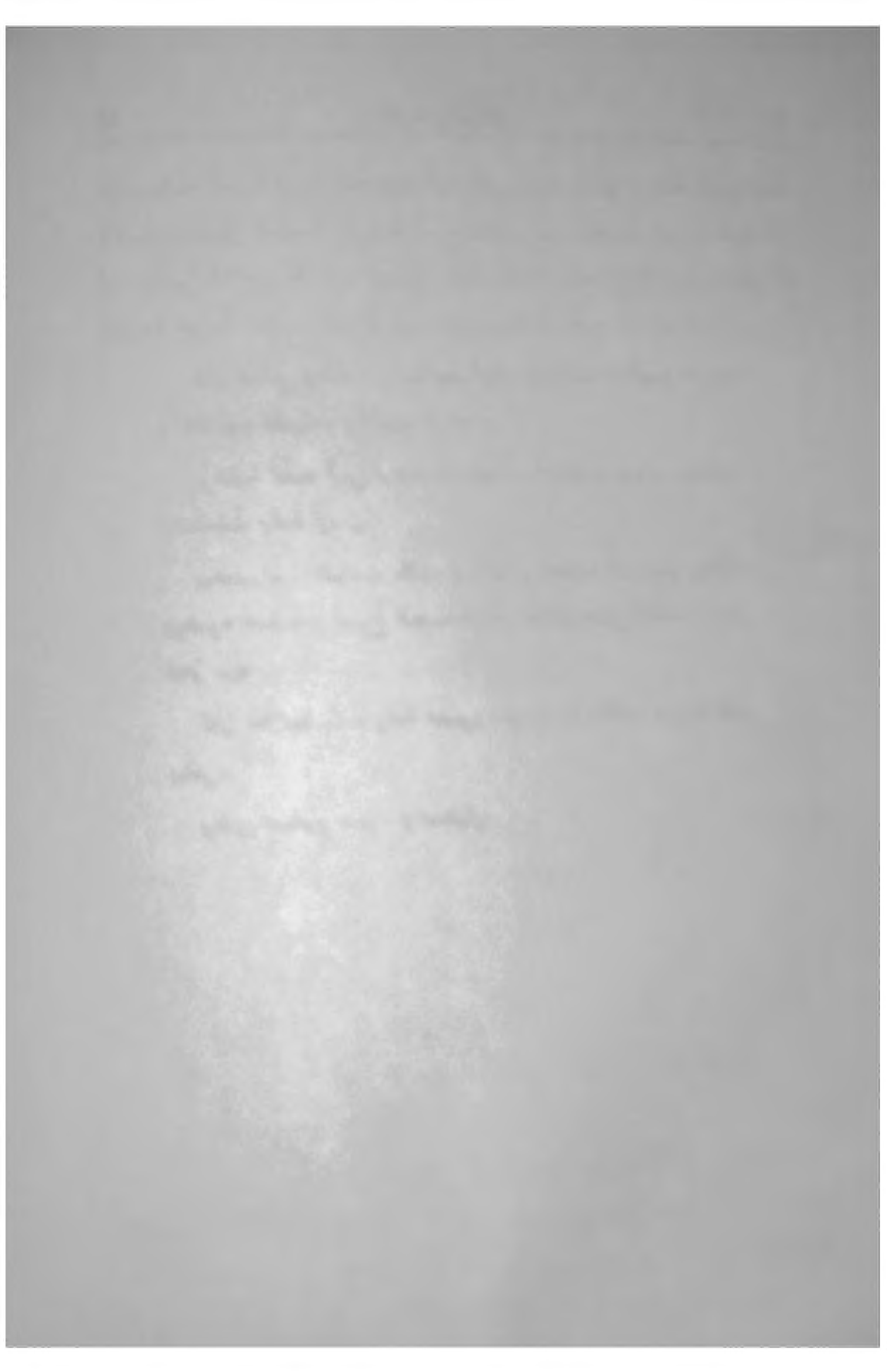
كان الناسُ وطنَه، وسُباتُهم أرقَه، وكانت آمالُهم حزبَه، وأحلامُهم قضيتَه، وأنّاتُهم جُرحَه.

برعشة كفَّيهِ التي أرعشَت دهوراً، أجفلتْ جبالُ نسيانٍ، وتململتْ رقدةُ أزمان.

ببصيرتِه، أضاءت بلادٌ، وبأحزانِ جفنيه أشرقتْ وهادٌ، وبضوء أصابعه، أسرجَ شعبٌ عزمَهُ، وفتّقَ جيلٌ حلْمَه، وشقّ فجرٌ دربَه.

كان خُلاصةَ بلد، وآهةَ عصور، وعبقريّةَ مكان، ووردةَ قِفارِ يباس،

وندى صخورِ صبرٍ، واصطِبَار.



البَرَدُّوْنِي

١٩٢٩م ـ ٣٠/٨/١٩٩٩م
١٣٤٨هـ ـ ١٩/٥/١٤٢٠هـ

كان «جوّاب العصور» القادم «من أرض بلقيس» يعبر «في طريق الفجر» متجهاً إلى «مدينة الغد»، ترافقه «كائنات الشوق الآخر» في «السفر إلى الأيام الخضر»، وعن بواعث سفره قال: إنه بصدد كتابة «ترجمة رملية.. لأعراس الغبار»، يتناول فيها «رجعة الحكيم ابن زايد». وإنه سيهديها «لعيني أم بلقيس»، التي أعياها «رواغ المصابيح» في «زمان بلا نوعية»، تعيشه «وجوه دخانية في مرايا الليل».

كانت «رحلة ابن من شاب قرناها» أهم «رحلة في الشعر اليمني قديمه وحديثه»، نسي معها أن يموت وهو يحلم بقضاء لحظة «عشق على مرافئ القمر».

كتبت هذه الترجمة مستعيناً بأستاذي البردوني رحمه اللّه قبل وفاته بشهر تقريباً.

عبد اللّه بن صالح بن عبد اللّه بن حسن البردّوني:

ولد في قرية (البردّون)، من قبيلة (بني حسن)، في ناحية (الحدأ)، شرقي مدينة ذمار.

والدته: نخلة بنت أحمد عامر، وكانت ذكية، فلاحة، لا تقف عن العمل، وكانت نصف حارثة، ونصف ربة بيت، وولدت لعم البردوني عبد ربه ابنتين وولداً: بخيتة، وظبية، وعبد اللّه، واستخلفها أبو شاعرنا بعد موت أخيه؛ فأنجبت له ثلاثة أبناء:

أحمد، وعبد الله، والثالث مات في شهر ميلاده، ولعل السبب أن ميلاده كان بعد سن الحمل.

وقد تعمرت أكثر من تسعين سنة، وهي حاطبة كالرجال، وسارية الليل كالرجال، تشارك في الفتن المحلية مع قبيلتها، وكانت شديدة على شاعرنا في صغره: لكونه يطلب ما لا تمكنها المحاصيل منه.

تاريخ ميلاد شاعرنا يمكن تقديره بعام ١٩٢٩م، أو ١٩٣٠م لا أزيد ولا أقل، وهذا بالتقدير القائم على أحداث مثل ضرب الشمال بالطائرات البريطانية عام ١٩٢٨م. وبغرق (محمد البدر) ابن الإمام (يحيى)، الذي كان ذا جهد علمي؛ فهو أول من طبع كتب الفقه وكتب السنة، مثل: (نيل الأوطار) للشوكاني، و(الدرر المضيئة)، و(الأدلة المجموعة في الأحاديث الموضوعة).

أصيب بمرض الجدري وهو في الخامسة أو السادسة من عمره، وعلى إثره فقد بصره. في قرية (البردُّون) تلقى تعليمه الابتدائي الذي لا يتجاوز قراءة الحروف ومعرفة ضمها، وفتحها، وكسرها، وكان يسمى في أواخر أيام حكم الأتراك العثمانيين في اليمن كتاب (البياض) أو (الباب الصغير)، وحفظها سماعاً في قرية (البردون) عن شيخه (يحيى حسين القاضي) ووالده. ثم درس ثلث القرآن الكريم. بادئاً من أول النصف الأخير، حيث السور القصيرة التي تساعد على تمرين الحافظة واللاقطة. ثم انتقل إلى قرية (المحلّة)، في ناحية (عنس)، جنوبي شرق مدينة ذمار، حيث كانت له أخت متزوجة في تلك القرية؛ ولأن التعليم كان منتظماً فيها؛ فتعلم بقية القرآن الكريم حتى سورة (الأنعام) على يد الفقيه (عبد الله بن على سعيد).

ثم انتقل إلى مدينة ذمار في الثامنة أو التاسعة من عمره؛

حيث أكمل تعلم القرآن الكريم في الصف الأول من المكتب حفظاً وتجويداً، ثم انتقل إلى دار العلوم «المدرسة الشمسية»، نسبة إلى (شمس الدين بن شرف الدين) بانيها، وفيها أعاد تجويد القرآن مرة ثانية على القراءتين «نافع»، و«حفص»، والثالثة والرابعة على القراءات السبع المتواترة. ومن شيوخه في علم القراءات: العلامة (محمد الصوفي)، والعلامة (صالح الحودي)، والعلامة (حسين الدعاني)، والعلامة (أحمد التّويْرة).

وحين بلغ الثالثة عشرة من عمره: بدأ يُغرزم بالشعر، وأخذ من كل الفنون؛ إذ لا يمر مقدار يومين ولا يتعهد الشعر؛ قراءةً، أو تأليفاً، ويقرأ ما وقع في يده من الدواوين القديمة. ثم انتقل إلى الجامع (الكبير) في مدينة صنعاء؛ حيث درس لمدة شهور على العلامة (أحمد الكحلاني)، والعلامة (حميد معياد).

ثم انتقل في مطلع الأربعينات إلى (دار العلوم)؛ فدرس من بداية الصف الرابع الذي يحتوي على أربع شعب، وتعلم كل ما أحاط به منهجها حتى الغاية. ومن شيوخه فيها: العلامة (جمال الدين الدبب)، والعلامة (الفخري الركيحي)، والعلامة (العزي البهلولي)، والعلامة (قاسم بن إبراهيم).

حصل على إجازة من دار العلوم برئاسة العلامة (علي فضة) في «العلوم الشرعية والتفوق اللغوي». ثم التحق بالمنهج لكي يتقاضى مرتباً رمزياً كخريج. ثم تعين مدرساً للأدب العربي شعراً ونثراً في نفس المدرسة العلمية، مع متابعة أطوار العصور من الجاهلية إلى عام (١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤م) ملحقاً بشعراء الماضي شعراء النهضة كـ(شوقي) و(البارودي)، ومن العصر الحديث: (إبراهيم ناجي)، و(علي محمود طه) من مصر، و(أبو القاسم الشابي) من تونس، و(عبد القادر الناصر) من العراق، وغيرهم.

ثم واصل إعادة ما قرأ، وبداية ما لم يقرأ؛ حيث كان يقرأ الكتاب أكثر من مرة في الخمس السنين، إلى جانب الدروس المعروفة بفوائدها والمبعدة رسمياً؛ مثل كتب السنة، وكتب المنطق والفلسفة في عهد حداثتها وفي نشوئها في زمن الإغريق.

شغل العديد من الأعمال الحكومية:

ـ رئيس لجنة النصوص في إذاعة صنعاء، ثم مديراً للبرامج في نفس الإذاعة إلى عام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٠م.

ـ كان يستعان به في أي الْتباس لغوي أو فني في الإذاعة، إلى جانب برنامجه الإذاعي الأسبوعي «مجلة الفكر والآداب». والذي بدأ يصدر في عام ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، وما زال مستمراً حتى تاريخ وفاته.

ـ عمل مشرفاً ثقافياً على مجلة الجيش من ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م إلى ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، كما كان له مقالاً أسبوعياً في صحيفة (٢٦ سبتمبر) بعنوان «قضايا الفكر والأدب»، ومقالاً أسبوعياً في صحيفة (الثورة) بعنوان «شؤون ثقافية»، والعديد من المقالات والمقابلات في الصحف والمجلات المحلية والعربية والقنوات الإذاعية والتلفزيونية العربية والعالمية.

ـ كان مع الأوائل ممن سعوا لتأسيس اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين، وقد انتخب رئيساً للاتحاد في المؤتمر الأول.

له اثنا عشر ديواناً مطبوعاً وثمان دراسات أدبية، وهي:

*** ـ الشعر:**

١ ـ من أرض بلقيس.

٢ ـ في طريق الفجر.

٣ ـ مدينة الغد.

٤ ـ لعيني أم بلقيس.
٥ ـ السفر إلى الأيام الخضر.
٦ ـ وجوه دخانية في مرايا الليل.
٧ ـ زمان لا نوعية.
٨ ـ ترجمة رملية.. لأعراس الغبار.
٩ ـ كائنات الشوق الآخر.
١٠ ـ رواغ المصابيح.
١١ ـ جوّاب العصور.
١٢ ـ رجعة الحكيم بن زايد.

*** ـ الدراسات:**

١ ـ رحلة في الشعر اليمني قديمه وحديثه.
٢ ـ قضايا يمنية.
٣ ـ فنون الأدب الشعبي في اليمن.
٤ ـ اليمن الجمهوري.
٥ ـ الثقافة الشعبية «تجارب وأقاويل يمنية».
٦ ـ الثقافة والثورة.
٧ ـ من أول قصيدة إلى آخر طلقة «دراسة في شعر الزبيري وحياته».
٨ ـ أشتات.

*** ـ تحت الطبع:**

١ ـ رحلة ابن من شاب قرناها.
٢ ـ العشق على مرافئ القمر.

ـ كما كان يعكف على تأليف كتاب عن اليمن الموحد بعنوان «الجمهورية اليمنية».

نال العديد من الجوائز، وهي:

١ ـ جائزة أبو تمام بالموصل عام ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

٢ ـ جائزة شوقي بالقاهرة عام ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٣ ـ جائزة الأمم المتحدة «اليونسكو»، والتي أصدرت عُملة فضية عليها صورته في عام ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م كمعوّق تجاوز العجز وأقدره اللّه على المثابرة في مواصلة التعليم والتأليف نثراً وشعراً وإذاعة.

٤ ـ جائزة مهرجان جرش الرابع بالأردن ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٥ ـ جائزة سلطان العويس بالإمارات ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

كتبت عنه العديد من الكتب والدراسات التي تناولت حياته وشعره، وهي:

١ ـ البردوني شاعراً كاتباً، لطه أحمد إسماعيل (رسالة دكتوراه ـ القاهرة).

٢ ـ الصورة في شعر عبد اللّه البردوني، د/ وليد مشوح ـ سوريا.

٣ ـ شعر البردوني، لمحمد أحمد قضاة (رسالة دكتوراه ـ الأردن).

٤ ـ قصائد من شعر البردوني، لناجح جميل العراقي.

٥ ـ البردوني والمقالح شاعران مختلفان، حميدة الصولي.

أعماله المترجمة إلى اللغات العالمية:

١ ـ عشرون قصيدة مترجمة إلى الإنجليزية في جامعة ديانا في أمريكا.

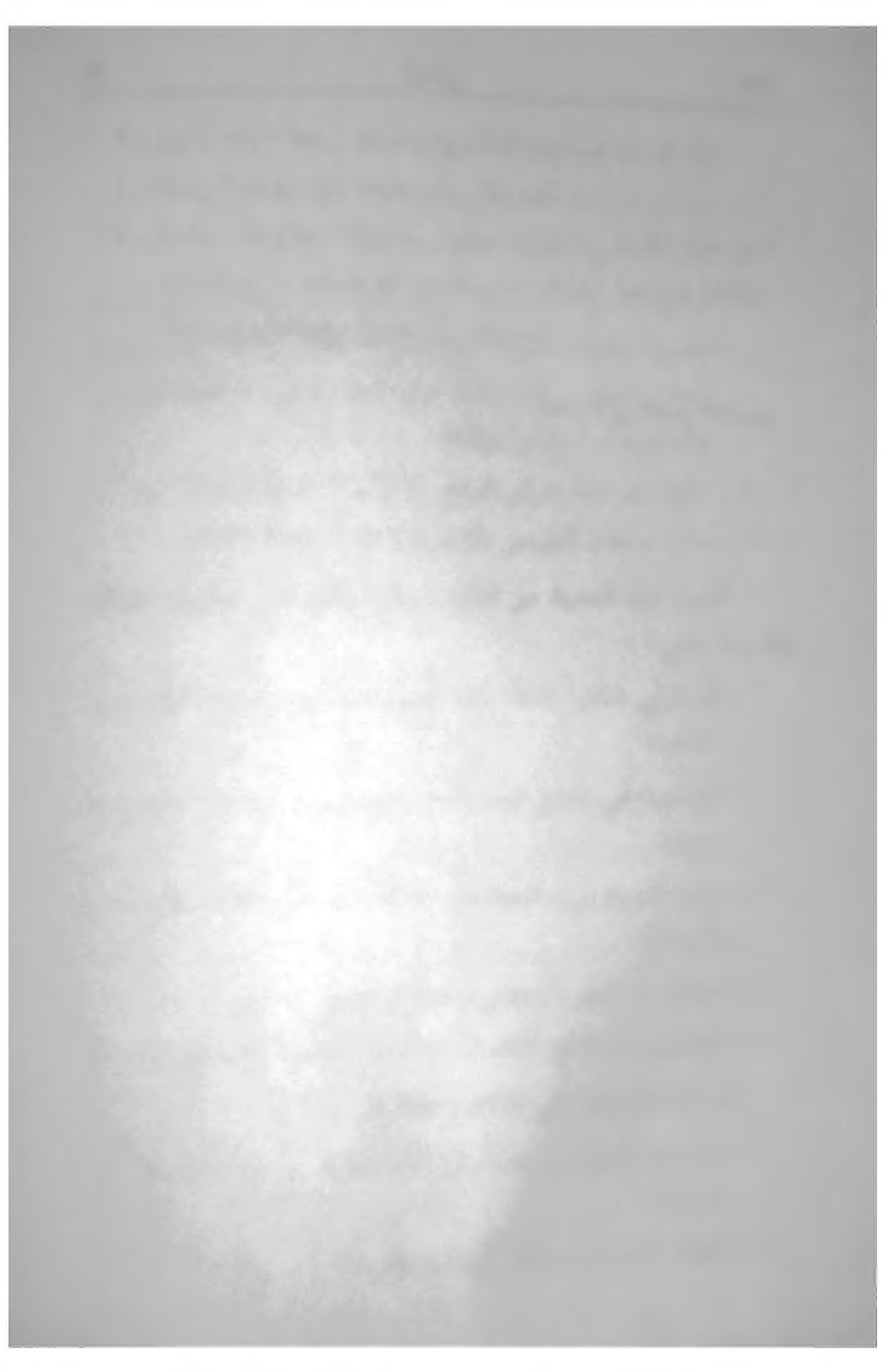
٢ ـ الثقافة الشعبية مترجمة إلى الإنجليزية.

٣ ـ ديوان مدينة الغد، مترجم إلى اللغة الفرنسية.

٤ ـ اليمن الجمهوري، مترجم إلى الفرنسية.

٥ ـ كتاب بعنوان: «الخاص والمشترك في ثقافة الجزيرة والخليج»، مجموعة محاضرات باللغة العربية لطلاب الجزيرة والخليج، ترجم إلى الفرنسية.

الحارث بن الفضل الشميري



تقديم

بقلم:
الدكتور عبد العزيز المقالح

١

هل تستطيع الساقية أن تقدم النهر ؟

وهل يستطيع النهر أن يقدم البحر؟

ذلك ما يريده مني صديقي الشاعر الكبير الأستاذ عبد اللّٰه البردوني. وهي إرادة عزيزة على نفسي، حبيبة إلى قلبي، ولكنها كبيرة على قلمي، ثقيلة على ذهني، هذا الذهن المجهد المكدود الذي أدركه الصدأ بعد أن عدت به إلى الوطن بعد غربة طويلة. فقد عدت مشوقاً لا لكي أكتب أو أتحدث وإنما لكي أرى وأسمع وأقرأ؛ لأرى الشوارع التي مشيت عليها منذ السنوات الأولى من عمري، ولكي أسمع المآذن التي أحببتها في طفولتي، وأقرأ الجبال التي أدهشتني وأخافتني وما تزال تدهشني وتخيفني!!

أيها الصديق العزيز، لقد قرأت شعرك وأنا تلميذ في الابتدائية، وقرأته وأنا طالب في الإعدادية، وقرأته وأنا مدرس في الثانوية، وصار بيني وبينه ألفة العمر. ومن هنا تصورت ـ في فترة من الفترات ـ أنني أعرف الناس به، ثم اتّضح لي وأنا

أعيد قراءته من جديد أن الأشياء التي نألفها لا نعرفها كما ينبغي. لذلك فقد ابتعدت عنه، اغتربت عن شعرك كما اغتربت عن الوطن لا لكي أعرفه أكثر، ولا لكي أحبه أكثر، ولكن لكي استطيع أن أتحدث عنه بعيداً عن عواطف الطفولة وسلطان المألوف!!

وكما كان البعد عن الوطن مثاراً للحنين، ومبعثاً للتوله فقد كان البعد عن شعر البردوني مثاراً للجدل مع النفس، ومجالاً لامتحان الذاكرة.

إن اسم صنعاء حين نذكره في القاهرة أو الجزائر، في تونس أو روما أو برلين، غير اسم صنعاء حين نردده في الصافية أو في شارع عبد المغني، أو في ميدان التحرير. وديوان من «أرض بلقيس» الذي احتفلنا بمولده عام ١٩٦١م غير ديوان «لعينيْ أم بلقيس» الذي لم نحتفل بمولده عام ١٩٧٥م، رغم أن أم بلقيس، هي أرض بلقيس. و«في طريق الفجر» ابن عام ١٩٦٨م غير «السفر إلى الأيام الخضر» مع أنَّ كليْهما تعبير عن رحلة نفسية وروحية تبحث في قاع الروح اليمنية الغافية عن بقايا ريش الحضارة المطمورة علّها تصنع من تلك البقايا المتناثرة أجنحة جديدة للتحليق إلى «مدينة الغد»، و«مدينة الغد» ديوان من الشعر حبيب إلى نفسي، وقد يكون أحب دواوين شاعرنا البردوني إلى نفسه؛ لأنه القمة أو الذروة التي وصل إليها الشاعر في رحلته مع الحرف المنغم، وقبلها كان يجاهد إلى الوصول نحو تلك الذروة، وبعدها ظل يراوح في مكانه. ولولا بعض قصائد تمسكه في الذروة وتسكنه في «مدينة الغد» لانحدرت به قصائد أخرى جاءت بعد ذلك خطابية أو مناشيرية، كانت تستدعيها ظروف الوطن ويقتضيها

وضع البلاد، وحينما أسمع من يهاجم هذا النوع من القصائد وفيهم الحريص على الفن، والحريص على السيارة والقصر، أتذكر على الفور قول بريخت: (الحديث عن الأشجار يوشك أن يكون جريمة. . . لأنه يعني الصمت على جرائم أشد هولاً). تلك هي الحقيقة الناصعة فعندما يكون سيف الإرهاب مسلَّطاً على الرؤوس لا تنظر العيون إلى السماء حيث تتلألأ النجوم وإنما تنظر إلى الأرض حيث السيف يوشك أن يسقط على الرقاب فيحزّها كما تحز السكين رقبة الخروف!

٢

الأيام ـ أيام الشاعر ـ جزء من فنه، وبعده الزمني ضارب في بعده الفني والموضوعي، وأيام البردوني هي أيام اليمن، في بلد ضرير كل ما فيه أعمى أو يدعو إلى العمى. ولد عبد اللّه في قرية «البردون»، وعندما كان طفلاً جاء موسم الجدري، وهو من المواسم الدائمة التي لم تكن لتتأخر عن «يمن الأئمة» كأنه فصل من فصول العام التي لا تتبدل ولا تتغير.

وفي طريقه ـ أي في طريق موسم الجدري ـ أخذ من كل قرية ومن كل مدينة ما استطاع على حمله من الكبار والصغار ليلقي بهم في المقابر، بعد أن ترك بصماته على بعض الوجوه، وبعض الوجوه انتزع منها أغلى ما فيها ـ العينين. وكانت عينا الطفل عبد اللّه من نصيب ذلك الموسم المتوحش!!

ذهبت عينا الطفل فما قيمته؟ ماذا يساوي بعد في شعب ضرير، في شعب لا قيمة فيه حتى لذي العينين؟ إن أيام طفلنا كانت أحلك من سوداء. هل يتذكر شيئاً منها الآن؟ حاولت

من خلال الأحاديث المتفرقة مع الصديق الشاعر الملم من الذاكرة أطيافاً عن أيامه المليئة بالسواد المادي والروحي والنفسي فأفلحت حيناً وفشلت أحياناً. الكلمات نفسها تعجز عن حمل التجربة الليلية الرهيبة.

ولكن وبالرغم من ذلك الحاجز الأسود شق الضرير الصغير طريقه في الظلام، بين وحل القرية وشوكها، وعانى من هجير النهارات، ومن برودة الليالي، يلتقط كل شيء بقلب ذكي وعقل بصير، فضول في البحث لا حدود له، ورغبة شاسعة في معرفة كل شيء والاستفادة من كل شيء.

وكما انتقل الطفل الضرير طه حسين ـ مع الفارق ـ من قريته إلى «القاهرة»، انتقل الطفل عبد اللّه إلى «ذمار»، وفي مسجدها تعلم شيئاً من أصول الدين وقدراً من علوم اللغة على الطريقة التقليدية، وحين بدأ يعي ما حوله ويتنبّه إلى قلة الزاد الفكري في مسجد ذمار، أخذ يعاند ويكابر ويعادي، يهجو، ويسجن، ويجوع ويتعذب.

وكما سافر طه حسين ـ مع الفارق الشاسع ـ من القاهرة إلى باريس، سافر عبد اللّه من ذمار إلى صنعاء، ذهب ضرير مصر يدرس في السوربون، وذهب ضرير البردون ليدرس في دار العلوم. الفارق واسع وشاسع بين سوربون باريس، ودار علوم صنعاء، ولكن الانتقالات في حكم الزمن تتساوى وربما تزيد هنا عنها هناك. إيقاع الزمن هنا بطيء، القفز إلى أكثر مما يستطيع الضرير الشاب ابن البردون ضرب من المستحيل، لقد وصل ـ رغم أنف ليل التخلف ـ إلى ما لم يصل إليه ملايين المبصرين في بلاده، معلوماته الدينية تزداد، خبرته في علوم العربية تتسع...

ثم هذا الشيء الذي يسمى الشعر بدأ يلين له ويعطيه من بواكير فاكهته. . . ويعجب الشاب الضرير بهذا الزائر الذي يسليه في وحدته ويعزف على أنغامه ألحان طموحه وآلامه.

وتمضي الأيام ـ أيام اليمن أيام الشاعر الشاب الضرير ـ فيتسع مجال القول، ويتسع مجال التعبير، ويبدأ شبح الليل في التلاشي، القصائد الطالعة شموع وجدانية تضيء ظلام هذا الشاعر الضرير، وتبدد مخاوف أيامه. . . لا يريد أن يصبح عالماً، ويرفض أن يصير مقرئاً، قد يكون له كرسي للتعليم في دار العلوم، وقد تستضيفه البيوت في الأفراح والأتراح ليقرأ كل ما تيسر من كتاب اللّٰه العزيز، لكنه لم يخلق لهذا ـ كل ميسر لما خلق له ـ وقد خلق للشعر. لهذا الشيء الرقيق العنيف، الجميل المتوحش، وقرر عمداً ومع سبق الإصرار، أن يسير بأرض بلقيس في طريق الفجر حتى الأيام الخُضرُ إلى «مدينة الغد»، وقد وصل وأصبح رغم مصاعب الرحلة، وربما بفضل مصاعبها، واحداً من شعرائنا العظام ليس في اليمن فحسب بل في وطننا العربي الكبير.

٣

الشعر، وما الشعر؟

لم يختلف الناس في موضوع كما اختلفوا في موضوع الشعر، ولم تتضارب المفاهيم في أمر كما تضاربت في أمره، والغريب أنه كلما أوغل الناس في تعريف هذا المعلوم المجهول زاد من حوله الغموض، وبما أنني هنا أحاول التعريف بشاعر، فإنني لن أشغل نفسي بالتعريف بالشعر، لأنني أرفض كل التعريفات التقليدية ابتداءً من ذلك التعريف

الساذج المسطّح «الشعر هو الكلام الموزون المقفى» وانتهاء بالتعريف القائل «الشعر رقص والنثر مشي». وأرفض كذلك التعاريف الحديثة ابتداء من التعريف القائل: «الشعر تجارب منغمة»، ووقوفاً عند التعريف الأحدث «الشعر كيمياء الكلمة». فكل هذه التعاريف بعيدة عن الحقيقة الشعرية، فبعضها يهبط بالشعر إلى القاع، وبعضها الآخر يرتفع به إلى ما وراء الغمام!

وأفضل من الضياع والدوران حول هذه الدوامة، دوامة الحديث عن الشعر، الدخول في الحديث عن الشعر واليمن ليكون ذلك تمهيداً للحديث عن شعر الشاعر البردوني، ومنذ البداية أود أن أشجب تهمتين يتهمنا بهما إخواننا في البلاد العربية، وأولى هاتين التهمتين أن اليمن الآن ما يزال يعيش عصر الشعر، فالواقع يقول إِنَّ اليمن تعيش كذلك عصر القصة والرواية والمسرحية والدراسة الأدبية، وهذه أبواب المكتبة اليمنية الحديثة مفتوحة لمن يريد أن يقرأ ويتأكد مما أقول. أما التهمة الثانية والأخيرة فهي ما نسمعه أحياناً هنا وهناك من أن كل يمني شاعر. لماذا؟ قيل لأن الإمام وحاشية الإمام وأعداء الإمام كانوا كلهم شعراء أو يتعاطون الشعر، ليس هذا القول صحيحاً؛ لم يكن الإمام شاعراً وإن نظم بعض أبيات أو حتى بعض قصائد، ولم تكن حاشيته تتعاطى الشعر إلّا للتسلية؛ والنظم غير الكتابة الشعرية.

إذن الشعراء في اليمن قلة، قلة قليلة، والموهوبون منهم أقل من القليل، وإذا كان التعليم في عهد الإمامة ظل قاصراً على علوم الدين واللغة، وكلها مما يساعد الشاعر الموهوب على الكتابة الشعرية؛ فإن المدارس الآن

والجامعة ـ حتى قسم اللغة العربية للأسف ـ لا تعطي علوم اللغة ولا تعطي الشعر إلا أقل القليل، وهذا قد يجعل الشعر في مستقبل بلادنا عرضة للانقراض.

وفي وقوفي في وجه التهمتين السابقتين محاولة للفت الانتباه الحقيقي إلى واقع الشعر في بلادنا، وإلى ما كان يعاني منه الشاعر في الماضي من خوف الحاكمين وسخريتهم به في الوقتِ ذاتِهِ، لقد كانوا يهابونه ويخافون لسانه، كما كانوا يجبرونه على المديح ويعتبرون امتداحه لهم نوعاً من الواجب الديني، وعملاً يقرب الشاعر إلى اللَّه ويقوده إلى الجنة؛ وكانت تلك هي الجائزة، وأذكر بهذه المناسبة طرفاً من حديث ممتع رواه الشاعر أحمد محمد الشامي في مقدمته لآخر دواوينه «لزوميات الشعر الجديد»، يقول: وإن أَنْسَ فلن أنسى حواراً ساذجاً دار بيني وبين المرحوم السيد العالم هاشم المرتضى في مجلس «قات»، بصنعاء سنة ١٩٤١م، وكان ترباً وزميلاً لوالدي في مدرسة شهاره، فقال لي: بلغني أنك تقرض الشعر يا أحمد؟ قلت: نعم، قال: لا خير لك فيه، قلت: لماذا؟ قال: لأنه كما قالوا «أعذبه أكذبه» وأنت «ابن فلان الفلاني»، ولا أريد أن تكون كذاباً، ثم ستبقى طيلة حياتك، إما مادحاً متسولاً أو هجّاءً تنال من أعراض الناس، أو تهيم في وديان الضلال، وهل تعرف أن «المتنبي» أكبر الشعراء تحاشى دخول الكوفة حين بلغه قول شاعر لا يصل إلى رتبته بلاغة وبياناً:

أي فضل لشاعر يطلب الفضل
من الناس بكرة وعشيّا

عاش حيناً يبيع في الكوفة الماء
وحيناً يبيع ماء المحيّا؟

قلت: ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أيد حسّاناً بروح القدس، قال: فلقد قال عليه الصلاة والسلام: لأن يملأ أحدكم جوفه قيحاً خير من أن يملأه شعراً، قلت: قد صححت الرواية عائشة أم المؤمنين.. بقولها إن تتمة الحديث «هجوتَ به» فضحك، ربما ابتهاجاً بأن ابن صاحبه يستطيع الجدل، وقال: وماذا تقول في قوله تعالى ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤ ـ ٢٢٦] قلت: تتمة الآيات: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

هذا الحوار الذي لم اقتطف إلّا جزءاً صغيراً منه له أكثر من دلالة، فهو يكشف أن الشعر قد كان محاصراً دينياً، وكانت الأسر الشريفة تأباه لأنه قد أصبح إما مدحاً أو قدحاً، تسولاً أو هجاء، وهو أولاً وأخيراً «كذب في كذب»!! فما الذي شجع شاعراً ضريراً كالبردوني أن يخوض غماره وأن يحترق في ناره؟

أعتقد أن أصوات الزبيري والموشكي والإرياني والعزب كانت قد مهدت الطريق أمام جيل جديد من الشعراء، وفتحت للشعر باباً تاريخياً جديداً يتجاوز معه الشاعر أسباب التخلف، وتصبح الكلمة فيه وسيلة للتعبير عما يجيش في صدور الملايين، وسلاحاً كفاحياً على طريق الثورة وتحقيق أحلام الجماهير في العدل والحرية والمساواة. ومن أهم مظاهر الانقلاب الذي حدث في الشعر بعد ظهور هؤلاء الشعراء، محاولة الانفصال عن أشكال التعبير الموروثة، وبروز أسماء جديدة ربما كان في مقدمتها الشاعر عبد الله البردوني.

٤

كان الشعر قبل أن يأتي شعراؤنا المعاصرون وسيلة تعبيرية ذات وظيفة جمالية، قد تكون ذات دلالة اجتماعية وقد لا تكون، قد تكون مديحاً لحاكم أو زلفى لأمير، وقد تكون مناجاة محب أو وصف بحيرة، أو رحلة على ناقة، أو حديثاً عن بستان في الربيع، وقد تغيرت وسائل التعبير في العصر الحديث، وأصبح جانب كبير من الشعر وسيلة إلى الشعب بعد أن كان وسيلة إلى الحكام، لكنه في اليمن كان كتابة بالأظافر وتمرداً بحد السيف.

ولم يعد هناك مسافة تفصل بين القول والعمل، لقد ألغى الزبيري المسافة الممتدة بين القول والعمل عندما قال:

خَرَجْنا من السِّجنِ شُمَّ الأنوفِ
كما تخرجُ الأُسدُ من غابِها

نمرُّ على شفراتِ السيوفِ
ونأتي المنيةَ من بابِها

ونأبى الحياةَ إذا دُنِّسَتْ
بعسفِ الطغاةِ وإرهابِها[١]

عندما قال شاعرنا ذلك كان قد خرج على الطاغية معلناً الحرب عليه وعلى نظامه البائس الظالم، وشعراء آخرون أقاموا جسراً بين الكلمة والفعل فصار قولهم فعلاً، وفعلاً محتشداً بالحضور والعطاء:

أميطوا جلابيبَ الجهالةِ عنكمُ
وعن عزكم واستنطقوا الضربَ والطعنا

(١) محمد محمود الزبيري: ديوان ثورة الشعر.

فـمـا فـي حـيـاةِ الـذلِ خـيـرٌ لـعـاقـلٍ
وفـي مـوتـهِ بـالـعـزِ لـيـس يـرى غـبـنـا[١]

كان ذلك صوت الشهيد الموشكي، الشاعر الذي رفض حياة الذل واستعذب الموت في سبيل الحرية. . . الشعر إذن في بلادنا موقف، موقف وضع قواعده شعر الشهداء، هذا الشعر الذي أصبح ظاهرة فريدة متميزة في الشعر العربي المعاصر.

القضية - إذن - أصبحت واضحة أمام جيل الشعراء الأصغر سناً والأقل تجربة، التوق نحو المستقبل والصمود في ساحة الحاضر، مواجهة الهول الأكبر، وتحدي المخلوقات المخوفة.

وكان الإمام أحمد واحداً من هذه المخلوقات المخيفة، إنه سفاح رهيب يقتل أشقاءه، ويهدد بإبادة الشعب كله، وفي ذكرى انتصاره على أول انتفاضة ثورية شعبية، كان سفاح اليمن يقيم الزينات ويحشد الشعب إلى ساحات المدن ليسمعوا كيف يمدح الشعراء الجلّاد، وشذ شاعر عن هذه القاعدة، خرج البردوني الضرير عن المألوف، وفي صوت لا أقوى من روعته وبساطته وإشراقه قال[٢]:

عـيـدَ الـجـلـوسِ أعِـزْ بـلادكَ مـسـمـعـاً
تـسـألُـكَ أيـنَ هـنـاؤُهَـا هَـلْ يُـوجَـدُ؟
تـمـضـي وتـأتـي والـبـلادُ وأهـلُـهـا
فـي نـاظِـرَيْـكَ كـمـا عَـهِـدتَ وتَـعْـهَـدُ

(١) زيد الموشكي: من قصائد مخطوطة.
(٢) هلال ناجي: شعراء اليمن المعاصرون، ص٨٥.

يا عيدُ حدِّث شعبكَ الظامي متى
يروى، وهل يروى وأين المورِدُ؟

فيم السكوتُ ونصفُ شعبكَ هَهُنا
يشقى، ونصفٌ في الشعوبِ مشردُ؟

يا عيدُ هذا الشعبُ ذلَّ نبوغُهُ
وطوى نوابغَهُ السكونُ الأسودُ

ضاعتْ رجالُ الفكرِ فيهِ كأنّها
حلمٌ يُبَعْثِرُهُ الدُّجى ويبدّدُ

للشعبِ يومٌ تستثيرُ جراحُهُ
فيهِ ويقذفُ بالرقودِ المرقدُ

ولقدْ تَراهُ في السكينةِ إنّما
خلفَ السكينةِ غضبَةٌ وتمرُّدُ

تحتَ الرَّمادِ شرارةٌ مشبوبةٌ
ومن الشرارةِ شعلةٌ وتوقُّدُ

لا لمْ ينمْ شعبٌ ويحرقُ صَدرَهُ
جرحٌ على لهبِ العذابِ مسهّدُ

شعبٌ يريدُ ولا ينالُ كأنّه
ممّا يكابدُ في الجحيمِ مقيَّدُ

أهلاً بعاصفةِ الحوادثِ إنها
في الحي أنفاسُ الحياةِ تردّدُ»[١]

---

(١) ديوان «فلسطين، الفجر».

نعم أهلاً بأنفاس الحياة، حياة الحرية والسيادة الوطنية، أهلاً بأنفاس الشعر الموقف، لقد وضع الشاعر الآن قدمه على بداية الطريق وعليه ألّا يتراجع، عفواً. . . وهل يستطيع أن يتراجع؟ إنَّه لا يستطيع حتى أن يلوذ برحاب الصمت:

يا صمتُ ما أهناكَ لَوْ تستطيعْ
تلفّني، أو أنني أستطيعْ
لكنَّ شيئاً داخلي يلتظي. . .
فيخفقُ الثلجُ، ويظما الربيعْ
يبكي، يغنّي، يجتَدي سامعاً
وهو المغنِّي والصَّدَى والسَّميعْ
يهذي فيجثو الليلُ في أضلعي
يشوي هزيعاً، أو يُدمِّي هزيعْ
وتَطبخُ الشُّهب رمادَ الضُّحى
وتطحنُ الريحُ عشايا الصَّقيعْ
ويلهثُ الصبحُ كمهجورةٍ
يجتاحُ نهديْها خيالُ الضجيعْ[1]

لقد تحول الشعر إلى زلزال داخل النفس، يحترق ويتجمد، يغني ويبكي، يحدث كل ذلك في أغوار النفس الشاعرة، لقد استطاع الشاعر بعد لأي أن يمتلك التجربة فامتلكته التجربة،

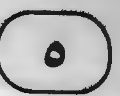
(١) ديوان «مدينة الغد».

فلا تصدقوا ـ إذن ـ هدوءه الظاهر، إِنَّهُ في أعماقه يطبخ النجوم ويطحن الرياح.

ومنذ صار الأدب في اليمن موقفاً وقضية التقى الشعراء جميعاً في ساحة القضية، التقليديون منهم والمجددون، شعراء الفصحى وشعراء العامية. وشعر القضية في هذا الوطن ما يزال يحظى بحب الجماهير وشغفها، ليست الأساليب إذن، ولا جمال الصورة، ولا الحداثة أو التقليدية هي ما يبحث عنه المتلقي هنا. صحيح أن صفوة مختارة من المثقفين قد بدأت تأخذ جانباً في ساحة المتلقين، وبدأت ثقافياً تطلب نوعاً من الشعر، وأسلوباً معيناً من التعبير؛ لكن الساحة لا تزال تنتظر من يخاطب عواطفها؛ لا يهم أن يكون الشعر عمودياً مقفى، موزوناً أو مرسلاً؛ المهم أن يكون مشحوناً بقضية ومعبراً عن موقف، وعامراً بالمحتوى المهيج المثير، بعضهم يقول إن هذا اللون من الشعر يخدر الجماهير ويسلبها القدرة على الفعل، ويلهيها عن واقعها لأنه ينتصر لها بالكلمات ويعوض عن آلامها بالنغم، ولأن بعض الأنظمة قد حذقت ذلك فهي تشجع مثل هذا الشعر ولا تعاقب عليه، قد يكون في مثل هذه الملاحظات قدر من الصحة في أزمنة الاستقرار؛ أما عندما كانت الكلمة قنبلة والبيت الشعري رصاصة فلا شيء من الصحة في مثل تلك الأقوال.

وحين كانت الكلمة تتبع بالموقف، وتؤكد بالعمل، كان الشعر وسيلة تحريضية وأداة للثورة، وحافظ الشعراء لذلك على أن يقللوا أو يلغوا المسافة القائمة بين القول والفعل. وكل شاعر يأتي يكون أكثر من سابقه إحساساً بما حوله، وإدراكاً للمهمة المعلقة على عاتقه، فالشاعر ـ كما يقول رامبو

«محكوم عليه أن يلتقط إجهاش المهانين، وحقد السجناء، وصيحات الملعونين بأشعة حبه اللاسعة».



من الكلاسيكية إلى السريالية، تلك هي الرحلة التي قطعها شاعرنا البردوني في رحلته الفنية، تجاوز الكلاسيكية الجديدة، واستقر حيناً مع الرومانتيكية؛ لكنه عاد إلى الكلاسيكية الجديدة ومنها إلى نوع من السريالية؛ وحتى يجيء المكان المناسب للاستدلال بالنماذج، سأقترب في هذا المكان من قضية تؤرقنا جميعاً نحن أبناء اللغة العربية، تلك هي قضية المصطلحات الأدبية والفنية، وهي قضية تثير المواجع وتدعو إلى الرثاء، وبخاصة في هذا الوقت الذي لا تكف فيه الأفواه عن كلمات الانفتاح... فموجة الارتداد «المنفتحة» التي تستورد علب الصلصة والفاصوليا تحاول أن تسد كل باب بل كل نافذة يتسرب منها نور الفكر والأدب، إنها تعلن كل يوم محاكمتها للمصطلحات المستوردة كالكلاسيكية والرومانسية والسريالية وغيرها من المصطلحات المتداولة في الحقول الفنية والأدبية كمعايير نقدية تحدد هوية بعض الأعمال الأدبية، وقد بلغ الضيق بدعاة الانغلاق الإقليمي والفكري في قطر من أكبر الأقطار الإسلامية رقعة وعدداً وإيماناً أن يتهم الدين الإسلامي بأنه مستورد من الجزيرة العربية؛ ولولا «موضة» الاستيراد ما حدث مثل هذا ولما تجرأ شخص حتى ولو كان في مثل الدكتور زكي نجيب محمود من الهمس بمثل هذه المقولة السخيفة!!

وبما أن الشعر وكل الأعمال الأدبية ـ بما فيها الدراسات النقدية ـ لا تزدهر ولا تتفتح إلّا في مناخ من الحرية الكاملة، فإن هذه الصيحات التي تتنادى من جوانب الطريق معلنة العودة إلى القمقم، تعرقل مسار الإبداع كما تعرقل مسار الحركة النقدية وتجعل للأشكال التقليدية ومضمونها الهابط حق الانتشار والتداول. ولكن رغم كل المصاعب التي تواجه الحركة الأدبية، فإنها سائرة إلى الأمام بخطوات ثابتة، والمصطلحات الأدبية والفنية والنقدية شقت طريقها إلى الحياة الأدبية العربية منذ وقت مبكر من هذا القرن، وأصبح مفهوم الكلاسيكية والرومانتيكية مثلاً واضح المدلول؛ فيكفي أن نصف شاعراً بأنه كلاسيكي لتمثل المحافظة وتقليد القدماء. . . الخ.

وشاعرنا البردوني ـ رغم محافظته على الأسلوب البيتي في القصيدة وهو المعروف بالعمودي ـ شاعر مجدد ليس في محتويات قصائده فحسب، بل في بناء هذه القصائد القائم على تحطيم العلاقات اللغوية التقليدية، وابتكار جمل وصيغ شعرية نامية، صحيح أن إيقاعه كلاسيكي محافظ، لكن صوره وتعابيره حديثة ـ تقفز في أكثر من قصيدة ـ وبخاصة في السنوات الأخيرة ـ إلى نوع من السريالية تصبح فيه الصورة أقرب ما تكون إلى ما يسمى باللامعقول.

وفي كتابي «الأبعاد الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر في اليمن» قلت عنه: الشاعر عبد اللّه البردوني من الشعراء القليلين في اليمن، بل في الوطن العربي الذين لا يزالون يحافظون على شرارة الشعر والفن في القصيدة

العمودية، وهو من القراء المدمنين على الشعر الجديد، يفيد من صوره الجديدة ومن تحرره في استخدام المفردات والتراكيب الشعرية الحديثة، وقد اكتسب شعره على محافظته أهمية كبيرة في السنوات الأخيرة لمضامينه الجماهيرية الواضحة(١).

بدأ البردوني كلاسيكياً يقلد القدماء، ويقف طويلاً عند أبي تمام، ثم تأثر بالرومانتيكيين تأثراً حاداً؛ وفي ديوانه الأول أمثلة كثيرة على ذلك منها هذا الصوت الجارح الحزين:

يا شاعرَ الأزهارِ والأغصانِ
هلْ أنت ملتهبُ الحشا أو هاني
ماذا تُغنِّي، من تُناجي في الغِنا
ولمن تبوحُ بكامنِ الوجدانِ؟
هذا نشيدُكَ يستفيضُ صبابةً
حرّى كأشواقِ المحبِ العاني
في صوتِكَ الرقراقِ فنٌّ مترفٌ
لكنْ وراءَ الصوتِ فنٌّ ثاني
كَمْ ترسلُ الألحانَ بيضاً إنَّما
خلفَ اللحونِ البيضِ دمعٌ قاني
هل أنتَ تبكي أم تغردُ في الرُّبى
أم في بكاكَ معازِفٌ وأغاني(٢)؟

---

(١) عبد العزيز المقالح: الأبعاد الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر ص ٣٧٩ (٦) مجلة أكتوبر القاهرية، العدد (١١٤) ديسمبر ١٩٧٨م.

(٢) ديوان «من أرض بلقيس».

هذه الحيرة، هذا التردد بين الغناء والبكاء جزء من الشوط الرومانسي الذي قطعه الشاعر باكياً لاهثاً، يبحث في قاع ذاته عن حلول اجتماعية فلا يعثر إلّا على الدمع والأسى، ومن جديد يعود إلى الكلاسيكية، الكلاسيكية الجديدة بالطبع لأنها ـ رغم التخلف الفني ـ أكثر قدرة على امتلاك السمات الجماهيرية حيث تشكل امتداداً طبيعياً للتراث، ولكن الكلاسيكية ـ حتى الجديدة منها ـ لا ترضي رغبته الفنية، إنه يقرأ قصائد جديدة، يحلّق في عوالم جديدة من الشعر العربي الحديث، ومن الشعر العالمي المترجم، ثم إن الواقع اللامعقول يستدعي ظهور لغة جديدة، لغة تجمع بين الحقيقة والخيال، بين اللاواقع والواقع، بين المعقول واللامعقول، وفي قصيدة «يداها» يتجسد ذلك الأسلوب وتظهر تلك اللغة الجديدة:

مثلما يبتدي البيت المقفّى
رحلةً غيميةً تبدو وتخفى

مثلما يلمس منقار السنى
سَحَراً أرعش عينيه وأغفى

هكذا أحسو يديْك إصبعاً
إصبعاً أطمع لو جاوزن ألفا

مثل عنقودين أعيا المجتنى
أيُّ حباتهما أحلى وأصفى

هذه أملى وأطرى أختها
تلك أشهى، هذه للقلب أشفى

هـــذه أخـــصـــبُ نـــضـــجـــاً إنـــنـــي
ضـعـتُ بـيـن الـعـشـرِ لا أمـلـكُ وصـفـا

اللغة هنا تهدم المألوف، وحديث الشاعر عن يديْ الحبيبة، عن أصابع هاتين اليدين، وفي الحديث عنهما قدر كبير من السريالية، وما يحرر الشاعر من الوقوع النهائي في قبضة السريالية هو البيتية، هذا النظام الشعري الذي يجزئ الصور في وحدات كاملة ويمنع امتدادها، وقد بدأ هذا الاتجاه مع الشاعر منذ ديوانه «مدينة الغد»، وهو ديوان يحفل بالقصص الشعري وبالصور السريالية:

حتى احتستْها شفاهُ البابِ، لا أحدٌ
يـومـي إلـيـه، ولا قـلـبٌ، لـه يـجـفُ
وظـنٌّ وارتـابَ حـتـى اشـتـمّ قـصـتَـه
كـلـبٌ هـنـاك، وثـورٌ كـانَ يـعـتـلـفُ
وعـادَ مـن حيـثُ لا يـدري عـلـى طـرقٍ
مـن الـذهـول إلـى الـمـجـهـولِ يـنـقـذفُ
يـسـيـحُ كـالـريـحِ في الاحـيـاء يـلـفـظُـهُ
تـيـهٌ، ويـسـخـرُ مـن تـصـويـبـهِ الـهـدفُ(١)

وفي ديوانه الأخير (وجوه دخانية في مرايا الليل)، يتعمق هذا التيار الجديد، وتقفز الاستعارات فوق الحواجز معلنة لا إفلاس المألوف والمعتاد فحسب، بل الدخول في عالم جديد من التركيب اللغوي، تركيب الجملة، رسم الصورة

(١) ديوان «مدينة الغد».

في حديثه عن بعض جبال اليمن يقول الشاعر:

سيدي: هٰذي الروابي المُنْتِنه
لمْ تعدْ كالأمسِ كسلى مُذعِنه

«نُقُمٌ» يهجسُ، يُعلي رأسَه
«صَبِرٌ» يهذي يحدُّ الألسنه

«يسلحٌ» يومي، يرى ميسرة
يرتئي «عيبان» يرنو ميمنه

لذرى «بعدان» ألفا مقلةٍ
رفعتْ، أنفاً كأعلى مِئذَنه(١)

شيء آخر برع فيه البردوني شاعراً، غير القصص الشعري، ذلك هو الحوار، والدراما، ولعل ما كان ينقص القصيدة العربية في معمارها الفني التقليدي هو قدر حقيقي من الدرامية؛ وهذا ما توفر في شعر البردوني وفي دواوينه الأخيرة بصفة خاصة، فلا تكاد تخلو قصيدة من الحوار المباشر وغير المباشر:

ولكن متى مِتَّ؟ كنت (بُخيْتاً)
فَصِرْتَ شعوباً تسمّى «بُخيْتْ»

لأن اسمك امتدَّ فيهم، رأوك
هناك ابتديت، وفيك انتهيت

فأينَ ألاقيك هذا الزمان
ومن أيِّ حقل وفي أي بيت؟

---

(١) ديوان «وجوه دخانية في مرايا الليل».

ألاقيك أرصفةً في «الرياض»
وأوراقَ مزرعةٍ في «الكويت»

ومكنسةً في رمالِ الخليجِ
وشتْ عن يديك، وأنت اختفيت

وإسفلتَ أسواقِ مستعمرٍ
أضأتَ مسافاتها، وانطفيت

وروّيتها من عصير الجبينِ
وأنت كصحرائها ما ارتويت[1]

لقد حاول البردوني في فترة من فترات حياته الشعرية أن يعتمد نظام المقاطع المتعددة القوافي والموحدة البحر، وأحياناً المتعددة أو المختلفة الأبحر، إلّا أنه في الفترة الأخيرة اكتفى بالتجديد داخل القصيدة نفسها، التجديد في اللغة وفي الصورة وفي أسلوب الاستعارة والمجاز اللغوي، وبالرغم من أن العالم الشعري بدأ ينهار من حولنا في شتى الأقطار وفي أرجاء المعمورة؛ إلّا أنه عنده يبدو أصلب عوداً أو أكثر مواجهة للانهيار.

٦

ليس البردوني شاعراً فحسب بل هو ناقد أدبي وكاتب اجتماعي، وتكاد الكتابة النقدية أو الدراسة الاجتماعية ـ في الأيام الأخيرة ـ تكونان صلته الوحيدة بالمتلقي بعد أن جف ضرع الشعر أو كاد، وهو جفاف مؤقت يعود إلى رتابة الواقع، والرتابة بالنسبة للشاعر والشاعر السياسي بصفة خاصة تمثل

(١) نفسه.

العدو التقليدي؛ فتكرار الأشياء يعني تكرار الحديث عنها، والتكرار على أهميته يفقد الشعر بلاغة التعبير وسحر الأداء.

النثر إذن هو المادة الطيعة القادرة على تتبع الأحداث المتكررة، والدراسة الأدبية هي المجال الوحيد لاسترجاع أصداء الأعمال الفنية وإعطائها طاقات جديدة وفعالية أجد، وقد أصدر شاعرنا ـ حتى الآن ـ كتابين نثريين؛ أحدهما دراسات تحليلية ونقدية لبعض قصائد الشعراء اليمنيين الأقدمين والمحدثين، وهو كتاب «رحلة في الشعر اليمني قديمه وحديثه»، والآخر دراسات اجتماعية وتاريخية سجل فيها الشاعر انطباعاته الخاصة عن بعض القضايا اليمنية المعاصرة، واسم الكتاب «قضايا يمنية».

وبما أن الحديث هنا يقتصر على شعر البردوني وليس على نثره، فإنني لا أستطيع أن أقحم نفسي في الحديث عن كتاباته النثرية، وما قوبلت به من إعجاب أو إعراض، فالواضح أن البردوني قد ولد شاعراً، ولكن هذا لا يعني أن كتاباته النثرية غير ذات أهمية، فهي حصيلة رؤية شاعر رافق الكلمة وعاشرها على مدى خمسة وثلاثين عاماً.

وإذا كان تفوق البردوني الشاعر يطغى على البردوني الناثر، فإن ذلك أمر يتمشى مع الحساسية الفنية النابعة من واقع اليمن، حيث تتقدم الكلمة الشاعرة مسيرة الحركة الأدبية، بعد أن استكملت عبر العصور كافة قدراتها اللغوية والتخيلية.

وشاعرنا البردوني ليس الوحيد من بين الشعراء المعاصرين الذين لم يقصروا إنتاجهم على الشعر وحده،

فقائمة الشعراء الناثرين أكبر من أن تحصى، ويكاد بعض الشعراء ينالون الآن من الشهرة بكتاباتهم النثرية ما ينالونه من الشهرة بأشعارهم، وهذا أدونيس أكبر مثل على هذه القضية، وفي القائمة شعراء آخرون: صلاح عبد الصبور، نزار قباني، أحمد عبد المعطي حجازي وآخرون.

٧

هل وصلت الحصاة إلى قاع النهر؟

هل الدوائر الصغيرة التي تركتها الحصاة على صدر النهر كافية لقراءة ملامحه؟

هل سأتمكن يوماً من كتابة دراسة متقنة ومعمقة عن هذا الشاعر الفذ؟

أرجو ذلك...

أما الكلمات التي تضمنتها هذه المقدمة، فلا تزيد عن كونها محاولة لكشف اللثام، عن وجه شاعر ثوري عنيف في ثوريته، جريء في مواجهته، شاعر يمثل الخصائص التي امتاز بها شعر اليمن المعاصر والمحافظ في الوقت نفسِهِ على كيان القصيدة العربية كما أبدعتها عبقرية السلف، وكانت تجربته الإبداعية أكبر من كل الصيغ والأشكال.

صنعاء في ٩ يناير سنة ١٩٧٩م

❁❁❁



من
أرض بلقيس



البردوني بقلمه

نشأ في قرية البردون من أعمال زراجة «بالحدا» وهي قرية شاعرية الهواء، ذهبية الأصائل والأسحار، يُطلّ عليها جبلان شاهقان، مكلّلان بالعشب، مؤزّران بالنبت العميم. ولهذه القرية في نفس الشاعر ذكرياتٌ وذكريات، فيها وُلد الشاعر سنة ١٣٤٨هـ، وفي أحضان هذه القرية الخالدة وتحت ظلال والده الفلاح ووالدته، مرِحتْ طفولتُه، وتحسّست نظراته كؤوس الجمال الفاتن، حتى أغمض عينيه العمى بين الرابعة والسادسة من العمر، بعد أن كابد الجُدري سنتين.

وقد كان حادث العمى مأتماً صاخباً في بيوت الأسرة، لأن ريفه يعتدّ بالرجل السليم من العاهات، فرجاله رجال نزاع وخصام فيما بينهم؛ فكلّ قبيلة محتاجة إلى رجل القِراع والصّراع الذي يقود الغارة ويصدّ المغير.

وفي نهاية السابعة استهل الشاعر المنتظر التعليم في مدرسة ابتدائية في القرية واستمر سنتين، انتقل على إثرهما إلى قرية «المحلة» من أعمال «ذمار»، وفيها أقام أشهراً بين البيت والمدرسة، ثم شاءت الظروف السعيدة أن تنتقل به إلى مدينة «ذمار»، وفي مدرستيها الابتدائية والعلمية عكف على الدرس، وكانت مدة إقامته في ذمار عشر سنوات، كابد فيها مكاره العيش ومتاعب الدرس، والحنين إلى القرية وملاعبها. وفي هذا العهد من تاريخه مال إلى الأدب فقرأ كل كتاب يصادفه،

وبدأ يقرض الشعر وهو في الثالثة عشرة من عمره. وأكثر هذا الشعر شكوى من الزمن، وتأوّه من ضيق الحال، وفي هذا الشعر نزعات هجائية، تكونت من قراءة الهجّائين، ومن سخط الشاعر على المترفين الغُلْف، فقد كان يتعزّى بقراءة الهجو ونظمه، وهذا بدافع الحرمان الذي رافقه شوطاً طويلاً، فبكى منه وأبكى!!

وكان يظهر في هذا الإنتاج طابع التشاؤم والمرارة، ولكنه كان يُنبيءُ عن شاعرية ستورق وتزهر، فقد تنبّأ له آنذاك كثيرون من أرباب الذوق بالنبوغ والصيت المنتشر، وبعد عشر سنوات في «ذمار»، وبأعجوبة تاريخية إلى أعاجيب شقّ الطريق إلى «صنعاء» وفيها عانى ما عانى من مكابدة العيش، ومصارعة الأهوال، ثم تبنته مدرسة «دار العلوم»، وفيها قرأ المنهج المرسوم للمدرسة حتى أنهاه، وعيّن أستاذاً للآداب العربية في المدرسة نفسها ولا يزال.



من أرضِ بلقيس (١)

من هذه الأم الحنون، والحبيبة الحسناء، من هذه الفاتنة الراقصة على القلوب. من هذا الفردوس الأرضي. من هذه الحبيبة الغارقة في العطر والنور!!.

مِنْ أرضِ بلْقيسَ هذا اللَّحنُ والوترُ
مـن جـوِّهـا هـذه الأنـسـامُ والـسَّـحَـرُ

مـنْ صـدرِهـا هـذه الآهـاتُ مـنْ فـمِـهـا
هـذي الّلحونُ؛ ومنْ تاريخِها الذِّكرُ

مِن «السعيدة»(٢) هذي الأغنياتُ ومنْ
ظـلالِـهـا هـذه الأطـيـافُ والـصّـورُ

أطيـافُـهـا حـول مَسْرى خـاطـري زُمَرٌ
مـن الـتـرانـيـم تـشـدو حـولَـهـا زمـرُ

من خاطرِ «اليمنِ» الخَضْرا ومهجتِها
هـذي الأغـاريـدُ والأصـداءُ والـفِـكَـرُ

هـذا الـقـصـيـدُ أغـانـيـهـا ودمـعـتُـهـا
وسِـحْـرُهـا وصِـبـاهـا الأغـيـدُ الـنّـضِـرُ

يـكـادُ مـنْ طـولِ مـا غـنّـى خـمـائـلَـهـا
يـفـوحُ مـنْ كـلِّ حـرفٍ جـوُّهـا الـعـطِـرُ

---

(١) بلقيس بكسر الباء والقاف: ملكة سبأ وزوج سليمان ـ عليه السلام ـ وأرض بلقيس كناية عن اليمن.

(٢) السعيدة: كناية عن اليمن، وهي تسمّى من القديم بالعربية السعيدة.

يـكـادُ مـن كُـثْـر مـا ضـمّـتـه أغـصـنُـهـا
يـرفُّ مـن وجـنـتـيْـهـا الـوردُ والـزّهَـرُ

كـأنّـه مـن تَـشـكّـي جُـرحِـهـا مُـقَـلٌ
يُـلِـحُّ مـنـهـا الـبُـكـا الـدامـي ويـنـحـدرُ

يـا أمّـيَ الـيـمـنَ الـخـضـرا وفـاتـنـتـي
مـنـكِ الـفـتـونُ ومـنـي الـعـشـقُ والـسَّـهـرُ

هـا أنـتِ فـي كـل ذرّاتـي ومـلء دمـي
شـعـرٌ «تُـعَـنْـقـده» الـذكـرى وتـعـتـصِـرُ

وأنـتِ فـي حـضـنِ هـذا الـشِّـعـرِ فـاتـنـةٌ
تُـطِـلّ مـنـه، وحـيـنـاً فـيـه تـسـتـتِـرُ

وحسبُ شاعرِها منها ـ إذا احتجبت
عـن الـلـقـا ـ أنـه يـهـوَى ويـدّكِـرُ

وأنـهـا فـي مـآقـي شِـعـرِه حُـلُـمٌ
وأنـهـا فـي دجـاهُ الـلـهـوُ والـسَّـمـرُ

فـلا تَـلُـمْ كِـبْـريـاهـا فـهـي غـانـيـةٌ
حَسْنا، وطبعُ الحسانِ الكِبْرُ والخَفَرُ

من هذه الأرض هذي الأغنياتُ، ومن
ريـاضِـهـا هـذه الأنـغـامُ تـنـتـشـرُ

من هذه الأرض حيثُ الضوءُ يلثمها
وحـيـثُ تـغـتـنـقُ الأنـسـامُ والـشـجـرُ

ما ذلك الشدو؟ مَنْ شاديه؟ إنـهـمـا
مِن أرضِ بلقيسَ هذا اللحنُ والوترُ

هذه أرضي

زمجري بالنّارِ يا أرضَ الجنوبْ
والْهِبي بالحقدِ حبّاتِ القلوبْ

واقذفي الحقدَ دخاناً ولهيب
زمجري للثأرِ يا أرضَ الجنوبْ

واركبي الموتَ إلى المجدِ السليب - زمجري
واثأري يا أرضَ جدي وأبي - واثأري

واعصِفي بالغاصبِ المستعمرِ

وامْلَئي الروْعَ دماءً وجراحْ
إنما المجدُ نضالٌ وسلاحْ

ولك النصرُ وللعزم النجاح
فَاستعيدي كلَّ شبرٍ مُسْتَباحْ

واركبي الهولَ وطيري للكفاح - زمجري
أطْلقيها ثورةً كاللهبِ - أطْلقي

واعصفي بالغاصبِ المُسْتَعمرِ

هذه أرضي وأرضي أبدا
وأنا مِنْ صوتِها الحرُّ الصدى

وهـــي فـــي صــوتـــي هــتــاف ونِــدا
سـوف أشـفـي جـرحَـهـا يـوم الـفـدا

فانفُضي يا أرضَ أجدادي العِدا - زمجري
واثـأري يـا يـقـظـة الـثـأرِ الأبـي - واثـأري
واعـصـفـي بـالـغـاصـبِ الـمـسـتـعـمرِ

واسـتَـثـيـري يـا جـراحَ الأبـريـاء
وتـقـوّيْ فـالـعُـلا لـلأقـويـاء
وتـأبّـيْ واشْـمُـخـي بـالـكـبـريـاء
وأنْـفـي سـوطَ الـبـغـاةِ الأدعـيـاء
واقـسـمي بـالـشـهـداءِ الأوفـيـاء - واقـسـمـي
إنَّ أرضي لَـمْ تَـعُـدْ لـلأجـنـبي - زمـجـري
زمجري بالنارِ يا أرضَ الجنوبِ - زمجري
واعـصـفـي بـالـغـاصـبِ الـمـسـتـعـمرِ

۞ ۞ ۞

يقظةُ الصَّحراء

ألقى الشاعر هذه القصيدة في حفل حافل بدار العلوم ممثلاً لها بمناسبة ذكرى المولد النبوي سنة ١٣٧٦هـ

حيِّ ميلادَ الهدى عاماً فعاما
واملأ الدنيا نشيداً مُستهَاما

وامْضِ يا شعرُ إلى الماضي إلى
مُلتقى الوحي وذُبْ فيه احتراما

واحمِلِ الذكرى من الماضي كما
يحملُ القلبُ أمانيه الجساما

هات ردّدْ ذكرياتِ النورِ في
فنِّكَ الأسمى ولقّنها الدّواما

ذكرياتٌ تبعثُ المجدَ كما
يبعثُ الحسنُ إلى القلبِ الغراما

فارتعشْ يا وترَ الشِّعرِ وَذُبْ
في كؤوسِ العبقرياتِ مُداما

وتنقّلْ حولَ مهدِ المصطفى
وانشدِ المجدَ أغانيك الرِّخاما[1]

---

(١) الرخام: السهلة اللينة.

زَفّتِ البشرى معانيه كما
زَفّتِ الأنسامُ أنفاسَ الخُزامى

وتجلّى يومُ ميلادِ الهدى
يملأُ التاريخَ آياتٍ عِظاما

واستفاضتْ يقظةُ الصحرا على
هَجْعةِ الأكوانِ بعثاً وقِياما

وجلا للأرضِ أسرارَ السما
وتراءى في فمِ الكونِ ابتساما

جلَّ يومٌ بعثَ اللَّهُ بِهِ
أحمداً يمحو عن الأرضِ الظلاما

ورأى الدنيا خِصاماً فاصطفى
أحمداً يُفني مِن الدّنيا الخصاما

«مُرْسَلٌ» قدْ صاغَهُ خالقُهُ
من معاني الرُسْلِ بدْءاً وخِتاما

قد سعى - والطُّرْقُ نارٌ ودمٌ -
يعبرُ السهل ويجتازُ الأكاما

وتحدّى بالهدى جهدَ العِدا
وانتضى للصارمِ الباغي حُساما

نزلَ الأرضَ فأضحتْ جنّةً
وسماءً تحملُ البدرَ التماما

وأتى الدنيا فقيراً فأتتْ
نحوَه الدنيا وأعطتْهُ الزِّماما

ويـتـيـمـاً فـتـبـنّـتـه الـسّـمـا
وتـبـنّـى عـطـفـه كـلَّ الـيـتـامـى

ورعـى الأغـنـامَ بـالـعـدلِ إلـى
أنْ رعـى فـي مـرتـعِ الـحـقِ الأنـامـا

بـدويٌّ مـدَّنَ الـصَّـحـرا كـمـا
عـلَّـمَ الـنَّـاسَ إلـى الـحَـشـرِ الـنظـامـا

وقـضـى عـدْلاً وأعـلـى مِـلَّـةً
تُـرشـد الأعـمـى وتُـعـمـي مـن تـعـامـى

نـشـرَت عـدلَ الـتَّـسـاوي فـي الـورى
فـعـلا الإنـسـانُ فـيـهـا وتـسـامـى

يـا رسـولَ الـحـقِ خـلَّـدتَ الـهـدى
وتـركـتَ الـظُّـلـمَ والـبـغـيَ حُـطـامـا

قُـمْ تَـجِـدْ فـي الـكـونِ ظـلـمـاً مُـحْـدَثـاً
قـتـلَ الـعـدلَ وبـاسـمِ الـعـدلِ قـامـا

وقـوىً تـخـتـطـفُ الـعُـزْلَ كـمـا
يـخـطـفُ الـصـقـرُ مـن الـجـوِّ الـحـمـامـا

أمـطـر الـغـربُ عـلـى الـشـرقِ الـشَّـقـا
وبـدعـوى الـسِّـلـمِ أسـقـاهُ الـحِـمـامـا

فـمـعـانـي الـسِّـلـمِ فـي ألـفـاظِـهِ
حِـيَـلٌ تـبـتـكـرُ الـمـوتَ الـزُّؤامـا

يـا رسـولَ الـوحـدةِ الـكـبـرى ويـا
ثـورةً وسَّـدَتِ الـظُّـلـمَ الـرّغـامـا

خُـذْ مـن الأعـمـاقِ ذكـرى شـاعـرٍ
وتـقـبَّـلْـهـا صـلاةً وسـلامـا

فلسفة الفن

لا تـقـلْ مـا دمـعُ فَـنِّـي	لا تـسـلْ مـا شَـجْـوُ لـحـنـي
مـنـكَ أبـكـي وأغـنّـيـكَ	فـمـا يُـؤذيـكَ مـنِّـي؟
سـمّـنـي إنْ شـئـتَ نَـوّاحـاً	وإنْ شـئـتَ مُـغَـنّـي
فـأنـا حـيـنـاً أعـزّيـك	وأحـيـانـاً أُهَـنّـي
لـكَ مـنْ حـزنـي الأغـاريـدُ	ومـنْ قـلـبـي الـتـمـنّـي
أنـا أُرضـي الـفـنَّ لـكـن	كـيـفَ تـرضـى أنـتَ عـنـي؟
كلُّ ما يُشجيك يُبكيني	ويُـضـنـي ويُـعـنّـي
فاستمعْ ما شئتَ واتركني	كـمـا شـئـتُ أغـنّـي

* * *

لا تَـلُـمْـني إن بـكـى قـلـبـي	وغـنّـاكَ بُـكـايـا
لا تَـسَـلْـنـي مـا طـوانـي	عـنـكَ فـي أقـصـى الـزوايـا
هـا أنـا وحـدي وألـقـا	كَ هـنـا بـيـن الـحـنـايـا
هٰـهُـنـا حـيـثُ ألاقـيـكَ	طِـبـاعـاً وسـجـايـا
حيث تـهـوي قِـطَـعُ الـظَّـلْـمـا	كـأشْـلاءِ الـضـحـايـا
وتُـطِـلّ الـوحـشـةُ الـخـرْ	سـا كـأجـفـانِ الـمـنـايـا
والدّجى ينسابُ في الصمتِ	كـأطـيـافِ الـخـطـايـا
والـسـكـونُ الأسـودُ الـغـا	فـي كـأعـراضِ الـبـغـايـا
وأنـا أدعـوك فـي سـرّي	وأحـلامـي الـعـرايـا

* * *

يا رفيقي في طريقِ العمرِ في ركبِ الحياةِ
أنتَ في رُوحيّتي رُوحُ وذاتٌ ملءُ ذاتي
جمعتْنا وحدةُ العيشِ وتوحيدُ المماتِ
عُمرنا يمضي وعُمْرٌ من وراءِ الموت آتِ
نحن فِكران تلاقيْنا على رغمِ الشتات
نحن في فلسفةِ الفنّ كنجوى في صلاة
أنا كأسٌ من غنى الشوقِ ودمعِ الذكرياتِ
فاشربِ اللحنَ ودَعْ في الـكأسِ دمعَ المُوجَعاتِ
هكذا تصبو كما شاءتْ وتبكي أغنياتي

* * *

يا رفيقي هاتِ أذنيْكَ وخُذْ أشهى رنيني
من شفاهِ الفجرِ أسقيـكَ وخمرِ الياسمينِ
من مَعينِ الفنِّ أَرويـكَ ولمْ ينضبْ معيني
لك من أنّاتيَ اللحنُ ولي وحدي أنيني
ولكَ التغريدُ من فني ولي جوعُ حَنيني
ها أنا في عُزلة الشعرِ كأشواقِ السجينِ
حيثُ ألقاكَ هنا في خاطرِ الصمتِ الحزينِ
في أغاني الشوقِ في الذكرى وفي الحبِّ الدفينِ
في الخيالاتِ وفي شكوى الحنينِ المستكينِ

نارٌ وقلب

يـا ابْـنـةَ الـحسـنِ والـجـمـالِ الـمـدلّـلْ
أنـتِ أحـلـى مـن الـجـمـالِ وأجـمـلْ

وكـأنَّ الـحـيـاةَ فـيـكِ ابـتـسـامٌ
وكـأنَّ الـخـلـودَ فـيـكِ مُـمَـثَّـل

كـلُّ حـرفٍ مـن لـفـظِـكِ الـحـلـو فـردو
سٌ نَـدِيٌّ وسـلـسـبـيـل مُـسَـلْـسَـل[1]

كـلّـمـا قـلـتِ رفّ مـن فـمِـكِ الـفـجـرُ
وغـنّـى الـرّبـيـعُ بـالـعـطـرِ واخـضـلّ

أنـتِ فـجـرٌ مـعـطّـرٌ وربـيـعٌ
وأنـا الـبـلـبـلُ الـكـئـيـبُ الـمـبَـلْـبَـل

أنـتِ فـي كـلِّ نـابـضٍ مـن عـروقـي
وتـرٌ عـاشـقٌ ولـحـنٌ مُـرتّـل

كـلّـمـا استـنـطـقـتْ مـعـانـيـك شـعـري
أرعـدَ الـقـلـبُ بـالـنـشـيـدِ وجَـلْـجَـل

وانـتـزفـتُ الـلـحـونَ مـن غَـور أغـوا
ري كـأنـي أذوبُ مـن كـلِّ مَـفْـصَـل

(١) السلسبيل: الخمر، واللين الذي لا خشونة فيه.

وأغـنـيـكِ والـصـبـابـاتُ حـولـي
زُمَـرٌ تـحـتـسـي قـصـيـدي وتـنـهـل

وأنـاجـي هـواكِ فـي مَـغـرض الأو
هـامِ فـي شـاطـىءِ الـظـلام الـمـسربَـل

وفـؤادي يـحـنّ فـي صـدريَ الـدا
مي كـمـا حـنَّ في الـقـيـودِ الـمُـكـبّـل

وهـواكِ الـغـضـوبُ نـارٌ بـلا نـا
رِ وقـلـبـي هـو الـلـهـيـبُ الـمـذلَّـل

أنتِ دنيا الـجـمـالِ نـمـنـمـهـا الـسـحـرُ
فـأغـرى بـهـا الـجـمـالَ وأذهـل

فـتـنـةٌ أيُّ فـتـنـةٍ هـزّ قـيـثـا
ري صـبـاهـا فـفـاض بـالـسـحـرِ وانـهـلّْ

تُـسـكـر الـكـأسَ حـيـن تُـسـكـرُهـا الـكـأ
سُ وتـسـقـي الـرحـيـقَ أحـلـى وأفـضـل

وفـتـونٌ يـهُـزّ شـعـري كـمـا هـزّ الـنّـ
سـيـمُ الـبـلـيـلُ زهـراً مـبـلّـل

وألاقـيـكِ فـي ضـمـيـري كـمـا لاقـى الـ
فـمُ الـمـسـتـهـامُ أشـهـى مُـقَـبّـل

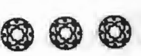
فـي دمـي مـن هـواك حُـمَّـى الـبـراكـ
يـنِ الـعـواتـي وألـفُ دنـيـا تـزلـزلْ

وبـقـلـبـي إلـيـكِ ألـفُ عـتـابِ
وحِـوارٍ وحـيـن ألـقـاكِ أخـجـل

أنــا أهــواك لـلـجـمــالِ ولــلإلــ
هــامِ لــلـفــنّ لـلـحِـوارِ الـمـعَـسَّـل

والـغـرامُ الـطـهــورُ أزكــى مـعــانــي
الـحـب؛ أسمى ما في الـوجـودِ وأنـبل

فـانـفـحـيـنـي تـحـيّـةً وتـلـقّـيْ
نـغَـمـاً مـن جـوانـحِ الـحـبِّ مُـرسَـل



هائم

قلبُهُ المستهامُ ظمآنُ عاني
يحتسي الوَهْمَ من كؤوس الأماني

قلبُهُ ظامىء إليكِ فصبّي
فيه عطرَ الهوى وظلّ التداني

واذكري قلبَه الحبيسَ المعنّى
واملئي الكأسَ من رحيقِ الحنانِ

إنه عاشقٌ وأنتِ هواهُ
إنه فيك ذائبُ الرّوحِ فاني

أنتِ في همسِهِ مناجاةُ أوتا
رِ وفي صمتِهِ أرقُّ الأغاني

إنه في هواكِ يُحرَق بالحبِّ
ويدعوكِ من وراءِ الدّخانِ

سابحٌ في هواكِ يهفو كفكرِ
شاعرٍ يرتمي وراءَ المعاني

أين يلقاكِ أين ماتتْ شكاوا
ه وجفّتْ أصداؤه في اللّسانِ

إنّه ظامىءٌ إلى ريّكِ الحا
ني مشوقٌ إلى الظلالِ الحواني

تـائـهٌ فـي الـحـنـيـنِ يـهـوى كـرُوحٍ
ضـائـعٌ يـسـأل الـدُّجـا عـن كـيـانِ

ظـامـىءٌ يـشـربُ الـحـريـقَ الـمـدمّـى
ويُـعـانـي مـن الـظـمـا مـا يـعـانـي

أنـتِ فـي قـلـبـهِ الـحـيـاةُ وكـلُّ الـحـ
ـبِّ كـلُّ الـهـوى وكـلّ الـغـوانـي

فيكِ كلُّ الجمالِ فيكِ التقى الحسـ
ـنُ وفـيـكِ الـتـقـتْ جـمـيـعُ الـحـسـانِ

لَـمْ يـهـبْ قـلـبَـهُ سـواكِ ولـكـن
لـمْ يـذُقْ مـنـكِ غـيـرَ طـعـمِ الـهـوانِ

فـامـنـحـيـه يـا واحـةَ الـحـبّ ظـلّا
وانـفـضـي حـولَـهُ نَـدى الأقـحـوانِ

واسـكـبـي الـفـجْـر فـي دجـاهُ ورقّـي
فـي شـقـا حـبّـه رفـيـفَ الـجِـنـانِ

إنـه هـائـمٌ يـعـيـشُ ويـفـنَـى
بـيـن جَـوْرِ الـهـوى وظـلـمِ الـزمـانِ

مـيّـتٌ لـمْ يـمُـتْ كـمـا يـعـرفُ الـنـا
سُ ولـكـن يـمـوتُ فـي كـلّ آنِ

❁❁❁

سحرُ الربيع

رصّعِ الدّنيا أغاريداً وشعرا
وتفجّرْ يا ربيعَ الحبِّ سُكرا

وافرشِ الأرض شعاعاً وندى
وترقرقْ في الفضا سحراً وإغرا

يا ربيعَ الحبِّ لاقتك المنى
تحتسي من جوّك المسحورِ سحرا

يا عروسَ الشعرِ صفقْ للغنا
وترقّصْ في ضفافِ الشعرِ كِبْرا

أسفرتْ دُنياكَ للشعرِ كما
أسفرتْ للعاشقِ المحرومِ عَذرا

فهنا الطيرُ تغنّى وهنا
جدولٌ يُذري الغنا رِيّاً وطهرا

وصبايا الفجرِ في حضنِ السنا
تنثرُ الأفراحَ والإلهامَ نثرا

والسهولُ الخضرُ تشدو والرّبا
جَوقةٌ تجلو صبايا اللّحن خضرا

فكأنَّ الجوَ عزفٌ مسكرٌ
والحياةَ الغضةَ الممراحَ سكرى

والـريـاحـيـنَ شـذيَّـاتُ الـغـنـا
تـبـعـثُ الـلـحـنَ مع الأنـسـامِ عـطـرا

وكـأنَّ الـرّوضَ فـي بـبـهـجـتـه
شـاعـرٌ يـبـتـكـرُ الأنـغـامَ زهـرا

وكـأنَّ الـوردَ فـي أشـواكـه
مـهـجٌ أذكـى عـلـيـهـا الـحـبُّ جـمـرا

وكـأن الـفـجـرَ فـي زهـرِ الـربـا
قـبـلـةٌ عـطـريـةُ الأنـفـاسِ حَـرَّى

* * *

يـا ربـيـعَ الـحـبِّ يـا فـجـرَ الـهـوى
مـا أحـيـلاكَ ومـا أشـذاكَ نـشـرا!

طـلـعـةٌ فَـوْحـا وجـوّ شـاعـرٌ
عـاطـفـيٌّ كـلّـه شـوقٌ وذكـرى

تـبـعـثُ الـدنـيـا وتـجـلـو حـسـنَـهـا
مـثـلـمـا تـجـلـو لـيـالـي الـعـرس بِـكـرا

وتـبـثُّ الـحـبَّ فـي الأحـجـارِ لـو
أنَّ لـلأحـجـارِ أكـبـاداً وصـدرا

أنـتَ فـجـرٌ كـلـمـا ذرّ الـنـدى
أنـبـتـتْ مـن نـورِهِ الأغـصـانُ فـجـرا

أنـتَ مـا أنـتَ جـمـالٌ سـائـلٌ
لـمْ يـدَعْ فـوقَ بـسـاطِ الأرضِ شـبـرا

وفتونٌ ملهمٌ يضفي على
صبواتِ الفنِ إلهاماً وفكرا

وترانيماً وفنّاً كلّه
عبقريّات توشّي الأرضَ تبرا

ما ربيعُ الحبِّ يا شعرُ وما
سحرُهُ أنت بسحرِ الكونِ أدرى

كلّما أورقتِ الأعشابُ في
حضنِهِ أورقتِ الأرواحُ بشرى

هو سِرُّ الأرضِ غذّته السما
وجلتْهُ فِتَناً بيضاً وسمرا

ورواها الفنُّ لحناً للهوى
وأدارتْهُ كؤوس الزهرِ خمرا

منظرٌ أودعَهُ فنُّ السما
من فنونِ الخُلْدِ والآياتِ سرّ



طائر الربيع

يــا شــاعــرَ الأزهــارِ والأغــصــانِ
هـل أنـتَ مـلـتـهـبُ الـحـشـا أو هـانـي

مـاذا تـغـنّـي، مـن تـنـاجـي فـي الـغِـنـا
ولـمـنْ تـبـوحُ بـكـامـنِ الـوِجـدانِ؟

هـذا نـشـيـدُكَ يـسـتـفـيـضُ صـبـابـةً
حـرّى كـأشـواقِ الـمـحـبِّ الـعـانـي

فـي صـوتِـك الـرّقـراقِ فـنٌّ مُـتـرَفٌ
لـكـنْ وراء الـصـوتِ فـنٌ ثـانـي

كَـمْ تـرسـلُ الألـحـانَ بـيـضـاً إنـمـا
خـلـفَ الـلـحـونِ الـبـيـضِ دمـعٌ قـانـي

هـل أنـتَ تـبـكـي أم تـغـرّدُ فـي الـرّبـا
أم فـي بـكـاكَ مـعـازفٌ وأغـانـي

* * *

يـا طـائـرَ الإنـشـادِ مـا تـشـدو ومـن
أوحـى إلـيـكَ عـرائـسَ الألـحـان

أبـداً تـغـنّـي لـلأزاهـرِ والـسّـنـا
وتـحـاور الأنـسـامَ فـي الأفـنـانِ

وتـظـلّ تـبـتـكـرُ الـغِـنـا وتـزفُّـه
مـن جـوّ بُـسـتـانٍ إلـى بُـسـتـان

وتـذوبُ فـي عـرشِ الـجـمـالِ قـصـائـداً
خُـرْسـاً وتـسـتـوحـي الـجـمـالَ مـعـانـي

لا الـحـزنُ يـنـسـيـك الـنَـشـيـدَ ولا الـهـنـا
بُـوركـت يـابْـنَ الـفـنّ مـن فـنّـان

* * *

يـابْـنَ الـريـاض ـ وأنـت أبـلـغُ مُـنـشـدٍ ـ
غـرّدْ وخـلِّ الـصَّـمـتَ لـلإنـسـان

واهـتـف كـمـا تـهـوى فَـفَـنُّـك كـلّـه
حـبٌّ وإيـمـانٌ وعـن إيـمـانِ

دنـيـاك يـا طـيـرَ الـربـيـع صـحـيـفـةٌ
ذهَـبـيّـةُ الأشـكـالِ والألـوانِ

وخـمـيـلـةٌ خـرسـا يـتـرجـمُ صـمـتَـهـا
عِـطـرُ الـزهـورِ إلـى الـنـسـيـمِ الـوانـي

والـزّهـرُ حـولَـك فـي الـغـصـونِ كـأنّـه
شـعـرُ الـحـيـاةِ مُـبـعـثـر الأوزانِ

والـعُـشـبُ يـرتـجـلُ الـزهـورَ حـوالـمـاً
ويـرفّ بـالـظـلِ الـوديـعِ الـحـانـي

وطـفـولـةُ الأغـصـانِ راقـصـة الـصّـبـا
فـرحـاً ودنـيـاهـا صـبـاً وأمـانـي

والـحـبُّ يـشـدو فـي شـفـاهِ الـزهـرِ فـي
لـغـةِ الـطـيـورِ وفـي فـم الـغُـدرانِ

والـوردُ يـدمَـى بـالـغـرامِ كـأنـه
مـن حُـرقـةِ الـذكـرى قـلـوبُ غـوانـي

* * *

يـا طـائـرَ الإلـهـامِ مـا أسـمـاك عـن
لـهـوِ الـورى وعـنِ الـحُـطـامِ الـفـانـي
تـحـيـا كـمـا تـهـوى الـحـيـاةُ مـغـرّداً
مـتـرفّـعـاً عـن شـهـوةِ الأبـدانِ
لمْ تستكنْ للصمتِ، لم تُذعنْ لهُ
بـلْ أنـتَ فـوقَ الـصّـمـتِ والإذعـانِ
هذي الطبيعةُ أنت شاعرُ حسنِها
تـروي مـعـانـيـهـا بـسـحـرِ بـيـانِ
تـرجـمـتَ أسـرارَ الـطـبـيـعـةِ نـغـمـةً
أبـديّـةً فـي صـوتِـك الـرّنّـانِ
وعزفتَ فلسفةَ الربيعِ قصيدةً
خـضـرا مـن الأزهـارِ والـرّيـحـانِ

* * *

هـذا ربـيـعُ الـحـبِّ يـمـلـي شـعـرَه
فِـتـنـاً مُـعَـطّـرةً عـلـى الأكـوانِ
يـصـبـو ودنـيـا الـحـبِّ فـي أفـيـائِـه
تـصـبـو عـلـى إشـراقـهِ الـفـتّـانِ
ألـفـنُّ فـنُّـك يـا ربـيـعَ الـحـبِّ يـا
سِـحْـرَ الـوجـودِ وفـتـنـةَ الأزمـانِ

❁❁❁

عودة القائد

لمنِ الجموعُ تموجُ موجَ الأبحرِ
وتضِجُ بينَ مُهلّلٍ ومُكَبّرِ

لمنِ الهتافُ يشقّ أجوازَ الفضا
ويهزّ أعطافَ النهارِ المُسفرِ

ولمنْ تجاوبتِ المدافعُ وانبرتْ
صيحاتُها كضجيجِ يومِ المَحشرِ

لمنِ الطبولُ تُثرثرُ الخفقاتُ في
ترنيمِها المتهدّجِ المتكسّرِ

ولمنْ زغاريدُ الحسانِ كأنها
خَفقاتُ أوتارٍ ورعشةُ مِزْهرِ

ولمنْ تَفيضُ حناجرُ الأبواقِ منْ
أعماقِها بترنّمِ المُسْتَبْشِرِ

للقائدِ الأعلى الموشّحِ بالسّنا
علَمِ الفتوحِ وقاهرِ المُسْتعمرِ

لوليّ «عهد المُلك» بنّاءِ الحمى
حُلْمِ البطولةِ والطموحِ العبقري

أهلاً «وليّ العهد» فانزل مثلما
نزلَ الشعاعُ مباسمَ الزَّهرِ الطّري

أشرقتَ في مُقَل الجزيرة كالضّحى
كالصبحِ كالسّحَرِ النّديّ المُقمرِ

وعلى جبينِكَ غارُ أكرمِ فاتحٍ
وعلى محيّاك ابتسامُ مُظفّرِ

لمّا طلعتَ أفاقتِ (الخضرا)[1] على
فجرٍ بأنفاسِ الخلودِ مُعطّرِ

وتعانقتْ فتنُ الجمالِ وتمتمت
بالعطرِ أعراسُ الربيعِ الأخضرِ

وتسابقَ الإنشادُ فيك وهازجتْ
نَغَمَ المعرّي أغنياتُ البُحْتري

وهفتْ إليكَ من القوافي جوقةٌ
سكرى متيّمةُ الغناءِ المُسْكرِ

* * *

يا من تشخّصتِ المُنى في شخصِهِ
وأهلّ فجرَ عدالةٍ وتحرّر

حققْ طموحَ الشعبِ واجعلْ حُلْمَه
فوقَ الحقيقةِ فوقَ كلِّ تصوّر

وافيتَ فانتفضتْ أماني أمّةٍ
شمّا وشقّ البعثُ مرقدَ «حميرِ»

ويكادُ «ذو يزنٍ» يُبعثرُ قبرَه
ويطلّ جِمْيَرُ من وراءِ الأعصرِ

(١) الخضراء: كناية عن اليمن.

بِلْقيسُ يا أمَّ الحضارةِ أشرقي
من شُرفة الأمسِ البعيد وكبّري

واستعرضي زُمَرَ الأشعةِ واسبَحي
فيها بناظرِكِ الكحيلِ الأحورِ

مولاتِيَ الحسنا أطلّي وانظري
من زَهْوةِ الأجيال مَا لمْ تنظري

وتغطرسي ملءَ الفتونِ وعنْوِني
فمَكِ الجميلَ ببسمةِ المستفسرِ

ها نحنُ نبني فوقَ هامةِ مأربٍ
وطناً ونبني ألفَ صرحٍ مرمري[1]

ونشيدُ في وطنِ العروبة وحدةً
فوق الثريا خلفَ أفْقِ «المشتري»

هي وحدةُ العرَبِ الأباةِ تسنّمت
في ربوةِ التاريخِ أرفَع مِنْبَر

وتعانقتْ صنعا ومصرُ وجِلّق
فيها عناقَ الشوقِ والحُبّ البري

وجرى على النيل المصفّق صنْوُهُ
بَرَدى فصفّقَ كوثرٌ في كوثرِ

وارتادتِ «الخضرا» الكنانة فانتشتْ
نسماتُ مأربَ في أصيلِ الأقصر[2]

---

(١) مأرب كمنزل: موضع باليمن.

(٢) الخضراء: كناية عن اليمن.

لولاكَ يا بَطلَ الخلافةِ ما احتوى
صنعا وجلّق حضنُ أمّ الأزهرِ
صافحتَ مصرَ فزدتَ في بنيانِها
«هرماً» إلى الهرم الأشمّ الأكبرِ
أرضُ الجنوبِ ـ وأنت نخوةُ ثأرها ـ
ظمأى تحنُّ إلى الصّراعِ الأحمرِ
أرضي ودارُ أبي وجدي لم تزلْ
في قبضةِ المتوحّشِ المتنمّرِ
تطوي على حُلْم الجهادِ عيونَها
وتئِنُّ تحتَ الغاصبِ المُسْتهترِ
لا حُرمةُ الإنسانِ تزجرُهُ ولا
شرفُ الضميرِ ولا نُهى[1] المتحضر
متجبّرٌ وأصمُّ لَمْ يسمعْ سوى
رَهَج[2] الحديدِ الماردِ المتجبّر
فازحفْ إليه يابنَ بَجْدتها على
لجِج السّلاحِ الفاتحِ المتهوّر
يا خيرَ من لبّى ومن نُودي ومن
يغشى الوغى كالهولِ كالليثِ الجري
هذي زعامتُكَ الفتيةُ قصّةٌ
بفم الفتوحِ وفي شفاهِ الأدهُرِ

(١) النهى: العقول جمع نهية.
(٢) الرهج محركة، الغبار. والغبار لا يسمع وكان يمكن ان يقول: صوت الحديد مثلا.

يا بدرُ هذا الشعبُ أنت زعيمه
وهواكَ سحرُ غرامِه المتسعّر

حملتك روحُ الشعبِ إيماناً فلم
تخفقْ بحبٍّ سواكَ بلْ لمْ تشعرِ

فاسلَمْ لتاريخِ الزعامةِ آيةً
بَيضا كبهجة عصرك المتبلْور

عام ١٣٧٧هـ



عروس الحزن

منزلها الكبير بجوار منزلي الصغير، وقد لفني وإياها عاطف الحنان والحنين فتلاقينا على بعد. تظل تغني، وأظل أصغي إلى أغانيها، وصوتها يتعثر في دمعها، ودمعها يتحشرج في صوتها، وفي نغماتها تتحاضن الدموع والترنم، كأن صوتها عود ذو وتر واحد، بعضه يبكي، وبعضه يغني.

صوتُها دمعٌ وأنغامٌ صَبايا
وابْتساماتٌ وأنّاتٌ عَرايا

كلّما غنّت جرى من فمِها
جدوَلٌ من أغنياتٍ وشَكايا

أهيَ تبكي أمْ تغنّي أمْ لها
نغمُ الطيرِ وآهاتُ البرايا؟

صوتُها يبكي ويشدو آه ما
ذا وراءَ الصوتِ ما خلفَ الطوايا؟

هل لها قلبٌ سعيدٌ ولها
غيرَهُ قلبٌ شقيٌّ في الرزايا؟

أمْ لها روحان: روحٌ سابحٌ
في الفضا الأعلى وروحٌ في الدنايا؟

أمْ تلاقتْ في حنايا صدرِها
صلواتٌ وشياطينُ خطايا؟

أمْ تـنـاجـتْ فـي طـوايـا نـفـسِـهـا
لـحـنُ عُـرْسٍ وجِـراحـاتُ ضـحـايـا؟

لـسـت أدري، صـوتُـهـا يُـخـرقـنـي
بـشـجـونـي إنّـه يُـدمـي بُـكـايـا

كـلّـمـا طـافَ بـسـمـعـي صـوتُـهـا
هـزّ فـي الأعـمـاقِ أوتـارَ شـجـايـا

وسـرى فـي خـاطـري مُـرتـعِـشـاً
رعـشـةَ الـطَّـيْـف بأجـفـانِ الـعـشـايـا

أتُـرى الـحـزنُ الـذي فـي شـجـوهـا
رقَّـةُ الـحـرمـان أم لـطـفُ الـسّـجـايـا

أمْ تُـراهـا هـدَّجـتْ فـي صـوتـهـا
قِـطَـعَ الـقـلـبِ وأشـلاءَ الـحـنـايـا

كـلّـمـا غـنّـتْ... بـكـتْ نـغـمـتُـهـا
وتـهـاوى الـقـلْـب فـي الآه شـظـايـا

هـكـذا غـنّـتْ، وأصـغـيـتُ لـهـا
وتـحـمّـلْـتُ شـقـاهـا وشـقـايـا

* * *

يـا عـروسَ الـحـزنِ مـا شـكـواكِ مِـنْ
أيّ أحـزانٍ ومِـن أيّ الـبـلايـا؟

مـا الـذي أشـقـاك يـا حَـسْـنـا؟ وهـلْ
لـلـشـقـا كـالـنـاس عـمـرٌ ومـنـايـا؟

هلْ يموتُ الشرُّ؟ هلْ للخيرِ في
زَخْمةِ الشَّرِّ سِماتٌ ومزايا؟

كيف تُعطي أمُّنا الدنيا المنى
وهي تَطوي عن أمانينا العطايا

وَلِقَومِ تحملُ البَذْلَ كما
يحملُ الخِلُّ إلى الحَسْنا الهدايا

هل هي الدنيا التي تحرمُنِي
أمْ تراخَتْ عنْ عطاياها يدايا؟

أنا حرماني وشكوى فاقتي
أنا آلامي ودمعي وأسايا

لم يَرُعْ قلبي سوى قلبي أنا
لا ولا عذّبني شيءٌ سوايا!

جارتي، ما أضيقَ الدنيا إذا
لمْ تشقَّ النفسُ في النفس زوايا



أثيم الهوى

مسكين لقد تقيد بالعفة طويلاً، وفي هذه المرة جرب خلع القيد، وتذوق طعم الانطلاق، وقد نجحت التجربة، فماذا جنى من ورائها، وكيف عادت عليه مرارة الندم،وما قصته النفسية، كل هذا التساؤل يجيب عنه هذا الشعر.

جـريـحُ الإبـا صـامـتٌ لا يـعـي
وفـي صـمـتِـه ضـجّـةُ الأضـلُـعِ

وفـي صـدرِه نـدمٌ جـائـعٌ
يـلـوكُ الـحـنـايـا ولـمْ يـشـبـعِ

تـهـدّدُه صـيـحـةُ الـذكـريـا
تِ كـمـا هـدّدَ الـشـيـخَ صـوتُ الـنّعي

ويـقـذفُـه شـبـحٌ مـفـزعٌ
إلـى شـبـحٍ مـوحـشٍ مـفـزعِ

ويُـصـغـي ويُـصـغـي فـلـمْ يـسـتـمـعْ
سـوى هـاتـفِ الإثـمِ فـي الـمَـسـمـعِ

ولـمْ يـسـتـمـعْ غـيـرَ صـوتِ الـضـمـيـرِ
يـنـاديـه مـنْ سـرّه الـمـوجِـعِ

فـيـشـكـو إلـى مـنْ؟ ومـا حـولـه
سـوى الـلـيـلِ أو وحـشـةِ الـمـخْـدَعِ

كـئـيـبٌ يُـخـوّفُـهُ ظُـلـمُـهُ
فـيـرتـاعُ مـن ظـلّـهِ الأروعِ

وفــي كــلّ طــيــفٍ يــرى ذنــبَــهُ
فــمــاذا يــقــولُ ومــا يــدّعــي؟

فــيُــمــلــي عــلــى ســرِّهِ قــائــلاً:
أنــا مــجــرمُ الــنّــفــسِ والــمَــطــمــعِ

أنــا ســارقُ الــحــب وحــدي! أنــا
خــبــيــثُ الــسّــقــا قــذِرُ الــمــرتَــعِ

هــوتْ إصْــبَــعــي زهــرةً حُــلْــوةً
فــلَــوَّثْــتُ مــن عــطــرِهــا إصــبــعــي

تــوهّــمــتُــهــا حــلــوةً كــالــحــيــا
ةِ فــكــانــتْ أمــرَّ مــن الــمــصــرعِ

أنــا مــجــرمُ الــحــبِّ! يــا صــاحــبــي
فــلا تــعــتــذرْ لــي فــلــم تُــقــنِــعِ

ولا، لا تــقــلْ مــعــكَ الــحــبُّ بــلْ
جــريــمــتُــهُ والــخــطــايــا مــعــي

ومــالَ إلــى الــلــيــلِ والــلــيــلُ فــي
نــهــايــتِــهِ وهــو لــمْ يــهــجَــعِ

وقــد آن لــلــفــجــرِ أن يــســتــفــيــقَ
ويــنــســلّ مــن مــبــســمِ الــمــطــلــعِ

وكــيــف يــنــامُ «أثــيــمُ الــهــوى»
وعــيــنــاهُ والــسّــهــدُ فــي مــوضــعِ

هــنــا ضــاق بــالــسّــهــد والــذكــريــاتِ
وحــنّ إلــى الــحُــلُــمِ الــمــمــتِــعِ

فألقى بجثتِهِ في الفرا
شِ كسيرَ القُوى ذابلَ المدمعِ

تُرى هلْ ينامُ وطيفُ الفجُو
رِ ورائحةُ الإثمِ في المضجعِ؟

وفي قلبِهِ ندمٌ يستقي
دماهُ وفي حزنِهِ يرتعي

وفي مقلتيْه دموعٌ وفي
حشاه نحيبٌ بلا أدمُعِ

فماذا يُلاقي وماذا يُحِسُّ
وقد دفنَ الحبَّ في البَلْقعِ

وعادَ وقدْ أودَع السرَّ من
حناياه في شرّ مُسْتَوْدعِ

فماذا يعاني؟ ألا إنّه
جريحُ الإبا صامتٌ لا يعي

❁❁❁

وهكذا قالت

كانت تهواه ويهواها، وفي هواها طهر الصلاة، وفي هواه خسة الخيانة، وقد ضمتهما برهة هنيئة من الحب في ظل العقد الإلّهي، ولكن أفضى بها الهناء وحدها إلى الألم الطويل، كانت تؤمن بالرباط المقدس وكان يكفر به، فقد قطع ما بينه وبينها،واستبدل بها أخرى! وهكذا قالت:

أشقيتَني من حيثُ إمتاعي ... فلينْعَني من ظلمِكَ الناعي
ألِفتَني حتى ألفْتُ اللّقا ... تركتني وحدي لأوجاعي؟
أطمعتَني فيكَ فخلّفْتَني ... لجوع آمالي وأطماعي
ورحت ـ لا عدتَ ـ وألقيتَني ... وديعةً في كفٍّ مضياعِ
إن لم يكنْ لديكَ قلبٌ، فهلْ ... رحمتَ قلباً بينَ أضلاعي
رعيتني حتى ملكت الغنى ... عني فكنتَ الذئبَ في الرّاعي
يا ظالمي والظلمُ طبع الخنا ... قطفت عمري قبلَ إيناعي
قد ضاعَ ما أرجو فما خيفتي ... إذا دعاني للفنا داعِ
لا، لمْ أعاتبْكَ فقد أقلعتْ ... عنكَ شجوني أيَّ إقلاعِ
إن كنتَ خدّاعاً فإنَّ الورى ... ما بين مخدوعٍ وخدّاعِ
ما بين غلّابٍ ومستسلمٍ ... ما بين محرومٍ وإقطاعي
أوّاه كم أشقى وأسعى إلى ... قبري وويحَ السعيِ والساعي
وهكذا قالتْ، وفي صوتِها ... دموعُ قلبٍ جدِّ مُلتاعِ

❂❂❂

ليالي الجائعين

هذي البيوتُ الجاثماتُ إزائي
لَيلٌ من الحرمانِ والإدجاءِ

من للبيوتِ الهادماتِ كأنّها
فوقَ الحياةِ مقابرُ الأحياءِ

تغفو على حُلمِ الرغيفِ ولم تجدْ
إلّا خيالاً منهُ في الإغفاءِ

وتضُمّ أشباحَ الجِياع كأنها
سجنٌ يضمُّ جوانحَ السّجَناء

وتغيبُ في الصمتِ الكئيبِ كأنها
كهفٌ وراءَ الكونِ والأضواءِ

خلف الطبيعةِ والحياةِ كأنها
شيءٌ وراءَ طبائعِ الأشياءِ

ترنو إلى الأملِ المولّي مثلما
يرنو الغريقُ إلى المغيثِ النائي

وتلملمُ الأحلامَ من صدر الدجى
سوداً كأشباحِ الدجى السوداءِ

* * *

هذي البيوتُ النائماتُ على الطوى
نومَ العليلِ على انتفاضِ الداءِ

نامتْ ونامَ اللّيلُ فوقَ سكونِها
وتغلّفتْ بالصّمتِ والظلماء

وغفتْ بأحضانِ السكونِ وفوقها
جثث الدجى منثورةُ الأشلاءِ

وتململتْ تحتَ الظلامِ كأنها
شيخٌ ينوءُ بأثقلِ الأعباءِ

أصغى إليها الليلُ لم يسمعْ بها
إلّا أنينَ الجوعِ في الأحشاءِ

وبكا البنينَ الجائعين مردَّداً
في الأمّهات ومِسمَعِ الآباءِ

ودجتْ ليالي الجائعينَ وتحتَها
مهجُ الجِياع قتيلةُ الأهواء

* * *

يا ليلُ، مَن جيرانُ كوخي؟ مَن همُ
مرعى الشّقا وفريسةُ الأرزاءِ

ألجائعون الصابرون على الطوى
صبرَ الرُّبا للريحِ والأنواءِ

ألآكلون قلوبَهم حقداً على
ترَفِ القصورِ وثروةِ البُخلاءِ

ألصامتون وفي معاني صمتِهم
دنيا من الضجّاتِ والضوضاءِ

ويلي على جيرانِ كوخي إنهم
أَلْعوبةُ الإفلاسِ والإعياءِ

ويلي لهم من بؤسِ مَحياهم ويا
ويلي من الإشفاقِ بالبؤساءِ

وأنوحُ للمستضعفين وإنني
أشقى من الأيتامِ والضعفاءِ

وأُحِسُّهم في سدّ روحي في دمي
في نَبْضِ أعصابي وفي أعضائي

فكأنَّ جيراني جراحٌ تحتسي
رِيَّ الأسى من أدمعي ودمائي

ناموا على البلوى وأغفى عنهمو
عَطفُ القريب ورحمةُ الرّحماءِ

ما كَان أشقاهم وأشقاني بهم
وأَحَسّني بشقائهم وشقائي

❁ ❁ ❁

حين يشقى الناس

أنــت تــرثــي كــلَّ مــحــزونٍ ولــمْ
تــلــقَ مــن يــرثــيــكَ فــي الــخــطــبِ الألــدِّ

وأنــا يــا قــلــبُ أبــكــي إن بــكــتْ
مــقــلــةٌ كــانــت بــقــربــي أو بــبُــعــدي

وأنــا أكــدى الــورى عــيــشــاً عــلــى
أنّــنــي أبــكــي لــبــلــوى كــل مُــكــدِ

حــيــن يــشــقــى الــنــاسُ أشــقــى مــعــهــم
وأنــا أشــقــى كــمــا يــشــقــونَ وحــدي!

وأنــا أخــلــو بــنــفــســي والــورى
كــلُّــهــم عــنــدي ومــالــي أيّ عــنــدي

لا ولا لــي فــي الــدّنــا مــثــوى ولا
مُــسْــعِــدٌ إلّا دُجــى الــلــيــل وسُــهــدي

لــم أسِــرْ مــن غــربــةٍ إلّا إلــى
غــربــةٍ أنــكــى وتــعــذيــبٍ أشــدِّ

مُــتــعَــبٌ أمــشــي وركــبــي قــدمــي
والأســى زادي وحــمّــى الــبــردِ بُــردي

والــدُّجــى الــشــاتــي فــراشــي وردا
جــســمــيَ الــمــحــمــومِ أعــصــابــي وجــلــدي

الشاعر

طائرٌ عشُّهُ الوجودُ وقلبٌ
مُلْهَمٌ عاشقٌ وروحٌ نبيلهْ

ركّب اللَّهُ في طبيعتِه الفنَّ
وفي فكرِهِ طموحَ الفضيله

ينشرُ اللحنَ في الوجودِ ويَطوي
بين أضلاعِهِ الجراحَ الدّخيله

يُفعمُ الكونَ من معانيه شهداً
ورحيقاً حُلْواً ويُطفي غليله

ويُوَشّي الحياة سِحراً كما وشّـ
ـثْ خيوطُ الصباحِ زهْرَ الخميله

وفنوناً ألذّ من بسمةِ الطفلِ
ومن نَسْمةِ الصباحِ العليله

وحِواراً أرقَّ من قُبَلِ الحب
على وَجنةِ الفتاةِ الجميله

أنت ـ يا شاعرَ الحياةِ ـ حياةٌ
و «كمنجٌ» حيٌّ ودنيا ظليله

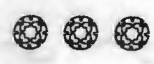
تعشَقُ النورَ والنّدى وسموَّ الـ
ـروح في النشء والعقولِ الجليله

وتُحبُّ الطموحَ في الأنفسِ العُظمى
وتحنو على النّفوسِ الضئيله
تستشفُّ الجمالَ منْ ظُلَمِ الليل
ومن زهرةِ الرّبيعِ البليله
من سكونِ الدُّجى ومن هَجْعةِ الصَّحـ
ـرا ومن وحشةِ القفارِ المُهيله
وترى الوردَ في الغصونِ خدوداً
قانياتٍ والليلَ عيناً كحيله
قد عرفتَ الجمالَ في كلِّ شيء
وتغنّيتَ همسَهُ وهديله
وتوحّدتَ للجمالِ تُناجيه
وللفنّ تستقي سَلْسَبيلَه
ورفضت النفاق والزورَ والزُّلْـ
ـفى وخَلّيْت للورى كلَّ حيله
ونبذتَ الرّواغَ والملَقَ المخـ
ـزي وأعباءَهُ الجِسامَ الثقيله
لمْ تحاولْ وظيفةَ المنصبِ العا
لي ولا تبتغي إليهِ وسيله
لا ولا تعشقُ النقودَ اللّواتي
نقشتْها يدُ الحياةِ الذليله
قد تخلّيتَ للجمالِ تناجي
هالةَ الوحي والسماءَ الصقيله

فـرأيـتَ الـفـضـائـلَ الـبـيـضَ فـي الـدنـ
يـا ولـمْ تـلـمـحِ الـخـنـا والـرذيـلـه

عـشـتَ فـي الـطـهـرِ لـلـخـيـالِ تـوافـ
يـه كـمـا وافـتِ الـخـلـيـلَ الـخـلـيـلـه

طـائـراً عـن عـوالـمِ الـشّـر لـمّـا
أودعَ الـلّـهُ فـيـكَ روحـاً غـسـيـلـه



سائل

مررتُ بشيخٍ أصفرِ العقلِ واليدِ
يدبُّ على ظهرِ الطريقِ ويجتدي

ثقيلِ الخُطا يمشي الهوينى بجوعه
وأحزانِهِ مشيَ الضريرِ المقيّدِ

ويمضي ولا يدري إلى أين ينتهي
ولمْ يدرِ قبل السَّيْر من أين يبتدي

ويزجي إلى الأسماعِ صوتاً مجرَّحاً
كئيباً كأحلامِ الغريبِ المشرَّدِ

يمدّ اليدَ الصَّفرا إلى كلِّ عابرٍ
ولمْ يَجْنِ إلّا اليأسَ من مَدِّهِ اليدِ

فيُلقي على الكفِّ النّحيلِ جبينَه
ويسألُ هَل في الأرضِ ظلٌّ لمُسعِدِ

هو الشرُّ ملءُ الأرض والشر طبعُها
هو الشرُّ ملءُ الأمسِ واليومِ والغدِ

وهذا غُبارُ الأرضِ آهاتُ خُيّبٍ
وهذا الحصى حباتُ دمعٍ مجمّد

رمى الشيخُ فيما حوله نظرةَ الأسى
ومرّ كطيفِ المستكينِ المهدَّدِ

فيا للفقيرِ الشيخِ يمشي على الطّوى
وفي مأتمِ الشكوى يروحُ ويغتدي

يظنُّ أكفَّ الناسِ تهوي بجودها
إليه ولم يُبْصِرْ سوى وهمِهِ الرَّدي

وجوعٌ يُلوّي نفسَه في ضلوعِهِ
فينساقُ لا يَدْري إلى أين يهتدي



الشمس

أطَلّتْ من الأفقِ بنتُ السماء
مغلّفةً بالشّعاعِ النّدي

ووشّتْ بساط الفضا بالسَّنا
وباللّهبِ البارِدِ العسجدي

وبالوهَجِ الدافىءِ المشتهي
وبالمنظر السّحْرِيَ الأجود

فجنّتْ بها نشواتُ الصبا
وفاضت بصدر الضحى الأمرد

وأهدت سناها السماويَّ إلى
رؤوسِ الرّبا والثّرى الأوهدِ

إلى الطودِ والسهلِ والمنحنى
إلى الماءِ والطينِ والجلمدِ

إلى الكوخِ والقصرِ مهدِ الغنى
إلى السوقِ والسجنِ والمعبدِ

ووزّعتِ النورَ في العالمـ
ـينَ وجادتْ على العبدِ والسيّدِ

على المترفين على البائـ
ـسين على المُجتدَى وعلى المجتدي

وأدّتْ رســـالــــتَــــهـــا حـــرّةً
إلـــى أقـــربِ الـــكـــون والأبـــعـــدِ

جرى عـدلُ بـنـتِ الـسـمـا في الـوجـو
دِ حـــفـــيّـــاً بـــجـــيّـــده والـــردي

وأنـــفـــقـــتِ الـــنـــورَ أمُّ الـــضـــحـــى
فـــزادتْ ثـــراءً إلـــى ســـؤدُدِ

وأربـــتْ جـــمـــالاً وزادتْ ســـنـــاً
ونـــوراً إلـــى نـــورِهـــا الـــســـرمـــدي

وطـــالـــتْ حـــيـــاةً فـــمـــا تـــنـــتـــهـــي
مـــن الـــعـــمـــرِ إلّا لـــكـــي تـــبـــتـــدي

وأعـــطـــتْ فـــدامَ ســـنـــا مـــلـــكِـــهـــا
جـــديـــدَ الـــصِّـــبـــا دائـــمَ الـــمـــولـــدِ

ومـــا زادهـــا كـــثـــرُ إنـــفـــاقِـــهـــا
ســـوى الـــتـــرفِ الأكـــثـــرِ الأخـــلـــدِ

* * *

لـــقـــد ضـــربَ الـــلَّـــهُ أمـــثـــالَـــه
ومـــن يُـــضـــلـــلِ الـــلَّـــهُ لا يـــهـــتـــدي

❂ ❂ ❂

أنا والشعر

هاتي التآويهَ يا قيثارتي هاتي
ورددي من وراءِ الليل آهاتي

وترجمي صوتَ حبّي للجمالِ ففي
نجواكِ - يا حلوةَ النجوى - صباباتي

قيثارتي صوتُ أعماقي عصرتُ بها
روحي وأفرغتُ في أوتارها ذاتي

* * *

قيثارتي أنتِ أمُّ الشِّعرِ لم تلدي
إلّا غِنا الخُلدِ أو لحنَ البُطولاتِ

أودعتُ نجواكِ آياتِ النبوغِ فيا
قيثارتي لقّني التاريخَ آياتي

وغرّدي بخيالاتي العِذابِ فما
حقيقةُ السحرِ إلّا مِنْ خيالاتي

وشاعرُ الطبعِ موسيقى الغيوبِ إذا
غنَّى أرى الأرضَ أسرار السمٰواتِ

قيثارتي إنني ابْن الشعر أنجبني
للخلدِ، للعبقرياتِ الفتيّاتِ

ولـلـحـيـاةِ ولـلـدنـيـا ونـضـرتِـهـا
لـلـحـبّ لـلـنّـورِ لـلـزُّهـرِ الـصَّـبـيّـاتِ

* * *

وحدي مع الـشـعـرِ هـزّتـنـي عـواطـفـه
فـرقّـصـتْ عِـطـفَـه الـنّـشـوانَ رنّـاتـي

وشفّ لـي خـافـيَ الـدّنـيـا وألـهـمـنـي
سـحـرَ الـجـمـالِ وأسـرارَ الـجـلالات

وهبتُ لـلـشـعـرِ إحـسـاسـي وعـاطـفـتـي
وذكـريـاتـي وتـرنـيـمـي وأنّـاتـي

فـهـو ابتسامي ودمـعـي وهـو تـسـلـيـتـي
وفـرحـتـي وهـو آلامـي ولـذّاتـي

يـفـنـى الـفَـنـا! وأنـا والـشـعـرُ أغـنـيـةٌ
على فم الـخُـلـد يا رغـمَ الـفـنـا الـعـاتـي

أحـيـا مـع الـشـعـر يـشـدو بـي وأُنـشِـدُهُ
والـخـلـدُ غـايـاتُـه الـقـصـوى وغـايـاتـي

۞ ۞ ۞

بعد الحب

لا تسلْ كيفَ ابْتدَيْنا لا، ولا كيفَ انتهينا
لا تقلْ كيفَ انطوى الحبُّ ولا كيفَ انطوينا
ملعَبٌ دارَ بعُمْرَيْنا فولّى مَن لَدَيْنا
وانقضى الدَّوْرُ فعدنا عنه من حيثُ أتيْنا
لا تسلْ كيف تناءَيْـ نا ولا كيف التقينا
لا تقل كنا وكان الشَّـ وقُ مِنّا وإلينا
هل شربنا خمرَةَ الحـ ب وهل نحنُ ارتوينا
آه لا خمرٌ ولا حبٌّ متى كانَ وأينا
لاحتِ الكأسُ لثغريْـ نا وجَفَّتْ في يدينا

* * *

عندما لاحَ بريقُ الكأ سِ ولّتْ بالبريقِ
وارتشفنا من رحيقِ الحبِّ أطيافَ الرحيقِ
وتلاشى حُلُمُ الصَّفْوِ كأنفاسِ الغريقِ
هكذا كان تلاقينا على الدَّوْرِ الأنيقِ

* * *

وانتهى الدّور وها نحن انتهينا من صِبانا
حيثُ طافَ الحبُّ كالوهْم وكالوهم تفانى
وانطوى عنّا كما تطوي الدّياجيرُ الدّخانا
وتركْنا في رمال الحبِّ آثارَ خُطانا

غـيـر أنَّـا قـد نـسـيـنـا أو تـنـاسَـيْـنـا الـقـانـا
وسـألـنـا الـوهـمَ بـعـد الـحـب هـل كـنّـا وكـانـا
أيـنَ مِـنّـا الـمـلـعـبُ الـطّـفْـلُ تُـنـاغـيـهِ مُـنـانـا

* * *

مـلـعـبٌ دُرْنـا بـه حـيـنـاً فـأضْـبـانـا ومَـلّا
مـلـعـبٌ مـا كـان أصـفـاه ومـا أشـهـى وأحْـلـى
غـابَ فـي الأمـسِ فـولّـيْـنـا عـن الأمـسِ وولّـى
وتـسـلّـيْـنـا ومـنْ لـمْ يـلـقَ مـا يـهـوى تـسـلّـى

❁ ❁ ❁

روح شاعر

قدم الشاعر هذه القصيدة إلى المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام ترحيباً بنزوله على اليمن، وزيارته دار العلوم بصنعاء.

صافحَتْك القلوبُ قبلَ النواظرْ
واستطارتْ إلى لقاك الخواطر

وتلقّاك عالمُ اليمنِ الحرّ
كما لاقتِ النفوسُ البشائر

وارتمى يسكبُ التراحيب ألوا
ناً كما تسكبُ اللحونَ القياثر

وتملّت نزولكَ اليمنُ الخضرا
ففاضت بالأغنياتِ الحناجر

وتنزلْت في مغاني حماها
مثلما يَنزلُ الشعاعُ المحاجر

وهفا الموطنُ الكريمُ يُحيِّي
مشعلَ العلمِ في سناك الباهر

وتغلغلت في حناياه كالإيمانِ
كالطهرِ في عفافِ الضمائر

كالمنى في القلوب كالدم في الأبدانِ
كالسُكرِ في دماغ المُعاقِرْ

قد تلقّاك موطني ينثرُ التر
حيبَ في راحتيْك نشرَ الجواهر

وانتشى من شعاعكَ العلمُ لمّا
زرتَ «دارَ العلومِ» يا خيرَ زائر

وازدهى الشعرُ ينثرُ النغمَ الحُلْـ
ـوَ كما ينثرُ الربيعُ الأزاهر

قد رأى «موطني» بمرآكَ «مصراً»
منبتَ الفنِّ والإبا والعباقر

مصرُ أُمُّ الحجازِ واليمنِ الـ
سامي وأمُّ الشآمِ أمُّ الجزائر

وحدةُ العُرْبِ رايةٌ في رباها
ومُنى العُرْبِ في يديْها زواخر

شادها اللّهُ للعروبةِ داراً
وابْتناها بنيّراتِ الزواهر

بلدةٌ تنبتُ العلومَ وأرضٌ
تلدُ المجدَ والعلا والمفاخر

نيلها المستفيضُ أنشودةُ اللّه
على مِسمعِ الليالي العوابر

وحِماها كنانةُ اللّه تر
مي في وجوهِ العدا السّهامَ الثوائر

* * *

يابنَ مصرَ التي تلاقت عليها
شيمُ العُرْبِ والنّفوسُ الحرائر

علمكَ العلمُ ينشرُ الدينَ في الدنيا
كما تنشرُ الشعاعَ المنائر

وتجوبُ الشعوبَ في خدمةِ الإسلام
والحقِ وارتباطِ الأواصر

إيه عزّامُ أنت وعيٌ من النيلِ
إلى العُرْبِ تستثيرُ المشاعر

وسفيرٌ تشيّدُ الوحدةَ الشمّا
وتستنهضُ السنا في البصائر

وتنادي البلادَ للإتحاد الحرٌ
والإتحادُ أقوى مُناصر

إنَّ في وحدةِ العروبةِ مجداً
خالداً ثائراً على كلِّ ثائر

إنما العُرْبُ أمةٌ وحّدتها
لغة الضادِ والدما والعناصِر

إنما العربُ أمةٌ هزتِ الدنيا
وشقّتْ سودَ الخطوبِ العواكر

إنَّ للعربِ غابراً داس «كسرى»
وتمشّى على رؤوسِ القياصر

فاستمدّي يا أمّتي من سنا الما
ضي معاليكِ واعمري خيرَ حاضر

يأنفُ المجدُ أن يلاقي بنيه
في يديْ غاصبٍ وفي كفِّ آسر

فـاطـمـحـي أمّـتـي إلـى كـلّ مـجـدٍ
وانـهـضـي نـهـضـةَ الـصـبـاحِ الـبـاكـر

يـا سـفـيـرَ الـتـضـامـنِ الـحـرِّ غـنّـتْ
سـعـيَـكَ الـحـرَّ أمـنـيـاتـي الـشـواعـر

وتـلاشـت عـلـى هـوى الـعُـرْبِ روحـي
نَـغَـمـاً مـلـهـمَ الـغِـنـا والـمـزاهـر

ونـشـيـداً أفـرغـتُ فـيـه أحـاسـيـسـي
وذاتــي وخــافــقــي والــســرائــر

فَـتَـلَـقَّ يـا شـاعـرَ الـنـيـلِ شـعـري
فـهـو شـعـرٌ عـنـوانُـهُ «روحُ شـاعـر»



أمــي

تـركـتـنـي هـٰهُـنـا بـيـنَ الـعَـذابِ
ومـضـتْ، يـا طـولَ حُـزْنـي واكْـتـئـابـي

تـركـتـنـي لـلـشّـقـا وحـدي هـنـا
واسْـتـراحـتْ وحـدَهـا بـيـنَ الـترابِ

حـيـثُ لا جَـورٌ ولا بـغـيٌ ولا
ذَرَّةٌ تُـنـبـي وتُـنـبـي بـالـخـرابِ

حـيـثُ لا سـيـفٌ ولا قُـنـبُـلَـةٌ
حـيـثُ لا حـربٌ ولا لَـمْـعُ حِـرابِ

حـيـثُ لا قـيـدٌ ولا سـوطٌ ولا
ظـالـمٌ يـطـغـى ومـظـلـومٌ يـحـابـي

* * *

خـلّـفـتْـنـي أذكـرُ الـصـفـوَ كـمـا
يـذكـرُ الـشـيـخُ خـيـالاتِ الـشـبّـابِ

ونـأتْ عـنّـي وشـوقـي حـولـهـا
يـنـشُـدُ الـمـاضـي وبـي ـ أوّاه ـ مـا بـي

ودعـاهـا حـاصـدُ الـعـمـرِ إلـى
حـيـثُ أدعـوهـا فـتـعـيـا عـن جـوابـي

حـيـثُ أدعـوهـا فـلا يـسـمـعـنـي
غـيـرُ صـمـتِ الـقـبـرِ والـقـفـرِ الـيـبـابِ

مـوتُـهـا كـان مـصـابـي كـلُّـه
وحـيـاتـي بـعـدهـا فـوقَ مـصـابـي

* * *

أيـن مـنّـي ظـلُّـهـا الـحـانـي وقـذ
ذهـبـتْ عـنّـي إلـى غـيـرِ إيـابِ
سـحـبـتْ أيـامَـهـا الـجـرحـى عـلـى
لـفـحـةِ الـبـيـدِ وأشـواكِ الـهـضـابِ
ومـضـتْ فـي طـرقِ الـعـمـر فـمـن
مَـسْـلـكٍ صـعْـبٍ إلـى دنـيـا صـعـابِ
وانـتـهـتْ حـيـثُ انـتـهـى الـشـوطُ بـهـا
فـاطـمـأنّـتْ تـحـتَ أسـتـارِ الـغـيـابِ

* * *

آه «يـا أمـي» وأشـواكُ الأسـى
تُـلْـهـبُ الأوجـاعَ فـي قـلـبـي الـمُـذابِ
فـيـكِ ودّعـتُ شـبـابـي والـصّـبـا
وانـطـوتْ خـلـفـي حـلاواتُ الـتـصـابـي
كـيـفَ أنـسـاكِ وذكـراكِ عـلـى
سِـفـرِ أيـامـي كـتـابٌ فـي كـتـابِ
إنّ ذكـراكِ ورائـي وعـلـى
وِجـهـتـي حـيـثُ مـجـيـئـي وذهـابـي
كـمْ تـذكّـرتُ يـديـك وهـمـا
فـي يـدي أو فـي طـعـامـي وشـرابـي

كــان يُـضـنـيـك نــحــولــي وإذا
مــسّــنــي الــبــردُ فــزَنْــداكِ ثــيــابــي

وإذا أبــكــانــيَ الــجــوعُ ولــم
تــمــلكي شيئاً سوى الوعدِ الكذابِ

هَــدْهَــدَت كــفــاك رأسي مــثــلــمــا
هــدهــدَ الــفــجــرُ ريــاحــيــنَ الــرّوابــي

* * *

كــم هــدتــنــي يــدك الــســمــرا إلــى
حقلنا في (الغَول) في (قاع الرّحاب)[1]

وإلــى الــوادي إلــى الــظــلّ إلــى
حيثُ يُلقي الروضُ أنفاسَ الملاب[2]

وســواقــي الــنّــهــرِ تُــلــقــي لــحــنــهــا
ذائباً كاللطفِ في حُلْو العتاب

كــمْ تــمــنّــيــنــا وكــمْ دَلَّــلْــتِــنــي
تحت صمتِ الليلِ والشهْبِ الخوابي

* * *

كــمْ بــكــتْ عــيــنــاكِ لــمّــا رأتــا
بصري يُطْفا ويُطوى في الحجابِ

وتــذكّــرتِ مــصــيــري والــجــوى
بين جنبيك جراحٌ في التهابِ

* * *

---

(١) الغول كحول: ما انهبط من الأرض وهو قاع الرحاب من حقول والد الشاعر في قريته.

(٢) الملاب كسحاب: العطر أو الزعفران.

هـا أنـا يـا أمّيَ الـيـومَ فـتًى
طـائـر الـصّيت بـعـيـدٌ فـي الـشـهـاب

أمـلأُ الـتـاريـخَ لـحـنـاً وصـدًى
وتُـغـنـي فـي ربـا الـخـلـدِ ربـابـي

فـاسـمـعـي يـا أمُّ صـوتـي وارقـصـي
مـن وراءِ الـقـبـرِ كـالـحَـوْرا الـكِـعـاب

هـا أنـا يـا أمُّ أرثـيـكِ وفـي
شـجـوِ هـذا الـشـعـرِ شـجـوي وانـتـحـابـي



فلسفة الجراح

مـتـألـمٌ. مِـمَّ أنـا مـتـألـمُ؟
حـارَ الـسـؤالُ، وأطـرقَ الـمـسـتـفـهـمُ

مـاذا أُحِـسُّ؟ وآه حـزنـي بـعـضـهُ
يـشـكـو فـأعـرفُـهُ وبـعـضٌ مـبـهـمُ

بي ما علمتُ من الأسى الدامي وبي
مـن حـرقـةِ الأعـمـاقِ مـا لا أعـلـمُ

بـي مـن جـراحِ الـرّوحِ مـا أدري وبـي
أضـعـافُ مـا أدري ومـا أتـوهّـمُ

وكـأنّ روحـي شـعـلـةٌ مـجـنـونـةٌ
تـطـغـى فـتـضـرمـنـي بـمـا تـتـضـرمُ

وكـأنّ قـلـبـي فـي الـضـلـوعِ جـنـازةٌ
أمـشـي بـهـا وحـدي وكـلّـي مـأتـمُ

أبـكـي فـتـبـتـسـمُ الـجـراحُ مـن الـبـكـا
فـكـأنـهـا فـي كـلّ جـارحـةٍ فـمُ

* * *

يـا لابـتـسـامِ الـجـرحِ كـمْ أبـكـي وكـمْ
يـنـسـابُ فـوقَ شـفـاهِـهِ الـحـمـرا دمُ

أبـداً أسـيـرُ عـلـى الـجـراحِ وأنـتـهـي
حـيـثُ ابـتـدأتُ فـأيـنَ مـنـي الـمـخـتـمُ

وأُعـارِكُ الـدنـيـا وأهـوى صـفـوَهـا
لـكـن كـمـا يـهـوى الـكـلامَ الأبـكـمُ

وأُبـارِكُ الأمَّ الـحـيـاةَ لأنـهـا
أمّـي وحـظّـي مـن جـنـاهـا الـعـلـقـمُ

حـرمـانـيَ الـحِـرمـانُ إلّا أنّـنـي
أهْـذي بـعـاطـفـةِ الـحـيـاةِ وأحـلـمُ

والـمـرءُ إن أشـقـاه واقـعُ شـؤمِـه
بـالـغـبـنِ أسـعـدَهُ الـخـيـالُ الـمـنـعـمُ

* * *

وحدي أعيشُ على الـهـمومِ ووحدتي
بـالـيـأسِ مـفـعَـمـةٌ وجَـوّي مـفـعـمُ

لـكـنّـنـي أهـوى الـهـمـومَ لأنـهـا
فِـكَـرٌ أفـسّـرُ صـمـتَـهـا وأتـرجـمُ

أهـوى الـحـيـاة بـخـيـرِهـا وبـشـرِّهـا
وأحـبُّ أبـنـاءَ الـحـيـاةِ وأرحـمُ

وأصـوغُ «فـلـسـفـةَ الـجـراحِ» نـشـائـداً
يـشـدو بـهـا الـلّاهـي ويـشـجـى الـمـؤلَـمُ

۞ ۞ ۞

تحت الليل

منكِ الجمالُ ومني اللّحنُ والشادي
يا خمرةَ الحب في أكواب إنشادي
وحدي أغنّيكِ تحتَ اللّيلِ محتملاً
جوعَ الغرامِ، وأشواقُ الهوى زادي
هنا أناجيكِ والأطيافُ تدفعُني
في عالمِ الحبِّ من وادٍ إلى وادي
والقلبُ في زحمةِ الأشواقِ مضطربٌ
كزورقٍ بين إرغاءٍ وإزبادِ
ووحشةُ الظّلمةِ الخَرْسا تهدّدُني
كأنها حولَ نفسي طيفُ جَلّادِ
والصّمتُ يجثو على صدرِ الوجود وفي
صمتي ضجيجُ الغرامِ الجائعِ الصّادي
والليلُ يسري كأعمى ضلّ وجهتَه
وغابَ عن كفِّه العُكّازُ والهادي
كأنه فوق صمتِ الكونِ قافلةٌ
ضلّت وضلّ الطريقَ السّفْرُ والحادي
ولم أزلْ أتشهّى منكِ بارقةً
من عاطفِ الحبِّ، أو إشراقَ إسعادِ

وحبُك الحبُّ أخفيه فأنفُثه
شِعراً فينصبُّ خافيهِ إلى البادي

وحدي أناديك من خلفِ الشجونِ فيا
نجيّةَ الحبِّ نادي لَوْعَتي نادي

فطالما تُهتُ في دنيا هواكَ وما
هوّمْتُ خلفَ الخيالِ الرائحِ الغادي

أهفو إليكِ وحولي كلُّ أمنيةٍ
تفنى ولليأسِ حولي ألفُ ميلادِ

واليأسُ يطغى وجوعُ الحب في كبدي
يَضِجّ ما بين إبراقٍ وإرعاد



البعث العربي

قيلت هذه القصيدة بمناسبة المؤتمر الذي عقده أقطاب العرب الثلاثة جلالة «الإمام أحمد» والرئيس «جمال عبد الناصر» وجلالة الملك «سعود».

وحدةُ المجدِ والفخارِ التّليدِ
زغزعَتْ مرقَدَ الصباحِ الجديدِ

واستطارتْ تحثّ قافلةَ الفتحِ
وتطوي الحدودَ بعد الحدودِ

وتناجي العدا بألسنةِ النّا
رِ وبالموتِ منْ شفاهِ الحديدِ

وحدةٌ يَغرُبيّةٌ وانطلاقٌ
عربيٌّ يهُزُّ صمتَ اللّحودِ

إنما العُرْبُ ثورةٌ وحّدتها
يقظةُ البَعْثِ وانتفاضُ الوجودِ

فابن «يحيى» مؤزّرٌ «بجمالٍ»
«وجمالٌ» مؤزّرٌ «بسعودِ»

وحّدتْ شملَهم كبارُ الأماني
والدمُ الحرُّ واعتزازُ الجدودِ

قد تلاقى الحجازُ واليمنُ الميـ
مونُ والنّيلُ في اتحادِ الجهودِ
واستفاقت مواطنُ العَرَب الشّـ
مُ فعودي يا رايةَ العُرْبِ عودي
واذكري في المعاركِ الحُمْرِ «سعداً»
و«عليّاً» و«خالدَ بنَ الوليدِ»[١]
تأنف العُرْب أن تدوسَ حِماها
الحُرَّ شرُّ العبيدِ أدنى العبيدِ
آن آن الفدى وثار الدمُ الحُرُّ
يُذيبُ القيودَ إثْرَ القيودِ
يا نفوسَ اليهودِ ذوبي، وذوبوا
من لظى الغيظِ يا عبيدَ اليهودِ
فجيوشُ الجهادِ تزحفُ للثأ
رِ وتهفو إلى الحمى المنشودِ
يا فلسطينُ حقّقتْ وحدةُ العُر
ب أمانيكِ فاطْمحي واستزيدي
وانفضي عن رباكِ سودَ الليالي
واستفيقي على زئيرِ الأسودِ
هذه «غَزّةٌ» تفيضُ الْتهاباً
والجنودُ الأباةُ تِلْوَ الجنودِ

(١) سعد: يريد: سعد بن أبي وقاص بطل القادسية.

وعلى «جُدّةٍ» تجدَّد عهدُ الـ
عُرْبِ واهتاجَ للوثوبِ المجيدِ

* * *

يا بريطانيا وقد هُيئ المَيْـ
ـدانُ هيّا إلى العِراكِ العنيدِ

إنما نحنُ أمةٌ تبذلُ الأر
واحَ في ذمةِ العلا والخُلودِ

تفتدي المجدَ بالنفوسِ وتَشفي
غُلّةَ الثأرِ من جراحِ الشهيدِ

فتخلّيْ عن الجنوبِ وخَلّي
«كَمَرانَ» المصونَ حرَّ البنودِ

دون ما تبتغين صاعقةُ المو
تِ وبرقُ القنا وقصْفُ الرعودِ

ويلَ من يَعمرُ القصورَ على النا
رِ ولا يتّقي حَماسَ الوَقودِ

أمةُ العُرْب ضمّها صَلَفُ الجُرْ
ح المُدمّى وكبرياءُ الحُقودِ

كلّها أقسمتْ بأن تنشرَ الأر
واحَ دون الحقوقِ نشرَ الورودِ

وتروّي صدرَ الجهاد وتمحو
عن جباهِ الأباةِ ذُلَّ السجودِ

وتـرى مـجـدَهـا الـبـعـيـدَ بـعـيـداً
ولِـواهـا يَـرفُّ خـلـفَ الـبـعـيـدِ

جـدّدتْ بـالـيَ الـعـهـودِ وأحـيـتْ
مـيّـتَ الـمـجـدِ والإبـا مـنْ جـديـدِ

وتـسـامَـتْ تـشـيـدُ مـسـتـقـبلَ الـعُـزْ
بِ عـلـى زَهْـوةِ الـصـبـاحِ الـولـيـد



منبت الحب

هٰهُنا لاحَ لنا الحبُّ وغابا وتشظّى في يدِ الأمسِ وذابا
نَبَتَ الحبُّ! هنا كيف غدا في ترابِ المنبِتِ الزاكي ترابا
هذه البقعةُ ناغتْ حُبَّنا فصَبا الحبُّ عليها وتصابى
وسقتنا الحبَّ صفواً وهَنَا ثُمَّ أسقتناه ذكرى وانتحابا
كان حبٌّ ثم أضحى قصةً تنقلُ الأمسَ خيالاتٍ كِذابا
قصّةً تائهةً نقرأُها من فمِ الذكرى فصولاً وكتابا

* * *

هذه البقعةُ كمْ تعرفُنا كمْ سقيناها ترانيماً عِذابا
وزرعناها وداعاً ولِقاً وفرشناها حِواراً وعِتابا
ليتها تنطقُ كي تُنشدَنا قصةَ القلبيْن خفقاً واضطرابا
ليتها تُصغي لنا نسألُها عن هوانا ليتها تعطي جوابا

* * *

نحنُ ذُقْنا الحبَّ فيها خمرةً وصحوْنا فوجدناهُ سرابا
نحنُ غنّينا شبابَيْنا هنا وتلفّتنا فلمْ نلقَ الشبابا

* * *

منبتُ الحبِّ دعانا للهَنا فمضينا ننهبُ الصفوَ انتهابا
منبتُ الحب حوانا ظلُّهُ لحظةً وانقلبَ الظلُّ التهابا
فكسبنا حوله كأسَ المنى وملأنا الكأسَ دمعاً وعذابا
ورجعنا عنه نستجدي البُكا ونُباكي أملاً في الحبِّ خابا

***

محنة الفن

أنا منْ غازلَ الجمالَ وغنى
للمعالي لحناً وللحبِّ لحنا
عاشَ بين الهوى وبين مُنى الـ
مجدِ ولم يلقَ عمرَه ما تمنّى
واستخفَّ الحياةَ بالشّذْوِ حتى
زادَها فوقَ حسنها البكرِ حُسْنا

* * *

قلبيَ القلبُ يحمل الأمسَ واليو
مَ ويلقي لُمقبل العُمرِ ظنّا
قَلبيَ القلبُ لم يفارقْهُ آتٍ
لا، ولا الأمسُ في حناياه يفنى
قَلبيَ القلبُ إن بكى رقّصَ الـ
دنيا بُكاهُ وحوّلَ الدمعَ فَنّا

* * *

دمعةُ الفنِّ بسمةٌ في شفاه الـ
خُلدِ أصفى من الصباحِ وأسْنى
في ظلالِ الربيعِ قطّرتُ أنفا
سي نشيداً أرقَّ منه وأحنى
وعصرتُ الشجونَ في الروضةِ الـ
غنّا لحوناً أندى وفناً أغنّا

من جمالِ الحياةِ سلسلتُ أنغا
مي وغنّيتُ عِطْفَها فتثنّى

من همومِ الجياعِ غنّيتُ للجو
عِ وصغتُ الهمومَ بحراً ووزنا

وتخيّرتُ للمغنّيّ غِناءً
مُترَفاً راقصاً كأعطافِ حَسْنا

أنا أشدو لكلِّ قلبٍ طروبٍ
أنا أُبكي لِكلِّ قلبٍ مُعَنّى

* * *

«محنةُ الفنِّ» محنةٌ تتُعبُ الـ
فنّانَ والخلدُ من معانيه يَهْنا

كلُّ ما بي أودعتُهُ الشعرَ لكن
في ضميري شعرٌ أنا منه مُضنى

لا تسلني يا صاحبي أيُّ شعري
كانَ أعلى أو أيُّه كانَ أدنى

أجملُ الشعرِ نغمةٌ لمْ أُوقِّعْها
وصمتي يَطوي لها ألفَ معنى

فتنفّسْ يا صمتَ شعري بما فـ
يك لعلّي يا شعرُ أن أطمئنّا

وتأوّهْ لعلَّ آهاتِك الجر
حى تلاقي في ضجةِ الكونِ أذنا

آه يا شعرُ آه قد قيّدَ الصمتُ
أغانيك فاتخِذْ منه سِجنا

من هواها

أنا وحدي هنا وكلّي لديها أسكبُ القلبَ قبلةً في يديها

فهي خلفَ البعادِ والوهمُ يُدنيـ ـها ويدنني إلى فمي شفتيها

مِنْ صباها جنيتُ أزهارَ شعري واقْتطفتُ اللحونَ من وجنتيها

مِنْ هواها أذوبُ منها، وفيها مِنْ هواها بكيْتُ منها عليها

كلّما شئتُ أنْ أفِرَّ بقلبي مِنْ هواها فررتُ منها إليها

* * *

أيـنَ عـنـهـا أحـيـدُ أو أيـنَ بـالـقـلـبِ أنـفِـرُ

وهـي جَـوّي ومِـهْـبطِـي وهـواي الـمـسـعَّـرُ

وهـي فـي الـقـلـبِ عـالَـمٌ بـالـصـبـابـاتِ يَـزْخَـرُ

* * *

وهي في الصدرِ ألفُ قلبٍ يغنّي بهواها وموجةٌ من لهيبِ

إنها وحدَها نصيبي من الـ ـحبِّ ويا حبُّ أينَ مني نصيبي؟

هي دنيا تموجُ بالسحرِ والدَّلّ وترفضّ بالسّنا والطّيوبِ

حلوةٌ كالأشعةِ الزّهرِ كالأشـ ـواقِ كالشعرِ كالخيالِ العجيبِ

فَهي فنٌ مجسَّدٌ يُلهمُ الفنَّ حوارَ السما ونجوى الغيوبِ

* * *

وهـي سـحـرٌ مـركّـبُ وفـتـونٌ مـجـسّـم

كـلُّ صـوتٍ يـمـرُّ فـي شـفـتـيـهـا تَـرنُّـمُ

وكـأنّ الـحـروفَ مـنْ ثـغـرِهـا الـحـلـوِ تَـبسـمُ

كلّما حدّثت تلألأتِ الألـ ـفاظُ منْ ثغرِها كفجرِ الرّبيعِ
ومشتْ في حديثِها نشوةُ الـ ـحسنِ وترنيمةُ الدّلالِ الطبيعي
إنّها والهوى بأعطافِ لحني رقصةُ السّحرِ والجمالِ الرفيعِ
حبّها في فمي نشيدٌ أغنّيـ ـه ولحنٌ مُذوَّبٌ في دموعي
لا فراقٌ وإنْ تناهى بها البعـ ـدُ وقلبي وحبُّها في ضلوعي

* * *

لا انقطاعٌ فحبُّنا أبديٌّ ومُلْهَمُ
حبُّنا شاعرٌ على ربوةِ الخلدِ يحلُمُ
لا انفصالٌ فإننا في عروقِ الهوى دمُ

۞ ۞ ۞

راهب الفن

ساهرُ الجُرح لم يَنَمْ كيفَ يغفو على الضَّرمْ
مؤلَمٌ كلّما بكى سخرَ الجُرحُ وابتسمْ
لا تسلْ عنه إنّهُ ضاعَ في زحمةِ الظُّلَمْ
شاعرٌ يعزفُ الشقا ويُغنّي الدُّجى الأصمْ
حارَ في الحبِّ قلبُهُ حَيرةَ الصمتِ في القِممْ
راهبُ الفنِّ صدرُهُ للصَّباباتِ مُزدحَمْ
كلّما كتَّمَ الهوى فضحَ الفنُّ ما كتمْ
كلّما صانَ سرَّه ضجَّ في الصدرِ واحتدمْ
لَمْ يُطِقْ حِشْمَةَ الجَوى من رأى الشاعرَ احتشمْ[1]؟
لا تسلْ ما شدا ولا كيفَ غنّى الهوى؟ وكمْ؟
شاعرٌ ذابَ صمتُهُ في كؤوس الهوى نَغَمْ
وسقاه الحنينُ منْ كأسِهِ خمرةَ العدَمْ
إنَّ تاريخَ عمرِهِ قصةُ الحبِّ والألمْ
كلّما ارْتاد مرتعاً للهوى عادَ بالنّدمْ

❁❁❁

(١) الحشمة بالكسر: الحياء والانقباض.

منها واليها

أنت يا كل من أحبُّ وأهوى
في حنيني شعرٌ وفي الصمتِ نجوى

أنت في كلِّ دقةٍ من فؤادي
نغماتٌ من خمرة الحبِّ نشوى

وغناءٌ مُدلَّهٌ ينشرُ الحبْ
صداه وفي فمِ الصمتِ يُطوى(١)

في ضلوعي إليكِ شوقٌ وقلبٌ
شاعرٌ يعزفُ الصباباتِ شدوا

وعتابٌ يفضي إليكِ فإن لا
قاكِ أغضى وذابَ في القلبِ شكوى

وبقلبي إليك شعرٌ سأرويـ
ـهِ وشعرٌ في خاطري لم يُروَ

أيَّ فنٍ أشدو وماذا أغنيـ
ـكِ وفنُّ الجمالِ أسمى وأقوى

أيَّ لحنٍ أهدي إليكِ ومَغنا
كِ لحونٌ تسمو على الفنِّ زَهوا

(١) المدله: الساهي القلب، الذاهب العقل.

آه جـفَّ الـنـشـيـدُ إلّا نـشـيـداً
أنـا فـيـه أذوب عُـضـواً فـعُـضْـوا

آه يا قـلـبُ إنـهـا صـبـوةُ الـحسـ
ـنِ الـمُـغـنّـى وأنـتِ أصـبَـى وأغْـوَى

حـسـنُـهـا شـاعـرُ الـفـنـونِ وحـبـي
عـبـقـريٌّ يـطـارحُ الـحـسـنَ شـجـوا

كـلُّ شـعـرٍ غـنَّـيـتُـهُ فـهـو مـنـهـا
وإلـيـهـا والـفـنُّ يـحـسـوهُ صَـفْـوا



أم الكرْم

نظم الشاعر هذه القصيدة عند زيارته الروضة المعروفة، ١٧ ذو الحجة سنة ١٣٧٤هـ

نشوةُ النورِ وأحلامُ الجِنانِ
وشذا الأنسامِ والجوّ الجُماني

رقصَتْ في الروضةِ الغَنّا كما
ترقصُ الحورُ على شدو المثاني

وصبَتْ معجزةُ الحسن بها
صبوةُ السّكرِ بأعطافِ الغواني

بلدةُ الفنِّ و«أمُّ الكَرْمِ» في
حضْنِها الحاني صبَتْ أمُّ الدّنانِ

نسّقَ الفنُّ حواشي كرمِها
فتعانقنَ على بُعْدِ المكانِ

وطلى بهجتَها صفوُ النّدى
والصباحُ الطفلُ ورديُّ البنانِ

والعناقيدُ على أغصانِها
كالنّهودِ العاطفياتِ الحواني

وتدلّتْ كالقُروطِ البيضِ منْ
أذُنِ الغيدِ المليحاتِ الحسانِ

* * *

روضــةٌ فــوحــاءُ فِــرْدَوْسِــيّــةٌ
تَــلِــدُ الــلّــذاتِ آنــاً بــعــدَ آنِ

كــلُّــهــا راحٌ ورَوحٌ عَــبِــقٌ
وظــلالٌ وتــثَــنّــي غــصــن بــانِ

وزهــورٌ تــبــعــثُ الــعــطــرَ كــمــا
تــبــعــثُ الــسكــرَ الــعـنـاقـيـدُ الـدوانـي

تــفــرشُ الــجــوَّ جــمــالاً وشــذاً
والــثـرى ظـلّاً نـديَّ الـعِـطـف هـانـي

* * *

أَلــهــوى الــمــمــراحُ فــيــهــا والــصِّــبــا
وحــوارُ الــوصــلِ فــيــهــا والــتــدانــي

وفــنــونُ الــحــســنِ فــيــهــا والــغــنــا
مِــهْــرَجــانٌ يــرتــمــي فــي مــهــرجــانِ

والــعــصــافــيُــر عــلــى أدواجِــهــا
كــالــقــيــاثــيــرِ عــلــى أيــدي الــقِــيــانِ

تــسكــبُ الــلــحــنَ عــلــى مــرقــصِــهــا
فــتــوشّــي الــجــوَّ رقــصــاً وأغــانــي

وكــأن الــنّــهــرَ فــي أحــضــانِــهــا
شــاعــرٌ ذوّبــه فَــرطُ الــحــنــانِ

ومــحــبٌ كــلّــمــا نــاجــى الــهــوى
طــلــســمــتْ نــجــواه «فــوضــاءُ» الــزَّمــانِ

فــتــخــالُ الــنــهــرَ مــحــمــومَ الــغِــنــا
مــطــربــاً هــيــمــانَ مــعــقــودَ الــلــســانِ

وكـــأنَّ الـــروضـــةَ الـــغـــنّـــا عـــلـــى
مـــائـــهِ فـــجـــرُ الـــهـــوى طـــفـــلُ الأمـــانـــي

* * *

بـــلـــدٌ تـــوحـــي مـــجـــالـــيـــه إلـــى
مِـــزهَـــرِ الـــفـــنـــان أبـــكـــارَ الـــمـــعـــانـــي

قـــلـــت لـــلـــشّـــعـــرِ وقـــد ســـاجـــلـــه
نـــغـــمُ الـــفـــنّ وســـحـــرُ الإِفـــتـــنـــانِ

أتـــــراهُ ســـــرقَ الـــــفـــــردوسَ أمْ
هـــو فـــردوسٌ بـــحِـــضـــن الأرضِ ثـــانـــي

❁ ❁ ❁

نجوى

أناجيكِ يا أختَ روحي كما
يُناجي الغريبُ خيالَ الحِمى

وأهفو إليكِ مع الأمنياتِ
كما يرتمي الفكرُ نحو السما

وأظما إليكِ فتُروي المُنى
خيالي ويَزْدادُ روحي ظما

وأبكي ويَبكي خيالي معي
نشيداً يُباكي الدُّجى الأبكما

* * *

أيا قلبُ كم ذبتَ في حبّها
لحوناً مضرّجةً بالدّما

وكمْ هزّني طيْفُها في الدُّجى
وكمْ هزَّ قِيثاريَ المُلْهَما

وكمْ ساجلتْني خيالاتُها
كمَا ساجلَ المغرَمُ المغرما

فما عطفتْ قلبُها رحمةٌ
ولا فكّرتْ آه أنْ ترْحما

* * *

في الطريق

وحـدَه يـحـمـلُ الـشّـقـا والـسّـنـيـنـا
لا مـعـيـنٌ وأيـن يَـلـقـى الـمُـعـيـنـا
وحـدَه في الـطـريـقِ يـسـحَـبُ رجـلـيْـه
ويـطـوي خـلـفَ الـجـراحِ الأنـيـنـا
مُـتـعَـبٌ يـعـبـرُ الـطـريـقَ ويـمـضـي
وحـدهَ يـتـبـعُ الـخـيـالَ الـحـزيـنـا



الليل الحزين

كـئـيـبٌ بـطـيءُ الـخُـطـى مُـؤلَـمُ
يـسـيـرُ إلـى حـيـثُ لا يَـعـلـمُ

ويَـسـري ويـسـري فـلا يـنـتـهـي
سُـراهُ ولا نـهـجـهُ الـمـظـلـمُ

وتـنْـسـابُ أشـبـاحُـه فـي السّـكـون
حـيـارى بـخـيـبـتـهـا تـحـلُـمُ

هـو الـلّـيـلُ فـي صـمـتـهِ ضـجّـةٌ
وفـي سـرِّهِ عـالَـمٌ أبـكـمُ

كـأنّ الـصـبـابـاتِ فـي أفـقـهِ
تـئـنُّ فـتـرتـعـشُ الأنـجـمُ

حـزيـنٌ غـريـقٌ بـأحـزانـهِ
كـئـيـبٌ بـآلامـهِ مُـفْـعَـمُ

كـأنّ الـنـجـومَ عـلـى صـدرهِ
جـراحٌ يـلـوحُ عـلـيـهـا الـدَّمُ

* * *

هـو الـلّـيـلُ يَـطـوي بـأعـطـافِـه
قـلـوبـاً بـأشـواقِـهـا تُـضـرَمُ

تــســاهــرُهُ أعــيــنُ الــســاهــريــن
وتــقــتــاتُ أحــلامَــه الــنُّــوَّمُ

ويــشــكــو إلــى جــوّه عــاشــقٌ
ويــشــدو عــلــى صــمــتــه مــلــهَــمُ

يــنــاجــي الــمُــعَــنَّــى الــمُــعــنِّــي بــه
ويــهــفــو إلــى الــمُــغْــرَمِ الــمــغــرمُ

ويــبــتــهــجُ الــقــصــرُ فــي ظــلّــه
ويــنْــتــحــبُ الــكــوخُ والــمــعْــدَمُ

فــفــيــه الــتــآويــهُ والأغــنــيــاتُ
وفــي طــيّــه الــعــرسُ والــمــأتــمُ

وفــي صــدره ســرُّ هــذا الــوجــود
فــمــاذا يــذيــعُ ومــا يــكــتــمُ؟

❁ ❁ ❁

أنـا

مـا بـين ألـوانِ الـعـنـا ... ءِ وبـيـن حـشـرجـةِ الـمُـنـى
مـا بـين مـعـتـركِ الـجـرا ... حِ وبـيـن أشـداقِ الـفـنـا
مـا بـين مـزدحَـمِ الـشـرور ... أعـيـشُ وحـدي هٰـهُـنـا
لـمْ أدرِ مـا الـسـلـوى؟ ولـمْ ... أُطـعَـمْ خـيـالاتِ الـهـنـا
ألـحـبُّ والـحـرمـانُ زا ... دي والـغـذاءُ الـمُـقْـتَـنـى

* * *

وحـدي هـنـا خـلـف الـوجـود ... وخـلـف أطـيـافِ الـسَّـنـا
وهـنـا تُـبَـنْـتُـنـي الـحـيـاةُ ... ومـا الـحـيـاةُ ومـا هـنـا
أنـا مَـنْ أنـا؟ الأشـوا ... قُ والـحِـرمـانُ والـشـكـوى أنـا
أنـا فـكـرةٌ وَلْـهَـى مـعـانـيـ ... ـهـا الـتـضـنّـي والـضَّـنـى
أنـا زفـرةٌ فـيـهـا بُـكـاءُ الـ ... ـفـقْـرِ آثـامُ الـغـنـى

* * *

أهـوى وألـقـى غـيـرَ مـا ... أهـوى، فـمـا أشـتـهـي؟
لا أبـعـدَ الـمـهـوى ولا ... جـوعُ الـهـوايـة يـنـتـهـي
أنـا حـيـرةُ الـمـحـرومِ تـنـ ... ـتـحـرُ الـمـنـى فـي صـمـتـهِ

* * *

وأنـا حـنـيـنٌ تـائـهٌ ... بـيـن الـمـحـب والـشـقـا
ظـمـأٌ وأظـمـأُ لـلـجـمـا ... لِ وأيـن مـنـي الـمـسـتـقـى

* * *

يـا قـلـبُ هـل تـلـقـى الـمـرا دَ ومـا الـمـرادُ ومـا الـلّـقـا
عـمـري تـمـرّغَ فـي الـلّـهـيـ ـبِ ولــذّةُ أنْ يُــخـرَقـا
لا فـارقَ الـلّـهـبُ الـرمـا دَ ولا الـرمـادُ تـفـرّقـا

* * *

فـمـتـى متـى يُـطـفـي الـفَـنـا الـ ـمـوعـودُ عـمـري الأحـمـقـا
كـيـف الـخـلاصُ ولـمْ يـزلْ روحـي بـجـسـمـي مُـوثَـقـا
لا الـمـوتُ يـخـتـصـرُ الـحـيـا ةَ ولا انـتـهـى طـولُ الـبـقـا
لا الـقـيـدُ مـزّقـه الـسـجـ ـينُ ولا الـسـجـيـنُ تـمـزّقـا
حـيـرانُ لـمْ يُـطِـقِ الـحـيـا ةَ ولـمْ يُـطِـقْ أن يَـزْهَـقـا

* * *

يـا آسـرَ الـعـصـفـورِ رفـ ـقـاً بـالـجـنـاح الـمـتـعـبِ
سـئـمَ الـركـودَ ولـمْ يـزلْ فـي قـبـضـةِ الـشـوكِ الـغـبـي
دَرَنُ الـتـرابِ مـجـسّـدٌ فـي الـشـيـخِ، فـي ثـوبِ الـصـبـي

۞ ۞ ۞

مع الحيـاة

سلسل الشاعر هذا النغم الحزين وهو على سرير المستشفى، يتأرجح بين نهاية الألم القوي، وبداية الصحة الضعيفة!! وكانت في نفسه خواطر تضطرب اضطراب الموج، وفي خواطره قلق يتململ تململ الأسد الجريح، وفي صدره خفقات تجيش كما يجيش الحميم المكظوم، وكان الليل وراء النافذة صامتاً كأنه قتيل، فلملم الشاعر هذه الأفكار من حواشي الليل الطريح بين ذراعي الأرض الهامدة! هكذا تألم الشاعر، وهكذا ترجم ألمه ومن لم يتألم فليس بشاعر، ومن لم يفصح عن ألمه فليس بموهوب، ومن لم ينشر ما أفصح عنه فليس بشجاع!.

يـا حـيـاتـي ويـا حـيـاتـي إلـى كـمْ
أحـتـسـي مـن يـديـك صـابـاً وعـلـقـمْ

وإلـى كـمْ أمـوتُ فـيـكِ وأحـيـا
أيـنَ مـنـي الـقـضـا الأخـيـرُ الـمـحـتّـمْ

أسلِميني إلـى الـمـمـاتِ فإنّـي
أجـدُ الـمـوتَ مـنـكِ أحـنـى وأرحـمْ

وإذا الـعـيـشُ كـانَ ذُلّاً وتـعـذيـ
ـبـاً فـإن الـمـمـاتَ أنـجـى وأعـصـمْ

* * *

مـا حـيـاتـي إلّا طـريـقٌ مـن الأشـ
واكِ أمـشـي بـهـا عـلـى الـجـرحِ والـدّمْ

وكـأنـي أدوسُ قـلـبـي عـلـى الـنّـا
رِ وأمـضـي عـلـى الأنـيـنِ الـمـضـرَّمْ

لـمْ أفـتْ مـاتـمـاً مـن الـعـمـرِ إلّا
وألاقـي مـن بـعـدهِ ألـفَ مـأتـمْ

وحياةُ الشقا على الشاعرِ الحسّـ
اسِ أدهـى مـن الـجـحـيـم وأدْهَـم(١)

* * *

وأنـا شـاعـرٌ ومـا الـشـعـرُ إلّا
خـفـقـاتـي تـذوبُ شـجـواً منغَّـمْ

شـاعـرٌ صـانَ دمـعَـهُ فـتـغـنّـى
بـلـغـاتِ الـدموعِ شـعـراً متيّـمْ

عـلّـمـتـهُ الـطـيـورُ أحزانَـهـا البَـكـ
ـمـا فـغـنّـى مـع الـطـيـورِ ورنّـمْ

* * *

إيـه يـا شـاعـرَ الـحـيـاةِ ومـاذا
نـلـت مـنـهـا إلّا الـرّجـاءَ الـمـهـشّـمْ

أنـتَ بـاكٍ تـحـنـو عـلـى كـلِّ بـاكٍ
أنـتَ قـلـبٌ عـلـى الـقـلـوبِ مـقـسَّـمْ

قـد قـرأت الـحـيـاة درسـاً فـدرسـاً
وتـجـلّـيـت كـلَّ سـرٍ مـكـتّـمْ

فـرأيـتَ الـحـيـاةَ لـم تَـصـفُ إلّا
لـعـبـيـدِ الـحُـطـامِ والـذلِّ والـدمْ

(١) أدهم: الدهمة: السواد. والقاعدة أن يقال: هو أشد دهمة لأن الفعل: أدهم بالتشديد وهو خماسي لا يأتي التفضيل منه مباشرة.

طـيـبُـهـا لـلِّـئـامِ لا الـمـلـهَـم الـشـا
دي وهـيـهـاتَ أنْ تـطـيـبَ لـمـلـهَـمْ

* * *

أيُّـهـٰـذي الـحـيـاةُ مـا أنـتِ إلّا
أمـلٌ فـي جـوانـحِ الـيـأسِ مُـبْـهَـمْ

غِـرّة تُـضـحـكُ الـعـبـوسَ وتُـبـكـي
فَـرِحـاً هـانـئـاً وتُـشـقـي مـنـعَّـمْ[١]

* * *

يـا حـيـاتـي ومـا حـيـاتـي ومـا مـعـ
نـى وجـودي فـيـهـا لأشـقـى وأُظْـلَـمْ

ربِّ رحـمـاكَ فـالـمـتـاهُ طـويـلٌ
والـدُّجـى فـي الـطـريـقِ حـيـرانُ أبـكـمْ

قـد أتـيـتُ الـحـيـاةَ بـالـرُّغـمِ مـنّـي
وسـأمـضـي عـنـهـا إلـى الـقـبـرِ مُـرغَـمْ

أنـا فـيـهـا مـسـافـرٌ زاديَ الأحـ
ـلامُ والـشـعـرُ والـخـيـالُ الـمـجـسّـمْ

وشـرابـي وهـمـي، وآهـي أغـاريـ
ـدي ونـوري عـمـى الـظـلامِ الـمـطـلـسَـمْ

لـيـس لـي مـن غـضـارةِ الـنـورِ لـحـظٌ
لا ولا فـي يـدي سـوى الـظُّـفـر درهَـم[٢]

---

(١) الغرة بالكسر: من لا تجربة لها من الإناث: وهي أيضاً مصدر غره بمعنى خدعه.

(٢) الغضارة: السعة والنعمة والخصب.

ليتَ شعري مالي إذا رمتُ شيئاً
حال بيني وبينه القفرُ واليَمّْ

لمْ أجِدْ ما أريدُ حتى الخطايا
أحَرامٌ عليَّ حتى جهنّمْ؟!!

كلُّ شيء أرومُهُ لم أنلْهُ
ليتني لم أرِدْ ولا كنتُ أفهَمْ

أنا أحيا مع الحياةِ ولكن
عُمْري ميِّتُ الأماني محطّمْ

ليتني - والحياة غرمٌ وغنمٌ -
نلت من صفوِها على العمرِ مغنَم



من أُغنِّي

هٰهُنا في المنزلِ العاري الجديبْ
أحتسي الدّمعَ وأقتاتُ النّحيبْ

هٰهُنا أشكو إلى اللّيلِ وكمْ
أشتكي واللّيلُ في الصّمتِ الرهيبْ

وأبثُّ الشعرَ آلامَ الهوى
وأنادي اللّيلَ والصَّمتُ يُجيبْ

فإلى مَنْ أنفثُ الشكوى؟ إلى
أيِّ سمعٍ أبعثُ اللحنَ الكئيبْ؟

وإلى منْ أشتكي الحبَّ إلى
مَنْ إلى من؟ إنني وحدي غريبْ

هٰهُنا يا ليلُ وحدي والجوى
بين أضلاعي لهيبٌ في لهيبْ

* * *

ولمنْ أشدو؟ ومنْ أشدو؟ فيا
لجنوني منْ أغنّي بالنّسيبْ

ما لقلبي يعبَثُ الحبُّ به
عبثَ الإعصارِ بالغصنِ الرطيبْ

من أغنّي؟ لا حبيباً؟ لا ولا
لي من الدنيا على الدنيا نصيبْ

آه إنــي شــاعــرٌ والــشــعــرُ مــن
مـحـنـتـي! أوَّاه مـا أشـقـى الأديـب
شـاعـرٌ والـشـعـر عـمـري فـي غـدٍ
أيـن عـمـري أيـن. . . فـي اليـومِ القريب



في الليل

لا مــشــفــقٌ حــولــي ولا إشــفــاقُ
إلّا الــمُــنــى والــكــوخُ والإخــفــاقُ

ألــبــردُ والــكــوخُ الــمــسجّى والــهــوى
حــولــي وقــلــبــي والــجــراحُ رفــاقُ

وهنا الدُّجى يسطو على كوخي كما
يسطو على المستضعفِ العملاقُ

فلمنْ هنا أصغي؟ وكيفَ؟ وما هنا
إلّا أنــا، والــصــمــتُ، والإطــراقُ

أغفى الوجودُ ونام سُمّارُ الدُّجى
إلّا أنــا والــشــعــرُ والأشــواقُ

وحدي هنا في الليلِ ترتجفُ المنى
حولي ويرتعشُ الجوى الخفّاقُ

وهــنــا وراء الــكــوخِ بــســتــانٌ ذوتْ
أغــصــانُــهُ وتــهــاوتِ الأوراقُ

فــكــأنَّــهُ نــعــشٌ يــمــوجُ بــصــمــتِــهِ
حُــلــمُ الــقــبــورِ ويــعــصِــفُ الإزهــاقُ

نــســيَ الــرّبــيــعُ مــكــانَــه وتــشــاغــلــتْ
عــنــهُ الــحــيــاةُ وأجــفــلَ الإشــراقُ

عُريانُ يلتحفُ السكينةَ والدُّجى
وتئنُّ تحت جذوعِهِ الأعراقُ

* * *

واللّيلُ يرتجلُ الهمومَ فتشتكي
فيه الجراحُ وتصرخُ الأعماقُ
والذكرياتُ تكرُّ فيه وتنثني
ويتيهُ فيهِ الحبُّ والعشّاقُ
تتغازلُ الأشواقُ فيهِ وتلتقي
ويضمُّ أعطافَ الغرامِ عِناقُ

* * *

والناسُ تحت الليلِ: هذا ليلُه
وصْلٌ وهذا لوعةٌ وفراقُ
والحبُّ مثلُ العيشِ: هذا عيشُهُ
ترفٌ وهذا الجوعُ والإملاقُ
في الناسِ مَنْ أرزاقُهُ الآلافُ أو
أعلى وقومٌ ما لهمْ أرزاقُ
هذا أخي يَرْوَى وأظما ليس لي
في النّهرِ لا حقٌّ ولا استحقاقُ

❁ ❁ ❁

لست أهواك

لستُ أهواكِ قد خلعتُ الهواءَ
واحتقرتُ الفتونَ والإغراءَ[1]

لستُ أهواكِ قد صحوتُ من الحبِّ
ومزَّقتُ صبوتي والصّباءَ

ونفختُ الغرامَ من حبّةِ القلـ
ـبِ كما تنفخُ الرّياحُ الهباءَ

وترفّعتُ عن إرادتِكِ البلـ
ـهَا ورضتُ الجناحَ أغزو السماءَ

فاخدعي من أردتِ غيري من النا
سِ فإنّي وهبتُ قلبي العلاءَ

واخجلي أنتِ والهوى واستكيني
واخلعي عن كيانِكِ الكبرياءَ

إنّني قد فرغتُ منكِ وبعثر
تُ بقايا صبابتي أشلاءَ

* * *

آه كمْ عشتُ في هواكِ وكمْ
مرّغتُ فيه فتوّتي والإباءَ

---

(١) الهواء: يريد الهوى فمده للضرورة ومثله في الديوان كثير.

كمْ تغنّيتُ في هواكِ وسلسلـ
ـتُ دمي في فم الغرامِ غناءَ

وأرقتُ الدموعَ منكِ ولكنْ
غسلَ الدمعُ حرقتي والعناءَ

واستدرَّ البكا هواكِ من القلـ
ـبِ فأفنى الهوى وأبقى العزاءَ

وبكاءُ المحبِّ يستنزفُ الشو
قَ نشيجاً والذكرياتِ بكاءَ

لستُ أهواكِ قد نحرتُ صبابا
تي كما ينحرُ القنوطُ الرّجاءَ

ونسيتُ اللّقا وعفتُ التلاقي
والتصابي والحسنَ والحسناءَ

* * *

فامضِ يا حبُّ قد رجعتُ إلى العقـ
ـلِ المصفّى يديرني كيفَ شاءَ

ويلَ ويلَ الغرامِ من يقظةِ اللّـ
ـبِّ إذا اللّبُّ بالفؤادِ تَناءى

وإذا صارعَتْ قوى العقلِ قلباً
عبقريّاً زادتْ قواهُ قواءَ

❁ ❁ ❁

شعري

غـردْ فـأنـتَ الـحـبُّ والأحـلامُ
إنـشِـد يُـصـفِّـقْ حولـكَ الإعـظـامُ
يـا كـافـراً بـالـصّـمـتِ والإحـجـام طِرْ
واهـتِـفْ فـداكَ الـصّـمـتُ والإحـجـامُ
واسبـحْ بـآفـاقِ الـجـمـالِ وطُـفْ كـمـا
تـهـوَى ويـهـوَى جـوّهُ الـبـسّـامُ

* * *

يـا شـعـريَ الـفـوّاحَ غـرّدْ تـحـتـفـلْ
فـيـك الـعـطـورُ وتـعـبَـقُ الأنـسـامُ
لـك مـن شـفـاهِ الـفـجـرِ منتزهٌ[1] وفـي
صـدرِ الـمـروجِ مـراقـصٌ وهُـيـامُ
فـي كـلِّ رابـيـةٍ لـقـلـبِـكَ خـفـقـةٌ
وبـكـلِّ وادٍ حُـرقـةٌ وضـرامُ
ولـصـوتِـكَ الـحـانـي بـأجـفـانِ الـرُّبـا
غـزَلٌ وفـي قـلـبِ الـرَّبـيـعِ غـرامُ
بـسـتـانُـكَ الـغـبـرا ومـسـرحُـكَ الـفـضـا
فـلـكَ الـوجـودُ مـسـارحٌ ومُـقـامُ[2]

* * *

(١) منتزه: الأصح لغوياً مُتنزَّه. (٢) الغبرا: الغبراء وهي الأرض.

شـعـري وأنـت الـفـنُّ أنـتَ رحـيـقُـهُ
شـفـتـاكَ كـأسٌ والـلّـحـونُ مُـدامُ

حـلّـقـتَ فـوق مـسـابـحِ الأوهـام لـمْ
تـلـمـحْ خـيـالَ جـنـاحِـكَ الأوهـامُ

والـمـاردُ الـعِـمـلاقُ يـكـتـسحُ الـعـلا
فـتـظـلُّ تـهـذي خـلـفَـهُ الأقـزامُ

* * *

شـعـري تـبـنّـاك الـخـلـودُ فـأنـتَ فـي
ربَـواتِـهِ الأنـغـامُ والـنّـغّـامُ

جسّـمـتَ أنـفـاسَ الـشّـذا فـتـرنـحـتْ
فـيـكَ الـطـيـوبُ كـأنّـهـا أجـسـامُ

وغـمـستَ قـلـبَـكَ فـي الـحـيـاةِ وصـغـتَـهـا
لـحـنـاً صـداهُ وصـوتُـهُ الإلـهـامُ

وجـلـوتَ ألـوانَ الـطـبـيـعـةِ مـثـلـمـا
يـجـلـو الـفـتـاةَ بـفـنّـهِ الـرسّـامُ

شعـري تـنـاجـى الـحـسنُ فـيـهِ والـهـوى
وتـنـاغـتِ الآمـالُ والآلامُ

وتـخـاصـرتْ فـيـه الـمُـنـى وتـعـانـقـتْ
فـي صـدرِهِ الـقُـبُـلاتُ والـتّـهـيـامُ

فـإذا بـكـى أبـكـى الـقـلـوبَ وإن شـدا
رقـصـتْ لـيـالـي الـدّهـرِ والأيّـامُ

* * *

ظمآنُ يرتشفُ الجمالَ وكلّما
أروى أواماً صاحَ فيه أُوامُ

فلهُ وراءَ المجدِ أمجادٌ ومِنْ
خلفِ المرامِ مطامحٌ ومرامُ

سيظلُّ يشدو كالجداولِ لا ولمْ
ينضبْ غِناؤُه ولمْ يجفَّ الجامُ

* * *

لا! لمْ ينمْ شعري! ولمْ يصمتْ ولمْ
تصمتْ على أوتارِهِ الأنغامُ

لمْ يستكنْ وتري ولمْ يسكتْ فمي
فَلْتَخْرسِ الأفواهُ والأقلامُ

❁❁❁

فجر النبوة

صـورُ الـجـلالِ وزهـوةُ الأمـجـادِ
سـكـبـتْ نـمـيـرَ الـوحـي فـي إنـشـادي
صُـورٌمـن الأمـسِ الـبـعـيـدِ حـوافـلٌ
بـالـذكـريـاتِ روائـحٌ وغـوادي
خطرتْ تعيدُ مشاهدَ الماضي إلى الـ
يـومِ الـجـديـدِ إلـى الـغـدِ الـمـتـهـادي
حـمـلـتْ مـن الـمـيـلادِ أروعَ آيـةٍ
غـمـرتْ مـتـاهَ الـكـونِ بـالإرشـادِ
زُمَـرٌ مـن الـذكـرى تـروحُ وتـغـتـدي
وتـشـقُّ أبـعـاداً إلـى أبـعـادِ
وتـزفُّ وحـيَ الـمـولـدِ الـزاهـي كـمـا
زفَّ الـنّـسـيـمُ شـذا الـربـيـعِ الـشـادي

* * *

يـا فـجـرَ مـيـلادِ الـنـبـوّةِ هـذهِ
ذكـراكَ فـجـرٌ دائـمُ الـمـيـلادِ
وتـهـلـلَ الـكـونُ الـبـهـيـجُ كـأنّـهُ
حـفـلٌ مـن الأعـراسِ والأعـيـادِ
وأفـاقـتِ الـوثـنـيـةُ الـحـيـرى عـلـى
فـجـرِ الـهـدى وعـلـى الـرّسـولِ الـهـادي

فمواكبُ البشرى هناك وهٰهُنا
تُنبي الوجودَ بأكرمِ الأولادِ

والمجدُ ينتظرُ الوليدَ كأنَّهُ
والمجدَ والعَلْيا على ميعادِ

وترعرعَ الطفلُ الرسولُ فهبَّ في
دنيا الفسادِ يُبيدُ كلَّ فسادِ

وسرى كما تسري الكواكبُ ساخراً
بالشوكِ بالعقباتِ والأنجادِ

بالغدرِ يسعى خلفَه وأمامَه
بالهولِ بالإبراقِ بالإرعادِ

لا... لمْ يزلْ يمشي إلى غاياتِهِ
وطريقُهُ لهبٌ من الأحقادِ

فدعا قريشاً للهدى وسيوفُها
تهفو إلى دمِهِ من الأغمادِ

فمضى يشقُّ طريقَهُ ويطيرُ في
أُفقِ العلا والموتُ بالمرصادِ

ويدوسُ أخطارَ العداوةِ ماضياً
في السيرِ لا واهٍ ولا متمادي

لا يركبُ الأخطارَ إلّا مثلها
خطِرٌ يعادَى في العلا ويعادي

نادى الرسولُ إلى السعادةِ والهنا
فصغتْ إليه حواضرٌ وبوادي

وتصامَمتْ فئةُ الضلالةِ واعتدتْ
فأتى إلَيها كالأتيّ العادي(١)

واهتاجتِ الهيجا فأصبحتِ العدا
خبراً من الماضي وطيفَ رقاد

لا تُسكتُ الأوغادَ إلّا وثبةٌ
ناريةٌ غضبى على الأوغاد

ومن القتالِ دناءةٌ وحشيّة
حمقى ومنه عقيدةٌ ومبادي

* * *

خاضَ الرّسولُ إلى العلا هولَ الدُّجى
ولظى الهجيرِ اللّافحِ الوقّادِ

واقتادَ قافلةَ الفتوحِ إلى الفدى
والمكرماتُ دليلهُا والحادي

وهفا إلى شرفِ الجهادِ وحولَهُ
قومٌ تفورُ صبابةَ اسْتشهادِ

قومٌ إذا صرخَ العراكُ توثّبوا
نحو الوغى في أهبةِ استعدادِ

وتماسكوا جنباً لجنبٍ وارتموْا
كالموجِ في الإرغاءِ والإزبادِ

وتدافعوا مثلَ السيولِ تصبُّها
قممُ الجبالِ إلى بطونِ الوادي

(١) الأتيّ: السيل العنيف.

وإذا تساجلتِ السيوفُ رأيتَهم
خُرْساً وألسنةُ السيوفِ تنادي

هم في السلامِ ملائكٌ ولدى الوغى
جِنٌّ تطيرُ على ظهورِ جيادِ

وهمُ الألى الشمُّ الذين تفتّحتْ
لجيوشِهم أبوابُ كلِّ بلادِ

ألناشرونَ النورَ والتوحيدَ في
دنيا الضلالِ وعالمِ الإلحادِ

ألطائرونَ على السيوفِ إلى العلا
والهابطونَ على القنا الميّادِ

* * *

بعثَ الرسولُ من التفرقِ وحدةً
ومن العِدا القاسي أرقَّ ودادِ

فتعاقدتْ قومُ الحروبِ على الصّفا
وتوحّدتْ في غايةٍ ومُرادِ

وتحركتْ فيها الأخوّةُ مثلما
تتحركُ الأرواحُ في الأجسادِ

ومحا ختامُ المرسلينَ عن الورى
صلفَ الطّغاةِ وشرعةَ الأنكادِ

فهناك تيجانٌ تخرُّ وههُنا
بينَ السكونِ مصارعُ استبدادِ

وهناك آلهةٌ تئنّ وتنطوي
في خزيها وتلوذُ بالعبّادِ

والـمـرسـلُ الأسـمـى يـوزِّعُ جـهـدَهُ
فـي الـحـقِ بـيـن هـدايـةٍ وجـهـادِ
حـتـى بـنـى لـلـحـقِ أرفـعَ مـلّـةٍ
تـرعـى حـقـوقَ الـجـمـعِ والأفـرادِ
وشـريـعـةٍ يـمـضـي بـهـا جـيـلٌ إلـى
جـيـلٍ وآزالٌ إلـى آبـادِ

* * *

يـا خيرَ منْ شرعَ الحقوقَ وخيرَ منْ
آوى الـيـتـيـمَ بـأشـفـقِ الإسـعـادِ
يـا منْ أتـى بـالـسلـمِ والـحسنى ومنْ
حـقـنَ الـدّمـا فـي الـعـالـمِ الـجـلّادِ
أُهـدي إلـيـكَ ومـنـكَ فـكـرةَ شـاعـرٍ
درسَ الـرجـالَ فـهـامَ بـالأمـجـادِ



حيث التقينا

هُهُنا كانَ يناجينا الغرامُ
ويناجي المستهامَ المستهامُ

هُهُنا رَفَّ بقلبيْنا الصّبا
وتبنّانا التصافي والوئامُ

عقدَ الحبُّ فؤاديْنا كما
يعقد الهدبَ إلى الهدبِ المنامُ

فتلاقينا بأحضانِ الصَّفا
والصّبا خمرٌ وثغرُ الحبِّ جامُ

وتجاذبنا أحاديثَ الهوى
وسهرنا ولياليـنا نيامُ

وتمنّينا الأغاني واللّقا
في شفاهِ الكأسِ لحنٌ ومُدامُ

والصبابـاتُ الظوامي حولنا
تشربُ اللحنَ فيهتاجُ الأُوامُ

هُهُنا غنّى الهوى الطفلُ لنا
وطواهُ هُهُنا عنّا الفِطامُ

وانقضى صفوُ التلاقي وذوتْ
في صِبا الحبِّ أمانيه الجِسامُ

وانتهى العهدُ كأنْ لمْ يبتدئْ
أو تلاقى البدءُ فيهِ والختامُ

وانطفا فجرُ أمانينا ولمْ
ينطفِ الشوقُ ولمْ يَخبُ الضرامُ

بدَتِ اللّقيا وولّتْ هُهُنا
فعلينا وعلى اللّقيا السلامُ

ضمّنا هذا المُقامُ المشتهى
ثم أقصاني وأقصاكَ المُقامُ

فهنا يا أختُ ناغيْنا الهوى
وهنا ولّى وغطّاه القتامُ

واختفى الأنسُ وذكراه على
مسرحِ العمرِ شعاعٌ وظلامُ

ومن الحبِّ ابتهاجٌ وأسًى
ومن الذكرى دموعٌ وابتسامُ

كلُّنا يهوى الهنا لكنّنا
كلّما رُمنا الهنا غابَ المرامُ

هأنا حيثُ التقينا وعلى
خاطري من صورِ الأمسِ ازدحامُ

أسألُ الذكرى عن الحبِّ وهلْ
للهنا في شرعةِ الحبِّ دوامُ

هأنا في منزلِ اللّقيا وفي
جوّهِ من عهدِنا الفاني حطامُ

أسـألُ الـصـمـتَ عـلـى الـجـدرانِ هـلْ

لـلــهــوى عــهــدٌ لــديــه أو ذمــامُ

ويــكــادُ الــصــمــتُ يــروي حــبَّــنــا

قــصــةً لــو طــاوعَ الــصــمــتَ الــكــلامُ



أنا الغريب

غبتُ في الصمتِ والهمومِ الضَّواري
والأمَاني والذكرياتِ السَّواري

وتغلّفتُ بالوجومِ ووارتْـ
ـت همومي في صمتيَ المتواري

وخنقتُ اللحونَ في حَلْقِ مزما
ري وأغفى على فمي مزماري

وانطوتْ في فمِي الأغاني وماتتْ
نغَمي في حناجر الأوتار

وتلاشى شعري ونامَ شعوري
نومَةَ اللَّيلِ فوقَ صمتِ القِفارِ

وتفانى فنّي ولم يبقَ إلّا
ذكرياتُ الصدى بشجو ادّكارِ

وخيالُ النحيبِ في عوديَ البا
كي وطيفُ النّشيجِ في أسراري[1]

وكأنّي تحتَ الدياجيرِ قبرٌ
جائعٌ في جوانحِ الصَّمتِ عاري

(١) النشيج: الغصص بالبكاء من غير انتحاب.

وأنـا وحـدي‌َ الـغـريـبُ وأهـلـي
عـنْ يـمـيـنـي وإخـوتـي عـنْ يـسـاري

وأنـا فـي دمـي أسـيـرٌ، وفـي أر
ضـي شـريـدٌ مـقـيَّـدُ الأفـكـارِ

وجـريـحُ الإبـا قـتـيـلُ الأمـانـي
وغـريـبٌ فـي أمّـتـي وديـاري

كـلُّ شـيء حـولـي عـلـيَّ غـضـوبٌ
نـاقـمٌ مـن دمـي عـلـى غـيـرِ ثـارِ

۞ ۞ ۞

ليالي السجن

نزلتْ ليالي السجنِ بين جوانحي
فحملتُ صدري للهمومِ ضريحا

وجثَتْ على قلبي كأنّي صخرةٌ
لا تفهمُ التنويهَ والتلميحا

فدفنتُ في خَفقِ الجراحِ تألُّمي
حيّاً وألحدتُ الأنينَ صحيحا

وحملتُ دائي في دمي وكأنني
في كلِّ جارحةٍ حملتُ جريحا



عندما ضمَّنا اللقاء

كيفَ أنسى منكِ الحوارَ البديعا
والـلّقا الغضّ والجمالَ الرفيعا

كيفَ أنسى ولا نسيتُ وعندي
ذكرياتٌ حَرَّى تُذيبُ الضلوعا

كيفَ أنسى ولستُ أنسى لقاءً
ضمَّ قلباً صبّاً وقلباً صديعا

ووصالاً كانتْ تفيضُ معانيـ
ـهِ علينا سكينةً وخُشوعا

عندما ضمنا اللّقا في ذراعيْـ
ـهِ نَسينا ما في الوجودِ جميعا

وصبوْنا وعانقَ الحبُّ حبّاً
مثلما عانقَ الصباحُ الربيعا

وامتزجنا والحبُّ يُضفي علينا
صبواتٍ مَرحى وجَوّاً وديعا

وبنانُ الهوى تغازلُ قلبيْـ
ـنا كما غازلَ النّسيمُ الشّموعا

فأدرنا من الغرام حِواراً
عاطفيّاً يُصبي الهوى والولوعا

وعِتاباً يكادُ من رقّة الألـ

فاظِ يجري على الشفاهِ دموعـ

* * *

كمْ تساءلتُ عن لقانا وكمْ سا

ءلت عن صفوهِ الظلامَ المريعـ

وذكرتُ الوصالَ ذكرى غريبٍ

يَتَشَهَّى أوطانَه والرّبوعـ

❁ ❁ ❁

وحدي هنا

وحدي هنا يا ليلُ وحدي ما بين آلامي وسُهدي
وحدي وأمواتُ المنى والذكرياتُ السودُ عندي
وكأنَّ أشباحَ الدُّجى حولي أماني مستبدٍّ
تطوي أحاسيسي وتنـ شُرُها وتُخفيها وتُبدي
والليّل يلهو بي كما يهوَى التجنّي والتعدّي
فكأنني في كفِّهِ عِرضُ الكريم بكفِّ وَغْدِ
ياليلُ لي قلبٌ يحِنُّ إلى العُلا بأحرٍّ وَجدِ
أهوى العلا ويردُّني عجزي وإنَّ العجزَ مُردي
لا اليأسُ يُسليني عن الـ عليا ولا الآمالُ تُجدي
بيني وبينَ مآربي أقصى النوى وأشقُّ بُعدِ
ما فاتَ مجدي إنما في ذمةِ الأيامِ مجدي
وغداً ـ وما أدنى غداً منّي ـ سأوفي المجدَ وعدي
والفَنُّ التاريخَ آيا تي ويَروي الخُلْدَ خُلدي
وأشيدُ منّي أمّةً تُهدي إلى العَلْيا وتَهدي
إني على عهدِ العُلا فلتذكرِ العلياءُ عهدي

❁❁❁

الحب القتيل

يا حَيْرتي أينَ حبّي أين ماضيهِ
وأينَ أينَ صِباهُ أو تصابيه

قتلتُ حبّي ولكنّي قتَلتُ به
قلبي ومزقتُ في صدري أمانيهِ

وكيفَ أحيا بلا حُبٍّ ولي نفَسٌ
في الصدرِ أنْشُره حيّاً وأطويهِ

قتلتُ حبي ولكن! كيفَ مقتلُه؟
بكيتُ حتى جرى في الدمعِ جاريهِ

أفرغتُ من حَدقِ الأجفانِ أكثرَهُ
دمعاً وألقْيتُ في النسيانِ باقيهِ

ما كنتُ أدري بأني سوفَ أقتلُهُ
أو أنّني بالبكا الدامي سأُفنيهِ

وكمْ بكيْتُ من الحبِّ العميقِ إلى
أنْ ذابَ دمعاً فصرتُ اليوم أبكيهِ

وكمْ شدوْتُ بواديهِ الوريفِ وكمْ
أفعمتُ كأسَ القوافي منْ معانيهِ

وكمْ أهابَ بأوتاري وألهمني
وكمْ شربْتُ الأغاني البيضَ منْ فيهِ

***

واليومَ واريتُ حبي والتفتُّ إلى
ضريحِهِ أسألُ الذكرى وأنعيهِ[1]

قد حطّمَ اليأسُ مزمارَ الهوى بفمي
وقيّدَ الصمتُ في صوتي أغانيهِ

إنَّ الغرامَ الذي قد كنتُ أُنشِدُهُ
أغانيَ الروحِ قد أصبحتُ أرثيهِ

ويلي وويلي على الحبِّ القتيلِ ويا
لَهْفي على عهدِهِ الماضي وآتيهِ

ما ضرَّني لو حملتُ الحبَّ ملتهباً
يُميت قلبي كما يهوى ويحييهِ

❁ ❁ ❁

(١) لا يوجد في اللغة أنعيه، وإنما هو أنعاه، ويمكن أن يُقال: ودموعي الحمر ترويه.

كيف أنسى

قيلت على قبر حبيبة الطفولة عندما طاف به الشاعر.

هيهاتَ انْ أنسى هواكِ وكلّما
حاولتُ أنْ أنسى ذكرتُكِ مُغرَما

يا للشجونِ وكيف أنسى والأسى
يقتاتُ أوصالي وينتزفُ الدّما

يا أختَ روحي وابتسامَ طفولتي
وبُكا شبابي - آهِ - ما ألقى وما

خلّفتِني وحدي ألوكُ حُشاشتي
أسفاً وأفنى حُرقةً وتضرّما

وحدي مع الأملِ الذبيحِ تطوفُ بي
ذِكَرٌ متيّمةٌ يشقُّنَ متيّما

واليومَ إنّي حولَ قبرِكِ صامتٌ
أقتاتُ منْ جوعي وأستسقي الظما

وأقبّلُ القبرَ الحبيبَ ومُنيتي
لو أنَّ لي في كلّ جارحةٍ فما

وأسائلُ الصمتَ الرهيبَ كأنني
جوعانُ محتضرٌ يسائلُ مغنما

● ● ●

يا مَنْ أناديها ويخنُقُني البكا
ويكادُ صمتُ الدّمعِ أنْ يتكلما

فارقتُ في مثواكِ رِفقَ أبُوّتي
وفقدتُ عطفَ الأمِّ فيكِ مجسّما

يا قلبيَ الدامي وآه وأين مَنْ
فاضتْ عليَّ عواطفاً وترحُّما

غابتْ وغبتُ وكلّما فارقتُها
لاقيْتُها في الذكرياتِ توهُّما

مالي أناجيها وكيفَ وكلّما
ناجيْتُها ناجيْتُ قبراً أبكما

* * *

وافيت قبرَكِ: والسكونُ يلفُّهُ
وسكينةُ الأجداثِ تُحيي المأتما

فسألتُ وارتجفَ السؤالُ متى اللقا
فعصى الجوابُ لسانَه وتلعثما

فذكرتُ أن الموتَ خاتمةُ اللّقا
فقتلتُ آمالي وليتَ وربما

وتألمتْ روحي ووجداني إلى
أن كادتِ الآلامُ أنْ تتألّما

* * *

يا رَوْعَ قلبي كيفَ أنسى روضةً
حَضنتْ صِبا عمري فرفَّ مُنَعّما

كمْ دلّلتني بالحنانِ ولمْ تكنْ
أمي وقدْ كانتْ أرقَّ وأرحما
حتى عميتُ فكادَ يُعميها البكا
وحنانُها الباكي يشاركُني العمى

* * *

كمْ صارعتْ عَنَتَ الخطوبِ وما مضت
منْ ظالمٍ إلّا تلقّتْ أظلما
ومشتْ على شوكِ الحياةِ وهولِها
وكأنّها كانتْ تدوسُ جهنّما
فرمتْ إلى حضنِ المماتِ كيانَها
وتبدّلتْ بالكدِّ عيشاً أنعما
وتبرّمتْ بحياتها الضنكى ومَن
برمتْ به متعُ الحياةِ تبرّما
وحييتُ بعدَ مماتِها مَيْت الهنا
حيّاً أموتُ تأوُّهاً وتألّما

أيـن مني

أيـنَ مِـنّـي حـنـانُـهـا أيـنَ مـنّـي
مُـلْـتـقـاهـا لـم يـبـقَ إلّا الـتـمـنّـي

وشـجـونٌ تـهـفـو بـقـلـبـي إلـيـهـا
وظـنـونٌ تُـقـصـي مـرادي وتُـدنـي

هـي أدنـى إلـيَّ مـن سـرِّ قـلـبـي
وهـي فـي الـقـربِ أبـعـدُ الـنـاس عـنّـي

وهـي فـي خـاطـري وأشـكـو نـواهـا
وأقـاسـي ظـلـمَ الـهـوى والـتـجـنّـي

فـاسـمـعـي يـا حـبـيـبـةَ الـروحِ نـجـوى
خـاطـري وارقُـصـي عـلـى شـجـوِ لـحـنـي

إنّـنـي يـا حـبـيـبـتـي شـاعـر الـ
حـبِّ ولـلـحـبِّ أغـنـيـاتـي وفـنّـي

يَـجـرح الـحـبُّ أغـنـيـاتـي فـيـصـبـيـ
ـهـا ويُـبـكـيـنـيَ الـهـوى فـأغـنّـي

حـيـن يُـضـنـيـنـيَ الـغـرامُ أغـنِّـيـ
ـه وأسـمـى الـغـرامِ مـا كـانَ مُـضـنـي

سـاجِـلـيـنـي يـا ربـةَ الـحـسـن أشـوا
قـي وعـانـي مـعـي الـغـرامَ الـمـعـنِّـي

إنــــنـــي يـــا إلَــهـــةَ الــحـــســـنِ أهـــوا
كِ وإنَّ الــهــوى مــن الــحــســنِ يُــغــنــي

إنــنـــي ظــامــىءٌ إلــيــكِ وكــمْ أظــمــا
وأظــمــا وفـــيـــكِ خـــمـــري ودَنِّـــي

فــي مــعــانــيــكِ سـكـرةُ الـحـبِّ والـفـنِّ
وفـيـهـا رقْـصُ الـخـيـال الـمـغـنِّـي

وفـــتـــونٌ حـــيٌّ يـــمـــوجُ عـــلـــى أعـــ
طـافِ حَـسْـنـا يـجِـلُّ عـنْ كـلِّ حُـسْـنِ

إنـــهّـــا كـــلُّ مـــا أريـــدُ مـــن الـــدنـــ
يـــا ومـــا يـشـتـهـي يـقـيـنـي وظـنّـي

❁ ❁ ❁



ميلاد الربيع

وُلد الربيعُ معطَّرَ الأنوارِ
غَرِدَ الهوى ومجنَّحَ الأشعارِ
ومضتْ مواكبُه على الدنيا كما
تمضي يدُ الشادي على الأوتارِ
جذلانُ أحلى منْ محاورةِ المنى
وأحبُّ من نجوى الخيالِ السّاري
وألذُّ منْ سحرِ الصِّبا وأرقُّ منْ
صمتِ الدموعِ ورعشةِ القيثارِ
هبط الرّبيعُ على الحياةِ كأنه
بعْثٌ يُعيدُ طفولةَ الأعمارِ
فصبتْ بهِ الأرضُ الوقورُ وغرّدتْ
وتراقصتْ فتنُ الجمالِ العاري
وكأنّه في كلِّ وادٍ مَرْقَصٌ
مَرِحُ اللّحون مُعَرْبدُ المزمارِ
وبكلِّ سفحٍ عاشقٌ مترنِّم
وبكلِّ رابيةٍ لسانٌ قاري
وبكلِّ منعطفٍ هديرُ حمامةٍ
وبكلِّ حانيةٍ نشيدُ هَزارِ

ويــكــلِّ روضٍ شــاعــرٌ يــذرو الــغــنــا
فــوقَ الــرّبــا وعــرائــسِ الأزهــارِ

وكــأنَّ أزهــارَ الــغــصــونِ عــرائــسٌ
بــيــضٌ مُــعَــنْــدَمــةُ الــشــفــاهِ عَــواري

وخــرائــدٌ زُهــرُ الــصِّــبــا يُــسْــفــرنَ عــنْ
ثَــغْــرٍ لــؤالــيٍّ وخَــدٍ نــاري

مــن كــل ســاحــرة الــجــمــال تــهــزُّهــا
قُــبَــلُ الــنــدى وبــكــا الــغــديــرِ الــجــاري

وشــفــاه أنــفــاس الــنّــســيــم تــدبُّ فــي
بــســمــاتِــهــا كــالــشّــعــرِ فــي الأفــكــارِ

فِــتَــنٌ وآيــاتٌ تــشِــعُّ وتــنــتــشــي
كــالــحــورِ بــيــن تــبــسّــمٍ وحِــوارِ

نــاريَّــةُ الألــوانِ فــردوســيّــةٌ
ذهــبــيّــةُ الآصــالِ والأســحــارِ

آذارُ يــا فــصــلَ الــصــبــابــةِ والــصِّــبــا
ومــراقــصَ الأحــلامِ والأوطــارِ

يــا حــانــةَ الــلّــحــنِ الــفــريــدِ ومــلــتــقــى
نــجــوى الــطّــروبِ ولــوعــةِ الــمــحــتــارِ

أجــواؤكَ الــفــضّــيّــةُ الــزّرقــا جــلــتْ
صــورَ الــهــنــا وعــواطــفَ الأقــدارِ

ومــحــا هــواك هــوا الــشــتــا الــقــاسي كــمــا
يــمــحــو الــمــتــابُ صــحــيــفــةَ الأوزارِ

فـي جـوِّكَ الـشـعـري نـشـيـدٌ حـالـمٌ
وعـبـاقـرٌ شـمٌ الـخـيـالِ عـذاري

* * *

مـا أنـتَ إلّا بـسـمـةٌ قـدسـيّـةٌ
رَيَّـا الـشـفـاهِ عـمـيـقـةُ الأسـرارِ
وبـشـائـرٌ مـخـضـلَّـةٌ وتـرنّـمٌ
عـبـقٌ أنـيـقُ الـسـحـرِ والـسَّـحَّـارِ



هموم الشعر

لمنِ الهيامُ؟ لمنْ تذوبُ هُياما؟
ولمنْ تصوغُ من البكا أنغاما

ولمنْ تُسلْسِلُ منْ ضلوعِكَ نغمةً
حيْرى تناجي الليلَ والأحلاما

ونشائداً جَرحى اللحونِ كأنها
من رقةِ الشكوى قلوبُ يتامى

يا شاعرَ الآلام كمْ تذمَى وكمْ
تبكي وتحتملُ الهمومَ جِساما

خفّفْ عليكَ وعشْ بقلبكَ وحدَه
واسألْ نُهاكَ لِمَ البكا وعَلاما؟

واربأ بنفسِكَ فهي أسمى غايةً
منْ أنْ تذوبَ صبابةً وغراما

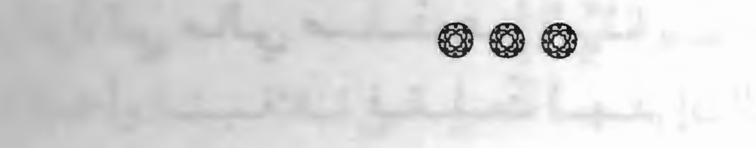
كمْ هِمْتَ بالآلامِ تشدو باسمها
وعلى الأنينِ تدلّلُ الآلاما

بلْواكَ يا بْنَ الشعرِ فجرٌ شاعرٌ
يهدي إليكَ الوحيَ والإلهاما

وبكاكَ ترنيمُ الخلودِ إذا اشتكى
غنّى الحياةَ ورقّصَ الأياما

في قلبِكَ المهمومِ ألفُ خَميلةٍ
تلدُ الهمومَ أزاهراً وخُزامى

جلّت هُمومُ الشعر إنّ دموعَها
فنٌّ يُديرُ من الدموعِ مُداما



مالي صمت عن الرثاء

يقولونَ لي مالي صمتُّ عن الرِّثا
فقلتُ لهم إن العويلَ قبيحُ

وما الشعرُ إلّا للحياةِ وإنّني
شَعَرْتُ أغنّي ما شعَرتُ أنوحُ

وكيفَ أُنادي ميّتاً حالَ بينه
وبيني ترابٌ صامتٌ وضريحُ

وما النَّوحُ إلّا للثّكالى ولمْ أكُنْ
كثكلى على صمتِ النُّعوشِ تصيحُ



هو... وهي

لاقيتُها وهي تهواني وأهواها
فما أُحيْلى تلاقينا وأحلاها!

وما ألذَّ تَدانيها وأجملها
وما أخفَّ تصابيها وأصباها!

فهي الربيعُ المغنّي وهي بهجتُه
وهي الحياةُ ومعنى الحبِّ معناها

وإنّها في ابتساماتِ الصِّبا قُبَلٌ
سكرى تَفيضُ بأشهى السكرِ ريّاها

وفتنةٌ من شبابِ الحسنِ رقّمها
فنُّ الصِّبا وحِوارُ الحبِّ غنَّاها

لاقيْتُها وأغاريدُ الهوى بفمي
تشدو وتشدو وتستوحي محيّاها

غازلتُها فتغاضتْ لحظةً ودنتْ
وعَنْونتْ بابتساماتِ الرِّضا فاها

❁❁❁

حيرة الساري

طال الطريق، وقل الزاد، وهَمَّ الركب بالرحيل، وأين؟ وكيف؟ كانت الليلة عاقراً لم تلد فجراً، وسياط المطر تضرب العابرين وأجنحة العفاريت تتشابك وتحوم، والطريق الوحل يتخبط بالمتعبين. ونادى الشيخ: قد أظلمت فقف، أعتم الوادي وضل الدليل! ونادى الشيخ:

صاحبي غامتْ حوالَيْنا النواحي
أيَّ مَغدى تبتغي أيَّ مراحِ

قفْ بنا حتى يمرَّ السيلُ من
دربِنا المحفوفِ بالشَّرِّ الصّراحِ

أينَ تمضي؟ والقضا مرتقبٌ
ومُتاحٌ والرّجا غيرُ مُتاحِ

والدُّجى الأعمى يُغطّي دربَنا
برؤى الموتى وأشلاءِ الأضاحي

أينَ تمضي؟ وإلى أينَ بنا
جدَّتِ الظلما فدعْ حُمْقَ المزاحِ

أظلمَ الدربُ حوالَيْنا فقِفْ
ريثما تبدو تباشيرُ الصباحِ

* * *

وهنا نادى على الدربِ فَتًى
صوتُهُ بينَ اقترابٍ وانتزاحِ

يحملُ المصباحَ في قبضتِهِ
ويناديِ الركبَ منْ خلفِ الجِراحِ

فتلفَّتنا إليه فانطوى
صوتُه بين الروابي والبطاحِ

واحتوى الصمتُ النّدا واضطربتْ
حولَ مصباحِ الفتى هُوجُ الرِّياحِ

* * *

يا رفيقي هذه ليلتُنا
عاقرٌ سكرى بآثامِ السُّفاحِ

والعفاريتُ عليها موكبٌ
يرتمي في موكبٍ شاكي السلاحِ

والأعاصيرُ تدوِّي في الرُّبا
وتُميتُ العطرَ في صدرِ الأقاحي

وغصونُ الروضِ عرّاها الهوا
ورمى عن جيدها كلَّ وشاحِ

والرّياضُ الجردُ لَهْفَى لمْ تجدْ
لطفَ أنسامٍ ولا نجوى صُداحِ

نامَ عنها الفجرُ والطيرُ فلا
همسُ مِنقارٍ ولا خَفقُ جَناح

* * *

يا رفيقي في السُّرى هلْ للسُّرى
آخِرٌ؟ هلْ لظلامِ الدربِ ماحي؟

تــلــكَ كــأسُ الــعــمــرِ جــفّــتْ وهــوتْ
وهــوانــا فــي شِــفــاهِ الــكــأسِ صــاحــي

هــلْ وراءَ الــعــمــرِ عــمــرٌ شــائِــقٌ؟
هــلْ وراءَ الــيــأسِ ظــلٌّ مــنْ نــجــاحِ؟

أيُّ ركْــبٍ مــنْ هــنــا يــســري ومــا
بــالُــهُ يَــســري إلــى غــيــرِ فــلاحِ

وطــريــقُ الــسَّــفْــرِ شــوكٌ ودمٌ
يــصــرَعُ الــهــولُ بــه ســاحــاً بــســاحِ

تــعِــبَ الــركــبُ وكــلَّ الــدربُ مِــن
ضــجّــةِ الــسَّــفْــرِ وضــوضــاءِ الــتــلاحــي

«حيْرةُ الساري» متى يُغفي؟ متى
يستريحُ الدربُ منْ ركبِ الكفاحِ؟



مدرسة الحياة

ماذا يريدُ المرءُ ما يشفيهِ
يحسو رَوا الدنيا ولا يرويهِ[1]

ويسيرُ في نورِ الحياةِ وقلبُه
ينسابُ بين ضلالهِ والتّيهِ

والمرءُ لا تُشقيهِ إلّا نفسُهُ
حاشا الحياةَ بأنها تشقيهِ

ما أجهلَ الإنسانَ يُضني بعضَه
بعضاً ويشكو كلَّ ما يضنيهِ

ويظنُّ أن عدوَّه في غيرِهِ
وعدوّه يمسي ويضحي فيهِ

غِرٌّ ويدمَى قلبُه من قلبهِ
ويقولُ: إنَّ غرامَه يدميهِ

غِرٌّ وكم يسعى ليروي قلبَه
بهنا الحياةِ وسعيُه يُظميهِ

يرمي به الحزنُ المريرُ إلى الهنا
حتى يعودَ هناؤه يُرزيهِ

---

(١) الرواء كسماء: الماء الكثير المروي.

ولـكـنْ يـسـيءُ الـمـرءَ مـا قـد سـرَّه
قـبـلاً ويـضـحـكُـهُ الـذي يـبـكـيـهِ

مـا أبـلـغَ الـدنـيـا وأبـلـغَ درسـهـا
وأجـلّـهـا وأجـلّ مـا تُـلـقـيـهِ

ومـن الـحـيـاةِ مـدارسٌ ومـلاعـبٌ
أيَّ الـفـنـونِ يـريـدُ أن تـحـويـهِ

بـعـضُ الـنـفـوسِ مـن الأنـامِ بـهـائـمٌ
لـبـسـتْ جـلـودَ الـنّـاسِ لـلـتـمـويـهِ

كـمْ آدمـيٍّ لا يُـعـدُّ مـن الـورى
إلّا بـشـكـلِ الـجـسـمِ والـتـشـبـيـهِ

يـصـبـو فـيـحـتـسـبُ الـحـيـاةَ صـبـيـةً
وشـعـورُهُ الـطـفـلُ الـذي يُـصـبـيـهِ

* * *

قـمْ يا صريعَ الوهـمِ واسـألْ بـالـنّـهـى
مـا قـيـمـةُ الإنـسـانِ مـا يُـعـلـيـهِ

واسـمـعْ تـحـدِّثْـكَ الـحـيـاةُ فـإنَّـهـا
أسـتـاذةُ الـتـأديـبِ والـتّـفـقـيـهِ

وانـصـتْ فـمـدرسـةُ الـحـيـاةِ بـلـيـغـةٌ
تـمـلـي الـدروسَ وجَـلَّ مـا تـمـلـيـهِ

سـلْـهـا وإنْ صـمـتـتْ فـصـمـتُ جـلالِـهـا
أجـلـى مـن الـتـصـريـحِ والـتّـنـويـهِ

۞۞۞

ليلة الذكريات

دعيـنـي أنـمْ لـحـظـةً يـا هـمـومُ
فـقـدْ أوشـكَ الـفـجـرُ أنْ يـطـلُـعـا

وكـادَ الـصـبـاحُ يـشـقُّ الـدُّجـى
ولـمْ يـأذنِ الـقـلـبُ أنْ أهـجَـعـا

دعيـنـي دعيـنـي أنَـمْ غـفـوةً
عـسـى أجـدُ الـحُـلُـمَ الـمُـمـتـعـا

دعيـنـي أطـلَّ عـلـيَّ الـصـبـاحُ
ومـا زلـتُ فـي أرَقـي مُـوجـعَـا

ومـا زالَ يُـتـعـبـنـي مـضـجـعـي
ويُـضـنـي تـقـلّـبـيَ الـمـضـجَـعـا

لـكِ الـلّـهُ يـا لـيـلـةَ الـذكـريـاتِ
ولـي، مـا أمـرَّ ومـا أفـزَعـا!



سكرة الحب

كَمْ أغنّيكِ آهِ كَمْ أسفَحُ الروحَ في النّغمْ
وأناجيكِ والدُّجى بيننا تائهٌ أصمْ
والوجودُ الكبيرُ في سَكرةِ الصمتِ والظُّلَمْ
وأنادي كأنّني مُغْدَمٌ يسألُ العَدَمْ

* * *

وأناجي يا ربّةَ الحسنِ والأشـ
واقُ حولي مدَلَّهاتٌ صوادي
وخيالي يسمو بأجنحةِ الحُبِّ
بعيداً إلى وراءِ البِعادِ
ومعانيكِ نغمةٌ ردّدتْها
نغماتي على فمِ الآبادِ
وصلاةٌ تُفجّرُ الطهرَ في محـ
رابِ حبي والسحرَ في إنشادي
والهوى في فمي نشيدٌ نديٌّ
وصلاةٌ قدسيَّةٌ في فؤادي
وأنا في هواكِ أمضي بجوعِ الـ
حبِّ والأغنياتُ مائي وزادي
فاستثيري شجونَ حبي وزيدي
في جنوني، وحُرقتي واتقادي

فجنونُ الغرامِ عقلٌ جديدٌ
طائرٌ في مسابحِ الوحيِ شادي

أنا أهواكِ للمعاني فزيدِيـ
ـني غراماً يُذيبُ قلبَ الجمادِ

* * *

وافعمي مُهجتي هوًى مُلهَباً ثائرَ الضَّرَمْ[1]
واشعليني صبابةً واملأي خاطري حُمَمْ[2]
واجْهَدي في تألّمي لذّةُ الحبِّ في الألمْ
عذّبيني وعذّبي فعذابُ الهوى حِكَمْ

* * *

أضرمِي لوعتي تفُهْ بالأغاني
والحِوار الأنيق زاهي البيانِ

فأجلُّ الغرامِ وجدٌ بلا وصـ
ـلِ وشوقٌ تموتُ فيهِ الأماني

وصليني أو فاهجريني فحسبي
منكِ فنُّ الهوى وحُلْم التّداني

أنا حسبي من الهوى أن يُحِسّ الـ
ـقلبُ فيه قلباً من الحبِّ ثاني

إنما الحبُّ شرعةُ القلبِ والطبـ
ـعِ فزيدي صبابتي وافتتاني

---

(١) نعمه وأنعمه: ملأه. واملأي تكتب أيضاً وأملئي.

(٢) واشعليني: وصل الهمزة للضرورة، والأصل: وأشعلي. والحمم بضم ففتح: الفحم.

وانتفاضُ الغرامِ في الرُّوحِ معنى الرُّ
وحِ معنى الحياةِ في الإنسانِ
ما أمرَّ الهوى وأحلى معانيـ
ـه وأسمى صبابةَ الفنانِ!
أنا لولاكِ ما انتزفتُ شبابي
نغماً خالداً خلودَ المعاني
لا ولا ذُبتُ في فمِ الحبِّ شدواً
قُدسيَّ الصَّدى نديَّ الحنانِ

* * *

ونشيداً متيَّماً مغرَم الصوتِ والصّدى
يحتسيهِ الهوى كما تحتسي الزَّهرةُ النّدى
كلّما استنطقَ الجوى صمْتَ أوتارِهِ شدا
وتندّى عواطفاً عاشقاتٍ وغَرَّدا

* * *

وتغنّى كأنه بلبلُ الفجرِ يَبُثُّ
الصبَاحَ شكوى الليالي
فاسمعي لوعتي بأنفاسِ أوتا
ري فإني سكبتُ فيها انفعالي
واحتسي من كؤوسِ حبي لحوناً
وارقصي رقصةَ الصِّبا والدلالِ
واسكريني يا هالةَ الحبِّ بالحـ
ـبِّ وبالسحر من كؤوس الجمالِ[1]

---

(١) واسكريني: الأصل وأسكريني أيضاً.

سكرةُ القلب بالهوى سكرةُ الأز
هارِ بالعطرِ والندى والظلالِ

سكرةُ الحبِّ سكرةُ الفجرِ بالأنـ
وار سُكْرُ القلوب بالآمالِ

أنا من عشتُ في هواكِ أغنّيـ
كِ وأروي الغرامَ للأجيالِ

ومعاني هواكِ في ثغرِ لحني
بَسماتٌ بيضٌ كأزهى اللآلي

كالشّذا في فمِ الربيعِ المندّى
كالمنى في خواطرِ الأطفالِ



لا تسل عني

لا تسل عني ولا عن ألمي
فلقد جلّ الأسى عن كلمي

وتعايا صوتيَ المجروحُ في
عنفوانِ الألمِ المضطرمِ

ضقتُ بالصمتِ وضاقَ الصمتُ بي
بعدَ ما ضاقتْ عروقي بدمي

فدعِ التَّسآل عما بي فقدْ
ألجمتْ هيمنةُ الصمتِ فمي

وتهاديْتُ كأنّي أملٌ
يرتمي فوقَ بساطِ العدمِ

ودمي يصرخُ في جسمي كما
تصرخُ الثكلى ببيتِ المأتمِ

وأراني آه مهزومَ المنى
وأنا أحنو على المنهزمِ

أرحَمُ المحرومَ إحساساً ولمْ
تدرِ كفي كيفَ شكلُ الدرهمِ

وأنـا أحـنـو عـلـى الـعـانـي وبـي
حـسـرةُ الـعـانـي وجـوعُ الـمُـعـدَمِ

وأنـا فـي عـزلـتـي الـسـودا وفـي
قـلـبـيَ الـدامـي قـلـوبُ الأمـمِ

وتـآويـهُ الـحـيـارى تـلـتـقـي
فـي أحـاسـيـسـي وفـي روحـي الـظـمـي

آه كـمْ وقَّـعْـتُ آلامـي عـلـى
عـوديَ الـبـاكـي جـريـحَ الـنـغَـمِ

وعـبـرتُ الـعـمـرَ مـخـنـوقَ الإبـا
مُـطْـلَـقَ الـحِـسّ حـبـيـسَ الـقـدَمِ

قـلـقَ الـيـقـظـةِ مـذعـورَ الـكـرى
ذاهـلَ الـفـكـرِ شـريـدَ الـحُـلُـمِ

حـائـرَ الـخـطـو كـأنـي مـذنـبٌ
مـيّـتَ الـغـفـران حـيَّ الـنّـدَمِ

وكـأنّـي قـصّـةٌ مـبـهـمـةٌ
فـي حـنـايـا كـبـريـاءِ الـظّـلَـمِ

وضـجـيـجٌ صـامـتٌ تـكـنُـفـه
لُـجَّـةُ الآلامِ والـلّـيـلُ الـعَـمـي

وعـلـى صـدري تـوابـيـتُ الـشـقـا
كـالـعـفـاريـتِ الـحـيـارى تـرتـمـي

كـلّـمـا سـاءلـتُ نـفـسـي مـن أنـا
صـمـتـتْ عـنـي صـمـوتَ الـصـنـمِ

لا تــســل عــنّــي فــآلامُ الــورى
بــضــلــوعــي كــالــلــهــيــبِ الــتّــهِــمِ

وغِــنــا شــعــري بُــكــا عــاطــفــتــي
وتــبــاكــي جــرحــيَ الــمــبــتــسِــمِ



تائه

كان عملاقاً شاخ في فجر ميلاده، وكاد أن يحتضر في ربيع العمر، فتراه على بقية الأنفاس، يتراءى كالظل الحزين على صفحة الماء الراكد، نصف عمره حلم آت، ونصف ذكريات، يدور في محوره كطيف الأمس في أهداب الذكريات، فهو في متاهة الظنون حلم تقلبه أجفان الظُّلَم.

تائهٌ كالجنونْ   خلف ما لا يكونْ
تائهٌ كالرّجا   في زوايا السّجونْ
كخيالِ اللّقا   حول وهمِ الجفونْ
كرياحِ الضحى   في صخورِ الحُزونْ
كأنينِ الشّتا   فوق صمتِ الغصونْ
كطيوفِ المسا   في متاهِ العيونْ
وحده يرتمي   خلف طيفِ الفتونْ
بين خفقِ الرؤى   وضجيجِ السكونْ
آهِ يا قلبَهُ   حرّقتْكَ الشجونْ
جفَّ خمرُ الهوى   في كؤوسِ اللّحونْ
ظامئٌ يرتوي   بسرابِ الظّنونْ
مالَه هانَ أو   مالَه لا يهونْ
كفنتْ صوتَهُ   وصداهُ السنونْ
واختفى ظلُّهُ   في غبارِ القرونْ
كوعودِ المنى   في الزَّمانِ الخؤونْ

❁❁❁

أخي يا شباب الفدا في الجنوب

أَفِقْ وانطلقْ كالشعاعِ النّدي
وفجّرْ من اللّيلِ فجرَ الغدِ

وثِبْ يا بنَ أمي وثوبَ القضا
على كلِّ طاغٍ ومستعبدِ

وحطّمْ ألوهيَّةَ الظّالمـ
ينَ وسيطرةَ الغاصب المفسدِ

وقلْ للمضلّينَ باسم الهدى
تواروْا فقدْ آنَ أنْ نهتدي

وهيهاتَ هيهاتَ يبقى الشبابُ
جريحَ الإبا أو حبيسَ اليدِ

سيحيا الشبابُ ويُحيي الحمى
ويُفني عداةَ الغدِ الأسعدِ

ويبني بكفيْهِ عهداً جديداً
سنيّاً ومستقبلاً عسجدي

وعصراً من النورِ عدلَ اللوا
طهورَ المنى أنِفَ المقصدِ

* * *

فسر يا بن أمي إلى غاية
سماويةِ العهدِ والمعهدِ

إلى غدِكَ المشتهى حيثُ لا
تروحُ الطغاةُ ولا تغتدي

فشُقَّ الدجى يا أخي واندفع
إلى ملتقى النورِ والسّؤدُدِ

وغامِرْ ولا تحذرنّ المماتَ
فيغري بك الحذَرُ المعتدي

ولاقِ الردى ساخراً بالردى
ومتْ في العلا موتَ مستشهدِ

فمنْ لمْ يمتْ في الجهادِ النبيلِ
يمتْ راغمَ الأنفِ في المرقدِ

وإنَّ الفنا في سبيلِ العلا
خلودٌ، شبابُ البقا سرمدي

وما الحُرُّ إلّا المضحي الذي
إذا آنَ يومُ الفدا يفتدي

وحسبُ الفتى شرفاً أنَّهُ
يُعادَى على المجدِ أو يعتدي

أخي يا شبابَ الفدا طال ما
خضعْنا لكيدِ الشقا الأسوَدِ

ومرّتْ علينا سياطُ العذابِ
مرورَ الذبابِ على الجلمدِ

فلنْ نخضعَ اليومَ للغاصبين
ولمْ نستكنْ للعنا الأنكدِ

سنمشي سنمشي برغمِ القيودِ
ورغمِ وعودِ الخداعِ الردي

فقدْ آنَ للجورِ أن ينتهي
وقد آنَ للعدلِ أن يبتدي

وعَذْنا الجنوبَ بيوم الجلاءِ
ويومُ الفدا غايةُ الموعدِ

سنمشي على جثثِ الغاصبين
إلى غدِنا الخالدِ الأمجدِ

وننصبُّ كالموتِ من مشهدِ
وننقضُّ كالأُسْدِ منْ مشهدِ

ونرمي بقافلةِ الغاصبين
إلى العالمِ الآخرِ الأبعدِ

فتمسي غباراً كأنْ لمْ تعشْ
بأرضِ الجنوبِ ولمْ توجدِ

أخي يا شبابَ الفِدا في الجنوبِ
أفِقْ وانطلقْ كالشعاعِ النَّدي

❁ ❁ ❁

الربيع والشعر

في سنة ١٣٧٥هـ هبت الحادثة الثانية في وجه الإمام أحمد بتعز، وكان أمد الانقلاب خمسة أيام، انتهت بالنصر للإمام؛ وكان ولي العهد في الحديِّدة؛ فمد إليه الثوار أشراك الاصطياد؛ ولكن صقر اليمن تمرد على الصياد، وطار إلى حجة فحشد الجنود، وهيأ القواد لنجدة أبيه، ولكن الإمام أحمد كما هي عادته، أطفأ الثورة قبل مجيء النجدة.

وبعد حوالي شهر من الحادث، عاد ولي العهد إلى صنعاء، يحدوه النصر، وتزجيه الأبهة ويترنح في ركبه البِشر، وكان وصوله إلى «صنعاء» فرحة شملت أرجاء القصر، فقد تلقاه المستقبلون في المطار بوجوه تقطر بشاشة، وقلوب تكاد تطل من العيون فرحاً.

ومن زحمة هذه الأفراح، وتصادم هذه الأرواح البشرية، وأنفاس الربيع الضاحك المتضوع في الربوات والأوهاد، استولد الشاعر هذا النشيد:

وافاكَ مجتمعُ البلادِ فرنَّما
وصبا إليكَ مسبِّحاً ومُتيّما

وتدافعتْ (صنعا) إليكَ كأنَّها
حسناءُ مغرمةٌ تغازلُ مغرما

وهـفـتْ إلـيـكَ كـأنَّـهـا مـسـحـورةً
مـلـتـاعـةُ الأعـصـابِ مـلـهـبَـةُ الـدِّمـا

ورأتْ ولـيَّ الـعـهـدِ فـازدانـتْ بـهِ
فـكـأنَّـهـا قَـبـسٌ يَـسـيـلُ تـضـرّمـا

وتـرقّـصـتْ رَبـواتـهـا الـفَـرْحـى كـمـا
رقـصـتْ عـلـى الأفـلاكِ أقـمـارُ الـسّـمـا

لـقـيـتْ ولـيَّ الـعـهـدِ دنـيـاهـا كـمـا
لـقي الـعِـطـاشُ الـجـدولَ الـمـترنّـمـا

وصـبـتْ نـواحـيـهـا وجُـنَّ جـنـونُـهـا
فـرحـاً وكـادَ الـصـمـتُ أنْ يـتـكـلـمـا

وتـجـاذبـتـكَ هـضـابُـهـا وسـهـولُـهـا
شـغـفـاً كـمـا جـذبَ الـفـقـيرُ الـدّرهـمـا

نـظـرتْ بـنـورِ الـبـدرِ فـجـرَ حـيـاتِـهـا
ورأتْ بـه الأمـلَ الـحـبـيـبَ مـجـسّـمـا

بـدرٌ مـطـالـعـهُ الـقـلـوبُ ونـورهُ
يُـوحـي إلـى الأوطـانِ أنْ تـتـقـدّمـا

فـكـأنَّـهُ فـجـرٌ يَـفـيـضُ أشـعـةً
جـذَلاً وفـردوسٌ يـفـيـضُ تـبـسّـمـا

وكـأنَّـهُ وهَـجٌ إلَـهـيُّ الـسّـنـا
ومـنـابـرٌ تـمـحـو ديـاجـيرَ الـعـمـى!

وكـأنَّـهُ بـفـمِ الـرَّبـيـعِ نـشـيـدةٌ
خـضـراءُ نـقّـشـهـا الـصـبـاحُ ونـمـنـمـا

وروى فمُ التاريخِ سحرَ جمالِها
فِكَراً مجنّحةً ووحياً مُحْكَما
وكأنّه قلبٌ يذوبُ تأوّهاً
للبائسينَ ويستفيضُ ترحّما
فإذا رأى متألماً شاهدتَه
متوجّعاً ممّا بهِ متألما
حتى تراهُ لكلِّ عينٍ ماسحاً
عبراتِها ولكلِّ جرحٍ بلْسما
وأحقُّ أبناءِ البسيطةِ بالعلا
من شاركَ العاني وآسى المعدَما
وأذلُّ أهلِ الأرضِ قلباً مَنْ رأى
عبثَ الظلومِ وذلَّ عنهُ وأحجما
وإذا تسامى الظلمُ طأطأَ رأسَهُ
متهيّباً وكفاهُ أنْ يتظلّما
أمحمدٌ منْ أنتَ؟ أنتَ عدالةٌ
وصَبابةٌ حرَّى بأحشاءِ الحمى
وعواطفٌ تندَى وإنسانيةٌ
عَضما توشّحتِ السموَّ الأعصما
ولدتْكَ آفاقُ المعالي والعلا
شُعَلاً كما تلدُ السماءُ الأنجما
غناكَ شعري والربيعُ وصفوُهُ
أهدى إليكَ زهورَهُ والعندَما

حيّـاكَ مـيـلادُ الـربـيـعِ بـطـيـبِـهِ
وشَـدتْـكَ أشـعـاري نـشـيـداً مـلـهَـمـا

فـاسْـلَـمْ تُـقَـبِّـلْـكَ الـقـلـوبُ وتـرتـوِ
منْ فيضِ بـهـجـتِـكَ الأمـانـي والـظَّـمـا



فجران

١٢ ربيع أول سنة ١٣٧٨هـ.

مِــنْ ســاحــةِ الأصــنــامِ والأوثــانِ
مِــنْ مــســرحِ الـطــاغــوتِ والـطُّـغــيــانِ

مِـن غــابــةِ الــوحــشــيــةِ الـرّعــنــا ومِــنْ
دنــيــا الــقــتــالِ ومــوطــنِ الأضــغــانِ

مِنْ عــالَــمِ الــشـرِّ الـمـسلّحِ حيثُ لا
حــكَــمٌ لــغــيــرِ مــهــنّــدٍ وسِــنَــانِ

بــزغــتْ تــبــاشــيــرُ الــســعــادةِ والــهــدى
بــيــضــاً كــطُــهــرِ الــحــبِّ فــي الــوجــدانِ

وأهــلَّ مــنْ أفــقِ الــغــيــوبِ عــلــى الــدُّنــا
فــجــرانِ فــجــرُ هــدىً وفــجــرُ حــنــانِ

يــا فــرحــةَ الــعَــلْــيــا أهــلَّ مــحــمّــدٌ
وعــلــيــهِ ســيــمــا الــمــجــدِ كــالــعــنــوانِ

وأطــلَّ مِــنْ مــهــدِ الــبــراءةِ والــســمــا
والأرضُ فــي كــفَّــيْــهِ تــعــتــنــقــانِ

* * *

مــاذا تــرى الــصــحــرا؟ أنــوراً ســائــلاً
أمْ أنَّــه حُــلُــمٌ عــلــى الأجــفــانِ

فتحتْ نواظِرَها فضجَّ سكونُها
مالي أرى ما لا ترى عينانِ

وتلفّتتْ ربَواتُ مكةَ في السّنا
حيرى تُكابدُ صمتَها وتعاني

وتكادُ لولا الصّمتُ تسألُ جوُّها
ماذا ترى ومتى التقى فجرانِ؟

وتيقّظَ الغافي يرى مالا ترى
في الوهمِ روحُ الملهَمِ الفنّانِ

نزلَ البسيطةَ بالسلام محمّدٌ
كالنّصرِ عندَ مخافةِ الخِذلانِ

يا صرعةَ الطاغوتِ أشرقَ بالهدى
رجُلُ الهدايةِ والرسولُ الباني

فإذا الجزيرةُ فرحةٌ وصبابةٌ
والجوُّ عرسٌ والحياةُ أغاني

وإذا العداوةُ وحدةٌ وأخوَّةٌ
والبغضُ حبٌّ والنفورُ تَداني

هتَفتْ شفاهُ البعثِ فانتفضَ الثرى
وتدافعَ الموتى من الأكفانِ

زخَرتْ وضجّتْ بالحياةِ قبورُها
واهتاجتِ الأرواحُ في الأبدانِ

وتلاقتِ الدنيا يهنّئُ بعضُها
بعضاً فكلُّ الكائناتِ تهاني

* * *

وُلِدَ الرسولُ مِنَ الرسولِ ومَنْ رأى
طفلاً له عَلْيا الخلودِ مغاني

يسعى إلى العَليا وتسعى نحوه
فكأنَّ بينَهما هوًى وأماني

مَنْ ذلكَ الطفلُ الذي عصمَ الدِّما
وحمى الضعيفَ من القويِّ الجاني

وتناجتِ الأكبادُ حولَ جلالِهِ
بالحبِّ نجوى الحورِ والوِلْدانِ

* * *

مَنْ ذلكَ الطفلُ الفقيرُ يَشِعُّ مِنْ
عينيهِ تاريخٌ وسِفرُ مَعاني

ما شأنُ هذا الطفلِ ما آمالُه؟
فوقَ المنى والشأنِ والسلطانِ

هذا اليتيمُ وسوفَ يغدو وحدَه
رجلَ الخلودِ وواحدَ الأزمانِ

وتحقّقَ الأملُ الجميلُ وأينعتْ
روحُ النبوَّةِ في أجلِّ كِيانِ

حملَ الرسالةَ وحدَه ومضى على
حدِّ السيوفِ وألسنِ النيرانِ

عبرَ المهالكَ والسلامُ سلاحُهُ
يدعو إلى الحسنى، إلى الإحسانِ

وإلى الأمانةِ والبراءةِ والتُّقى
ومحبةِ الإنسانِ للإنسانِ

وإلى التآخي والتصافي والوفا
والبرِّ والعيشِ الظليلِ الهاني

فتجاوبتْ حولَيْه أحقادُ العدا
وتفجّرتْ في الدربِ كالبركانِ

فمشى على نارِ الحُقودِ كأنَّهُ
يمشي على الأزهارِ والغُدْرانِ

وعِدا الحقيقةِ حولَهُ تجتاحُهم
همجيّةٌ دمويّةُ الألوان

وغوايةٌ تُصبي الغويَّ كأنَّها
شيطانةٌ توحي إلى شيطانِ

ومحمدٌ يُلقي الأشعةَ هٰهُنا
وهنا ويفتَحُ مقلةَ الوسنانِ

فطغتْ أعاديهِ عليهِ فردَّهم
بالآيتينِ: الصبرِ والإيمانِ

واقتادَ معركةَ الفدا متفانياً
إن الجهادَ عقيدةٌ وتفاني

والحقُّ لا تحْميهِ إلّا قوةٌ
غضْبى كألسنةِ اللهيبِ القاني

والأرضُ أمُّ الناسِ ميدانُ الوغى
والعاجزونَ فريسةُ الميدانِ

والمجدُ حظُّ مدرَّبٍ ومسلّحٍ
والموتُ حظُّ الأعزلِ المتواني

رفعَ الرسولُ لِوا النبوةِ بالهدى
وحمى الهدى بالرمحِ والفرسانِ

وغزا البلادَ سهولَها ووعورَها
بالقوَّتينِ: السيفِ والقرآنِ

وتراهُ إنْ لمسَتْ يداهُ بقعةً
نشأتْ على الإصلاحِ منهُ يدانِ

وإذا أتتْ قدماهُ أرضاً أطلعتْ
خُطواتُهُ فجراً بكلِّ مكانِ

إنَّ الزعامةَ قوةٌ وعدالةٌ
وشجاعةٌ سمحا وقلبٌ حاني

* * *

يا خيرَ منْ حملَ الرسالةَ والتُّقى
في عزمِ روحٍ في أرقِّ جَنانِ

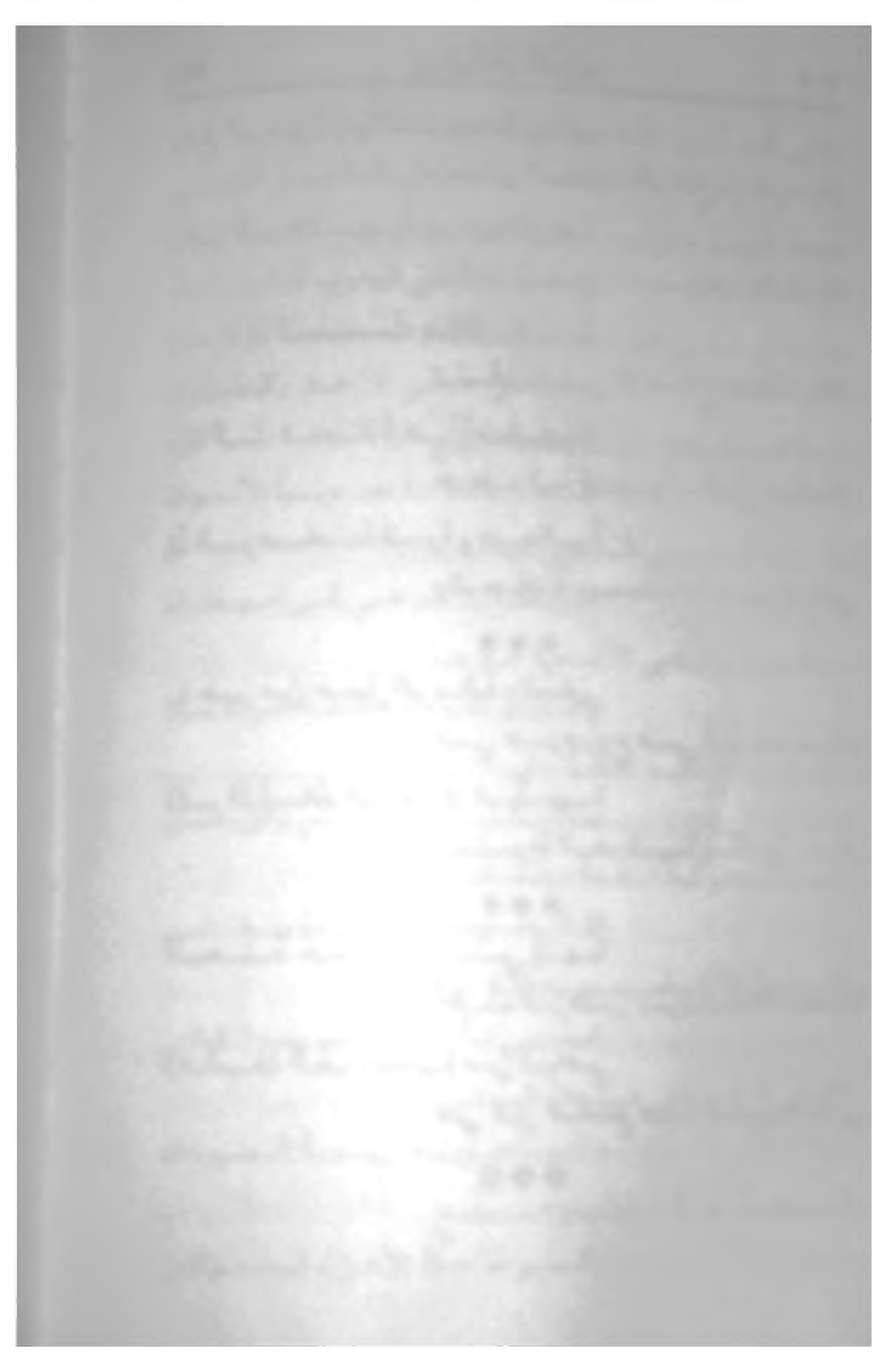
ذكراكَ آياتُ الزمانِ كأنَّها
أنشودةُ العليا بكلِّ زمانِ

* * *

أمحمّدُ خُذْ بنتَ فنّي إنَّها
أختُ الزهورِ بريئةُ الألحانِ

وعليكَ ألفُ تحيّةٍ منْ شاعرٍ
في كلِّ عضوٍ منهُ قلبٌ عاني

❁❁❁





في
طريق الفجر



إلى قارئي

٢٢ ـ ٢ ـ ١٣٨٣هـ ١٤ ـ ٧ ـ ١٩٦٣م

مِن القبرِ مِنْ حشرجاتِ الترابْ
على الجمرِ مِنْ مهرجانِ الذُّبابْ

ومِنْ حيثُ كانَ يدقُّ القطيعُ
طبولَ الصَّلاةِ أمامَ الذئابْ

ويهوي كما يرتمي في الصّخورِ
قتيلٌ على كتفيْهِ... مُصابْ

ومنْ حيثُ كانتْ كؤوسُ الجراحِ
تزغردُ بينَ شفاهِ الحِرابْ

ومنْ حيثُ يحسو حنينُ الربى
غبارَ المنى ونجيعَ السّرابْ

ومنْ حيثُ يتلو السّؤالُ السؤالَ
ويبتلعُ الذعرُ وَهْمَ الجوابْ

عزفتُ اصفرارَ الرّمادِ العجوزِ
ليحمرَّ فيهِ طفورُ الشَّبابْ

وحرّقتُ أنفاسيَ المطفئاتِ
وأطفأتُها بالحريقِ المُذابْ

أتشتَمُّ يا قارئي في غِناي
دُخانَ المغنّي وشَهقَ الرَّبابْ؟

وتسمعُ فيهِ أنينَ الضَّياعِ
تبعثرُهُ عاصفاتُ الضبابْ

فإنَّ حروفي اختلاجُ السهولِ
وشوقُ السواقي، وخفْقُ الهِضابْ

وشوقُ الرحيقِ بصدرِ الكروم
إلى الكأسِ والثلجِ في كلِّ بابْ

وخوفُ المودّعِ غيبَ النوى
وسهدَ المنى في انتظارِ الإيابْ

أنا منْ غزلتُ انتحارَ الحياةِ
هنا شفقاً منْ زفيرِ العذابْ

ولحّنتُهُ سَحَراً يَختَسي
رؤى الفجرِ بينَ ذراعَيْ كِتابْ

وتنبُضُ فيهِ عروقُ السكونِ
ويمتدُّ في ثلجهِ الإلتهابْ

ويتّقدُ الشوقُ في مقلتيْهِ
ويظمأُ في شفتيْهِ العتابْ

❁ ❁ ❁

في طريقِ الفجر

٢٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٨٢هـ

أسفرَ الفجرُ فانهضي يا صديقَهْ
نقتطفْ سحرَهُ ونحضنْ بريقَهْ

كمْ حننّا إليهِ وهوَ شجونٌ
في حنايا الظلامِ حيْرى غريقَهْ

وتباشيرُهُ خيالاتُ كأسٍ
في شفاهِ الرُّؤَى، ونجوى عميقَهْ

وظمئنا إليهِ وهو حنينٌ
ظامئٌ يُرْعِشُ الخفوقُ شهيقَهْ

واشتياقٌ يقتاتُ أنفاسَهُ الحمـ
ـرَ ويحسو جراحَهُ.. وحريقَهْ

وذهولٌ كأنَّهُ فيلسوفٌ
غابَ في صمتِهِ يناجي الحقيقَهْ

وطيوفٌ كأنَّها ذكرياتٌ
تتهادى من العهودِ السّحيقَهْ

واحتضنّا أطيافَهُ في مآقينا
كما يحضنُ العشيقُ العشيقَهْ

وهـو حـبٌّ يـجـولُ فـي خـاطـرِيْـنـا
جولـةَ الـفـكـرِ في الـمـعـانـي الـدّقيقَـهْ

والـتـقـيـنـا نُـريـقُ دمـعَ الـمـآقـي
فـأبـتْ كـبـريـاؤنـا أنْ نُـريـقَـهْ

واحـتـرقْـنـا شـوقـاً إلـيـهِ وذُبْـنـا
فـي كـؤوسِ الـهـوى لـحـونـاً رقـيـقَـهْ

وانـتـظـرْنـاهُ والـدّجـى يـرعـشُ الـحـلـمَ
عـلـى هـجـعـةِ الـقـبـورِ الـعـتـيـقَـهْ

والـسُّـرى وحـشـةٌ وقـافـلـةُ الـسـ
ـفْـرِ يـخـافُ الـرفـيـقُ فـيـهـا رفـيـقَـهْ

وظـلامٌ لا يـنـظـرُ الـمـرءُ كـفَّـيْـ
ـهِ ولا يُـسـعِـدُ الـشـقـيـقُ شـقـيـقَـهْ

هـكـذا كـانَ لـيـلُـنـا فـتـهـادى
فـجـرُنـا الـطّـلـقُ فـالـحـيـاةُ طـلـيـقَـهْ

* * *

فانظري: «يا صديقتي» رقصةَ الفجرِ
عـلـى خُـضـرةِ الـحـقـولِ الـوريـقَـهْ

مـهـرجـانَ الـشـروقِ يـشـدو ويـنـدى
قُـبُـلاتٍ عـلـى شـفـاهِ الـحـديـقَـهْ

فـانـهـضـي نَـلـثُـمِ الـشـروقَ الـمـغـنّـي
ونـقـبِّـلْ كـؤوسَـه ورحـيـقَـهْ

واخطري يا صديقتي في طريقِ الـ الـ
ـفجرِ كالفجرِ، كـالـعـروسِ الأنـيـقَـهْ

واذكري أننا نعشنا صباهُ
وحدونا، على خطاهُ الرشيقة

وسكبنا في مهدِه دفء قلبيـ
ـنا وأحلامنا العذارى المشوقة

نحن صُغنا أضواءهُ مِنْ هوانا
وفرشنا بالأغنياتِ طريقه

وشدونا في دربِهِ كالعصافـ
ـيرِ.. وشدوُ الغرامِ فيضُ السليقة

لنْ نُطيقَ السكوتَ فالصمتُ للمَيْـ
ـتِ وتأبى حياتُنا أنْ تطيقَهْ

* * *

نحنُ منْ نحنُ؟ نحنُ تاريخُ فكرٍ
وبلادٌ في المُكْرماتِ عريقَة

سبقتْ وهمَها إلى كلِّ مجدٍ
وانتهتْ منهُ قبلَ بدءِ الخليقة

فابسمي: عادَ فجرُنا وهو يتلو
للعصافيرِ مِنْ دِمانا وثيقة

۞۞۞

صراع الأشباح

عقد النوم أهداب الشاعر فطافت به الرؤيا في لا مطاف، وسار في غير درب وصارع في لا صراع، وأفاق الشاعر: يروي قصة الأشباح المتقاتلة في لا قتال. فهل تصدق الأحلام؟

وحـدي ومـقـبـرةٌ جـواري ... والـوهـمُ والأشـبـاحُ داري
والأفـقُ يـشـرَقُ بـالـدّجـى ... ويلوكُ حشرجةَ الدراري[1]
والريحُ تزحفُ كالجنائز ... في حُشودٍ مِنْ غبارِ
والنّجمُ مُحمَرُّ الشُّعا ... عِ كأنّهُ أحلامُ ثارِ
وكأنَّ عينيْه تشهّي ... جارةٍ وحنينُ جارِ
وأنا أتيهُ... كنجمةٍ ... حيْرى، تُفتِّشُ عنْ مدارِ
وكأنّني طيفُ «الفرزدقِ» ... يجتدي ذكرى «نوارِ»
وأرودُ منزلَ غادةٍ ... كالصَّيفِ عاطرةِ المَزارِ
وكأنّني أمشي على حُرَقي ... وأشلاءِ اصطباري
ودنوتُ منها فانتشَتْ ... شفتايَ، واخضرَّ افتراري
ورنتْ إليَّ فتمتمتْ ... ودنتْ، وغابتْ: في التّواري
وأردتُ عُذراً فانطوى ... في خاطري الخجلِ اعتذاري
وهمستُ: أينَ فمي؟ ... وناري في دمي تقتاتُ ناري
ورجعتُ أحملُ في الحشا ... حُرَقاً... كحيّاتِ القفارِ
وأُحاورُ الحسناءَ في صمتي ... فيُذنيها حواري

(١) يشرق: يختنق.

فأطئها حولي رحيقاً ... في كؤوسٍ من نُضارِ
تبدو وتخفَى كالطيوفِ ... وتستقرُّ بلا قرارِ
وتكادُ تَقْلعُ ثوبَها ... حيناً وترمي بالخِمارِ
وأكادُ أحضنُ ظلَّها ... جسداً من الرَّغباتِ عاري
وطفقتُ أزرعُ منْ رمالِ ... الوهمِ كرْماً في الصحاري
فدوَتْ حيالي ضجّةٌ ... غضبى كدمدَمةِ انفجارِ
وسعتْ إليَّ غابةٌ ... تومي بأشداقِ الضواري
وعصابةٌ بَرّاقَةُ الألوانِ ... دامية الشّفار
تمشي فيحترقُ الحصا ... والريحُ تقذفُ بالشَّرارِ
وأحاطَها وَمضُ البروقِ ... فسجّلتْ أخزى اندحار

* * *

واللّيلُ يبتلع السَّنى ... والخوفُ يرتجلُ الطّواري
فتُصارعُ الأشباحُ أشباحاً ... على شرٍّ انتصارِ
وهُنا استجرتُ بساحرٍ ... بادي التُّقى نتنِ الإزارِ
يهذي ويقتَادُ النزيلَ ... إلى لصيقاتِ العثارِ
ويبيعُ ساعاتِ الفجورِ ... لكلِّ بائعةٍ وشاري
لصٌّ يتاجرُ بالخنا ... ويزينُهُ كَذِبُ الوقارِ
ويكادُ يَنْفُرُ بعضُهُ ... منْ بعضِهِ أشقى نِفارِ
ويثُورُ إنْ ناوأتَهُ ... في الإثمِ كالنَّمر المُثارِ
وبلا انتظارٍ كشَّرتْ ... في وجهِهِ (ذاتُ السّوار)
فاهتاجَ وابتدرَ العصا ... ودوت كعاصفةِ الدَّمار
فانقضَّ كالثورِ الذَّبيحِ ... يخورُ، يَخْنَقُ بالخوارِ
ورمتْ به للموتِ يكْـ ... ـنسُهُ إلى دارِ البوارِ

وتـهـافـتَ الـجـيـرانُ فـاتَّـ قَـدَ الـشُّـجـارُ عـلـى الـشّـجـارِ
فـشَـرَدْتُ عـنـهُ كـطـائـرٍ ظـمـآنَ طـارَ مِـنَ الإسـارِ
والـرّيـحُ تَـبْـصـقُـنـي وتَـرو وي لـلـشّـيـاطـيـنِ احـتـقـاري

* * *

وكـأنَّ أنـهـاراً تـنـاديـنـي وتـنـضـبُ فـي الـمـجـاري
فـأعـبُّ مـنْ عـفـنِ الـرُّؤَى وحَـلاً ووهـمـاً مـنْ عُـقـارِ
وأفرُّ منْ نفسي إلى نفسي وأهْـرُبُ مـنْ فِـراري
أهْـوي عـلـى ظـلّـي كـمـا يَـهوي الجدارُ على الجدارِ
وأسـائـلُ الأحـلامَ عـنْ دنـيـا تـرقُّ عـلـى انـكـساري

* * *

لا تَـسْـكُـتـي: لـم أنـتـحـر إنّـي أقـلُّ مـن انـتـحـاري
أنـا مـنْ بـحـثـتُ عـن الـرَّدى فـي كـلِّ رابـيـةٍ وغـارِ
ونَـسـيـتُ مـأتـمَ زوجـتـي وأبـي وحشرجةَ احتضاري

* * *

هـل خَـلْـفَ آفـاقِ الـمـنـى دنـيـا أجلُّ من انـتـظـاري؟!
خـضـراءُ طـاهـرةُ الـجَـنَـى والـرّي، دانـيـةُ الـثّـمـارِ
ومـواسـمٌ تَـنْـدى وتُـولِـمُ لـلـ غـرابِ، ولِـلـهـزَارِ
لـلـقُـبَّـراتِ ولـلـصّـقـورِ ولـلـعـصـافـيـرِ الـصّـغـارِ
إنّـي كـبـرْتُ عـن الـهـوى والـزّيـفِ والـحبِّ الـتِّـجاري
وبـصـقـتُ دنـيـا جـيـفـةٍ تـؤذي وتُـغـري بـالـشِّـعـارِ
وتَـصـوغُ مـنْ قـذرِ الـخـطـا يـا الـسّـودِ رايـاتِ الـفـخـارِ
ومَـلـلْـتُ تـيـهـاً مـيّـتَ الـ ألـوانِ مَـكْـرُورَ الإطـارِ
وسـئـمـتُ أشـبـاحـاً أُدا ريـهـا، وأشـتـمُ مَـنْ أُداري
ولـعـنـتُ وجـهـي الـمـسـتـعـا رَ وكـلَّ وجـهٍ مُـسْـتـعـارِ

وهـفَـتْ إلـيَّ نـسـيـمـةٌ جَـذْلـى كـآمـالِ الـعـذاري
كَـتَـبَـسُّـمِ الأفـراحِ فـي مُـقـلِ الـصَّـبـيّـاتِ الـغـرارِ

* * *

وتَثَاءَبَ الفجرُ الجريحُ كمنْ يـفـيـقُ مـن الـخُـمـارِ(١)
وانـشـقَّ أفـقُ الـغـيـبِ عـنْ عـهـدِ الـمـروءاتِ الـكـبـارِ
وكـأنّ دنـيـا أشـرقـت كـالـحُورِ منْ خلفِ السّتارِ
تلقي المحبّةَ عن يميني والـبـراءَةَ عـن يـسـاري
وسَـرَتْ حـكـايـاتُ الـمـديـ ـنـةِ كـالـخـيـالاتِ الـسّـواري
ووجـدتُـنـي أنـهـارُ وحْـدي واسْـتَـفَـقْـتُ عـلى انـهـياري
ونـهـضـتُ والـدّنـيـا كـمـا كـانـتْ تُـفـاخـر بـالـصـغـارِ
وتـهـاوتِ الـدّنـيـا الـتـي خـلَـقَ افـتـنـانـي وابـتـكـاري
فـوددتُ لـو أُلْـقَـى كِـذَابَ الـلـيـل صِـدْقـاً فـي الـنـهـارِ



عتابٌ ووعيد

١ جمادى الآخرة سنة ١٣٨٠هـ.

وجهت هذه القصيدة إلى الطاغية أحمد في تصور شعري.

لماذا ليَ الجوعُ والقصفُ لك؟
يناشدني الجوعُ أَنْ أسألَكْ

وأغرسُ حقلي فتجنيهِ أنـ
ـتَ، وتُسكرُ منْ عَرقي مِنجلك

لماذا؟ وفي قبضتيْكَ الكنوزُ
تَمُدُّ إلى لقمتي أنْمُلَكْ

وتقتاتُ جوعي وتُدْعى النَزيهَ
وهلْ أصبحَ اللصُّ يوماً مَلَكْ؟

لماذا تسُودُ على شقوتي؟
أجبْ عنْ سؤالي وإنْ أخجلَكْ

ولو لمْ تُجب فسكوتُ الجوا
بِ ضجيجٌ يردِّد: ما أنذلَكْ!

لماذا تدوسُ حشايَ الجريحَ
وفيهِ الحنانُ الذي دلّلك

ودمعي، ودمعي سقاكَ الرحيقَ
أتذكُر: يا نذلُ: كمْ أثملَكْ؟!

فـمـا كـأن أجـهـلـنـي بـالـمـصـيـرِ
وأنـتَ لـكَ الـويـلُ مـا أجـهـلـكْ!

غـداً سـوفَ تـعـرفُـنـي مـنْ أنـا
ويـسـلـبُـكَ الـنُّـبْـلَ مـنْ نَـبَّـلـك

* * *

فـفـي أضـلـعـي، فـي دمـي غـضـبـةٌ
إذا عـصـفـتْ أطـفـأتْ مـشـعـلَـكْ

غـداً سـوفَ تـلـعـنُـكَ الـذكـريـاتُ
ويـلـعـنُ مـاضـيـكَ مـسـتـقـبلَـكْ

ويـرتـدُّ آخِـرُكَ الـمـسـتـكـيـنُ
بـآثـامـهِ يَـزدري أوّلَـكْ

ويـسـتـفـسـرُ الإثـمُ: أيـنَ الأثـيـمُ؟
وكـيـفَ انـتـهـى؟ أيَّ دَرْبٍ سـلـكْ؟

* * *

غـداً لا تـقـلْ تُـبْـتُ: لا تـعـتـذرْ
تـحـسَّـرْ وكَـفِّـنْ هُـنـا مـأمـلـكْ

ولا «لا تَـقُـلْ» أيـنَ مـنّـي غـدٌ؟
فـلا لـمْ تـسـمِّـرْ يـداكَ الـفـلـكْ

غـداً لـنْ أصـفِّـقَ لـركـبِ الـظـلام
سأهـتـفُ: يـا فـجرُ: مـا أجـمـلَـكْ!

۞۞۞

الجناح المحطم

خـطـرةٌ وانـبـرى الـنـذيـرُ وصـاحـا
أَلـحـريـقُ الـحـريـقُ يـطـوي الـجـنـاحـا

وتـعـالـى صـوتُ الـنـذيـرِ وألـوى
أمـلُ الـعـمـرِ وَجْـهَـهُ وأشـاحـا

ودنـا مـنْ هـنـا الـحـريـقُ وأومـا
بـارقُ الـمـوتِ مـنْ هـنـاكَ ولاحـا

ورَنـا الـسَّـفْـر [1] حـولـه لـيـس يـدري
هـل يـرى الـجِـدَّ أمْ يـحـسُّ الـمـزاحـا؟

تـارةً يـرقـبُ الـخـلاصَ وأخـرى
يـرقـبُ الـيـأسَ والـهـلاكَ الـمـتـاحـا

وتـعـايـا حـيـنـاً يـقـلِّـبُ كـفَّـيْـ
ـهِ وحـيـنـاً يـشـدُّ بـالـرّاحِ راحـا

وإذا الـنـارُ تـحـتـوي مـاردَ الـجـوِّ
ويـجـتـاحُـه الـحـريـقُ اجـتـيـاحـا

خـطـوةٌ فـي الـرحـيـلِ واخـتـصـرَ الـمـوتُ
مـسـافـاتِـه الـطـوالَ الـفـسـاحـا

---

(١) السفر بفتح السين: المسافرون.

وأطاحَ الجناحُ بالرّكبِ في الجوّ
وأودى الجناحُ فيه وطاحا

مَنْ رآهُ يخرُّ في الهُوَّةِ الحيْرى
ويستنجدُ الرُّبَى والبطاحا؟

مَنْ رآهُ على الصخورِ رفاتاً
وشظايا تعطي الرَّمادَ الرّياحا؟

منْ رأى الصَّقرَ حينَ مدَّ إلى النّا
رِ جناحاً وللفِرارِ جناحا؟

وهوى الطائرُ الكسيرُ ودوَّى
موكبُ الرُّعبِ مِلْؤهُ وتلاحى

وارتمى يطرحُ الجناحَ المدمّى
مثلما يطرحُ القتيلُ السِّلاحا

* * *

وانطوى الركبُ في السكونِ وأطفتْ
هجعةُ الرملِ عَزْمَه والطِّماحا

وانتهى عمرُهُ وهلْ كاَن إلّا
في مدى النفسِ غدوةً أو رَوَاحا

خلعَ العُمرَ فاطمأنَّ وأغْفى
واستراحتْ جراحُه واستراحا

ماتَ، والشعبُ بينَ جنبيْهِ قلبٌ
خافقٌ يُطعمُ الحنينَ الجراحا

ويَضمُّ البلادَ خلفَ الحنايا
أمنياتٍ وذكرياتٍ مِلاحا

لَـمْ يـكـد شـعـبُـه يـذوقُ هـنـاءً
مـنـهُ حـتـى بـكـى وأبـكـى ونـاحـا

* * *

أيـهـا الـرَّكـبُ! يـا شـهـيـدَ الـمـعـالـي!
هـل رأيـتَ الـحـيـاةَ شـرّاً صُـراحـا!

أمْ فـقـدتَ الـنّـجـاحَ فـي الـعـمـرِ حـتـى
رُحـتَ تـبـغـي عـنـدَ الـمـمـاتِ الـنّـجـاحـا

عـنـدمـا قـبَّـلَ الـثـرى مـنـكَ جُـرحـاً
أورقَ الـتـربُ مـنْ دمـاهُ وفـاحـا

هـكـذا الـمـجـدُ تـضـحـيـاتٌ، وغـبـنٌ
عـمـرُ مـنْ لـمْ يَـخـضْ إلـى الـمـجـدِ سـاحـا

إنـمـا الـمـوتُ والـحـيـاةُ كـفـاحٌ
يـكـسِـبُ الـنـصـرَ مَـنْ أجـادَ الـكـفـاحـا

لا اسـتـراحَ الـجـبـانُ لا نـامَ جـفـنـاه
ولا أدركـتْ خـطـاهُ الـفـلاحـا

إنـمـا الـمـوتُ مَـرَّةٌ والـدَّمُ الـمـهـدورُ
يَـبـقـى عـلـى الـزّمـانِ وشـاحـا

كـمْ جـبـانٍ خـافَ الـرَّدى فـأتـاهُ
وتـخـطّـى سـتـارَهُ واسـتـبـاحـا

ونـفـوسٍ شـحَّـتْ عـلـى الـمـوتِ لـكـنْ
أيُّ مـوتٍ صـانَ الـنـفـوسَ الـشـحـاحـا؟

كمْ مليكٍ يأوي إلى القصرِ ليلاً
ثم يأوي إلى الترابِ صباحاً

* * *

شرعةُ المجدِ أن تصارعَ في المجـ
ـدِ، وتستلَّ للصِّفاحِ صفاحاً

أيها الركبُ! نمْ هنيئاً ودعْنا
نعتسفْ بعدكَ الخطوبَ الجِماحا

ووداعاً يا فتيةَ اليمنِ الخضـ
ـرا وداعاً بحُرقةِ الصدرِ باحا

❁ ❁ ❁

لا تسألي

٢٢ رجب سنة ١٣٧٩هـ كانت ليلة من ليالي الخريف، والظلام ممتد في كل جهة... كأنه مقبرة معلقة في الهواء، وكان يعبر الطريق كالمقيد في الوحل، وما رفيقاه إلاّ ظله وأخته، فلم تسأله وأجاب: وسألها فأجابت... وكان التساؤل والجواب زاد الرحيل.. وهكذا أجاب. وهكذا سأل.

لا تسألي يا أختُ أينَ مجالي؟
أنا في الترابِ وفي السّماءِ خيالي

لا تسأليني أينَ أغلالي سلي
صمتي وإطراقي عنِ الأغلالِ؟

أشواقُ روحي في السماءِ وإنما
قدمايَ في الأصفادِ والأوحالِ

وتوهُّمي في كلِّ أفقٍ سابحٌ
وأنا هنا في الصَّمتِ كالتمثال

أشكو جراحاتي إلى ظلِّي كما
يشكو الحزينُ إلى الخليِّ السّالي

واللَّيلُ منْ حولي يضجُّ وينطوي
في صمتِهِ كالظالمِ المتعالي

يسري وفي طفراتِهِ ووقارِهِ
كسَلُ الشيوخِ وخفّةُ الأطفالِ

وتــخــالُــهُ يــنــســاقُ وهــو مــقــيَّــدٌ
فــتُــحِــسُّــهُ فــي الــدَّرب كــالــزلــزالِ

وأنــا هــنــا أصــغــي وأســمــعُ من هــنــا
خــفــقــاتِ أشــبــاحٍ مــن الأهــوالِ

ورُؤَى كــألــســنــةِ الأفــاعــي حــوَّمــاً
ومــخــاوفــاً كــعــداوةِ الأنــذالِ

وأحِــسُّ قُــدَّامــي ضــجــيــجَ مــراقــدٍ
وتــثــاؤبَ الآبــادِ والآزالِ

وتــنــهُّــداً قــلــقــاً كــأنَّ وراءَهَ
صــخَــبَ الــحــيــاةِ وضــجَّــةَ الأجــيــالِ

والــطَّــيــفُ يــصــغــي لــلــفــراغِ كــأنّــه
لــصٌّ يُــصــيــخُ إلــى الــمــكــانِ الــخــالــي

وكــأنَّــه «الأعــشــى» يــنــاجــي «مــيّــةً»
ويــلــمــلــمُ الــذكــرى مــن الأطــلالِ

والــشُّــهْــبُ أغــنــيــةٌ يــرقــرقُــهــا الــدُّجــى
فــي أفــقــهِ كــالــجــدولِ الــسَّــلــســالِ

والــوهــمُ يــحــدو الــذكــريــاتِ كــمــدلــجٍ
يــحــدو الــقــوافــلَ فــي بــســاطِ رمــالِ

والــرُّعــبُ يــهــوي مــثــلــمــا تــهْــوي عــلــى
ســاحِ الــقــتــالِ جــمــاجــمُ الأبــطــالِ

* * *

وهــنــا تــرقــبــتُ انــهــيــاري مــثــلــمــا
يــتــرقــبُ الــهــدمَ الــجــدارُ الــبــالــي

وسألتُ جزحي هلْ ينامُ ضجيجُهُ؟
وأمَرُّ من ردِّ الجوابِ سؤالي!

وأشدُّ مما خِفْتُ منهُ تخوُّفي
وأشقُّ من وعرِ الطريقِ كلالي!

وأخسُّ من ضعفي غروري بالمنى
واليأسُ يضحكُ كالعجوزِ حيالي!

وأمضُّ من يأسي شعوري أنّني
حيُّ الشّهيّةِ، ميِّتُ الآمالِ

أسري كقافلةِ الظّنونِ وأجتدي
شبحَ الظّلامِ وأهتدي بضلالي

وأسيرُ في الدّربِ الملفّحِ بالدّجى
وكأنّني أجتازُ ساحَ قِتالِ

وأتيهُ والحمّى تولولُ في دمي
وترتِّلُ الرّعشاتِ في أوصالي

* * *

لا تسأليني عنْ مجالي: في الثرى
جَسَدي وروحي في الفضاء العالي

وسألتُها: ما الأرضُ؟ قالتْ إنّها
فلَوَاتُ أوحاشٍ وروضُ صِلالِ(١)

إنْ كنتَ محتالاً قطفتَ ثمارها
أولا: فإنّكَ فرصةُ المحتالِ

---

(١) الصّلال: الحيّات

وأنـا هـنـا أشـقـى وأجـهـلُ شـقـوتـي
وأبـيـعُ فـي سـوقِ الـفـجـورِ جِـمـالـي

* * *

والـعُـمـر مـشـكـلـةٌ ونـحـنُ نـزيـدُهـا
بـالـحـلِّ إشـكـالاً إلـى إشـكـالِ

لا حُـرَّ فـي الـدنـيـا فـذو الـسـلـطـانِ فـي
دنـيـاهُ عـبـدُ الـمـجـدِ والأشـغـالِ

والـكـادحُ الـمـحـرومُ عـبـدُ حـنـيـنِـهِ
فـيـهـا : وربُّ الـمـالِ عـبـدُ الـمـالِ

والـفـارغُ الـمـكـسـالُ عـبـدُ فـراغِـهِ
والـسَّـفْـر عـبـدُ الـحـلِّ والـتّـرحـالِ

والـلّـصُّ عـبـدُ الـلّـيـلِ والـدَّجـالُ فـي
دنـيـاهُ عـبـدُ نـفـاقِـهِ الـدَّجـالِ

لا حُـرَّ فـي الـدنـيـا ولا حـريّـةٌ
إنَّ الـتّـحـررَ خـدعـةُ الأقـوالِ

أَلـنّـاسُ فـي الـدُّنـيـا عـبـيـدُ حـيـاتِـهـم
أبـداً عـبـيـدُ الـمـوتِ والآجـالِ

* * *

وسـألـتُـهـا مـا الـمـوت؟ قـالـتْ: إنَّـهُ
شـطُّ الـخـضـمِّ الـهـائـجِ الـصَّـوَّالِ

وسـكـونُـهُ الـحـانـي مـصـيـرُ مـصـائـرٍ
وهـدوؤُهُ دعـةٌ وعـمـقُ جَـلالِ

مــالــي أحــاذرُهُ وأخــشــى قــولَــهُ
وأنــــا أجــــرُّ وراءَهُ أذيــــالــــي؟!

أنــســاقُ فــي عــمــري إلــيــهِ مــثــلــمــا
تــنــســاقُ أيّــامــي إلــى الآصــالِ

* * *

وسألتُها: فرنتْ وقالتْ: لا تسلْ
دَعني عنِ المفضولِ والمِفضالِ!
أُسْكتْ! فليسَ الموتُ سوقاً عندَهُ
عمرٌ بلا ثمنٍ، وعمرٌ غالي!!

۞۞۞

عذابٌ ولحن

٢١ ربيع الثاني سنة ١٣٨١هـ.

لِـمَـنْ أُرعِـشُ الـوتـرَ الـمـجـهَـدا
وأشـدو ولـيـسَ لـشـدوي مـدى؟

وأُنـهـي الـغـنـاءَ الـجـمـيـلَ الـبـديـعَ
لـكـي أبـدأَ الأحـسـنَ الأجـودا

وأسـتـنـشـدُ الـصَّـمـتَ وحـدي هـنـا
وأخـيـلـتـي تـعـبـرُ الـسّـرمـدا

فـأسـتـرجـعُ الأمـسَ مـنْ قـبـرِهِ
وأهْـوَى غـداً قـبـلَ أنْ يـولـدا

وأسـتـنـبـتُ الـرَّمـلَ بـالأمـنـيـاتِ
زهـوراً، وأسـتـنـطـقُ الـجـلـمـدا

وحـيـنـاً أنـادي ومـا مـنْ مـجـيـبٍ
وحـيـنـاً أجـيـبُ ومـا مـنْ نِـدا

وأبـكـي ولـكـنْ بـكـاءَ الـطـيـورِ
فـيـدعـونـنـي الـشّـاعـرَ الـمـنـشـدا

* * *

لـمـن: أعـزفُ الـدَّمـعَ لـحـنـاً رقـيـقـاً
كـسـحـرِ الـصِّـبـا كـابـتـسـامِ الـهـدى؟

لـعـيـنـيْـكِ نـغّـمـتُ قـيـثـارتـي
وأنـطـقـتُـهـا الـنَّـغَـمَ الأخْـلـدا

أغـنّـيـكِ وحـدي وظـلُّ الـقـنـوطِ
أمـامـي وخـلـفـي كـطـيـفِ الـرَّدى

وأشـدو بـذكـراكِ لـمْ تـسـألـي
لـمـنْ ذلـك الـشّـدوُ أو مـنْ شـدا؟

كـأنْ لـمْ نـكـنْ نـلـتـقـي والـهـوى
يـدلّـلُ تـاريـخَـنـا الأمـردا

وحـبِّي يـغـنّـيـكِ أضـبـى الـلـحـونِ
فـيـحـمـرُّ في وجـنـتـيْـكِ الـصَّـدى

ونـمـشـي كـطـفـلـيْـنِ لـمْ نـكـتـرثْ
بـمـا أصـلـحَ الـدهـرُ أوْ أفـسـدا

ونـزهـو كـأنّـا مـلـكـنـا الـوجـودَ
وكـانَ لـنـا قـبـلَ أنْ يـوجـدا

ومـلـعـبُـنـا جـدولٌ مـنْ عـبـيـرٍ
إذا مـسَّـهُ خَـطْـوُنـا... غـرَّدا

وأفـراحُـنـا كـشِـفـاهِ الـزّهـورِ
تـهـامِـسُـهـا قـبـلاتُ الـنّـدى

أكـادُ أضـمُّ عـهـودَ الـلّـقـاءِ
وألـثُـمُـهـا مَـشـهَـداً مَـشـهـدَا

وأجـتـرُّ مـيـلادَ تـاريـخِـنـا
وأَمْـتَـشِـقُ الـمـهْـدَ والـمـولـدَا

وأذكـرُ كـيـفَ الـتـقـيـنـا هـنـاكَ
وكـيـفَ سـبـقـنـا هـنـا الـمـوعـدا؟

وكيفَ افترقنا على رغمِنا؟
وضِعنا: وضاعَ هوانا سُدَى

حَطَمْنا الكؤوسَ ولمْ نرتوِ
وَعُدتُ أمُدُّ إليها اليَدَا

وأخدعُ بالوهمِ جوعَ الحنينِ
كما يخدعُ الحُلُمُ الهُجَّدا

أحِنُّ فأقتاتُ ذكرى اللِّقا
لعلّي بذكراهُ أنْ أسْعَدا

وأقتطفُ الصَّفوَ منْ وهمِهِ
كما يقطفُ الواهمُ الفرقدا

أتدرينَ أينَ غَرَسْنَا المُنى؟
وكيفَ ذوَتْ قبلَ أنْ نحصدا؟

تذكرتُ فاحترتُ في الذكريا
تِ وحيّرتُ أطيافَها الشرَّدا

إذا قلتُ: كيفَ انتهى حبُّنا؟
أجابَ السؤالُ: وكيفَ ابتدا؟

فأطرقتُ أحسو بقايا البكا
ءِ وقدْ أوشكَ الدَّمعُ أنْ ينفدا

وأبكي مواسمَكِ العاطرا
تِ وأيامَها الغضَّةَ الخُرَّدا[1]

---

(١) الخرَد: الأبكار. م. خريدة.

ومَـنْ فـاتَـهُ الـرَّغـدُ فـي يـومِـهِ
مـضـى يـنـدبُ الـمـاضـيَ الأرغـدا

* * *

أصـيـخـي إلـى قـصَّـتـي إنّـنـي
أقـصُّ هـنـا الـجـانـبَ الأنـكـدا
أمَـضُّ الأسـى أن تـجـورَ الـخـطـوبُ
وأشـكـو فـلا أجـدُ الـمُـسـعِـدا
وأشـقـى ويـشـقَـى بـيَ الـحـاسـدونَ
ومـا نـلـتُ مـا يـخـلـقُ الـحُـسّـدا
عَـلامَ يـعـادونـنـي! لـمْ أجـدْ
سـوى مـا يَـسـرُّ ألـدَّ الـعـدا!
حـيـاتـي عـذابٌ ولـحـنٌ حـزيـنٌ
فـهـلْ لـعـذابـي ولـحـنـي مـدى؟

۞۞۞

قصة من الماضي

شوال سنة ١٣٧٩هـ.

أقصها في هذه الرسالة الشعرية على شقيقي النائي، لعله يذكر ماضينا البعيد إن ألهاه عنه حاضره السعيد. فأنصت إليّ يا شقيقي أعد إليك قطعاً غالية من عمرينا في هذه الرسالة. ما أسخفنا حين نظن الماضي تلاشى وراءنا كالغبار، والذكريات تنشره أمامنا كائناً حياً، فنعيش فيه ولسنا فيه، وما أثقل محن الماضي حين كانت بالأمس محناً نكابدها. وما أجملها اليوم حين أصبحت ذكرى تطل علينا من أجفان الأطياف الآتية من بعيد، فاقرأ فصلاً من ماضيك في هذه القصيدة.

خذْها فديْتُكَ يا شقيقي ... ذكرى أرقَّ من الرَّحيقِ
وألذَّ من نجوى الهوى ... بينَ العشيقةِ والعشيقِ
خُذها أرقَّ من السّنى ... في خضرةِ الروضِ الوريقِ
واذكرْ تهادِينا على ... كوخِ الطفولةِ والطريقِ
وأنا وأنتَ كموثقَيْنِ ... نحنُ في القيدِ الوثيقِ
نمشي كحيْرةِ زورقٍ ... في غضبةِ اللُّجِّ العميقِ
ونساجلُ الغربانَ في الـ ... وديانِ أصواتَ النعيقِ
وإذا ذكرتَ لي الطّعامَ ... أكلتُ أنفاسي وريقي

* * *

أيّامَ كُنّا نسرقُ الرُّمانَ ... في الوادي السحيقِ
ونعودُ منْ خلفِ الطريقِ ... وليلُنا أحنى رفيقِ!
ونخافُ وسوسةَ الرِّياح ... وخطرةَ الطَّيفِ الرشيقِ
حتى نوافي بيتَنا... ... والأهلُ في أشقى مضيقِ

فيصيحُ عمّي والشراسةُ ... في محيّاهُ الصّفيقِ
وهناكَ جَدَّتُنا تناغينا ... مناغاةَ الشفيقِ
تَهَوى الحياةَ وعمرُها ... أوهى من الخيطِ الدّقيقِ
وأبي وأمّي حولَنا ... بينَ التنهُّدِ والشهيقِ
يتشاكيانِ من الطّوى ... شكوى الغريقِ إلى الغريقِ
شكواهما صمتٌ كما ... يشكو الذُّبالُ من الحريقِ
ويحدِّقانِ إلى السكونِ ... ورعشةِ الكوخِ العتيقِ
واللّيلُ ينصتُ للضفادعِ ... وهي تهذي بالنقيقِ
والشهْبُ تلمعُ كالكؤوسِ ... على شفاهٍ منْ عقيقِ

* * *

وجوارُنا قومٌ لهم ... إشراقةُ العيشِ الطليقِ
منْ كلّ غِرٍّ لم يَمِزْ ... بينَ الأغاني والنّهيقِ
وتَظُنُّه رجلاً وخلفَ ... ثيابه وحشٌ حقيقي
وتراهُ يزعمُ شخصَهُ ... منْ جوهرِ المسكِ الفتيقِ
يتحادثونَ عن النُّقودِ ... حديثَ تجّارِ الرقيقِ
يتخيّرونَ ملابساً ... تصبي وتغري بالبريقِ
حتى تراهم صورةً ... للزورِ والجهلِ الأنيقِ
ونماذجاً برّاقةً ... لأناقةِ الخزي العريقِ

* * *

يمشونَ في نسجِ الحريرِ ... فهمْ رجالٌ منْ حريرِ
وكأنّهم منْ خلقِ نسّاجٍ ... وخيّاطٍ قديرِ
لولا خداعُ ثيابِهم ... كسدوا بأسواقِ الحميرِ
فقراءُ منْ خُلقِ الرجالِ ... ويسخرونَ منَ الفقيرِ
ويسائلونَ مع الرجالِ ... عن المشاكلِ والمصيرِ

ومصيرُهم بيتُ البغِيِّ وبيتُ خمّارٍ شهيرِ
وهناكَ بنتٌ غضَّةٌ أحلى من الوردِ المطيرِ
ترنو وفي نظراتِها لغةُ الدَّعارةِ والفجورِ
وحديثُها كالجدولِ السّلسالِ فضيّ الخريرِ
حسناءُ تطرحُ حسنَها للمترفينَ، وللأجيرِ
فجمالُها مثلُ الطبيعة للنّبيلِ... وللحقيرِ
في مشيِها رقصُ الحسانِ وخفَّة الطفلِ الغريرِ
ويكادُ يعشقُ بعضُها بعضاً من الحسنِ المثيرِ
أودى أبوها وهو في إشراقةِ العمرِ القصيرِ
كان امرءاً يجدُ الضعيفُ يمينَه أقوى نصيرِ
يحنو وينشرُ... مالَهُ للطفلِ والشيخِ الكبيرِ
يرعى الجميع فكلُّه قلبٌ سماويُّ الضميرِ
جادتْ يداهُ بما لديهِ وجادَ بالنّفسِ الأخيرِ
فذوتْ صبيّتُه الجميلةُ كالزنابقِ في الهجيرِ
وبكتْ إلى أختي كما يبكي الأسيرُ إلى الأسيرِ
ومشتْ على شوكِ المآسي الحمرِ واليُتمِ المريرِ
ومضتْ تدوسُ الشوكَ والرَّمْضا على القلبِ الكسيرِ
والحزنُ في قسماتِها كالشكِّ في قلبِ الغيورِ
تعرى فتكسوها الطبيعةُ حُلّةَ الحُسْنِ النظيرِ
صبغتْ ملامحَها الطبيعةُ من سنا البدرِ المنيرِ
من وقدة الصيفِ البهيجِ وهدأةِ الّليلِ الضّريرِ
من خفقة الشَّجَرِ الصّبورِ على رياحِ الزمهريرِ
ومن الأشعّةِ والشذى وصراحةِ السماء النميرِ
فتعانقتْ فيها المباهجُ كالأشعّة... والعبيرِ

فجمالُها قُبَلُ الحنينِ وصدرُها أحنى سريرِ!

* * *

قُلْ لي. أتذكرُ يا أخي مَنْ تلكَ جارتُنا الشهيَّةْ؟
هي فوقَ فلسفةِ الترابِ وغلظةِ الأرضِ الدنيَّةْ
رحِمتْ مجانينَ الغوايَةِ فهي مشفقةٌ غويَّةْ
بنتُ الطبيعةِ فهي ظلُّ الحبِّ والدنيا الشّذيَّةْ
كانتْ ربيعَ الأمنياتِ وأغنياتِ الشاعريَّةْ
فانصتْ إليَّ فلمْ تزلْ منْ قصّةِ الماضي بقيَّةْ
جاءتْ بها الذكرى، وما الذكرى؟ خلودُ الآدميَّةْ
حدِّقْ تَرَ ماضيكَ فيها فهيَ صورتُهُ الجليَّةْ
أوّاه! ما أشقى ذكيَّ القلبِ في الأرضِ الغبيَّةْ!

* * *

ما كانَ أذكى «مُرشداً» وأبرَّ طلعتَهُ الزَّكيَّةْ!
كانَ ابتساماتِ الحزينِ وفرحةَ النفسِ الشجيَّةْ
عيناهُ منْ شُعَلِ الرشادِ وكلّهُ منْ عبقريَّةْ
إنْ لمْ يكنْ في الأنبياءِ فروحُهُ المثلى نَبيَّةْ
قتلتْهُ في الوادي اللصوصُ فغابَ كالشمسِ البهيَّةْ
كانَ ابنُ عمي يَزْدَريهِ فلا يضيق من الزَّريَّةْ
ومَنِ ابنُ عمّي؟ جاهلٌ فظٌّ كليْلِ الجاهليَّةْ
يرنو إلينا.. مثلما يرنو العقورُ إلى الضحيَّةْ
تعرى، ويسبحُ في النقودِ وفي الثيابِ القيصريَّةْ
ونذوبُ من حُرَقِ الظماءِ وعندَهُ الكأسُ الرَّويَّةْ
والكأسُ تبسمُ في يديْهِ كابتساماتِ الصبيَّةْ
والكرْمُ في بستانِهِ يلدُ العناقيدَ الجنيَّةْ

حتى تزوّجَ أربعاً أشقتْهُ واحدةٌ شقيّهْ
فكأنَّ ثروتَهَ دخانٌ ضاعَ في غسقِ العشيَّهْ
فهوى إلينا والتقينا كالأسارى في البليَّهْ

* * *

وأتى الخريفُ وكفُّهُ تومي بأشداقِ المنيَّهْ
وتوقّعِ الحيُّ الفَنَا فتغيّرَتْ صُوَرُ القضيَّهْ
وتحرّكَ الفلكُ الدَّؤوبُ فأقبلتْ دنيا رخيَّهْ
وتضوّعَ الوادي بأنسامِ الفراديسِ النّديَّهْ
قلْ لي: شقيقي هلْ ذكرَتَ عهودَ ماضينا القصيَّهْ
خُذْها فديتُك قصَّةً دفّاقةَ النّجوى سخيَّهْ
وإلى التلاقي يا أخي في قصَّةٍ أخرى طريَّهْ
والآنَ أختتمُ الكتابَ ختامُهُ أزكى تحيَّهْ!

أخوك: عبد الله البردّوني

❁❁❁

نحن والحاكمون

شوال ١٣٨١هـ

انشاتُ هذه القصيدة قبل ميلاد الثورة ٢٦ سبتمبر بعام.

أخـي، صَـخـوُنـا كـلُّـهُ مـأتـمُ
وإغـفـاؤنـا ألـمٌ أبـكـمُ

فـهـلْ تـلـدُ الـنـورَ أحـلامُـنـا
كـمـا يَـلِـدُ الـزهـرةَ الـبـرعـمُ؟

وهـلْ تُـنـبـتُ الـكَـرمَ وديـانُـنـا
ويـخـضـرُّ فـي كـرمِـنـا الـموسمُ؟

وهـلْ يـلـتـقـي الـريُّ والـظّـامـئـو
نَ، ويـعـتـنـقُ الـكـأسُ والـمـبـسمُ؟

لـنـا مـوعـدٌ نـحـنُ نـسـعـى إلـيـهِ
ويـعـتـاقُـنـا جـرحُـنـا الـمـؤلـمُ

فـنـمـشـي عـلـى دمِـنـا والـطـريـقُ
يـضـيّـعـنـا والـدّجـى مـعـتـمُ

فـمـنّـا عـلـى كـلِّ شـبـرٍ نـجـيـعٌ
تُـقـبِّـلُـهُ الـشّـمـسُ والأنـجـمُ

* * *

سلِ الـدَّربَ كـيـفَ الـتـقـتْ حـولـنـا
ذئـابٌ مـن الـنّـاسِ لا تـرحـمُ

وتـيـهـنـا وحـكـامُـنـا فـي الـمـتـاهِ
سـبـاعٌ عـلـى خـطـونـا حُـوَّم

يَعيشون فينا كجيشِ المغُولِ
وأدنــى إذا لــوَّح الــمــغــنــمُ

فـهـم يـقـتـنـون ألـوفَ الألـوفِ
ويُـعـطـيـهـمُ الـرشـوةَ الـمـعـدمُ

ويـبـنـون دوراً بـأنـقـاضِ مـا
أبـادُوا مـن الـشـعـبِ أو هـدَّمـوا

أقـامـوا قـصـوراً مـدامـيـكُـهـا
لـحـومُ الـجـمـاهـيـرِ والأعـظـمُ

قـصـوراً مـن الـظـلـمِ جدرانـهُـا
جِـراحـاتُـنـا ابـيـضَّ فـيـهـا الـدَّمُ

* * *

أخـي إنْ أضـاءتْ قـصـورُ الأمـيـرِ
فـقـلْ: تـلـكَ أكـبـادُنـا تُـضـرمُ

وسـلْ: كـيـفَ لِـنّـا لـعنفِ الـطـغـاةِ
فـعـاثـوا هـنـا وهـنـا أجـرمـوا؟

فـلا نـحـنُ نـقـوى عـلـى كـفِّـهـم
ولا هـمْ كـرامٌ فـمـنْ ألـوَمُ؟

إذا نـحـنُ كُـنّـا كـرامَ الـقـلـوبِ
فـمـنْ شـرفِ الـحـكـمِ أن يـكـرُمـوا

وإنْ ظـلـمـونـا ازدراءً بـنـا
فـأدنـى الـدَّنـاءاتِ أنْ يَـظـلِـمـوا

وإنْ أدمـنـوا دمَـنَـا فـالـوحـوشُ
تـعـبُّ الـنّـجـيـعَ ولا تـسـأمُ

وإنْ فـخـروا بـانـتـصـارِ الـلـئـامِ
فـخـذلانُـنـا شـرفٌ مُـرْغـمُ

وسـائـلُـنـا فـوقَ غـايـاتِـهـم
وأسـمـى، وغـايـاتُـنـا أعـظـمُ

فـنـحـنُ نـعِـفُّ وهُـمْ إنْ رأوا
لأدنـاسِـهـم فـرصـةً أقـدمـوا

وإنْ صَـعَـدوا سـلَّـمـاً لـلـعـروشِ
فـأخـزى الـمـخـازي هـو الـسُّـلَّـمُ

* * *

ومـا حـكـمُـهـم؟ جـاهـليُّ الـهـوى
تُـقَـهْـقِـهُ مـن سـخـفِـهِ الأيِّـمُ

وأسـطـورةٌ مـن لـيـالـي «جـديـس»
رواهـا إلـى تـغـلـبٍ «جُـرهـم»

ومـطـعَـمُـهُـمْ رشـوةٌ والـذُّبـابُ
أكـولٌ إذا خَـبُـثَ الـمـطـعـمُ

رأوا هـدأةَ الـشّـعـبِ فـاسـتـذأبـوا
عـلى ساحـةِ الـبغـي واسـتضـغـمـوا[1]

وكـلُّ جـبـانٍ شـجـاعُ الـفـؤاد
عـلـيـكَ، إذا أنـتَ مـسـتـسْـلـمُ

---

(١) استضغموا: تشبهوا بالضياغم وهي الأسود.

وإذعانُنا جرّأَ المفسدينَ
علينا وأغراهمُ المأثمُ

* * *

أخي نحنُ شعبٌ أفاقتْ مناهُ
وأفكارُهُ في الكَرى تحلُمُ

ودولتُنا كلُّ ما عندها
يدٌ تجتني وحَشاً يهضمُ

وغيدٌ بغايا لبسْنَ النُّضارَ
كما يشتهي الجيدُ والمعصمُ

وسيفٌ أثيمٌ يحزُّ الرؤوسَ
وقيدٌ ومُعتَقَلٌ مظلمُ

وطغيانُها يلتوي في الخداعِ
كما يلتوي في الدُّجى الأرقمُ

وكمْ تدَّعي عفّةً والوجودُ
بأصنافِ خِسَّتِها مُفعمُ!

وآثامُها لمْ تسَعْها اللُّغاتُ
ولمْ يَحْوِ تصويرَها مُلهمُ

أنا لمْ أقلْ كلَّ أوزارِها
تنزَّه قولي وعفَّ الفَمُ

تراها تَصُولُ على ضَعفِنا
وفوقَ مآتِمِنا تَبْسمُ

وتُشعِرُنا بهديرِ الطّبول
على أنّها لمْ تزلْ تحكمُ

وتــظــلــمُ شــعــبــاً عــلــى عــلــمِــهِ
ويُــغــضِــبــهــا أنَّــه يــعــلــمُ

وهــل تــخــتــفــي عــنــهُ وهــي الــتــي
بــأكــبــادِ أمَّــتِــهِ تُــولِــمُ؟

وأشــرفُ أشــرافِــهــا ســارقٌ
وأفــضــلُــهــم قــاتــلٌ مــجــرم

* * *

عــبــيــدُ الــهــوى يــحــكــمــونَ الــبــلادَ
ويــحــكــمُــهــم كــلَّــهــم دِرهَــمُ

وتــقــتــادُهــم شــهــوةٌ لا تــنــامُ
وهــم فــي جــهــالــتِــهــم نُــوَّمُ

فــفــي كــلِّ نــاحــيــةٍ ظــالــمٌ
غــبــيٌّ يــســلِّــطُــهُ أظــلــمُ

أيــا مــنْ شــبــعــتــم عــلــى جــوعِــنــا
وجــوعِ بــنــيــنــا. ألــم تُــتْــخَــمــوا؟

ألــمْ تــفــهــمــوا غــضْــبــةَ الــكــادحــيــنَ
عــلــى الــظّــلــمِ؟ لا بــدَّ أنْ تــفــهــمــوا؟



كلنا في انتظارِ ميلادِ فجر

شعبان سنة ١٣٧٨هـ.

كنا تحت سماء البادية عندما أدركنا الليل، وما يزال الطريق طويلاً فزحفنا على الجراح فوق الصخور، وسبحنا بين الرمل والظلام حتى أطل الفجر من شرفة الشرق، فاعشوشب الدرب بالأضواء فإذا هو زهور ونور، والهواء انداء وزجاجات عطر.

هكذا كان سرانا إلى الفجر. وهكذا كان يتحدث الرفاق. وهكذا كان يتردد النداء.

يـا رفـاقَ الـسُّـرى إلـى أيـنَ نـسـري
وإلـى أيـنَ نـحـنُ نـجـري ونـجـري؟

دربُـنـا غـائـمٌ يـغَـطِّـيـهِ لـيـلٌ
فـكـأنّـا نـسـيـرُ فـي جـوفِ قـبـرِ

دربُـنـا وحـشـةٌ وشـوكٌ ووحـلٌ
وسـبـاعٌ حـيـرى، وحـيّـاتُ قـفـرِ

ومـتـاهٌ تـحـيّـر الـصَّـمـتُ فـيـهِ
حـيْـرةَ الـشـكِّ فـي ظـنـونِ «الـمـعرّي»

والـرُّؤى تـنـبـري كـظـمـآنَ تـهـوي
حـولَ أشـواقِـهِ خـيـالاتُ نـهـرِ

والـدُّجى حـولـنـا كـمـشـنـقـةِ الـعـمـرِ
كـوادي الـشـقـا : كـخـيـمـاتِ شـرّ

راقــدٌ فــي الــطــريــقِ يــتّــسِــدُ الــصــمــ
ــتَ، ويــومــي بــألــفِ نــابٍ، وظُــفْــرِ

ذابــلٌ والــنــجــومُ فــي قــبــضــتــيْــهِ
ذابــلاتٌ كــالــغــيــدِ فــي كــفِّ أسْــرِ

* * *

يــا رفــاقَ الــسُّــرى إلــى كــمْ نــوالــي
خــطــوَنــا فــي الــدُّجــى إلــى لا مــقّــرِ؟

أقــلــقَ الــلّــيــلَ والــسُّــكــونَ خــطــانــا
وخــضــبْــنــا بــجــرحِــنــا كــلَّ صــخــرِ

وغــرسْــنــا هــذا الــطــريــقَ جــراحــاً
واجــتــنــيْــنــا الــثــمــارَ حــبّــاتِ جــمــرِ

فــإلــى كــمْ نــســيــرُ فــوق دِمــانــا؟
أيــن أيــن الــقــرارُ هــلْ نــحــنُ نــدري؟

كــلُّــنــا فــي الــسُّــرى حــيــارى ولــكــنْ
كــلُّــنــا فــي انــتــظــارِ مــيــلادِ فــجــرِ

كــلّــنــا فــي انــتــظــارِ فــجــرِ حــبــيــبِ
وانــتــظــارُ الــحــبــيــبِ يُــصــبــي ويُــغــري

يــا رفــاقــي لــنــا مــع الــفــجــرِ وَعْــدٌ
ليت شعري متى يفي؟ ليتَ شعري!

* * *

وهــنــا أدركَ الــفــتــورُ قــوانــا
وانــتــهــى الــزادُ وانــتــهــى كــلُّ ذخــرِ

ومضينا كالطيف تضغي لهزت
سمعنا نغمة كرنات تيشر

فجرخنا السكون حتى بلغنا
بيت حسنا يدعونها أخت عمرو

فقرتنا الحمأ وحسنا شهيا
وحديثا كأنه ذوب سحر

وذهبنا وفي دمانا حنين
جامح يستحر الضلوع ويغري

وطغى حولنا من السفح موج
من ضجيج كأنه هول حشر

فإذا قرية تدير جرابا
وتريش السهام حينا وتبري

فاقتربنا نستكشف الأمر لكن
أي كشف نحسه أي أمر

أعين تقذف اللظى ونفوس
مثخنات تنسل من كل صدر

وجسوم حمر تنوش جسوما
في ثياب من الجراحات حمر

وتهز الخناجر الحمر... أيد
ترتمي كالنسور في كل نحر

وانطفت حومة الوغى فاندفعنا
في سرانا نلف ذعرا بذعر

ورَحَلْنا والّليلُ في قبضةِ الأفـ
قِ كتابٌ يروي أساطيرَ دهرِ

وشددنا جراحَنا وانطلقنا
وكأنّا نشقُّ تيّار... بَحْرِ

* * *

هوَّم الطّيفُ حولَنا فالتَفَتْنا
نحوَهُ كالتفاتِ سَفرٍ لسفْرِ

وسمعنا همساً من الأمسِ يَرْوي
قصَّةَ الفاتحينَ منْ أهلِ «بدرِ»

فنصتْنا للطّيفِ إنصاتَ صبٌ
لمحبٍ يقصُّ قصَّةَ هَجْرِ

وسرى في السكونِ صوتٌ ينادي
يا رفاقَ السّرى وأحبابَ عمري

يا رفاقي تثاءبَ الشرقُ وانسلّتْ
عذارى الصباحِ منْ كلِّ خدرِ

والعصافيرُ تنفضُ الريشَ في الوكرِ
وتنفي النُّعاسَ منْ كلِّ وكرِ

وكأنَّ الشعاعَ أيدٍ من الوردِ
المندّى تهزُّ أهدابَ زهرِ

وكأنَّ الغصونَ أيدي النَّدامى
وشفاهَ الزهورِ أكوابُ خمرِ

ومضى سَيْرُنا وقافلةُ الفجـ
ـرِ تصبُّ الهدى على كلِّ شبرِ

فـإذا دربُـنـا ريـاضٌ تُـغَـنّـي
في السّنا والهوى زجاجاتُ عطرِ

نحن في جدولٍ من النّور يجري
وخُطانا تدري إلى أينَ تجري



عيد الجلوس

٣ جمادى الآخرة ١٣٧٨هـ وجهت هذه القصيدة إلى الطاغية أحمد في عيد جلوسه.

هـذا الـصـبـاحُ الـرَّاقـصُ الـمـتـأودُ
فـتـنٌ مُـهَـفْـهَـفَـةٌ وسـحـرٌ أغـيـدُ

ومـبـاهـجٌ مـا إنْ يـروقُـكَ مـشـهـدٌ
مـنْ حسنِـه حتـى يـشـوقَـكَ مـشـهـدُ

أَلفجرُ يصبو في السُّفوحِ وفي الرُّبى
والرَّوضُ يـرتـشـفُ الـنّـدى ويـغـرِّدُ

والـزَّهـرُ يـحـتـضـنُ الـشـعـاعَ كـأنّـهُ
أمٌّ تـقـبِّـلُ طـفـلـهـا وتـهَـدْهِـدُ

فـي مـهـرجـانِ الـنّـورِ لاحَ عـلـى الـمـلا
عـيـدٌ يـبـلـورهُ الـسّـنـا... ويـورِّدُ

فـهـنـا الـمـفـاتـنُ والـمـبـاهـجُ تـلـتـقـي
زُمَـراً تـكـادُ مـن الـجـمـالِ تـزغـردُ

***

عـيـدَ الـجـلـوس أعـزْ بـلَادك مـسـمـعـاً
تـسـألـك أيـن هـنـاؤهـا؟ هـلْ يـوجـدُ؟

تـمـضـي وتـأتـي والـبـلادُ وأهـلُـهـا
فـي نـاظـريْـكَ كـمـا عـهـدتَ وتـعـهـدُ

يا عيدُ حدِّثْ شعبكَ الظامي متى
يـروَى؟ وهـلْ يَـروى وأيـنَ الـموردُ؟

حدِّثْ ففي فمكَ الضحوكِ بشارةٌ
وطـنـيّـةٌ، وعـلـى جـبـيـنـكَ مـوعِـدُ

فيمَ السُّكوتُ ونصفُ شعبك هٰهُنا
يشقى.. ونصفٌ في الشعوب مشرَّدُ؟

يا عيدُ: هذا الشعبُ ذلَّ نبوغُه
وطوى نوابغَهُ السّكونُ الأسودُ

ضاعتْ رجالُ الفكرِ فيه كأنها
حُلْمٌ يبعثرهُ الدّجى ويبدِّدُ

* * *

للشعبِ يومٌ تستثيرُ جراحُهُ
فيه ويقذف بالرقود المرقد

ولقدْ تراهَ في السّكينةِ.. إنما
خلفَ السكينةِ غضبةٌ وتمرُّدُ

تحتَ الرّمادِ شرارةٌ مَشْبوبَةٌ
ومِنَ الشرارةِ شعلةٌ وتوقُّدُ

لا، لمْ ينمْ ثأرُ الجنوبِ وجرحُهُ
كالنّارِ يُبرقُ في القلوبِ ويُرعدُ

لا، لمْ ينمْ شعبٌ.. يحرّقُ صدرَهُ
جُرحٌ على لهبِ العذابِ مسهَّدُ

شـعـبٌ يـريـدُ ولا يـنـالُ كـأنّـهُ
مـمّا يكـابـدُ في الـجـحـيـمِ... مقيّدُ

* * *

أهـلاً بـعـاصـفـةِ الـحـوادثِ، إنـهـا
فـي الـحـيّ أنـفـاسُ الـحـيـاةِ تُـردَّدُ

لـو هـزَّتِ الأحـداثُ صـخـراً جـلـمـداً
لـدَوى وأرعـد بـالـلـهـيـبِ الـجـلـمـدُ

بـيـنَ الـجـنـوبِ وبـيـنَ سـارقِ أرضِـهِ
يـومٌ تـؤرّخُـهُ الـدّمـا وتـخـلّـدُ!

أَلـشـعـب أقـوى مـن مـدافـعِ ظـالـم
وأشـدُّ مـن بـأس الـحـديـد وأجـلـدُ

والـحـقُ يـثـنـي الـجـيـشَ وهـو عـرمـرمٌ
ويـفـلُّ حـدَّ الـسـيـفِ وهـو مـهـنَّـدُ

لا أمـهـلَ الـمـوتُ الـجـبـانَ ولا نـجـا
مـنـهَ، وعـاشَ الـثـائـرُ الـمـسـتـشـهـدُ

يـا ويـحَ شِـرْذمـةِ الـمـظـالـم عـنـدمـا
تُـطوى ستـائـرُهـا ويـفـضـحُـهـا الـغـدُ!

وغـداً سـيـدري الـمـجـدُ أنّـا أمـةٌ
يـمـنـيّـةٌ شَـمّـا، وشـعـبٌ أمـجـدُ

وسـتـعـرفُ الـدّنـيـا وتـعـرفُ أنّـه
شعـب علـى سـحـق الـطّـغـاة مـعـوّدُ

فليُكبتِ المستعمرونَ بغيظِهم
ولْيخجلوا، وليخسأِ المستعبِدُ

* * *

عيدَ الجلوسِ وهل نصتَّ لشاعرٍ
هنّاكَ وهو عن المسرّةِ مُبْعَدُ؟

فاقْبَلْ رعاكَ اللّهُ تهنئتي وإنْ
صرخَ النشيدُ وضجَّ فيهِ المُنشِدُ

واعذُرْ إذا صبغَ التنهُّدُ نغمتي
بالجرحِ فالمصدورُ قدْ يتنهّدُ

۞ ۞ ۞

رحلة النجوم

شعبان سنة ١٣٨٢هـ.

أيـنَ عـشِّـي وجـدولـي وجِـنـانـي؟
أيــنَ جــوِّي؟ وأيــنَ بَــرُّ أمــانــي؟

أيـنَ مـنّـي بـقـيّـةٌ مـنْ جـنـاحـي!
فـرّ مـنّـي الـجـوابُ، ضـاعَ لـسـانـي

غـيـرَ أنـي أسـائـلُ الـصَّـمـتَ عـنّـي
وانـكـسـارُ الـجـوابِ يـدمـي حـنـانـي

هـل أنـا مِـنْ هـنـا؟ وهـلْ لـي مـكـانٌ؟
أنـا مِـنْ لا هـنـا، ومـنْ لا مـكـانِ

كـمْ إلـى كـمْ أمـشـي، ودربـي ظـنـونٌ
ومـداهُ قـاصٍ عـنْ الـوهـمِ دانِ؟

وسـأبـقـى أسـيـرُ فـي غـيـر دربٍ
مـن تـرابٍ، دربـي ظـنـونُ الأمـانـي

وأعـانـي مُـرَّ الـسّـؤالِ، ويـتـلـو
هُ سـؤالٌ أمـرُّ مـمـا أُعـانـي

هـلْ هـنـا مـوطـنـي؟ وأصـغـي: وهـلْ
لـي مـوطـنٌ غـيـرُهُ عـلـى الأرضِ ثـانـي؟

* * *

وطني رحلةُ النّجومِ فأهلي
وأحِبّائي النجومُ الرّواني

وديـاري تيهُ الخيالِ وزادي
ذكرياتي والأغنياتُ دِناني

فليخنّي الزَّمانُ والشَّعبُ إنّي
شعبُ شعبي، أنا زمانُ الزَّمان

يتلاقى الزَّمانُ والشعبُ في روحي
شجيَّيْنِ يعْزِفانِ كياني

منْ أنا؟ شاعرٌ، حريقٌ يغنّي
وغنائي دمي، دخانُ دخاني

فحياتي سرُّ الحياةِ وشدوي
لحنُ ألحانِها، معاني المعاني

وضياعي سياحةُ العِطر في الريـ
حِ، وتيهي مزارعٌ منْ أغاني



زحف العروبة

١٩٥٨م

لـبَّـيْـكَ وازدحـمـتْ عـلـى الأبـوابِ
صـبـواتُ أعـيـادٍ وعـرسُ تـصـابـي

لـبّـيـكَ يـا بـنَ الـعُـرْبِ أبـدَع دربُـنـا
فـتـنَ الـجـمـالِ الـمـسـكـرِ الـخـلّابِ

فـتـبـرَّجـتْ فـيـهِ الـمـبـاهـجُ مـثـلـمـا
تـتـبـرَّجُ الـغـادات لـلـعُـزّابِ

واخـضـرَّتِ الأشـواقُ فـيـهِ والـمـنـى
كـالـزّهـرِ حـولَ الـجـدولِ الـمـنـسـابِ

ومـضـى بـهِ زحـفُ الـعـروبـةِ والـدُّنـا
تـرنـو، وتـهـتـفُ عـادَ فـجـرُ شـبـابـي

إنّـا زرعـنـاهُ مُـنًـى وجـمـاجـمـاً
فـنـمـا وأخـصـبَ أجـودَ الإخـصـابِ

ويـحـدِّقُ الـتـاريـخُ فـيـهِ كـأنّـهُ
يـتـلـو الـبـطـولـةَ مـنْ سـطـورِ كـتـابِ

* * *

عـادَ الـتـقـاءُ الـعُـرب فـاهـتـفْ يـا أخـي
لـلـفـجـرِ، وارقـصْ حـولَ شـدوِ ربـابـي

واشربْ كؤوسَكَ واسقني نخبَ اللّقا
واسكبْ بقايا الدّنِّ في أكوابي

هٰذي الهتافاتُ السكارى والمنى
حولي تناديني إلى الأنخابِ

خلفي وقدامي هتافُ مواكبٍ
وهوًى يزغردُ في شفاهِ كعابِ

والزّهرُ يهمسُ في الرّياضِ كأنّهُ
أشعارُ حبٍ في أرقِّ عتابِ

والجوُّ منْ حولي يرنِّحهُ الصّدى
فيَهيِمُ كالمسحورةِ المطرابِ

والريحُ ألحانٌ تهازجُ سيرَنا
والشهبُ أكوابٌ من الأطيابِ

إنّا توحّدنا هوًى ومصائراً
وتلاقتِ الأحباب بالأحباب

أترى ديارَ العُرْبِ كيفَ تضافرتْ
فكأنّ «صنعا» في «دمشقَ» روابي

وكأنَّ «مصرَ» و«سوريا» في «مأربٍ»
علمٌ وفي «صنعا» أعزُّ قبابِ

لاقى الشقيقُ شقيقةَ، فاسألهما
كيفَ التلاقي بعدَ طولِ غيابِ؟

* * *

أليومَ ألقى في «دمشقَ» بني أبي
وأبثُّ أهلي في الكنانةِ ما بي

وأبــثُ أجــدادي بــنــي غــسّــانَ فــي
ربــوات «جــلّــقَ» مــحــنــتــي وعــذابــي

وأهــيــمُ والأنــســامُ تــنــشــرُ ذكــرَهــم
حــولــي فــتــنــضــحُ بــالــعــطــورِ ثــيــابــي

وأهــزُّ فــي تُــربِ «الــمــعــرَّةِ» شــاعــراً
مــثــلــي: تــوحَّــدَ خــطــبُــه ومــصــابــي

وأعــودُ أســألُ «جــلَّــقــاً» عــن عــهــدِهــا
«بــأمــيَّــةٍ» وبــفــتــحِــهــا الــغــلّابِ

صُــوَرٌ مــن الــمــاضــي تُــهــامــسُ خــاطــري
كــتــهــامــسِ الــعــشّــاقِ بــالأهــدابِ

* * *

دَعْــنــي أغــرِّدْ فــالــعــروبــة روضــتــي
ورحــابُ مــوطــنِــهــا الــكــبــيــرِ رحــابــي

«فــدمــشــقُ» بُــســتــانــي «ومــصــرُ» جــداولــي
وشــعــابُ «مــكّــةَ» مــســرحــي وشــعــابــي

وســمــاءُ «لــبــنــانٍ» ســمــاي ومــوردي
«بَــردى» ودجــلــةُ والــفــراتُ شــرابــي

وديــارُ «عــمّــانٍ» ديــاري. . . أهــلُــهــا
أهــلــي وأصــحــابُ الــعــراقِ صــحــابــي

بــلْ إخــوتــي ودمُ «الــرشــيــدِ» يــفــورُ فــي
أعــصــابِــهــم ويــضــجُّ فــي أعــصــابــي

* * *

شعبُ العراقِ وإنْ أطالَ سكوتَه
فسكوتُهُ الإنذارُ للإرهابِ

سَلْ عنه سلْ عبدَ الإله وفيصلاً
يبلغْك صرعُهما أتمَّ جوابِ

لنْ يخفضَ الهاماتِ للطاغي ولمْ
تخضعْ رؤوسُ القومِ للأذنابِ

وطنُ العروبةِ موطني أعيادُه
عيدي، وشكوى إخوتي أوصابي

فاتركْ جناحي حيثُ يهوى يحتضنْ
جوَّ العروبةِ جيئتي وذهابي

يابنَ العروبةِ شُدّ في كفي يداً
ننفضْ غبارَ الذلِّ والأتعابِ

فهنا هنا اليمنُ الخصيبُ مقابرٌ
ودمٌ مباحٌ واحتشادُ ذئابِ

ذكّرهُ بالماضي عسى يبني على
أضوائِهِ مجداً أعزَّ جنابِ

ذكّرهُ بالتاريخِ واذكرْ أنّهُ
شعبُ الحضارةِ مشرقُ الأحسابِ

صَنَعَ الحضارةَ والعوالمُ نُوَّمٌ
والدهرُ طفلٌ في مهودِ ترابِ

ومشى على قممِ الدهورِ إلى العلا
وبنى الصروحَ على ربى الأحقابِ

وهدى السبيلَ إلى الحضارةِ والدُّنا
في التيهِ لم تَخلُمْ بلمحِ شِهابِ

فمتى يفيقُ على الشروقِ ويومُه
يبدو ويخفى كالشعاعِ الخابي

* * *

يا شعبُ مزِّقْ كلَّ طاغٍ وانتزعْ
عنْ سارقيكَ مهابةَ الأربابِ

واحذرْ رجالاً كالوحوشِ كسوْتَهم
خِلعاً من «الأجواخِ» والألقابِ

خنقوا البلادَ وجورُهم وعتوُّهم
كلُّ الصوابِ وفصلُ كلِّ خطابِ

لمْ يحسبوا للشعبِ لكنْ عندَهُ
للعابثينَ بهِ أشدُّ حسابِ

صمتُ الشعوبِ على الطغاةِ وعنفِهِمْ
صمتُ الصواعقِ في بطونِ سحابِ

فاحذرْ رجالاً كالوحوشِ همومُهم
سلبُ الحمى والفخرُ بالأسلابِ

شهدوا تقدُّمَكَ السريعَ فأسرعوا
يتراجعونَ بهِ على الأعقابِ

لم يُحسنوا صدقاً ولا كذباً سوى
حيلِ الغبيِّ وخدعةِ المتغابي

* * *

قـلْ لـلإمـامِ وإنْ تـحـفَّـزَ سيـفُـهُ:
أعـوانُـكَ الأخـيـارُ شـرُّ ذئـابِ

يـومـونَ عـنـدكَ بـالـسّجـودِ وعـنـدنـا
يـومـونَ بـالأظـفـارِ والأنـيـابِ

هُـمْ فـي كـراسيِـهـم قـيـاصـرةٌ وهـمْ
عـنـد الأمـيـرِ عـجـائـزُ الـمـحـرابِ

يـتـملَّـقـوَنَ ويـبـلـغـونَ إلـى الـعـلا
بـخِـداعِـهـم وبـأخـبـثِ الأسبـابِ

مـنْ كـلِّ مـعـسـولِ الـنـفـاقِ كـأنَّـهُ
حَـسْـنـا تـتـاجـرُ فـي الـهـوى وتُـرابـي

وغـداً سيـحـتـرقـونَ فـي وهـجِ الـسّنـى
وكـأنَّـهـم كـانـوا خـداعَ سـرابِ

وتفيقُ «صنعاءُ» الجديد على الهدى
والـوحـدةُ الـكـبـرى عـلـى الأبـوابِ



حديث نهدين

كم كانت تسمع حديث نهديها حين يتشاكيان بالخفوق،
أحبت مَن هجرها فاحترقت بعذابين، وكلما أنثال سكون
المساء على مخدعها حرك شجونها وساءلت نفسها:

كيفَ أنساهُ هلْ تَناسيهِ يُجدي؟
وهو والذكرياتُ والشوقُ عندي

وهو أدنى من الأماني إلى القلبِ
وبيني وبينهُ. . . ألفُ بُعْدِ

واشتهاءُ العناقِ يحلمُ في جيـ
ـدي بأنفاسهِ فيمرحُ عِقدي

عندما يهبطُ الظلامُ أراهُ:
ماثلاً في تصوُّراتي وسُهدي

آه إنّي أخالُ زنديْهِ في قدّي
تشدّانني فيختالُ. . . قدّي

فكأنّي أضمُّهُ في فراشي
وهو يجني فمي ويقطفُ خدّي

ثمَّ أصغي إلى الفراشِ فلا أسمعُ
إلَّا حديثَ نهدٍ لنهدِ

حلُمٌ كاليقينِ يدنيهِ منّي،
وخيالٌ يخفيهِ عنّي ويُبدي

فأرى طيفهُ أواناً حنوناً
وأواناً في مقلتيْهِ تعدّي

ليتَ أني أراهُ في صحوةِ الصُّبْح
فماً ضارعاً يغنّي بحمدي

كلّما ذابَ في الخشوعِ تأبّيْتُ
وردّيتُ رغبتي شرّ ردٍّ

وتحدّيتُ ناظريْهِ بإعراضي
وأشعلتُ حبَّهُ بالتّحدّي

وتجاهلتُهُ وقلبي يناديهِ
وجسمي يكادُ يحرقُ بُرْدي

ثُمَّ يجترُّني ويجذبُ جسمي
حِضْنُهُ جذبَ قاهرٍ مستبدِ

وهنا: أحتويهِ بينَ ذراعيَّ
وأطويهِ بينَ لحمي وجلدي

ليتَ لي ما رجوتُ أو ليتني أمْـ
ـحوهُ مني، منْ ذكرياتي ووجدي

ليتني يا جهنّمَ الهجرِ أدري
مَنْ هواهُ ومنْ تبدَّل بعدي؟!

ليتَهُ في الشجونِ مثليَ مهجورٌ
فيشتاقُني ويذكرُ عهدي

ويعاني الجوى، ويشقى كما أشْـ
ـقى، بأطيافِهِ وذكراهُ وحدي

* * *

هكذا ترجمت مُناها ولليـ
ـلِ عبُوسٌ، كأنّهُ مَوجُ حقدِ

والظلامُ الظلامُ في كلِّ مرأى
قَدَرٌ جاثمٌ يُخيف ويردي

صامتٌ والعتوُّ في مقلتيهِ
ظامئٌ كالسّلاحِ في كفِّ وغدِ

والخيالاتُ موكبٌ منْ حيارى
تائهٌ يهتدي وحيرانُ يهدي

وحنين الصَّباحِ في خاطر الأنسام
كالعطر في براعمِ وردِ



هكذا أمضي

رجب سنة ١٣٧٨هـ

سهدتُ وأصباني جميلُ سهادي
فأهرقتُ في النسيانِ كأسَ رقادي

وسامَرتُ في جفنِ السُّهادِ سرائراً
لطافاً كذكرى منْ عهودِ ودادِ

ونادمتُ وحيَ الفنِّ أحسو رحيقَهَ
وأحسو؛ وقلبي في الجوانحِ صادي

إذا رمتُ نوماً قلْقَل الشوقُ مرقدي
وهزَّتْ بناتُ الذكرياتِ وسادي

وهازَجَني منْ أعينِ الليلِ هاتفٌ
من السحرِ في عينيه موجُ سوادِ

لهُ شوقُ مهجورٍ، وفتنةُ هاجرٍ
وأسرارُ حيّ في سكونِ جمادِ

لهُ تارةً طبعُ البخيلِ... وتارةً
لـه خُلُقُ مطواعٍ وطبعُ جوادِ

تدورُ عليهِ الشهبُ وسْنى كأنّها
بقيَّةُ جمرٍ في غضونِ رمادِ

* * *

لكَ اللّهُ يابْنَ الشعرِ كمْ تعصرُ الدُّجى
أغـاريـدَ عـرسٍ أو نـحـيـبَ حـدادِ

تـنـوحُ عـلـى الأوتـارِ حـيـنـاً وتـارةً
تـغـنّـي وحـيـنـاً تـشـتـكـي وتـنـادي

كـأنّـكَ فـي ظـلِّ الـسـكـيـنـةِ جـدولٌ
يـغـنّـي لـوادٍ أوْ يـنـوحُ لـوادي

هو الشعرُ لي في الشعرِ دنيا حدودها
وراءَ الـتـمـنّـي خـلـفَ كـلِّ بـعـادِ

ألا فـلـتـضـقْ عـنـي الـبلادُ فـلـمْ يضقْ
طـمـوحـي وإنْ ضـاقـتْ رحـابُ بـلادي

ولا ضـاقَ صـدري بـالـهـمـوم لأنـهـا
بَـنـاَتُ فـؤادٍ فـيـه ألـفُ فـؤادِ

ولا قهرتْ نفسي الخطوبُ وكمْ غدتْ
تـراوِحُـنـي أهـوالُـهـا وتُـغَـادي

* * *

قـطعتُ طريقَ المجدِ والصَّبرُ وحدَهُ
رفـيـقـي، ومـائـي فـي الـطـريـقِ وزادي

ومـا زلـتُ أمـشـي الـدربَ والـدربُ كـلُّه
مـسـاربُ حـيّـاتٍ وكَـيـدُ أعـادي

ولي في ضميري ألفُ دنيا من المنى
وفـجـرٌ مـن الـذكـرى وروضـةُ شـادي

ولي منْ لهيبِ الشوقِ في حيْرة السُّرى
دلـيـلٌ إلـى الـشـأوِ الـبـعـيـدِ وحـادي

هو الصّبرُ زادي في المسيرِ لغايتي
وإنْ عدتُ عنها فهو زادُ معادي

ولا: لمْ أعذ عنْ غايتي، لمْ أعذ ولمْ
يُكفكفْ عنادُ العاصفاتِ عنادي

فَجُوري عليَّ يا حياةُ أو ارفقي
فلنْ أنثني عنْ وجهتي ومُرادي

فإنَّ الرَّزايا نضجُ روحي وإنّها
غذاءٌ لتاريخي ووَرْيُ زنادي

* * *

سأمضي ولو لاقيتُ في كلِّ خطوةٍ
حسامَ «يزيدٍ» أو وعيدَ «زيادِ»

ألا هكذا أمضي وأمضي ومسلكي
رؤوسُ شياطينٍ وشوكُ قتادِ

ولو أخَّرَتْ رجلي خطاها قطعتُها
وألقيتُ في كفِّ الرياحِ قيادي

فلا مهجتي منّي إذا راعَها الشقا
ولا الرأسُ منّي إنْ حنَتْه عوادي

ولا الروحُ مني إنْ تباكت وإنْ شكا
فؤادي أساهُ فهو ليسَ فؤادي

هو العمرُ ميدانُ الصراعِ وهلْ ترى
فتى شقَّ ميداناً بغيرِ جهادِ؟

❂ ❂ ❂

حين
يصحو الشعب

جمادى الآخرة ١٣٧٩هـ

قيلت هذه القصيدة قبل الثورة بثلاث سنوات.

أُعذرِ الظلمَ وحمِّلنا الملاما
نحنُ أرضعناهُ في المهدِ احتراما

نحنُ دلَّلناهُ طفلاً في الصِّبا
وحملناهُ إلى العرشِ غُلاما

وبنينا بدمانا عرشَهُ
فانثنى يهدمُنا حينَ تسامى

وغرسنا عمرَهُ في دمِنا
فجنيناهُ سُجُوناً وحِماما

* * *

لا تَلُم قادتنا إن ظلموا
ولُمِ الشعبَ الذي أعطى الزِّماما

كيف يرعى الغَنمَ الذئبُ الذي
ينهشُ اللحمَ ويمتصُّ العظاما؟

قدْ يخافُ الذئبُ لو لمْ يلقَ مِنْ
نابِهِ كلَّ قطيعٍ يتحامى

ويـعـفُ الـظـالـمُ الـجـلّادُ لـو
لـمْ تـقـلِّـدْهُ ضـحـايـاهُ الـحُـسـامـا

لا تَـلُـمْ دولـتَـنـا إنْ أشـبـعـتْ
شـرهَ الـمـخـمـورِ مـنْ جـوعِ الـيـتـامـى

نـحـنَ نَـسْـقـيـهـا دمـانـا خـمـرةً
ونـغـنّـيـهـا فـتـزداد أُوَامـا

ونـهـنّـي مـسـتـبـدّاً، زادهُ
جـثـثُ الـقـتـلـى وأكـبـادُ الأيـامـى

كـيـفَ تـصـحـو دولـةٌ خـمـرتُـهـا
مـنْ دمـاءِ الـشـعـبِ والـشـعـبُ الـنـدامـى؟

* * *

آه مـنّـا آه! مـا أجـهـلَـنـا؟!
بـعـضُـنـا يَـعْـمَـى وبـعـضٌ يـتـعـامـى

نـأكـلُ الـجـوعَ ونـسـتـسـقـي الـظـمـا
ونـنـادي «يـحـفـظُ الـلّـهُ الإمـامـا»

سـلْ ضـحـايـا الـظـلـمِ تُـخْـبِـرْ أنّـنـا
وطـنٌ هَـدْهَـدَهُ الـجـهـلُ فـنـامـا

دولـةُ «الأجـواخِ» لا تـحـنـو ولا
تـعـرفُ الـعـدلَ ولا تـرعـى الـذّمـامـا

تـأكـلُ الـشـعـبَ ولا يـسـري إلـى
مُـقـلـتـيْـهـا طـيـفُـه الـعـانـي لِـمـامـا

وهـو يـسـقـيـهـا ويَـظـمـا حـولـهـا
ويـغـذّيـهـا ولـمْ يـمـلـكْ طـعـامـا

تشربُ الدَّمعَ فيُظميها فهل
ترتوي؟ كلّا؛ ولمْ تشبعْ أثاما

عقلُها حولَ يديْها فاتحٌ
فمَهُ يلتقمُ الشعبَ التقاما

* * *

يا زفيرَ الشعبِ: حرّق دولةً
تحتسي منْ جرحكَ القاني مُداما

لا تقلْ: قد سَئِمَتْ إجرامَها
منْ رأى الحيّاتِ قد صارتْ حَماما؟

أنتَ بانيها فجرِّب هدمَها
هدمُ ما شيدتَهُ أدنى مَراما

لا تقلْ فيها قوى الموتِ وقلْ:
ضعفُنا صوَّرها موتاً زؤاما

سوف تدري دولةُ الظلمِ غداً
حينَ يصحو الشعبُ منْ أقوى انتقاما؟

سوفَ تدري لمنِ النّصرُ إذا
أيقظَ البعثُ العفاريتَ النياما

إنّ خلفَ اللّيلِ فجراً نائماً
وغداً يصحو فيجتاحُ الظّلاما

وغداً تخضرُّ أرضي، وترى
في مكانِ الشوكِ ورداً وخُزامى

❁❁❁

لا تقل لي

٢٨ ـ ١١ ـ ١٣٨٢هـ/ ٢٢ ـ ٤ ـ ١٩٦٣م

لا تـقـلْ لـي: سَـبَـقْـتـنـي ولـمـاذا
لا أوالـــي وراءكَ الإنـــطـــلاقـــا؟

لـمْ أسـابـقْـكَ فـي مـجـالِ الـتـدنّـي
والـتـلـوِّي: فـكـيـفَ أرضـى الـلـحـاقـا؟

أنـا إنْ لـمْ يـكـنْ قـريـنـي كـريـمـاً
فـي مـجـالِ الـسّـباقِ عـفـتُ الـسّـبـاقـا

لا تـقـلْ: ضـاعَ فـي الـوحـولِ رفـاقـي
وأضـاعـوا الـضـمـيـرَ والأخـلاقـا

لـمْ أضـيِّـعْ أنـا ضـمـيـري وخُـلْـقـي
وكـفـانـي أنّـي خـسـرتُ الـرّفـاقـا

لا تـقـلْ كـنـتَ صـاحـبـي فـأذْنُ مـنّـي
لـسـتُ أشـري ولا أبـيـعُ نـفـاقـا

لا تـقـلْ لـي أيـنَ الـتـقـيـنـا؟ ولا أيـنَ
افـتـرقْـنـا، فـنـحـنُ لـمْ نـتـلاقَ؟

قـد نـسـيـتُ الـلـقـاءَ يـومـاً وإنّـي
لـسـتُ أدري مـتـى نـسـيـتُ الـفـراقـا؟

لا تـذوّقْ صـراحـتـي فـهـي مـرٌّ
إنـمـا مـنْ تـذوّقَ الـمـرَّ ذاقـا

الطريق الهادر

قالها الشاعر بمناسبة مظاهرة الشباب اليمني التي جرت آخر صفر سنة ١٣٨٢هـ

هُتافٌ هتافٌ وماجَ الصَّدى
وأرغى هنا وهنا أزبدا

وزحفٌ مَريدٌ يقود السَّنا
ويهدي العمالقةَ المُرَّدا

تلاقتْ مواكبُهُ موكباً
يمدُّ إلى كلِّ نجمٍ يداً

عمائمُهُ من لهيبِ البروق
وأعينُهُ من بريقِ الفِدا

أفاقَ فناغتْ صبايا مناهُ
على كلِّ أفقٍ صِباً أغيدا

وهبَّ ودوَّى فضجَّ السكونُ
ورجَّعتِ الريحُ ما ردَّدا

وغنَّى على خطوهِ شارعٌ
ودربٌ على خطوهِ زَغْرَدا

ومنعطَفٌ لحَّنتْ صمتَهُ
خطاهُ ومنعَطَفٌ غرَّدا

مـضـى منشـداً وضـلـوعُ الـطـريـقِ
صـــنـــوجٌ تـــوقُّـــعُ مـــا أنـــشـــدا

وأقـبـلَ يـسـتـرجـعُ الـمـعـجـزاتِ
ويـسـتـنـهـضُ الـمـيْـتَ والـمُـقْـعَـدا

ويـبـدو مـداهُ فـيـمـضـي الـعـنـيـدُ
يـــحـــاولُ أن يـــسْـــبِـــقَ الأغـــنَـــدا

فـتـطـغـى مـشـاهِـدُهُ كـالـحـريـقِ
ويـقـتـحـمُ الـمـشـهـدُ الـمـشـهَـدا

ويـرمـي هـنـا وهـنـاك الـدُّخـانَ
ويـوحـي إلـى الـجـوِّ أن يـرعُـدا

***

هـو الـشَّـعـبُ طـافَ بـإنـذارهِ
عـلـى مَـنْ تـحـدَّاهُ واسـتَـعْـبَـدا

وشـقَّ لُـحـوداً تـعـبُّ الـفـسـادَ
وتـنـجـرُّ تـبـتـلـعُ الـمُـفـسـدا

وأومـا بـحـبَّـاتِ أحـشـائـه
إلـى فـجـرهِ الـخـصـب أنْ يُـولـدا

أشـارَ بـأكـبـادهِ فـالْـتَـقَـتْ
حـشـوداً مـداهـا وراءَ الـمـدى

وزحـفـاً يُـجـنِّـحُ دربَ الـصَّـبـاح
ويـسـتـنـفـرُ الـتـربَ والـجَـلْـمَـدا

ويـنـتـزعُ الـشَّـعـبَ مـن ذابـحـيـهِ
ويُـعـطـي الـخـلـودَ الـحـمـى الأخْـلـدا

ويـهـتـفُ: يـا شـعـبُ شـيِّـد عـلـى
جـمـاجـمـنـا مـجـدَكَ الأمـجـدا

وعِـش مـوسِـمـاً أبـديَّ الـجـنـى
وعَـشْـجِـدْ بـإبـداعِـكَ الـسَّـرمـدا

وكـحّـلْ جـفـونَـكَ بـالـنـيّـراتِ
وصـغْ مـنْ سـنـى فـجـرِكَ الـمِـزْودا

لـكَ الـحـكـمْ أنـتَ الـمـفـدَّى الـعـزيـزُ
عـلـيـنـا ونـحـنُ ضـحـايـا الـفـدا

* * *

ودوَّى الـهـتـافُ: «اسـقـطـوا يـا ذئـابُ»
ويـا رايـةَ الـغـابِ ضـيـعـي سُـدى

وكـرَّ شـبـابُ الـحـمـى فـالـطـريـقُ
ربـيـعٌ تـهـادى وفـجـرٌ بـدا

ومـرَّ يـضـيءُ الـحِـمـى كـالـشـمـوعِ
يـضـيءُ تـوهـجُـهـا مَـعْـبَـدا

ويُـزجـي عـذارى بـطـولاتِـهِ
فـيـتـشـحُ الـجـرحَ والـسـؤددا

ويـغـشـى عـلـى الـظـلـم أبـراجَـهُ
فـيُـزري بـهِ وبـمـا شـيّـدا

ويـكـسـرُ فـي كـفّ طـاغـي الـحـمـى
حُـسـامـاً بـأكـبـادِهِ مـغـمـدا

وتـنـدى خـطـاه دمـاً فـائـراً
يـذيـبُ دمـاً كـادَ أنْ يـجـمـدا

ويلقي على كلِّ دربٍ فتًى
دعتْهُ المروءاتُ فاستشهدا

ويُدني إلى الموتِ حكماً يخوضُ
من العارِ مستنقعاً أسودا

ويجترُّ أذيال «جنكيزِ خان»
ويقتاتُ أحلامَهُ الشُّرَّدا

ويحدو ركابَ الظلامِ الأثيمِ
فيبتلعُ الصَّمتُ رجعَ الحُدا

ويحسو النَّجيعَ ولا يرتوي
فيطغى، ويستعذبُ الموردا

رأى الشعبَ صيداً فأنحى عليهِ
وراضَ مخالبَهُ واعتدى

فهلْ ترتجيهِ؟ ومنْ يرتجي
من الوحشِ إصلاحَ ما أفسدا؟

وهلْ تجتدي ملِكاً شَرُّه
سخيُّ اليدين... عميمُ الجدا؟

وحكماً عجوزاً حناهُ المشيبُ
وما زالَ طغيانُهُ أمردا

تربّى على الوحلِ مِنْ بدئهِ
وشاخَ على الوحْلِ حيثُ ابتدا

فماذا يرى اليومَ؟ جيلاً يمورُ
ويهتفُ: لا عاشَ حكمُ العِدا:

* * *

زحفْنا إلى النصرِ زحفَ اللهيب
وعَرْبَدَ إصرارُنا عربدا

ودُسْنا إليهِ عيونَ الخطوبِ
وأهدابُها كشفارِ المُدَى

طلغنا على مَوْجاتِ الظلام
كأعمدة الفَجر نهدي الهدى

ونرمي الضحايا ونسقي الحقولَ
دماً يبعثُ الموسمَ الأرْغَدا

لنا موعدٌ منْ وراءِ الجراحِ
وها نحنُ نستنجزُ الموعدا

وهلْ يُورقُ النصرُ إلّا إذا
سقى دمُنا روضَهُ الأجردا

أَفَقْنَا فشبَّتْ جراحاتُنا
سعيراً على الذلِّ لنْ يَخْمُدا

رفعْنا الرؤوسَ كأنَّ النجومَ
تخرُّ لأهدابِنا سُجَّدا

وسرْنا نشقُّ جفونَ الصباح
وننضحُ في مقلتيْهِ النّدى

فضجَّ الذئابُ، مَنِ الطافرونَ؟
وكيفَ؟ ومنْ أيقظَ الهُجّدا

وكيفَ استثارَ علينا القطيعَ؟
ومنْ ذا هداهُ؟ وكيفَ اهتدى؟

هُـنـا مَـوْكـبٌ أبـرقـتْ سـحـبُـهُ
عـلـيـنـا وحـشـدٌ هُـنـا أرعـدا

وهـزَّ الـقـصـورَ فـمـادتْ بـنـا
وأشـعـلَ مـنْ تـحـتِـنـا الـمـرقـدا

وكـادتْ جـوانـحُـنـا الـواجـفـاتُ
مـن الـذّعـرِ أنْ تـلـفـظَ الأكـبُـدا

* * *

فـمـاذا رأتْ دولـةُ الـمـخـجـلاتِ؟
قـوًى أنـذرتْ عـهـدهَـا الأنـكـدا

بمنْ تحتمي، واحتمتْ بالرَّصاصِ
وعـسـكـرتِ الـلَّـهَـبَ الـمـوقـدا

ولـحّـنـتِ الـغـدرَ أنـشـودةً
مـن الـنّـارِ تـحـتـقـرُ الـمـنـشـدا

ونـادتْ بـنـادقَـهـا فـي الـجـمـوعِ
فـأخـزى الـمـنـادي جـوابُ الـنّـدا

وهـلْ يـنـفـدُ الـشّـعـبَ إنْ مـزّقـتْـه
قـوى الـشـر؟ هـيـهـات أنْ يـنـفـدا

فـردّتْ بـنـادقُـهـا والـخـسـيـسُ
إذا مـلـك الـقـوّة اسـتـأسـدا

وجـبـنُ الـقُـوى أنْ تُـعـدَّ الـقُـوى
لـتـسـتـهـدفَ الأعـزلَ الـمُـجْـهـدا

وأردى الـــســـلاحِ لأردى الأنـــام
وأجـــوَدُه يــنـــصـــرُ الأجـــودا

ويــومُ الــبـطــولاتِ يـبـلــو الـســلاحَ
إذا كـــانَ وغــداً حـــمـــى الأوغـــدا

فـــأيُّ ســلاحِ حـــمـــى دولـــةً
تـغـطّـي الــمـخـازي بـأخـزى رِدا؟

وتـأتـي بـمـا لـيـسَ تـدري الـشـرورُ
ولا ظــنَّ «إبــلــيــسُ» أنْ يُـعـهَـدا

لــمــنْ وُجِـدَتْ؟ مــنْ أشــذِّ الـشـذو
ذِ ومــنْ أغـبـنِ الـغـبـنِ أنْ تــوجـدا

بَـنَـتْ مـنْ دمِ الـشـعـبِ عـرشـاً خـضـيـبـاً
ورضَّــتْ جــمــاجــمَــهُ مــقــعــدا

وأطــفــتْ شــبــابــاً أضــاءتْ مُـنــاهُ
فــأدمــى الــسّــنــا حـكـمُـهـا الأرمــدا

وسـلْ كـيـفَ مـدَّتْ حـلـوقَ الـردى
إلــيـهِ فـأعـيـا حـلـوقَ الـرَّدى؟

وكــمْ فــرشــتْ دربَــه بـــالـــحـرابِ
فـــراحَ عـــلـــى دمـــه. . . واغـــتـــدى

وروّى الـــتـــرابَ الـــمـــفـــدّى دَمـــاً
مـضـيـئـاً يـصـوغُ الـحـصـى عـسـجـدا

وعـادَ إلـى الـسِّـجـنِ يـذكـي الـنّـجـومَ
عـلـى لـيـلِـهِ فـرقـداً فـرقـدا

ويرنو فينظرُ خضرَ الرؤى
كما ينظرُ الأعزبُ الخُرَّدا

فتختالُ في صدرهِ موجةٌ
من الفجرِ تهوى المدى الأبعدا

ويهمسُ في صمتِه موعِدٌ
إلى الشعبِ لا بدَّ أنْ تسعدا

سينصبُّ فجرٌ ويشدو ربيعٌ
ويخضوضرُ الجدبُ أنّى شدا

فهذي الروابي وتلكَ السّهولُ
حَبالى وتستعجلُ المولدا



حوار جارين

من وحي الصراع السُّلالي بين الهاشمية والقحطانية الذي شجع عليه الإمام أحمد.

خـطـراتٌ وأمـنـيـاتٌ عـذارى
جـنَّـحـتْ وهـمَـهُ فـرقً وطـارا

وسرى في متاهةِ الصَّمتِ يشدو
مـرَّةً لـلـسُّـرى ويـصـغـي مِـرارا

ويناجي الصَّدى ويومي إلى الطيفِ
ويـسـتـنـطـقُ الـرُّبـى والـقـفـارا

وتـعـايـا كـطـائـرٍ ضـيَّـعَ الـوكـرَ،
وأدمـى الـجـنـاحَ... والـمـنـقـارا

لـيس يـدري أيـنَ الـمـصـيـرُ ولـكـنْ
ســاقَـهُ وهـمُـهُ الـجـمـوحُ فـسـارا

وهـنـا ضـجَّ «يـا منـى» أيـنَ نـمـضـي
وإلـى أيِّ غـايـةٍ نـتـبـارى؟

والـطـريـقُ الـطـويـلُ أشـبـاحُ مـوتٍ
عـابـسـاتُ الـوجـوهِ يـطـلـبـنَ ثـارا

موحشٌ يخضِنُ الفراغَ على الصمتِ
كـمـا تَـخـضِـنُ الـريـاحُ الـغـبـارا

تأكلُ الشمسُ ظلَّها في مواميهِ
كما يأكلُ الغروبُ النهارا

* * *

أينَ يا ليلتي إلى أينَ أسْري؟
والمنايا تهيِّئُ الأظفارا

والدّجى هٰهُنا كتاريخ سجّانٍ
وكالحقدِ في قلوبِ الأسارى

يتهادى كهودَجٍ من خطايا
حارَ هاديهِ في القفارِ وحارا

ويهزُّ الرؤى كما هدهدَ السكّيرُ
سكّيرةً تُعاني الخُمارا[1]

والرّؤى تذكرُ الصباحَ المندّى
مثلما يذكرُ الغريبُ الدّيارا

وهي ترنو إلى النجومِ كما تر
نو البغايا إلى عيونِ السّكارى

والأعاصيرُ تركبُ القممَ الحيْرى
كما يركبُ الجبانُ الفرارا

* * *

إيهِ، يا ليلتي وما أكبرَ الأخطا
رَ قالتْ: لا تحتسبْها كبارا!

(١) الرؤى بضم الراء ـ أحلام المنام وهي جمع رؤيا. وقد تستعمل لأحلام اليقظة ويخطئ من يعتبرها رؤية البصر.

قالَ منْ في الوجودِ أقوى من الأخطا
رِ؟ قالتْ: منْ يركبُ الأخطارا!

وتهادى يرجو المفازَ وتغشى
دربَه غمرةٌ فيخشى العثارا

قلقٌ بعضُهُ يحاذرُ بعضاً
ويداهُ تخشى اليمينُ اليسارا

حائرٌ كالظنونِ في زحمةِ الشكِّ
وكاللّيلِ في عيونِ الحيارى

* * *

ولوى جيدَهُ فأومأ إليهِ
قبسٌ شعَّ لحظةً وتوارى

فرأى في بقيَّةِ النورِ شخصاً
كانَ يعتادُهُ صديقاً وجارا

قدماهُ بينَ التعثُّرِ والوحلِ
ودعواه تقطفُ الأقمارا

فتدانى منْ جارهِ ورآه
مثلما ينظرُ الفقيرُ النُّضارا

ودعاهُ إلى المسيرِ فألوى
رأسَهُ وانحنى يطيلُ الإزارا

وثنى عطفَهُ وضجَّ وأرغى
وتعالى ضجيجُهُ وأشارا

فانحنى جارُهُ وقالَ: أجبْني
هلْ ترى صحبتي شناراً وعارا؟

أنتَ مثلي معذَّبٌ فكلانا
صورةٌ للهوانِ تخزي الإطارا

فاطَّرِح بَهرجَ الخداعِ ومزِّقْ
عنْ محيّاكَ وجهَكَ المستعارا

كلُّنا في الضياعِ والتِّيهِ فانهضْ:
ويدي في يديكَ نرفعْ منارا

قال: أينَ الهوانُ؟ فاذكرْ أبانا
إنّهُ كانَ فارساً لا يُجارى

إنّنا لمْ نَهُنْ وأجدادُنا الفرسانُ
كانوا ملءَ الزَّمان فخارا

إنّنا لمْ نهُنْ أما كانَ جدّانا
الحسيبانِ «حِمْيراً ونزارا»

* * *

فانتخى جارُهُ وقالَ: وما الأجدادُ؟
سلْ عنهُمُ البِلى والدمارا

فَخْرُنا بالجدودِ فخرُ رمادٍ
راحَ يعتزُّ أنّهُ كانَ نارا

قد يسرُّ الجدودَ منكَ ومنّي
أنْ يرونا في جبهةِ المجدِ غارا

وهنا أصغيا إلى أنّةِ الأوراقِ
والرّيحُ تعصفُ الأشجارا

فإذا بالشروقِ ينخرُ في اللّيلِ
كما ينخرُ اللّهيبُ الجدارا

وتمادى الحوارُ في العنفِ حتى
أسكتتْ ضجّةُ الصَّباحِ الحوارا

وتراءى الصَّباحُ يحتضنُ السّحرَ
كما تحضنُ الكؤوسُ العُقارا

وبناتُ الشذى تحيّي شروقاً
شاعرياً يعنقدُ الأفكارا

والصَّبا ترعشُ الزهورَ فتومي
كالمناديل في أكفّ العذارى



سلوى

١٦ شعبان ١٣٨٢هـ.

سلوى ويهمسُ في ندائي أملٌ كأغنيةِ الضياءِ
سلوى ويرتدُّ الصَّدى بجوابها: يا لانتشائي
أيُّ المنى تخضرُّ في جدبي وتزهرُ بالهناء
وتعيدُ «تموزاً» وتغزلُ من أشعّتِهِ ردائي
مَنْ ذا إزائي؟ هلْ هنا سلوى؟ «فنَيْسانٌ» إزائي
يشدو أمامي بالشَّذى ويزنبقُ الذكرى ورائي
سلوى، وأصغي، واسمُها بفمي ربيعٌ منْ غِناءِ
وشذا صداها في هواي مواسمٌ بيضُ العطاءِ
وأعودُ أصغي والصَّدى يدنو ويوغلُ في التنائي

* * *

فأفيقُ أبني في مَهَبِّ الرّيحِ عُشاً منْ هباءِ
وعواصفُ المأساةِ تطْ فئني فيحترقُ انطفائي
وأنا أغنّيهِ لأنَّ تحرُّقي عطرُ. . . البقاءِ
والصمتُ حولي كالضغا ئنِ في عيونِ الأدنياءِ
والشُّهدُ أفكارٌ مُعَلَّـ قةٌ بأهدابِ الفضاءِ
والليلُ بحرٌ من دخا نٍ شاطئاهُ من الدّماءِ
جوعانُ يبتلعُ الرُّؤى ويمجُّ دمعَ الأشقياءِ

يهْذي كما يروي المُشعـ ... وذُ معجزاتِ الأنبياءِ
ويعبُ خمراً منْ دمِ ... الذكرى جحيميّ الإناءِ
وأنا هناك روايةٌ ... للحزنِ تبحثُ عنْ «روائي»
أبكي على سلوى أناجيها ... أغنيها... بكائي
وأعيدُ فيها مأتمي ... أو أبتدي فيها عزائي
وحدي أناديها، وعفواً ... نلتقي: في لا لقاءِ
تبدو وتغربُ فجأةً ... كالحلمِ يدنو وهوَ نائي
أو تنثني جذلى كفجرِ الصّيفِ ... في صحوِ الهواءِ
وتَسيلُ في وهمي رحيقاً ... منْ عناقيدِ السّماءِ
وهناكَ أبتدئُ الرحيقَ ... فينتهي قبلَ ابتدائي
فأعودُ أحتضنُ الشّقاءَ ... لأنّني أمُّ الشّقاءِ
ومواكبُ الأشباحِ في جوّي ... كسحيّاتِ العَواءِ
كتثاؤبِ الأحزانِ في ... مُقَلِ اليتامى الأبرياءِ
والظّلمةُ الخرساءُ تُفني ... قريتي قبلَ الفناءِ
وتشدُّ أعينَها وتوصيها ... بصبرِ الأغبياءِ
فيتاجرُ الحرمانُ فيها ... بالصَّلاةِ وبالدُّعاءِ
بالحوْقلاتِ، وبالأنينِ ... وحشرجاتِ الكبرياءِ
ويبيعُ أخلاقَ الرجالِ ... ويشتري عرضَ النّساءِ

* * *

وأنا كأهلي: ميّتٌ ... أحيا كأهلي بادّعائي
وأعيشُ في أوهامِ سلوى ... والأسى زادي ومائي
أشدو لتعذيبي كما ... تشدو البلابلُ للشّتاءِ

والموعدُ المسلولُ يَبسمُ كابتساماتِ المُرائي
ويعيدُ لحناً نائحاً كسُعال أمّي في المساءِ
فتلمُّ بي أطيافُ سلوى كالصَّبيّاتِ الوِضاءِ
وترفُّ حولي موسماً أسخى وأوسعَ منْ رجائي

❁ ❁ ❁

أنا وأنتَ

يا بنَ أمّي أنا وأنتَ سواءٌ
وكلانا غباوةٌ وفُسُولَهْ

أنتَ مثلي مغفّلٌ نتلقّى
كلَّ أكذوبةٍ بكلِّ سهولَهْ

ونسمّي بُخْلَ الرجالِ اقتصاداً
والبراءاتِ غفلةً وطفولَهْ

ونسمّي شراسَةَ الوحشِ طغيا
ناً ووحشيةَ الأناسِ بطولَهْ

ونقولُ: الجبانُ في الشرِّ أنثى
ووفيرُ الشرورِ وافي الرجولَهْ

ونرى أصلَ «عامرٍ» تربةَ الأر
ضِ و«سعداً» نرى النجومَ أصولَهْ

فننادي هذا هجينٌ وهذا
فرقديُّ الجدودِ سامي الخؤولَهْ

نزعمُ الإنتقامَ حزماً وعزماً
وشَروبَ النجيعِ حرَّ الفحولَهْ[1]

* * *

(١) شَروب: بفتح الشين: يعني شارب مكثر.

يـا بـنَ أمـي شـعـورُنـا لـم يـزلْ طـفـلاً
وهـا نـحـنُ فـي خـريـفِ الـكـهـولَـهْ

كـمْ شـغـلْـنـا سـوقَ الـنـفـاقِ فـبـعْـنـا
واشـتـريـنـا بـضـاعـةً مـرذولَـهْ

لا تـلُـمـنـي ولـمْ ألـمْـكَ لـمـاذا؟
يـحـسنُ الـجـهـلُ فـي الـبـلادِ الـجـهـولَـهْ

❁ ❁ ❁

وحدة الشاعر

١٠ رمضان سنة ١٣٨٠هـ.

حُلُم الآتي وذكرى الغابرِ
مسْرَحُ الشعرِ ودنيا الشاعرِ

ذكرياتُ الأمسِ تُغريهِ كما
يفتنُ المهجورَ طيفُ الهاجِرِ

والغدُ المأمولُ في أشواقِهِ
صورةٌ منْ كلِّ حُسْنٍ باهرِ

صورةٌ كالوعدِ منْ أحلى فم
كابتساماتِ اللّقاءِ العاطرِ

وكعيْنيْ طِفْلةٍ ترنو إلى
مقلتيْ طِفلٍ كسولِ الناظرِ

* * *

عالَمُ الشّاعر ذكرى ومُنًى
وحنينٌ كالجحيمِ الهادرِ

يقطِفُ الأحلامَ والذكرى كما
يقطِفُ العنقودَ كفُّ العاصرِ

أيُّ ذكرٍ؟ أيُّ شوقٍ عادني
فإذا قلبي جناحا طائرِ

وإذا الـدنـيـا بـكـفّـي مِـعـزَفٌ
سـاحـرٌ فـي كـفّ شـادٍ مـاهـرِ
تـارةً أشـدو وأصـغـي تـارةً
لـروايـاتِ الـزمـانِ الـسّـاخـرِ
فـيـقـصُّ الـدهـرُ مـن دنـيـا أبـي
ذِكَـراً[1] تُـخـجِـلُ وجـهَ الـذّاكـرِ
وأنـا أحـمـلُ ذكـراه... كـمـا
يـحـمِـلُ الـمـظـلـومُ سـوطَ الـجـائـرِ
وأغـنّـي عِـزَّ أجـدادي الأُلـى
فـخـروا بـالـعـجـزِ فـخـرَ الـقـادرِ
ومَـن الأجـدادُ؟ مـا شـرْعَـتُـهـم؟
شـرعـةُ الـوحـشِ الـغـبـيّ الـكـاسـرِ
ومـخـازيـهـم تـراثٌ خـالـدٌ
ورثـوهُ كـابـراً عـنْ كـابـرِ
كـيـفَ أنـسـى الأمـسَ والـيـومُ ابـنُـه
والـغـدُ الآتـي ولـيـدُ الـحـاضـرِ!
وأنـا ابـنُ الـشـعـرِ قـلـبـي عـالَـمٌ
مـنْ حـنـيـنٍ وحـنـانٍ غـامـرِ
تـرتـمـي الأدهـارُ حـولـي مـثـلـمـا
يـرتـمـي مـوجُ الـعـبـابِ الـمَـائـرِ

(١) ذِكَر بكسر الذال وفتح الكاف: جمع ذكريات.

والـدّنـا فـي عـزلـتـي هـائـمـةٌ
كـهـوى «لـيـلـى» وطـيـفِ «الـعـامـري»
وحـدتـي صـمـتٌ يـغـنـي ورُؤًى
مِنْ عصا «موسى» وعجلِ «السامري»
مـنْ شـذوذِ الـطـفـلِ مـنْ زهـو الـفـتـى
مـنْ أسـى الـشـيـخِ الـفـقـيـرِ الـعـاثـرِ
مـنْ خـيـالاتِ الـشـيـاطـيـنِ ومـنْ
حـكـمـةِ الـرُّسْـلِ ودجـلِ الـسـاحـرِ
مـنْ ضـراعـاتِ الـمـسـاكـيـنِ ومـنْ
خُـيَـلاءِ الـمـسـتـبـدِ الـقـاهـرِ
مـنْ هـوى الـتـاجـرِ فـي الـرّبـحِ ومـنْ
شـبـحِ الإفـلاسِ حـوْلَ الـتـاجـرِ
مـنْ شـكـاوى عـاشـقٍ يـمـشـي عـلـى
قـلـبـهِ نـحـو حـبـيـبٍ... نـافـرِ
وحـدتـي وحـيٌ ودنـيـا مـنْ هـدًى
وضـلالٍ ويـقـيـنٍ حـائـرِ
وحـنـانٍ وانـتـظـارٍ خـائـفٍ
ورجـاءٍ كـابـتـسـامِ الـغـادر
وهـوًى يـضـحـكُ لـلـطـيـفِ كـمـا
يـضـحـكُ الـروضُ لـعـيـنِ الـزائـرِ
وحـدتـي أرجـوحـةٌ مـنْ فِـكَـرٍ
دائـراتٍ كـالـشـروقِ الـدّائـرِ

وبنـاتُ الفـنِّ حولي زُمرٌ
كرياحينِ الربيعِ الزاهرِ

وأنا كالراغبِ المحرومِ في
موكبِ الغيدِ المثيرِ السّافرِ

أشتهي تلكَ فتدنو أختُها
منْ يديَّ كالأبيِّ الصَّاغرِ

حلوةٌ تدنو وتخفى حلْوةٌ
كالسَّنى خلفَ الظلامِ العاكرِ

هذهِ تعطي ولا أسألُها
وأناجي تلكَ نجوى الخاسرِ

ولعوبٌ أجتدي نفحَتها
وهي تأبى وتمنّي خاطري

وعدُها يبعثُ ذكرى «حاتمٍ»
ووفاها صورةٌ منْ «مادِرِ»

كمْ تناديني فتغري لوعتي
وتولّي كالحبيبِ. . . الماكرِ

والدُّجى مقبرةٌ تغفو على
حُلمِ النعشِ ونوحِ القَابرِ

قلِقُ الصّمتِ كرؤيا مومِسٍ
هجعتْ بين ذراعَيْ فاجرِ

كأماني ظالمٍ يرنو إلى
مقلتَيْهِ شبحٌ منْ ثائرِ

خـائـفٌ يـسـري وفـي أعـطـافِـهِ
صَـلَـفُ الـطـاغـي وتـيـهُ الـكـافـرِ

وتـضـيـعُ الـشُّـهـبُ فـي مـوكـبِـهِ
كـخـيـالاتِ الـمـريـضِ الـسَّـاهـرِ

ودخـانُ الـحـقـدِ فـي أهـدابِـهِ
كـالـخـطـايـا فـوقَ عِـرضٍ عـاهـرِ

يـخـطـرُ الـشـيـطـانُ فـيـهِ وعـلـى
شـفـتـيْـهِ قَـهْـقَـهـاتُ الـظـافـرِ

وخـفـوقُ الـصَّـمـت يُـنـبـي أنَّ فـي
سـرِّهِ ضـوضـاءَ زحـفٍ طـافـرِ

والـرّؤى تـشـتـفُّ مِـنْ خـلـفِ الـرُّبـى
مـطـلـعَ الـيـومِ الـهـتـوفِ الـزاخـرِ

وتـبـثُّ الـغـيـبَ شـكـوى تـوبـةٍ
تـتـشـهَّـى بـسـمـةً مـنْ غـافـرِ

وأنـا وحـدي أنـاغـي هـاتـفـاً
مـنْ فـمِ الـوحـي الـشـذيِّ الـطـاهـرِ

وهـدوءُ الـكـوخِ يـسـتـفـسـرُنـي
هـلْ أغـنّـي لـلـفَـراغِ الـسّـادرِ؟

قـلـتُ إنّـي شـاعـرٌ، فـي وحـدتـي
ألـفُ دنـيـا مـنْ طـيـوفِ الـشـاعـرِ

❁❁❁

لقيتها

شعبان ١٣٧٩هـ.

أيـنَ اخـتـفـتْ فـي أيِّ أفـقٍ سـامـي؟
أيـنَ اخـتـفـتْ عـنّـي وعـنْ تَـهْـيـامـي؟
عـبـثـاً أنـاديـهـا وهـلْ ضـيَّـعـتُـهـا
فـي الـلَّـيـلِ أمْ فـي زحـمـةِ الأيّـامِ؟
أمْ في رحابِ الجوّ ضاعتْ؟ لا: فكمْ
بَـثَّـيْـتُ أنـسـامَ الأصـيـلِ غـرامـي
ووقـفـتْ أسـألـهُ وقـلـبـي فـي يـدي
يـرنـو إلـى شـفـقِ الـغـروبِ الـدامـي
وأجابني صمتُ الأصيلِ. . . وكلَّما
أقـنـعـتُ وجْـدي. . زادَ حـرُّ ضـرامـي

* * *

وإذا ذكـرتُ لـقـاءَهـا ورحـيـقـهـا
لاقـيْـتُ فـي الـذكـرى خـيـالَ الـجـامِ
وظـمـئـتُ حـتـى كـدتُ أجـرعُ غـلّـتـي
وأضـجُّ فـي الآلامِ أيـنَ حِـمـامـي
وغـرقـتُ فـي الأوهـامِ أنـشـدُ سـلـوةً
ونـسـجـتُ فـردوسـاً مـن الأوهـامِ

* * *

وأفقتُ منْ وهمي أهيمُ... وراءَها
عبثاً وأحلُمُ أنّها قُدّامي

وأظنُّها خلفي فأرجعُ خطوةً
خلفي... فتنشُرُها الظُّنونُ أمامي

وأكادُ ألمسُها فيبعُدُ ظلُّها
عنّي... وتدني ظلَّها أحلامي

وأعودُ أُنصتُ للسكينةِ والرُّبى
وحكايةِ الأشجارِ والأنسامِ

وأُحسُّها في كلِّ شيءٍ صائتٍ
وأحسُّها في كلِّ حيّ... نامي

في رقّةِ الأزهارِ في همسِ الشَّذى
في تمتماتِ الجدولِ... المترامي

* * *

فتّشتُ عنها الليلَ وهو متيَّمٌ
ألكأسُ في شفتيْهِ وهو الظامي

والغيمُ يخطُرُ كالجنائزِ والدُّجى
فوقَ الرّبى كمشانقِ الإعدامِ

وسألت عنها الصمت وهو قصيدة
منثورةٌ تومي إلى النّظّامِ

ووقفتُ والأشواقُ ترهفُ مسمَعاً
بينَ الظّنونِ كمِسمعِ النمّامِ

والنجمُ كأسٌ عسجديٌّ... ملؤهُ
خمرٌ تحنُّ إلى فمِ «الخيّامِ»

وهمستُ أينَ كؤوسُ إلهامي وفي
شفتيَّ أكوابٌ من الإلهامِ

* * *

والريحُ تخبطُ في السهولِ كأنَّها
حيرى تلوذُ بهدأةِ الآكامِ

وكأنَّ موكبَها... قطيعٌ ضائعٌ
بينَ الذئابِ يصيحُ: أينَ الحامي؟

وتلاحقتْ قطعُ الظلام كأنَّها
في الجوِّ قافلةٌ من الإجرامِ[1]

وتلفَّتَ السّاري إلى الساري كما
يتلفَّتُ الأعمى إلى المُتَعامي

وأنا أهيمُ وراءَها يجتاحُني
شوقٌ وتَقْتادُ الظُّنونُ زمامي

وسألتُ ما حولي وفتشتُ الرُّؤى
وغمستُ في جيبِ الظلامِ هُيامي

فتّشتُ عنها لمْ أجدْها في الدُّنا
ورجعتُ والحمَّى تلوكُ عِظامي

* * *

وأهجتُ آلامي وحبّي فالتظتْ
ولقيتُها في الحبِّ والآلامِ

وتهيأتْ لي في التلاقي مثلما
تتهيأ الحسناءُ للرّسّامِ

---

(١) الاجرام بالكسر: مصدر أجرم.

وتـبـرَّجـتْ لـي كـالـطـفـولـةِ غـضَّـةً
كـفـم الـصَّـبـاح الـمـتـرف الـبـسّـام

وجـمـيـلـةٌ فـوقَ الـجـمـالِ ووصـفِـهِ
وعـظـيـمـةٌ أسـمـى مـن الإعـظـامِ

تـسـمـو كـأجـنـحـةِ الـشّـعـاعِ كـأنَّـهـا
فـي الأفـقِ أرواحٌ بـلا أجـسـامِ

لا: لا تـقـلْ لـي: سـمِّـهـا فـجـمـالُـهـا
فـوقَ الـكـنـايـةِ فـوقَ كـلِّ أسـامـي

إنّـي أعـيـشُ لـهـا وفـيـهـا إنّـهـا
حـبّـي وسـرُّ بـدايـتـي وخـتـامـي

وأُحـبُّـهـا روحـاً نـقـيّـاً كـالـسّـنـى
وأحـبُّـهـا جِـسْـمـاً مـن الآثـامِ

وأحـبُّـهـا نـوراً وحَـيْـرةَ مُـلْـحِـدٍ
وأحـبُّـهـا صـحـواً وكـأسَ مُـدامِ

وأريـدُهـا غـضـبـى وإنـسـانـيَّـةً
وشـذوذَ طـفـلٍ واتِّـزانَ عِـصـامـي

* * *

دَعْـنـي أغـرِّدْ بـاسـمِـهـا مـا دامَ فـي
قَـدَحـي ثـمـالاتٌ مـن الأنـغـامِ

فـتّـشـتُ عـنـهـا وهـي أدنـى مـنْ مُـنـى
قـلـبـي: ومـنْ شـوقـي وحـرِّ أُوامـي

ولـقـيـتُـهـا يـا شـوقُ أيـنَ لـقـيـتُـهـا؟
عـنـدي هـنـا فـي الـحـبِّ والآلامِ

جريح

هو ثائر من أبطال الجنوب، أهاب به داعي الكفاح إلى المعركة، فهب إليها كالعاصف؛ وهناك صارع النار المجنحة فعز عنه النصير، ونفد العتاد وانصب عليه الرصاص، فعاد ملفعاً بالجراح، يئن في الفراش، وينادي الموت... والموت عزيز المرام على من يريده.

لا تسلْ عنْ أنينِهِ وسُهادِهْ
إنَّ في جرحِهِ جراحَ بلادهْ

إنَّ في جرحِهِ جراحاتِ شعبٍ
راكدِ الحسِّ حيُّه كجمادِهِ

ثائرٌ يحملُ البلادَ قلوباً
في حشاهُ وشعلةً في اعتقادهْ

وهبَ الشعبَ قلبَه ودِماهُ
وأحاسيسَهُ وصفوَ وِدَادِهْ

فهو أصواتُهُ إذا ضجَّ في النّـ
ـاسِ ونجوى ضميرهِ في انفرادهْ

إنّه ثائرٌ يريدُ ويَسْمو
فوقَ طاقاتِهِ... سُموَّ مرادهْ

أوقدَ الحقدَ في حناياهُ ثاراً
عاصفاً يستفزُّ نارَ زِنادهْ

* * *

فمضى والعنادُ في مُقْلَتَيْهِ
صارخٌ، والجحيمُ في أحقادهْ

وتلقى الرَّصاصَ منْ كلِّ فجٍّ
وهو ما زالَ في جنونِ عِنادهْ

كلّما أومأَ الفرارُ إليهِ
أمْسَكتْ قبضةُ الوغى بقيادهْ

وتحدَّى الحتوفَ حتى تلظَّتْ
حولهُ وانتهتْ بقايا عَتادهْ

* * *

عادَ كالسيّفِ حاملاً منْ دماهُ
شَفقاً يُخبرُ الدُّنا عنْ جِلادهْ

والجراحُ التي تراها عليهِ
كالعناوينِ في سجلِّ جهادِهْ

وارتمى في الفراشِ والثأرُ فيهِ
ساهرٌ يُنذرُ الوغى بمعادهْ

لمْ ينمْ لحظَةً وإنْ نامَ هزَّتْ
ذكرياتُ الوغى سكونَ وِسادِهْ

وتلظَّتْ فيهِ الجراحُ فأوهتْ
جسمَهُ وانطفا حماسُ اعتدادِهْ

يسألُ الصّمتَ والمنى كيفَ يشفي
كبرياءَ الجراحِ منْ جلّادِهْ

فهو بينَ الطموحِ والعجزِ والأشـ
ـواق كالصَّقرِ في يدَيْ صيّادهْ

لا تَـلُـمْـهُ إذا شَـكَـا إنَّ شـكـواه
وأنَّـاتِـهِ دُخـانُ اتِّـقـادهْ

إنَّ أنـفـاسَـهُ غُـبـارٌ وجـمـرٌ
مـنْ شـظـايـا فـؤادِهِ ورمـادِهْ

كـلّـمـا قـالَ آه! أو صـعّـدَ الأنـفـ
ـاسَ شـاهـدتَ قـطـعـةً مـنْ فـؤادهْ

وإذا صـاحَ جـوعُـهُ فـي الـحـنـايـا
فَـرُفـاتُ الـمُـنـى بـقـيَّـةُ زادهْ

عـمـرُهُ الـمـدلـهـمُّ سـجـنٌ ويُـنـكـي
جُـرحَـهُ أنَّ عُـمـرَهُ فـي ازديـادهْ

فـهـو يـشـقـى فـي يـقـظـةِ الـعـيـنِ بـا
لـشـعـبِ ويـشـقـى بـحـلـمِـهِ فـي رقـادهْ

مـلَّ طـولَ الـحـيـاةِ لا نـالَ مـنـهـا
مـا يُـرجِّـي ولا دنـا مـنْ حـصـادهْ

والـشـقـيُّ الـشـقـيُّ مـنْ مـلَّ طـولَ
الـعـمـرِ والـعـمـرُ لـمْ يـزلْ فـي امـتـدادهْ



بين ليل وفجر

١٣٧٨هـ.

في هجعةِ الليلِ المخيفِ الشاتي
والجوُّ يحلمُ بالصَّباح الآتي

والريحُ كالمحمومِ تهذي والدجى
في الأفقِ أشْباحٌ من الإنْصاتِ

والشُّهبُ أحلامٌ معلَّقة على
أهدابِ تمثالٍ من الظلماتِ

والطيفُ يخبطُ في السكينةِ مثلما
تتخبّطُ الأوهامُ في الشُّبهاتِ

والظُّلمةُ الخرسا تَلَعْثَمُ بالرّؤى
كتلعثمِ المخنوقِ بالكلماتِ

* * *

في ذلكَ الليلِ المخيفِ مضى فتًى
قلقُ الثيابِ مروَّعُ الخطواتِ

يمشي وينظرُ خلفَهُ وأمامَهُ
نظرَ الجبانِ إلى المغيرِ العاتي

ويرى الحتوفَ إذا تلفَّتَ أو رنا
ويُحسُّ أصداءً بلا أصواتِ

ويعودُ يسألُ نفسهُ ما خيفتي؟
ماذا أُحسُّ؟ وأين أين ثباتي؟

ماذا يُخوّفني أنا رجلُ السُّرى؟
وأنا رفيقُ اللّيلِ والفلواتِ

هلْ ليلتي غيرُ الليالي؟ أمْ أنا
غيري. . . أكادُ الآنَ أُنكرُ ذاتي

أينَ الصَّباحُ وأينَ منّي قريتي؟
والرّعبُ قدّامي وفي لفتاتي

* * *

وهنا تراءتْ للمروّعِ عُصبةٌ
كالذّعرِ شيطانيّةُ اللّمَحاتِ

شُعْثٌ كأهلِ الكهفِ إلّا أنَّ في
نظراتِهم همجيّةَ الشهواتِ

وتقلّبتْ مُقلُ العصابةِ في الفتى
وكأنّها تشويهِ[1] بالنّظراتِ

وتخيلتْ «كيسَ النقودِ» فأبرقتْ
رغباتُها في الأعينِ الشّرِهاتِ

وتَمَلْمَلَتْ فيها الشراسةُ مثلما
يتململُ الزّلزالُ في الهضباتِ

والْتاعَ فيها الشرُّ فانهالتْ على
ذاكَ الفتى بالضربِ والطّعَناتِ

---

(١) تشويه: تحرقه حرق الشواء.

فـاسـتـلَّ خـنـجـرَهُ وكـسّـرَ وحـدَهُ
وحـشـيّـةَ الـوثـبـاتِ بـالـوثـبـاتِ

وتـلـفّـتـتْ تـلـكَ الـعـصـابـةُ حـولَـهـا
فـرأتْ بـعـيـنِ الـوهـمِ ظـلَّ سَـراةِ

* * *

وهـنـاكَ لاذتْ بـالـفـرارِ وأدبـرتْ
مـلـعـونـةَ الـرَّوحـاتِ والـغـدواتِ

وغـدتْ يـصـادمُ بـعـضُـهـا بـعـضـاً كـمـا
تـتـصـادمُ الآلاتُ بـالآلاتِ

وجـثـا الـفـتـى بـيـنَ الـجـراحِ كـمـدنـفٍ
يـسـتـنـجـدُ الـعُـوّادَ بـالـزفـراتِ

وتـلـكّـأتْ عـنـدَ الـتـوجّـعِ روحُـهُ
بـيـنَ الـمـمـاتِ وبـيـنَ نـصـفِ حـيـاةِ

وامـتـدَّ فـي حـضـنِ الـطـريـقِ وداؤهُ
حـيٌّ وصـفـرتُـهُ مـن الأمـواتِ

وتـداعـتِ الأوجـاعُ فـيـهِ والـتـظـتْ
فـيـهِ الـجـراحُ الـحـمـرُ كـالـجَـمَـراتِ

وإذا تـهـيّـأ لـلـنـهـوضِ تـشـاءبـتْ
فـيـهِ الـجـراحُ تـشـاؤبَ الـحـيّـاتِ

* * *

وعـلـى يـمـيـنِ الـدّربِ كـوخٌ تـلـتـقـي
فـي صـدرِهِ الـنـكـبـاتُ بـالـنـكـبـاتِ

بينَ القصورِ وبينَهُ مِيلٌ وما
أدنى المكانَ وأبعدَ الرحماتِ!

يشكو إلى جيرانِهِ فيصمُّهم
عنهُ ضجيجُ القصفِ واللّذاتِ

كوخٌ إذا خطرتْ بهِ ريحُ الدُّجى
أوْمَا إلى السّكانِ بالرَّعشاتِ

«سنواتُ يوسفَ» عمرُهُ وجدارُهُ
أبداً تنوءُ بأعجفِ السّنواتِ

فيهِ العجُوزُ وبنتُها وغلامُها
يتذكّرونَ مواردَ الأقواتِ

فالحقلُ جدبٌ ظامئٌ وسماؤهُ
صحوٌ تلوحُ كصفحةِ المِرآةِ[١]

والأغنياءُ، وهلْ ترقُّ قلوبُهم؟
لا، إنّها أقسى من الصَّخراتِ

وتغلغلوا في الصَّمتِ فانتبهوا على
شبحٍ ينادي الصَّمتَ بالأنّاتِ

فإذا فَتَى قلقُ الملامحِ يختفي
تحت الجراحِ الحمرِ والخفقاتِ

فمشى ثلاثتُهم إليهِ وانثنوا
بالضَّيفِ بين الدَّمعِ والآهاتِ

(١) الحقول في بلد الشاعر تكره الصحو، لأن المطر سبب أخصابها.

ورَوى لـهـمْ خبـرَ الـعـصـابـةِ أنّـهـا
سـدَّتْ عـلـيـهِ الـدَّربَ بـالـهـجـماتِ

وتـهـيّـجـتْ فـيـهِ الـجـراحُ فـصـدَّهـا
وتـسـتّـرتْ بـالـلّـيـلِ كـالـحـشـواتِ

فـدنـتْ فـتـاةُ الـكـوخِ تـمـسـحُ وجـهَـهُ
وتـبـلـسـمُ الأجـراحَ بـالـدّعـواتِ

وتـبـلُّ مـنْ دمـهِ يـديْـهـا إنـهـا
تـشـتـمُّ فـيـهِ أعـبـقَ الـنـفـحـاتِ

وتـرى بـهِ مـا لـيـسَ تـدري هـلْ تـرى
سـرَّ الـقـضـا؟ أم آيـةَ الآيـاتِ

فـإذا الـجـراحُ تـنـامُ فـيـهِ ويـشـتـفـي
ويـردُّ عـمـراً كـان وشْـكَ فـواتِ

وإزاءهُ الـبـنـتُ الـجـمـيـلـةُ كـلُّـهـا
روحٌ سـمـاويٌّ وطـهـرُ صـلاةِ

يـتـجـاوبُ الإغـراءُ فـي كـلـمـاتِـهـا
كـتـجـاوبِ الأوتـارِ بـالـنـغـمـاتِ

أغفى الجريحُ على السكونِ وأغمضتْ
أجـفـانَ مـنْ حـولـيـهِ كـفُّ سُـبـاتِ

والـكـوخُ فـي حُـرَقِ الأسـى مُـتـرقّـبٌ
بـشـرى تـرِفُّ عـلـيـهِ كـالـزّهـرات

* * *

والـلّـيـلُ تـمـثـالُ سـجـيـنٌ يـرتـجـي
فـكَّ الـقـيـودِ عـلـى يـدِ الـنَّـحّـات

فبدا احمرارٌ في الظّلام كأنّهُ
لعناتُ حِقدٍ في وجوهِ طغاةِ

وتسلّلَ السَّحرُ البليلُ على الرُّبى
كالحلمِ بينَ الصَّحوِ والغفواتِ

يَندى وينشرُ في البقاعِ أريجَهُ
ويرشُّ دربَ الفجرِ بالنّسَماتِ

وصبتْ على الجبلِ الشموخِ أشعةٌ
مسحورةٌ كطفولةِ القبلاتِ

فكأنّما الجبلُ المعمَّمُ بالسّنى
مَلِكٌ يهزُّ الفجرَ كالرَّاياتِ

رفعَ الجبينَ إلى العلا فتقلَّبتْ
في رأَسِهِ الأضواءُ كالموجاتِ

وتسلّقَ الأفقَ البعيدَ شموخُهُ
فترى عمامتَهُ من الهالاتِ

وتلألأتْ فوقَ السّفوحِ مباسمٌ
ورديّةُ الأنفاسِ والبسماتِ

وانصبَّ تيّارُ الشُّروقِ كأنّهُ
شُعَلُ النبوّةِ في أكفِّ هُداةِ

وغزا الدروبَ فأجفلتْ قُطّاعُها
ووجوهُم تحمرُّ بالصفعاتِ

وتصايحتْ تلك العصابةُ ما أرى؟
هٰذي الجهاتُ المشرقاتُ عداتي

أينَ المفرُّ؟ وأينَ أطلبُ مهرباً؟
والنّورُ يسطعُ منْ جميعِ جهاتي

كيفَ الفِرارُ؟ وليسَ لي كهفٌ ولا
دربٌ فيا لي!! يا لسوءِ مماتي!

وأفاقَ أهلُ الكوخِ حينَ ثقوبُهُ
تومي إلى الأبصارِ بالومضاتِ

فدنا ثلاثتُهم يرونَ جريحَهم
فإذا الفتى في سكرةِ الفرحاتِ

نفضَ النّعاسَ وشدَّ فيهِ جراحَهُ
واستقبلَ الدّنيا بعزمِ أُباةِ

ورمى إلى كفِّ الغلامِ وأمِّه
بعضَ النقودِ ودَعوةَ البركاتِ

وصبا إلى كفِّ الفتاةِ وقالَ: يا
«نجوى» خُذي نخبَ الزّفافِ وهاتي

وطوى الجراحَ وهبَّ يقتادُ السّنى
ويبشِّرُ الأكواخَ بالخيراتِ

ويقودُ تاريخاً ويُنبتُ خَطْوهُ
فجراً ينيرُ مسالكَ القاداتِ

* * *

فضحَ الصَّباحُ المجرمين فأصبحوا
أخبارَ جُرمٍ في فمِ اللَّعَنَاتِ

وتعالتِ الأكواخُ تنظرُ أهلَها
يضعونَ «غارَ النصرِ» في الهاماتِ

لمسَ الرَّبيعُ قلوبَهم وحقولَهم
فاخضوْضَرَتْ بالبشرِ والثمراتِ

والجوُّ يلقي النّورَ في الدنيا: كما
تلقي السُّيولَ مناكبُ الرَّبواتِ

والزَّهرُ في وهنِ الشبابِ مفتّحٌ
فوقَ الغصونِ كأعينِ الفتياتِ

والأفقُ يورقُ بالأشعةِ والنّدى
والأرضُ تمرحُ في حُليٍّ نباتِ

* * *

وهنا انتهى دورُ الجرائمِ وٱبتدا
دورٌ ورِيفُ الظلِّ كالجنّاتِ

فتجمّعَ الإخوانُ بعدَ تفرّقٍ
وانضمَّ شملُ الأهلِ بعدَ شتاتِ

صرعتْ أباطيلَ الدّجنّةِ يقظةٌ
أقوى من الإرهابِ والقوّاتِ

والدَّجْل يذهبُ كالجُفاءِ ولمْ تَدُمْ
إلّا الحقيقةُ فوقَ كلِّ عُتاةِ

إنَّ الحياةَ مآتمٌ تُفضي إلى
عرسٍ وأفراحٌ إلى حسراتِ

لكنَّها بخريفِها وشتائِها
وبصيفِها... حِكَمٌ ودرسُ عظاتِ

فاخترْ لسيرِ العمرِ أيّةَ غايةٍ
إنَّ الحقيقةَ غايةُ الغاياتِ

خطرات

١٣٨٠هـ

قالَ لي: هلْ تُحسُّ حولَك رعبا
وعَجاجاً كالنّارِ طارَ وهبّا؟

فكأنَّ النّجومَ شَهْقَاتُ جرحى
جمدتْ في محاجرِ الأفقِ تَغْبى

قلتُ: إنَّ الطريقَ شبَّ عِراكاً
آدميّاً في أجيفِ الغَنْم... شبّا

فكأنّي أشتمُّ في كلّ شبرٍ
ميتةً تستثيرُ كلباً.. وكلبا

أقوياءٌ تُفني الضّعافَ وتدعو
خِسّةَ الغالبينَ نصراً وكسبا

* * *

قال: إنّا نبكي الضَّعيفَ صريعاً
ونُهنّي القويَّ رغباً ورهبا

زعمَ المرءُ أنّه علّةُ الدنيا
فأشقى ما هبَّ فيها ودبّا

واستباحَ ابنَه وأردى أخاه
وتولّى تراثَ قتلاهُ غصبا

فكأنّ الثّرى رفاتُ ضحايا
زوّرتها السّنونُ طيناً وعشبا

* * *

قلت: لا توقظِ «المعرّي» فيلقى
«أمّ دفرٍ» أغوى خداعاً وأصبى

ويرانا أخسّ من أن يثيرَ الهجو
أو نستحقَّ نقداً وسبّا

لا تُذكّر «أبا العلا» إن جيل اليو
مِ أضرى من جيلِ أمسِ وأغبى

* * *

وهنا قال صاحبي: لا تعامى
فترى ألْمَعَ المحاسنِ ذنْبا

يا أخي: والهوى يُصمُّ ويُعمي
كيف ترضى الهوى دليلاً وركبا؟

فتأمّلْ تجدْ صراعاً... كريماً
وصراعاً جمَّ النذالاتِ خِبّا(١)

وقتيلاً يغفو ويُسْهِرُ ثاراً
وشهيداً يَندى سلاماً وحبّا

ودماً في الثّرى تجمّد جمراً
ودماً في السّماءِ أورق شُهبا

ونفاحاً أخزى هجوماً وتربا
سمّدتْهُ الدّماء فاخضرَّ خِضبا

* * *

---

(١) خبا: بكسر الخاء: لئيما.

وذكـرنـا أنّـا نـسـيـرُ وأغـفـى
جـهـدُنـا والـطـريـقُ مـا زالَ صَـعْـبـا

دربُـنـا كـلُّـهُ عَـجـاجٌ وريـخٌ
كـفّـنـتْ جـوَّهُ رمـاداً وحَـضْـبـا

وظـلامٌ تـألَّـهَ الـشّـرُّ فـيـهِ
وتـمـطّـى شـيـطـانُـهُ فَـتَـنَـبَّـا

وصـراعٌ إن أطـفـأ الـضَّـعـفَ حـربـاً
شـبَّ حـقـدُ الـرَّمـادِ حـربـاً فـحـربـا

* * *

كـيـف نـسـري؟ وراءنـا عـاصـف يـطـ
غـى، وقـدّامـنـا أعـاصـيـر نـكـبـا

يـتـلـهّـى بـخـطـونـا عـبـث الـريـحـيْـن،
دفـعـاً إلـى الأمـامِ وجـذبـا

قـلـت: لـيـت الـمـماتَ يُـنـهـي خـطـانـا
قـال: مـا كـلُّ مـن دعـا الـمـوتَ لـبّـى

يـا رفـيـقـي: أَلـمـوتُ شـرٌّ... وأدهـى
مـنـه... أنّـا نـريـدُهُ وهـو يـأبـى

* * *

قـال لـي: لا تـقـفْ: تـقـوَّ بـزنـدي
فـمـضـيـنـا نـشـدُّ بـالـجـنـبِ جـنـبـا

واتّـحـدنـا جـنـبـاً كـأنّـا اخـتـلـطـنـا
وجـمـعـنـا الـقـلـبـيْـنِ فـي الـجـنـبِ قـلـبـا

فاهتدى سيرُنا كأنَّا فرشنا
لخطانا مباسمَ الفجر دربًا

وانتشى جوُّنا انتشاء النّدامى
وأدار النّجومَ أكوابَ صهبا

يُشعلُ الحبَّ من دجى الأُفقِ فجراً
يسفحُ العطرَ في طريقِ الأحبّا

* * *

ونظرنا في الأفقِ وهو بقايا
من ظلامٍ مُخْمَرَّةُ الوجهِ غضبى

وخيالُ الشّنى يجرّبُ عينيْهِ
فيطوي هُدباً ويفتحُ هدبا

وسألنا: فيم التّعادي؟ وفيمَ
نخضبُ اللّيل بالجراحاتِ خضبًا؟

ولماذا تجني المنايا... بأيدينا
وترمي الحياةَ في التربِ تربا؟

والورى إخوةٌ ففيمَ التّعادي؟
وهو أخزى بَدءاً وأشأمُ عُقبى؟

أتُنا الأرضُ «بعدُ الأمّ» أن
تلقى بنيها صبّاً يعانقُ صبّا

***

مـروءات العدو

شوال سنة ١٣٧٨هـ

يُخوّفني بالنّهبِ والقتلِ ناقمٌ
علـيَّ وهـلْ لـي مـا أخـافُ عـلـيـه؟

إذا رامَ نهبي لم يجدْ ما يرومُهُ
وإن رامَ موتي فالمصيرُ إليـه

إذا سلَّ روحي سلَّني من يدِ الشّقا
وخلّصني من شرِّه بيديْهِ

وأطلقني من سجنِ عمري فقاتلي
عدوٌّ، مروءاتُ الصديقِ لديْهِ

❁ ❁ ❁

مصرع طفل

١٩ رمضان سنة ١٣٧٨هـ

صديقي الأستاذ عبد العزيز المقالح: أتجه إليك بهذه القصيدة التي أستقيها من دمعك على طفلك الوحيد. وها هي القصيدة إليك مع أجمل العزاء:

كيفَ انتهى من قبلِ أنْ يبتدي
هل تنطفي الروحُ ولم توقدِ؟

وكيفَ أنهى السيَّرَ من لم يرحْ
في دربهِ المجهولِ أو يغتدي؟

وافى من الديجورِ يحبو إلى
كهفِ السّكونِ النازحِ الأسودِ

ألقى به المهدُ إلى قبرهِ
لم يقتربْ منهُ ولم يبعدِ

* * *

ما بالُه خفَّ إلى موتِهِ؟
هل كانَ والموتَ على موعدِ؟

ما أقصرَ الشوطَ وأدنى المدى
ما بين عهدِ اللحدِ والمولدِ!

* * *

يا من رأى الطفلَ يعاني الرّدى
ويرفعُ الكفُّ كمنْ يجتدي!

كــأنَّــهُ فــي خــوفِــهِ. . . يــحــتــمــي
بــكــفِّــهِ مــن صــولــةِ الــمــعــتــدي!

وكــلَّــمَــا انــهــالَ عــلــيــهِ انــطــوى
يــلــوذُ بــالــثــوبِ. . . وبــالــمــرقــدِ

وتـــارةً يـــرنـــو إلـــى أمّـــهِ
وتـــارةً يـــلـــقـــي يـــداً فـــي يـــدِ

ومـــرَّةً يـــرجـــو أبـــا مـــشـــفـــقـــاً
ومـــرَّةً يـــرنـــو إلـــى الـــعُـــوَّدِ

* * *

يـــهـــوى أبـــوهُ لـــو يـــذودُ الـــقـــضـــا
عـــنـــهُ وتـــهـــوى الأمُّ لـــو تـــفـــتـــدي

يـــا مـــنْ شـــهـــدتَ الـــطـــفـــلَ فـــي مـــوتِـــهِ
ألـــم تـــمـــتْ مـــن روعـــةِ الـــمـــشـــهـــدِ؟!

* * *

يـــا صـــائـــدَ الـــعـــصـــفـــورِ رفـــقـــاً بـــهِ
فـــلـــم يـــخـــضْ جـــوّاً ولـــم يـــصـــعـــدِ

أنّـــى يـــغـــنّـــي الـــروضَ لـــكـــنَّـــهُ
لـــم يـــنـــشـــقِ الـــروضَ ولـــم يُـــنـــشـــدِ

طـــفـــلٌ كـــعـــصـــفـــورِ الـــرّوابـــي طـــوى
ردا الـــصّـــبـــا مـــن قـــبـــلِ أن يـــرتـــدي

أهـــلَّ فـــي بـــدءِ الـــصِّـــبَـــا فـــانْـــطَـــفَـــا
لـــم يـــهـــدِ حـــيـــرانـــاً ولـــم يَـــهْـــتـــدِ

* * *

ونامَ في حضنِ الهنا مبعَداً
عن الأعادي وعن الحُسَّدِ

عن ضجّة الدنيا وأشرارِها
وعن غبارِ العالَمِ المُفْسِدِ

تدافع الطفلُ إلى قبرِهِ
فنامَ تحتَ الصمتِ كالجلمدِ

ما أسعدَ الطفلَ وأَهْنَا الكرى
على سكونِ المرقدِ المفردِ!

* * *

هنا ثوى الطفلُ وأبقى أباً
يبكي وأماً في البكا السّرمدي

تقول في أسرارِها أمُّهُ:
لو عاشَ سلوى اليومِ، ذخرُ الغدِ!

لو عاشَ لي يا ربُ، لو لم يمتْ
أو ليتَهُ يا ربُّ، لم يوجدِ

* * *

هل خافَ هذا الطفلُ جهدَ السُّرى
فاختزلَ الدَّربَ ولم يجهدِ؟

ما بالُهُ جفَّ وريُّ الصِّبا
حوليهِ والعيشُ الظليلُ النّدي؟!

مضى كطيفِ الفجرِ لم يقتطفْ
من عمرِهِ غيرَ الصِّبا الأرغدِ

لــم يــطــعَــمِ الــدّنــيــا ولــم يــدرِ مــا
فــي ســوقِــهــا مــن جــيّــدٍ أو ردي

حــبــا مــن الــمــهــدِ إلــى لــحــدِهِ
لــم يــشــقَ فــي الــدّنــيــا ولــم يَــسْــعَــدِ

فــهــاك يــا «عــبــد الــعــزيــزِ» الــرِّثــا
شــعــراً حــزيــنَ الــشّــدو والــمُــنــشِــدِ

يــبــكــي كــمــا تــبــكــي وفــي شــجــوهِ
تــعــزيــةٌ عــن طــفــلِــك الأوحــدِ



بعد الضياع

١٣٧٩هـ

إلـى مَـنْ أسـيـرُ أهـاضَ الـمـسـيـرْ
قـوايَ وأدمـى جـنـاحـي الـكـسـيـرْ

وكـيـفَ الـمـسـيـرُ ودربـي طـويـلٌ
طـويـلٌ وجـهـدي قـصـيـرٌ قـصـيـرْ؟!

فـكـنـتُ كـفـرخٍ أضـاعَ الـجـنـاحَ
وتـدعـوهُ أشـواقُـهُ أن يـطـيـرْ

ولـي أمـنـيـاتٌ كـزهـرِ الـقـبـورِ
يـمـوتُ ويُـرعـشُـهُ الـزَّمْـهَـريـرْ

أجـرُّ خـطـايَ فـأخـشـى الـعـثـارَ
وتـجـتـاحـنـي رغـبـةٌ كـالـسَّـعـيـرْ

فـحـيـنـاً أهـبُّ كـطـفـلٍ لـعـوبٍ
وحـيـنـاً أدُبِّ كـشـيـخٍ حَـسـيـرْ

وآونـةً أرتـمـي فـي الـجـراحِ
كـمـا يـرتـمـي فـي الـقـيـودِ الأسـيـرْ

وتـدفـعـنـي وحـشـةُ الـذكـريـاتِ
وتـثـنـي خـطـاي طـيـوفُ الـمـصـيـرْ

* * *

أمـامـي غـيـوبٌ وسِـرٌّ رهـيـبٌ
وخـلـفـي عـذابٌ ومـاضٍ مـريـرْ

إلـى أيـن أمـضـي وهـل أنـثـنـي؟
أمـامـي خـطـيـرٌ وخـلـفـي خـطـيرْ

هـنـا هـزّنـي مـن وراءِ الـمـنـى
نـداءٌ كـضـحـكِ الـصَّـبـيِّ الـغـريرْ

كـخـفـقِ الأمـانـي كـنـجـوى غـديـرِ
شـذيّ الـصَّـدى زنـبـقـيّ الـخـريرْ

فـجـئـت إلـيـكِ كـمـن يـلـتـجـي
إلـى واحـةٍ مـن جـحـيـمِ الـهـجـيرْ

ورفَّ عـلـيَّ هـواكِ الـحـنـون
رفـيـفَ الـرَّبـيـعِ الـشـذيِّ الـخـضـيرْ

فـلا تـسـألـي مـن هـدانـي إلـيـكِ؟
هـدانـي إلـيـكِ صِـبـاكِ الـنّـضـيرْ

أتـخـفـيـنَ عـنّـي وحـولـي شـذاكِ
يـوشّـي الـدُّروبَ ويـغـشـى الأثـيـر

فـأقـبـلـتُ فـي الـطـيـبِ أمـشـي إلـيـكِ
عـلـى ألـفِ أغـنـيـةٍ مـن عَـبـيرْ

ولـمّـا الـتـقـيـنـا احـتـضـنّـا الـهـوّى
كـمـا يـحـضـنُ الـفـجـرَ صـدرُ الـغـديرْ

وغـنّـاكِ حـبّـي فـلاقـى لـديـكِ
صـدًى نـاعـمـاً مـتـرفـاً كـالـحـريرْ

وناديتُ فيكِ هوًى أوّلاً
وناديتِ فيَّ الحَبيبَ الأخيرْ

* * *

وسرنا جميعاً يداً في يدٍ
نُغَنّي كثيراً ونبكي كثيرْ

وطابَ لنا منزلٌ واحدٌ
صغيرٌ كعشِّ الهَزارِ الصَّغيرْ

ولم تسأليني: أعندي سريرٌ؟
لأنَّ المحبّةَ أحْنى سريرْ

وهل لي سريرٌ أنا شاعرٌ
شعوري غنيٌّ وجيبي فقيرْ؟

وحسبي أنا منْ عطايا الوجودِ
شعورٌ غنيٌّ وفكرٌ مُنيرْ

إذا كانَ همّي شراباً وقوتاً
فما الفرقُ بيني وبينَ الحميرْ

خُلقتُ حَنوناً لكلِّ الأنامِ
بأرجاءِ قلبي قرارٌ قريرْ

أُعزّي الفقيرَ وأرثي الغنيَّ
على عجزِهِ وأُهنّي القديرْ

أُعزّي الجميعَ وأهوى الجميعَ
ومحتقِرُ النّاسِ أدنى حقيرْ

وأَسْتَلْهِمُ الدَّمعَ والأغنياتِ
ونوحَ النعيِّ وصوتَ البشيرْ

* * *

أنا شاعرٌ يا «ابنةَ العمِ» لي
من الحبِّ نبعٌ شهيٌّ غزيرْ
وشعرٌ رقيقٌ كحلم الصباحِ
علَى مقلِ الياسمينِ المطيرْ
فحسْبي وحسبُكِ ديوانُ شعرٍ
وبيتٌ صغيرٌ وحبٌّ كبيرْ
وكأسٌ من الشوقِ والذكرياتِ
وأغنيةٌ من شذاكِ المثيرْ
إذا قرَّتِ النّفسُ لذَّ المقام
وساوى الترابُ الفراشَ الوثيرْ
فقدْ يُتْعسُ الجدبُ كوخَ المقلّ
وتُشقي الرفاهةُ قصرَ الأميرْ
يضيقُ الفَقيرُ ويشقى الغَنيّ
فلا ذاكَ بِدْعٌ ولا ذا نكيرْ
فذا يشتهي لم يجدْ بُلْغَةً
وهذا يعافُ الغذاءَ الوفيرْ
ويُخفي وراءَ الطلاءِ الأنيقِ
صدوعَ الحنايا وخزيَ الضميرْ
فوَمْضُ السّعادةِ من حولِه
كوَمْضِ الأشعّةِ حولَ الضَّريرْ

فكمْ مترفٍ مبتلًى بالألوفِ
وكمْ كادحٍ هانئٍ باليسيرْ

* * *

لنا يا «ابنةَ العمِّ» من حبّنا
حنانٌ يغنّي وعيشٌ غضيرْ
وفنٌّ يضمُّ هوانا... كمَا
يضمُّ السَّميرَةَ أشهى سميرْ
ويحتضنُ الحبَّ والأمنياتِ
كما تحضنُ الكأسَ كفُّ المُديرْ
إليكِ انتهتْ رحلتي في الضياعِ
فأنسيتِني هَوْلَها المستطيرْ
فلقياكِ كالظِّلِ بعدَ الهجيرِ
وكالنَّصرِ بعدَ الجهادِ العسيرْ

❁ ❁ ❁

يوم المعاد

١٨ ذو الحجة ١٣٧٨هـ

يا أخي يا بنَ الفدى فيمَ التمادي
وفلسطينُ تنادي وتنادي؟

ضجَّتِ المعركةُ الحمرا... فقم:
نلتهبْ.. فالنورُ منْ نارِ الجهادِ

ودعا داعي الفدى فلْنحترقْ
في الوغى، أو يحترقْ فيها الأعادي

يا أخي يا بنَ فلسطين التي
لم تزلْ تدعوكَ من خلفِ الحِدادِ

عُدْ إليها، لا تقلْ: لم يقتربْ
يومُ عَوْدي قل: أنا «يوم المعادِ»

عدْ ونصرُ العربِ يحدوكَ وقل:
هذه قافلتي والنصرُ حادي

عدْ إليها رافعَ الرأسِ وقلْ:
هذهِ داري، هُنا مائي وزادي

وهُنا كرمي، هُنا مزرعتي
وهُنا آثار زرعي وحَصادي

وهُنـا نـاغـيـتُ أمّـي وأبـي
وهُنـا أشعلتُ بالنّورِ اعتقادي

هذهِ مِدفأتي أعرِفُها
لم تزلْ فيها بقايا منْ رمادِ

وهنا مهدي، هنا قبرُ أبي
وهنا حَقْلي وميدانُ جِيادي

هذهِ أرضي لها تضحيتي
وغرامي ولها وهجُ اتّقادي

فهُنا كنتُ أماشي إخوتي
وأحيّي هٰهُنا أهلَ ودادي

هذهِ الأرضُ درجْنا فوقَها
وتحدَّيْنا بها أعْدى العوادي

وغرسناها سلاحاً وفدًى
ونصبنا عزْمَنا في كل وادي

وكتبنا بالدّما تاريخَها
ودِما قوم الهدى أسنى مِدِاد

هكذا قلْ: يا بن «عَكّا» ثم قل:
هٰهُنا ميدانُ ثاري وجلادي

يا أخي يا بن فلسطينَ انطلقْ
عاصفاً وارمِ العدى خلف البعادِ

سرْ بنا نسحقْ بأرضي عُصبةً
فرَّقتْ بينَ بلادي وبلادي

قـلْ: «لـحـيـفـا» استـقـبـلـي عَـوْدتَـنَـا
وابـشـري هـا نـحـنُ فـي دربِ الـمـعـادِ

واخـبـري كـيـفَ تـشـهّـتْـنـا الـرُّبـى
أفـصـحـي كـمْ سـألـتْ عـنّـا الـنَّـوادي!

قـلْ: لإسـرائـيـلَ يـا حُـلـمَ الـكـرى
زعـزعـتْ عَـودَتُـنـا حُـلـم الـرّقـادِ

خـابَ «بـلـفـورُ» وخـابـتْ يـدُهُ
خـيـبـةَ الـتـجّـارِ فـي سـوقِ الـكـسـادِ

لـم يـضِـعْ، لا لـم يـضِـعْ شـعـبٌ أنـا
قـلـبُـهُ وهـو فـؤادٌ فـي فـؤادي

قـل: «لـبـلـفـور» تـلاقـتْ فـي الـفِـدى
أمّـةُ الـعـربِ وهـبّـتْ لـلـتّـفـادي

* * *

وحّـدَ الـدربُ خـطـانـا والـتـقـتْ
أمّـتـي فـي وَحـدةٍ أو فـي اتـحـادِ

عـنـدمـا قـلـنـا: اتـحـدنـا فـي الـهـوى
قـالـتِ الـدنـيـا لـنـا: هـاكـمْ قـيـادي

ومـضـيـنـا أمّـةً تُـزجـي الـهُـدى
أيـنـمـا سـارتْ وتـهـدي كـلّ هـادي



المنتحر

جمادى الآخرة سنة ١٣٧٧هـ

لفظَ الروحَ فاطمأنَّتْ ضُلوعُهْ
وانطفا شوقُهُ ونامَ ولُوعُهْ

وقعَ المتعبُ الكئيبُ على الموتِ
فماذا جرى وكيفَ وقوعُهْ؟

جفَّتِ الكأسُ في يديهِ وأشْتَى
فيهِ وادي المُنى وماتَ ربيعُهْ

حارَ في الموتِ والحياةِ... كراعٍ
ضاعَ تحتَ الدُّجى وضاعَ قطيعُهْ

كلّما ساءل الدُّجى أينَ يمضي
لجَّ في الصَّمتِ واستفاضَ خشوعُهْ

وانحنى كالعجوزِ وانْساقَ كالمخْـ
ـمورِ وامتدَّ في السكونِ هزيعُهْ

* * *

لا تسلْ ذلكَ الفتى: كيفَ صاحَ
الجرحُ فيهِ؟ وكيفَ صمَّ سميعُهْ

كيفَ أسرارُ قلبهِ أيَّ سرٍ
كانَ يطوي وأيُّ سرٍ يذيعُهْ؟

هـمٌ بـالـمـوت والـظّـنـونُ تُـواري
حـولَـه الـخـوفَ تـارةً وتُـشـيـعُـهْ

وتـلـكّـا فـدارَ فـي ذهـنـهِ «سـقـراط»
هـذا اسـمُـهُ وهـذا لُـمـوعُـهْ

ذلـكَ الـفـيـلـسـوفُ لـم يـدرِ هـل أحـ
ـسـنَ صـنـعـاً أم كـيـفَ سـاءَ صـنـيـعُـهْ؟!

جـرعـةُ الـكـأسِ أنـهـتِ الـعـمـرَ فـيـه
فـانـتـهـى أصـلُ شـرِّهِ وفـروعُـهْ

وتـلـكّـا الـفـتـى وحـارَ، أيـشـري
مـن يـدِ الـمـوتِ عـمـرَهُ أم يـبـيـعُـهْ؟

أومـأتْ كَـفُّـهُ إلـى خـنـجـرِ الـمـوتِ
وأومـا إلـى الـحـيـاةِ نُـزوعُـهْ

* * *

لـيـس يـدري أيَّ الأمـرّيـنِ أحْـلـى
سَـعْـيُـه نـحـو حـتـفِـهِ أم رجـوعُـهْ؟

طـاوعَ الـخـنـجـرُ الأصَـمُّ يَـديْـهِ
حـيـنَ كـادتْ يـمـيـنُـهُ لا تُـطـيـعُـهْ

وتـوارى فـي صـدرهِ خـنـجـرُ الـمـوتِ
فـضـجَّ الـحَـشـا وفـارتْ صُـدوعُـهْ

والْـتَـوى حـولَـهُ الـرّدى كـالأفـاعـي
وتـلـوَّى كـالأفـعـوانِ صـريـعُـهْ

وتراخت على الفراشِ يداهُ
ثمَّ أغفى وفي يديهِ نَجيعُهْ

* * *

متعبٌ طالَ عمرُهُ وشقاهُ
وتمادتْ جراحُهُ ودُموعُهْ

طالما شَبَّ من دماه شموعاً
للهوى فانطفا الهوى وشموعُهْ

حين لم يستطعْ بلوغَ مناهُ
ماتَ: والموتُ كلُّ ما يستطيعُهْ

وانطوى عمرهُ الطويلُ فألقى
قيدَهُ وانتهى شقاهُ وجوعُهْ

وانَزوى حيثُ لا يُحسُّ صديقاً
يجْتَبيه ولا عَدوّاً يَروُعُهْ

* * *

نزلَ المضجعَ الأخيرَ فلانَتْ
قسوةُ التُّربِ واستراحَ ضجيعُهْ

أسكتَ القبرُ فيهِ كلّ ضجيجٍ
واحتواهُ سكونُهُ وهجُوعُهْ

إنما القَبْرُ مضجَعٌ يستوي
العالَمُ فيهِ رفيعُهُ ووضيعُهْ

نافقتْ بيننا الحياةُ فهذا
حلَّ كوخاً وذاكَ طالتْ ربوعُهْ

يـا لِظـلـمِ الـحـيـاةِ مـا أعـدلَ الـقـبـرَ
تـسـاوى فـيـهِ الـوجـودُ جـمـيـعُـهْ!

* * *

لا تَـلُـمْ ذلـك الـفـتـى حـيـن أردى
نـفـسَـهُ فـالـشّـقـا الـطـويـلُ شـفـيـعُـهْ
وانـتـحـارُ الـمـضـيـمِ أخْـصَـرُ لـلـضَّـيـم
وأجـدى مـنْ أنْ يـطـولَ خـضـوعُـهْ
مـزَّق الـعـمـرَ حـيـنَ ضـيّـعـهُ الـعـمـرُ
وحُـمْـقٌ حـفـظُ الـفـتـى مـا يـضـيـعُـهْ
كـمْ شـوتْ روحُـهُ الـضّـلـوعَ ويـومـاً
لـفـظ الـروحَ فـاطـمـأنّـتْ ضـلُـوعُـهْ



بين ذهاب ومعاد

١٨ صفر سنة ١٣٨٠هـ

تلفّتت كالسّارقِ الخائفِ
إلى العشيقِ اللّاهثِ الرّاجفِ
مذعورةً ترتاعُ من خطوِها
من الخيالِ الكاذبِ الطّائفِ
شَرْشَفُها المذعورُ كالغصنِ في
جوّ الخريفِ الأصفرِ العاصفِ[1]
تمشي ويمشي إثْرَها والدُّجى
حوليْهِما كالرَّاهبِ العاكفِ
وانطلقَتْ وانقضَّ في إثرِها
كالبرقِ في إيماضِهِ الخاطفِ

* * *

حتى احتوى شخصيْهما مخدعٌ
غضٌّ كأفراحِ الصّبا الوارفِ
فالليلُ رقصٌ عابثٌ كالصّبا
ومعزَفٌ يشدو بلا عازفِ

(١) الشرشف: ستار أسود يعلو ثياب المرأة حتى يغطي سائر جسمها، والكلمة لهجة محلية.

ولاحَ وغـمـانِ لـعَـيـنـيـهـمـا
كـواقـفٍ يـصـغـي إلـى واقـفِ
فـقَـنّـعَـتْ وجْـهَـيْـهِـمـا صُـفْـرَةٌ
كـذكـريـاتِ الـمـذنـبِ الآسـفِ
وأغـتـمَ الـجـوُّ فـلـم يـخْـشـيـا
عـلـى سـتـارِ الـحـبِّ مـن كـاشِـفِ
وأنـصـتَ الـلّـيـلُ ولـمْ يـسـتـمـعْ
إلّا شـكـاوى عـمـرِه الـتّـالـفِ
كـأنّـهُ شـيـخٌ عـلـى وجـهِـهِ
مـقـبـرةٌ مـن عـهـدِهِ الـسّـالِـفِ
شـيـخٌ لـهُ وجـهٌ كـدجـلِ الـرؤى
ولـحـيـةٌ تـدعـو يـدَ الـنّـاتـفِ
أصْـغـى فـلـم يـسْـمَـعْ سـوى غـيـمِـهِ
وثـرثـراتِ الـمَـطَـرِ الـواكـفِ
وخَـطْـوِ فـلّاحٍ هـنـاكَ انـحـنـى
يـمـحـو بـقـايـا الـعَـرَقِ الـنّـازفِ

* * *

هـنـا اطـمـأنّـتْ واطـمـأنَّ الـفـتـى
إلـى الـلّـقـاءِ الـصّـاخـبِ الـقَـاصـفِ
وحـدَّقـتْ فـي وجْـهِ مـحـبـوبـهـا
تـحـديـقَـةَ الـظّـامـي إلـى الـغَـارِف
ووسْـوَسَـتْ مـا سِـرُّ إطْـراقِـهِ
ومـا ورا إطْـراقـةِ الـعـارفِ؟!

هـل أذهَـلَـتْـهُ فِـتْـنَـتـي أم أنـا
أسْـعَـى وراءَ الـمـوعـدِ الآزفِ؟

هـل أجْـتَـديـهِ؟ آهِ أم ألـتـجـي
إلـى سـلاحـي الـمـدمـع الـذارفِ؟!

أم لا يـنِـمُّ الـوجـه عـن قـلْـبـهِ؟
أمْ حـبُّـهُ كـالـدرهـمِ الـزّائـفِ؟

لا «لـم يـكـنْ» إنـي أرى قـلـبَـهُ
فـي عـيْـنِـهِ كـالـشَّـرهِ الـواجِـفِ

عـيْـنـاهُ فـي عـيْـنـيَّ لـكـنْ مـتـى
يـدنـي فـمـي مـن فـمـهِ الـرَّاشـفِ؟

وأومـأت فـي ثَـغْـرِهـا بـسـمـةٌ
إيـمـاءَةَ الـزَّهـرِ إلـى الـقـاطِـفِ

فـضـجَّ فـي أحـشـائِـهِ مـوكـبٌ
مـن الـحـنـيـنِ الـدَّافـق الـجـارفِ

فـضـمَّـهـا حـتـى ارتـمـتْ وارْتـمـى
عـلـى الـسّـريـرِ الـنّـاعـمِ الـعـاطـفـي

فـضـمَّ سـكـيـراً وسِـكـيـرةً
وشـدّ مـشـغـوفـاً إلـى شـاغِـفِ

* * *

وعـادَ والـفـجـرُ وراء الـدّجـى
لَـمْـحٌ كـهـجـسِ الـخَـاطِـرِ الـكـاسِـفِ

وفـجـأةً أوْمَـتْ بَـنَـانُ الـسّـنـى
إيـمـاءَةَ الـحُـسـنِ إلـى الـوَاصِـفِ

وأقـبـلَ الـفـجـرُ وفـي جِـيـدِهِ
قِـلادَةٌ مـن جُـرحِـهِ الـرَّاعِـفِ
فـالـدَّربُ فـي إشـراقِـهِ جَـدْولٌ
مُـزَغْـرِدٌ فـي جَـدْوَلٍ هـاتِـفِ
وكـبـريـاءُ الـبَـعْـثِ أهْـزُوجَـةٌ
عـلـى شِـفـاهِ الـموكِـبِ الـزَّاحِـفِ

❁ ❁ ❁

بشرى النبوءة

القيت هذه القصيدة في الحفل الذي اقامته وزارة التربية والتعليم بصنعاء بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف عام ١٣٧٩هـ.

بُشرى من الغيبِ ألقَتْ في فم الغارِ
وحْياً وأفْضَتْ إلى الدُّنيا بأسرارِ

بُشرى النبوَّةِ طافتْ كالشذى سَحَراً
وأعْلَنَتْ في الرُّبى مِيلادَ أنْوارِ

وشقَّتِ الصَّمتَ والأنْسامُ تحمِلُها
تحْتَ السكِينةِ من دارٍ إلى دارِ

وهَدهَدَتْ «مكّةَ» الوسْنى أناملُها
وهزَّتِ الفجرَ إيذاناً بإسْفارِ

* * *

فأقبلَ الفجرُ من خَلْفِ التلالِ وفي
عَيْنَيْهِ أسْرارُ عُشَّاقٍ وسُمَّارِ

كأنَّ فَيْضَ السنى في كلِّ رابيةٍ
مَوْجٌ وفي كلِّ سفحٍ جدولٌ جاري

تدافعَ الفَجْرُ في الدّنيا يزِفّ إلى
تاريخها فجرَ أجيالٍ وأدهارِ

واستقبلَ الفتحُ طفلاً في تبسُّمِهِ
آياتُ بشرى وإيماءاتُ إنذارِ

وشبَّ طفلُ الهدى المنشودُ متّزِراً
بالحقّ متّشِحاً بالنورِ والنارِ

في كفّهِ شعلةٌ تهدي وفي فمِه
بشرى وفي عَيْنِهِ إصْرارُ أقدارِ

وفي ملامِحِهِ وعدٌ وفي دمِهِ
بطولَةٌ تتحدّى كلّ جبارِ

* * *

وفاضَ بالنورِ فاغتمَّ الطغاةُ بهِ
واللّصُّ يخشى سُطوعَ الكوكَبِ السّاري

والوعْيُ كالنّورِ يُخزي الظّالمينَ كما
يُخْزي لصوصَ الدَّجى إشراقُ أقمارِ

نادى الرّسولُ نداءَ العدلِ فاحتشدتْ
كتائب الجورِ تُنْضي كلَّ بتّارِ

كأنّها خلْفَهُ نارٌ مجَنّحَةٌ
تعدو وقدّامَهُ أفْواجُ إعْصارِ

فضجَّ بالحقّ والدّنيا بما رَحُبَتْ
تَهْوي عليهِ بأشْداقٍ وأظْفارِ

وسارَ والدَّربُ أحْقادٌ مسلّحةٌ
كأنَّ في كلّ شبرٍ ضيغماً ضاري

وهبَّ في دَرْبِهِ المرْسوم مُنْدفعاً
كالدَّهْرِ يقْذِفُ أخطاراً بأخطارِ

* * *

فأدْبَرَ الظَّلْمُ يُلقي هٰهُنا أجلاً
وهٰهُنا يتلقّى كفٌّ... حفّارِ

والظّلمُ مهما اختمتْ بالبَطْشِ عُصبتُهُ
فلمْ تُطِقْ وقفةً في وجْهِ تيّارِ

رأى اليتيمُ أبو الأيتامِ غايَتَهُ
قُصْوَى فشقَّ إليها كلَّ مِضمارِ

وامتدَّتِ المِلّةُ السّمْحَا يَرِفُّ على
جَبِينها تاجُ إعْظامٍ وإكبارِ

* * *

مضى إلى الفتحِ لا بَغْياً ولا طمعاً
لكنْ حناناً وتطهيراً لأوْزارِ

فأنزل الجورَ قبراً وابتنى زمناً
عَدْلاً... تُدبِّرهُ أفكارُ أحرارِ

* * *

يا قاتلَ الظلمِ صالت هٰهُنا وهُنا
فظايعٌ أينَ منها زندُك الواري

أرضُ الجنوب دياري وهي مَهْدُ أبي
تئنُّ ما بينَ سَفّاحٍ وسِمسارِ

يشدُّها قيدُ سَجّانٍ وينهشُها
سوْطٌ... ويحدو خطاهَا صوتُ خمّارِ

تعطي القيادَ وزيراً وهو متّجرٌ
بجوعِها فهو فيها البايعُ الشّاري

فكيف لانتْ لجلّادِ الحمى «عَدَنٌ»
وكيفَ ساسَ حِماها غدْرُ فُجّار؟

وقادها زعماءٌ لا يبرّرهم
فعلٌ وأقوالُهمْ أقوالُ أبرارِ

أشباهُ ناسٍ وخيراتُ البلادِ لهمْ
يا لَلرِّجالِ وشعبٌ جائعٌ عاري

أشباهُ ناسٍ دنانيرُ البلادِ لهمْ
ووزنُهُمْ لا يساوي ربعَ دينارِ

ولا يصونونَ عند الغدر أنفُسَهم
فهل يصونونَ عهدَ الصّحبِ والجارِ

ترى شخوصَهُمْ رسمّيةً وترى
أطماعَهُمْ في الحمى أطماعَ تجّارِ

* * *

أكادُ أسخرُ منهُمْ ثمّ تُضحكني
دعواهُمُ أنَّهُمْ أصحابُ أفكارِ

يبنونَ بالظُّلمِ دوراً كي نمجّدهمْ
ومجدُهُم رجسُ أخشابٍ وأحجارِ

لا تخبرِ الشّعبَ عنهمْ إنَّ أعيُنَهُ
ترى فظائعَهمْ منْ خلفِ أستارِ

ألآكلونَ جراحَ الشّعبِ تخبرنا
ثيابُهُمْ أنَّهُمْ آلاتُ أشرارِ

ثيابُهُمْ رشوةٌ تُنبي مظاهِرُها
بأنّها دمعُ أكبادٍ وأبصارِ

يشرونَ بالذّلّ ألقاباً تُستّرُهُمْ
لكنّهُم يَسترونَ العارَ بالعارِ

تُحسُّهُمْ في يدِ المستعمرينَ كما
تحسّ مسبحةٌ في كفّ سَحّارِ

* * *

ويلٌ وويلٌ لأعداءِ البلادِ إذا
ضجَّ السكونُ وهبّتْ غضبةُ الثّارِ!

فليغنمِ الجورُ إقبالَ الزَّمانِ لَهُ
فإنَّ إقبالَهُ إنذارُ إدبارِ

* * *

والنّاسُ شرٌ وأخيارٌ وشرُّهُمُ
منافقٌ يتزيّا زيَّ أخيْارِ

وأضيَعُ النّاسِ شعبٌ باتَ يحرسُهُ
لِصٌّ تُستّرُهُ أثوابُ أحبارِ

في ثغره لُغَةُ الحاني بأمّتِهِ
وفي يديهِ لها سكّينُ جَزّارِ!

حِقدُ الشعوبِ براكينٌ مسمّمةٌ
وقودُها كلّ خوَّانٍ وغدّارِ

من كلّ محتقرٍ للشّعبِ صورتُهُ
رسْمُ الخياناتِ أو تمثالُ أقذارِ

وجثّةٌ شوّشَ التّغطيرُ جِيفَتَها
كأنّها مَيتةٌ في ثوبِ عطّارِ

* * *

بيـنَ الـجـنـوبِ وبـيـنِ الـعـابـثـيـنَ بـهِ
يـــومٌ يـــحـــنُّ إلـــيـــهِ يـــومُ «ذي قـــارِ»

* * *

يـا خـاتـمَ الـرسـلِ هـذا يـومُـكَ انـبـعـثـتْ
ذكـراهُ كـالـفـجـرِ فـي أخـضـانِ أنـهـارِ

يا صاحبَ المبدأ الأعلى، وهل حملتْ
رسـالَـةَ الـحـقِّ إلّا روحُ مـخـتـارِ؟

أعـلـى الـمـبـادئِ مـا صـاغـتْ لـحـامـلـهـا
مـن الـهُـدى والـضَّـحـايـا نـصـبَ تـذكـارِ

فـكـيـف نـذكـر أشـخـاصـاً مـبـادئـهُـمْ
مـبـادئُ الـذئـبِ فـي إقـدامـهِ الـضـاري؟!

يـبـدونَ لـلـشّـعـبِ أحـبـابـاً وبـيـنَـهُـمُ
والـشـعـبِ مـا بـيـنَ طـبـعِ الـهـرِّ والـفـارِ

مـالـي أغـنّـيـكَ يـا «طٰـهَ» وفـي نَـغَـمـي
دمـعٌ وفـي خـاطـري أحـقـادُ ثـوّارِ؟

تـمـلْـمَـلَـتْ كـبـريـاءُ الـجـرحِ فـانـتـزفَـتْ
حِـقـدي عـلـى الـجـورِ مـنْ أغـوارِ أغـواري

* * *

يـا «أحـمـدَ الـنّـورِ» عـفـواً إنْ ثـأرْتُ فـفـي
صـدري جَـحـيـمٌ تَـشَـظّـتْ بـيـن أشـعـاري

«طـــه» إذا ثـــارَ إنـــشـــادي فـــإنَّ أبـــي
«حـسّـان» أخـبـارُهُ فـي الـشّـعـرِ أخـبـاري

أنا ابنُ أنصاركَ الغرّ الألى قذفوا
جيشَ الطّغاةِ بجيشٍ منك جرَّارِ

تظافرتْ في الفدى حوليْكَ أنفسهم
كأنّهنَّ قلاعٌ خلفَ أسْوارِ

نحنُ اليمانينَ يا «طهَ» تطيرُ بنا
إلى روابي العُلا أرواحُ أنصارِ

إذا تذكّرْتَ «عَمّاراً» ومبدأهُ
فافخرْ بنا: إنّنا أحفادُ «عَمّارِ»

«طهَ» إليكَ صلاةُ الشِّعر ترفعُها
روحي وتعزِفُهَا أوتارُ قِيثارِ

۞ ۞ ۞

مغنِّي الهوى

شعبان سنة ١٣٧٦هـ

لا تَسخري يا أختُ بالشّاعرِ
تكفيهِ بلوى دهرِهِ السّاخرِ
رفقاً بغرّيدِ الهوى إنّهُ
يَنوحُ نوْحَ الطّائرِ... الحائرِ
يبكي بترديدِ الأغاني وما
لِلَحْنِهِ والحبِّ... من آخرِ
فلا تَضيقي بمُغَنّي الهوى
وهل يَضيقُ الرَّوضُ بالطائرِ؟
تذكّري خلفَ النَّوى عاشقاً
يلقاكِ في وجدانِهِ الذَّاكرِ
أوْمَا إلى كفِّ الهوى قلبُهُ
إيماءةَ العَنْقودِ للعَاصرِ
محرَّقُ الأنفاسِ تسْري بهِ
ظُنُونُهُ حولَ الدّجى العابرِ

* * *

والليلُ وادي الحبُّ تنثالُ من
سكونِهِ الذكرى على السّاهرِ

وتـلـتـقـي الأشـجـانُ فـي جَـوِّهِ
مَـواكـبـاً فـي مـوكـبٍ سَـادِرِ

تـمـرّ بـالأشـواقِ أطـيـافُـهُ
كـمـا تـمـرُّ الـغـيـدُ... بـالـعـاهِـرِ

وتـسـتـثـيـرُ الـنـائِـمـيـنَ الـرّؤى
وتـضـحـكُ الأوهـامُ لـلـسّـامـرِ

كـم شـاق هـذا الـلـيـلُ خِـلّاً إلـى
خِـلٍّ ومِـطـواعـاً إلـى نـافـرِ

وجـالَـتِ الأحـلامُ فـيـهِ كـمَـا
يـجـولُ سِـرُّ الـحـبُّ فـي الـخـاطِـرِ

وضـمَّ مـشـتـاقٌ مـشـوقـاً بـهِ
وحَـنَّ مَـلْـهـوفٌ إلـى زائـرِ

***

سلِ الدُّجى عن طيفِ «ليلى» وكم
حـيّـاهُ «مـجـنـونُ بـنـي عـامـرِ»

وسـلْـهُ عـن أخـبـارِ أهـلِ الـهـوى
مـن أبْـعَـدِ الـمـاضـي إلى الـحـاضـرِ

فـإنَّـهُ رحّـالـةُ الـدَّهـرِ... كـمْ
سَـرَى الـهـوى فـي ركـبِـهِ الـسّـائـرِ

مـسـافـرٌ يـسْـري ويـطـوي الـسُّـرى
عـلـى جَـنـاحِ الـفَـلَـكِ الـدَّائـرِ

رحّـالَـةُ الأزمـانِ يُـزجـي إلـى
مستقبلِ الدهرِ صَدَى الغابرِ

* * *

كم في حنايا اللّيل سِرٌّ وما
أكتَمَهُ للسِّرِّ... والظاهرِ!

ينساقُ في الصَّمتِ وفي صمتِهِ
حنينُ مهجورٍ إلى هاجِرِ

وشوقُ مفتونٍ إلى فتنةٍ
ووجْدُ مسحورٍ إلى ساحرِ

وحقدُ مظلومٍ على ظالمٍ
وضِغْنُ مأسورٍ على آسِرِ

* * *

يا أختُ: هل ألقى إليكِ الدُّجى
أشواقَ قلبٍ بالشَّقا زاخرِ؟

يستولِدُ الآمالَ لكنْ كمَا
يستولِدُ العِنِّينُ من عاقرِ

* * *

يا ربّةَ الحسْنِ هنا مُغْرَمٌ
يُصغي لنجوى طَيْفِكِ العاطِرِ

مُعَذَّبٌ تاريخُهُ قِصَّةٌ
حَيْرى كقلبِ التّاجِرِ الخَاسِرِ

رِقّي عليهِ إنَّهُ كلّهُ
قلبٌ شجيُّ الشِّعرِ والشَّاعِرِ

شاعر الكأس والرشيد

كتبت هذه القصيدة عندما نشرت السلطة الإمامية
إرهابها باسم جلد باعة الخمر وشاربيه، ١٣٧٩هـ

لو تَسَامَتْ عقولُنا عنْ هوانا
لهدَيْنا الهُدى وقُدْنا الزَّمانا

ولَسِرْنا وخطْونا يلدُ الفجْرَ
المغنّي... ويُنبتُ الرَّيحانا

لو تلظّتْ قلوبُنا بسَنى الحبّ
لما عانتِ العيونُ الدّخانا

لو كَبحنا غرورَنا لملأنا
منْ عطايَا الوجودِ وُسْعَ مُنانا

فعطايا الحياةِ أوسعُ منْ
آمال أبنائِها وأسخى حنانا

لو ملكنا الهدى لما سلَّ كفٌّ
خنجراً راعِفاً وأدمى سنانا

كيف يستلّ بعضُنا روحَ بعضٍ
ألِنُخْيي مآتماً واضْطِغَانا؟

ونُسمّي لصَّ الحياة شُجاعاً
ونُسمّي عفَّ اليدينِ جبَانا

***

نحنُ غرسُ الإلهِ يحصده اللّهُ
لماذا تعيثُ فيهِ... يدانا؟

ما لنا نسبِقُ الحِمامَ إلينا
وهو أمضى يداً وأحنى بنانا؟

ونخافُ العِدى وحين نعادي
هل درينا أنّا خَلقنا عِدانا؟

لو نفضْنا شرورنَا لرأينا
أوجهَ الخيرِ في الضّياءِ عِيانا

نحنُ نُبدي عيوبَنا حينَ نرمي
بالخطايا فلانةً أو فلانا

نحنُ لو لم نكنْ أصولَ الخطايا
ما رأينا ظِلالها في سوانا

كم سألنا التفتيشَ عن جيفةِ الإثـ
ـمِ وسرنا والإثمُ يحدو خطانا!

وهتكْنا مخابئ الإثم في الحيّ
وعُذْنا نفتّشُ الأكفانا

* * *

لا تَنَمْ: يا «أبا نواس» أما
كنتَ أثيماً في لهوهِ... يتفانى؟

أوَ ما كنتَ أظرفَ الناسِ في القصْـ
ـفِ وأعلى الغواة فنّاً وشانا؟

فهتكنا عَنكَ السّتارَ كأن لمْ
يخطرِ الإثمُ بيننا عُريانا

هل تحوّلتَ عصبةَ الشّوط في الدنـ
يـا وهـلْ ذقـت فـي الـقـبـور الأمـانـا؟

لـسـتُ أدري مـاذا لـقـيـتَ، لـمـاذا
غـبتَ في الـصـمتِ لـمْ تـحرّك لـسانا؟

إنْ تـمـتْ هـيـكـلاً فـقـدْ عـشـت أفـ
ـكـاراً وأورقـت فـي الـشـفـاه بـيـانـا

أيـنَ مـنـكَ الـرّدى؟ وأقـوى مـن الأحـ
ـيـاءِ مَـيـتٌ يُـسـهّـدُ... الأذهـانـا

عـشـتَ عـصـراً ولـمْ يـزلْ كـلّ عـصـرٍ
يـتـلاقـى فـجـوركَ الـفَـتّـانـا

تـلـك الـحـانـةُ الـظـوامـي كـؤوسٌ
تـتـغـنّـى فـتُـسـكـر الـنّـدمـانـا

لـكـأنّي ألـقـاكَ فـي لـحـنـكَ الـظـمآنِ
روحـاً مـلـحّـنـاً... وكـيـانـا

وفـعـولُ الإلـهـامِ يـرعـشُ عـيـنـيـكَ
كـمـا تـرعـشُ الـصَّـبـا الأقـحـوانـا

وأُجـسّ «الـرشـيـد» يـخـزلُ دنـيـاهُ
كـمـا يـخـزلُ الـصـبـاحُ الـجـنـانـا

وتـغـنّـيـه وهـو يـنـتـزفُ الـكـأسَ
ويـسـقـي الـمـدلّلاتِ الـحـسـانـا

والـنّـدامـى الـصّـبـاحُ بـيـن يـديْـه
وكـؤوسٌ تـنـأى وأخـرى تـدانـى

والمليحاتُ مهرجانٌ من الحسن
يغنّي منْ الهوىَ مهرجَانا

وهو يلهو لهوَ الشجيِّ ويمضي
في جنونِ الهوى يُعرّي القِيانا

فترى في النّديِّ ألف ربيعِ
ينثرُ العطْرَ والسّنى ألوانا

وصِباحاً من الحِسانِ العرايا
مغرماً يعزفُ الهوى ألحاناً

وخصوراً تميدُ بينَ زنودِ
بضَّةٍ تنهب الخصورَ اللّدانا

وصدوراً نهدى تضمّ صدوراً
واحتضاناً غضّاً يلفّ احتضانا

والجمالُ العريانُ يُطغي المحبينَ
ويهوى الجنونَ والطغيانا

* * *

ما ترى يا «أبا نواس»؟ ترى
الأكواب ملأى وتحتسي الحِرْمانا

تشتهيْ مُدامةً... لم تجدهَا
فتُغَنّي خيالها الفَتّانا

لو وجدتَ الرّحيق ما ذبت شجواً
وتحرَّقْتَ في المنى أشجَانا

شاعرُ الحبِّ حينَ يهجرهُ المحـ
ـبوبُ يَفْتَنُّ في الحنين افتِنانا

عشتَ تبكي على المُدامِ وتذرو
في هوى الكأسِ دمعَكَ الهتّانا
وتُنادي الهناءَ في كلِّ وهمٍ
وتهنّي البِساط والصّولجانا

* * *

بدعةُ الذلِّ أن تحنَّ وتبكي
وتغنّي «الرشيدَ» و«الخيزرانا»
ملكٌ يرضعُ الدِّنانَ كما يهوى
وأنت الذي تغنّي الدّنانَا
و«الأمينُ» النّديمُ يمنعُكَ الخمرَ
ويحسو وتنحني ظمآنا
وهو في القصرِ يحتسي عرقَ الشعبِ
ويُروِّي القيانَ والغِلْمانَا
يملأ الكأسَ من دموعِ اليتامَى
ويغنّي على نشيجِ الحزانى
ويرى أنّهُ أمينٌ على الدينِ
وإن ضيّعَ الرشادَ وخانا
كيف يحمي دينَ الإلٓهِ ظلومٌ
يتحدّى الإلٓهَ والإنسانا؟
يدّعي عصمةَ الملائكةِ الطُّهرِ
ويأتي ما يُخْجِلُ الشّيطانا

* * *

هــكـــذا يـــا «أبـــا نـــواس» تـَـلــوَّى
حــولــك الـشَّـعـبُ فـي الـجـراحِ وهـانـا

كيف مرَّغتَ وجهك الحُرَّ في الذّلِ
وأسْـلَـسْـتَ لـلـطّـغـاةِ الـعِـنـانـا؟

وتـغـنّـيـتَ «لـلأمـيـنِ» فـأصـغـى
وتـــراخـــى فـــي غَـــيِّـــهِ وتـــوانـــى

وتـخـيّـرتَ «لـلـرشـيـدِ» بـحـوراً
قـلّـدتْ جـيـدَهُ الـغـلـيـظَ جُـمـانـا

وهـزَزتَ (الـخـصـيـبَ) فـاهـتـزَّ جَـنْـبَـاهُ وذوَّبـتَ مُـقـلـتـيْـكَ فَـلانـا

وتـبـاكَـيـتَ بـيـنَ كـفّـيْـهِ كـالـطّـفـلِ
فـيـا لـلـشـموخِ كـيـفَ اسـتـكـانـا؟!

* * *

كـيـف ألـقـاكَ يـا أخـا الـكـأسِ فـي
الـمـدحِ ذلـيـلاً ومُـطْـرِقـاً خـجـلانـا؟

تـسـألُ الـصـمـتَ كـيـفَ حـلّـت قـوا
فـيـكَ مـن الـذلّ والـنـفـاقِ مـكـانـا؟

أفـتـرضـى لـلـفـنِّ أخـزى مـكـانٍ؟
إنَّ لـلـفـنِّ حُـرمَـةً وصـيـانـا

وألاقـيـك فـي تـرنُّـمـك الـخـمـريِّ
ربـيـعـاً مـرنِّـمـاً... جـذلانـا

نعرفُ العطرَ والفتونَ المندّى
وتهزُّ الشَّبابَ والعنفوانا

* * *

لا تقلْ لي: كيف التقينا؟ وقلْ لي:
باركَ الفنُّ والخيالُ لقانا!

شاعرَ الكأس قرَّب الطّيفُ عهدَيْنا
فكيفَ اتّفاقُنَا؟ كيفَ كانا؟

بَعُدَ العهدُ بيننا فادَّكرْنا
واختصرنا بالذكرياتِ الزَّمانا

واعتنقنا على النّوى والتقينا
نتشاكى من الأسى ما عَنانا

أنا أشقى كما شَقِيتَ ولكنْ:
لا تُتَمْتِمْ... وأيُّنا أشقانا؟

لا تسلني: فمحنتي أنَّ لي في الـ
يأسِ أهلاً وفي الأسى إخوانا

نحنُ منْ نحنُ؟ مِزْهرانِ من
الشوقِ كلانا لحنُ العذابِ كلانا

«شاعرَ الكأسِ والرشيدِ» وداعاً
وسلاماً يُشْذِيكَ آناً فآنا

❁ ❁ ❁

ليلة

كانتِ الحسناءُ سجينة الدار تساهر الليالي لتقتنص عاشقاً، وكان طريداً تحت كل كوكب، وفي ليلة من ليالي العمر.... طالع العاشقة المجهولة تائه مجهول، وكان بعيداً عن الحب فقربه الجمال منه، وضمتهما ليلة لقاء... فانتصرا على الحرمان، وكان ميلاد حب:

رَنَتْ والدُّجى في خاطرِ الصمتِ هادئٌ
يطاوِعهُ حُلْمٌ وحُلْمٌ يناوئُ
وبينَ حنايا الليلِ دهرٌ مكفَّنٌ
قديمٌ ودهرٌ في حناياهُ ناشئُ
رنتْ والسَّنى في مُقْلةِ الليلِ متعبٌ
يئنُّ وفي دُورِ المدينَةِ طافئُ

* * *

فلاحتْ لعينيها خيالاتُ عابرٍ
يحثُّ الخطى حيناً وحيناً يباطئ
وجالتْ بعينيها هُناكَ وهٰهُنَا
فطالعَها وجهٌ على العشقِ طارئُ
وقالتْ: من الآتي؟ فأرعدَ قلبَهُ
وأخجَلَ عينيْهِ الغرامُ المفاجئُ
ورفَّتْ لهُ من كلِّ مرأى صبابةٌ
وضجَّ حنينٌ بين جنبيهِ ظامئُ

وقال: فتىً تاهتْ سفينةُ عمرِهِ
وغابتْ وراءَ اليأسِ عنهُ المرافئُ
يفتِّشُ عن سلواهُ في التِّيهِ مثلمَا
يفتّشُ عن أهليهِ في الطيفِ لاجئُ
فحارتْ به واحتارَ في الحبِّ مثلها
فهل تَبدأ الشكوى؟ وهل هو بادئُ؟

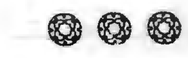
* * *

ولفَّهمَا ظلُّ السكينَةِ والهوى
يعاندُ أحياناً وحيناً يمالئُ
فحدَّقَ يستقصي مفاتنَ جسمِها
كما يتقصَّى أحرفَ السّطْرِ قارئُ

* * *

وقال: فتاتي فيكِ تورِقُ فتَنةٌ
ويختالُ فجرٌ كالطفولةِ هانئُ
يهتزُّ في نهديْكِ موجٌ مضرَّمٌ
عميقٌ وفي عينيك يحلمُ شاطئُ
وألفاظكِ النَّعسا تشعُّ كأنّها
على شفتيكِ الحلوتين لآلئُ
وضمَّتْهُمَا في زحمةِ الحبِّ نشوةٌ
وهوَّمَ في حضنِ الخطيئةِ خاطئُ
فتاةٌ يموجُ الحسنُ فيها وترتمي
عليها الصَّباباتُ الجياعُ الظّوامئُ

جـــمـــالٌ وإغـــراءٌ وروحٌ نـــديّـــةٌ
وجـســمٌ بـأحـضـانِ الـغـوايـةِ دافـئُ



يومَ العِلمْ

بمناسبة افتتاح دار المعلمين بصنعاء عام ١٣٧٧هـ

مـاذا يـقـولُ الـشِّـعـرُ؟ كـيـفَ يُـرنِّـمُ؟
هتفَ الجمالُ، فكيفُ يَشْدو المُلْهَمُ

ماذا يُغنِّي الشِّعرُ؟ كيفَ يَهيمُ في
هـذا الـجـمـالِ؟ وأيـنَ أيـنَ يُـهـوِّمُ؟

فـي كُـلِّ مُـتَّـجـهٍ ربـيـعٌ راقـصٌ
وبِـكُـلِّ جـوٍّ ألـفُ فـجـرٍ يـبـسـمُ

يـا سـكـرةَ ٱبـنِ الـشِّـعـرِ هـذاَ يـومُـهُ
نـغَـمٌ يـبـعـثـرهُ الـسَّـنـا ويُـلَـمْـلِـمُ

يـومٌ تُـلاقـيـهِ الـمـدارسُ والـمُـنـى
سَـكـرى كـمـا لاقـى الـحـبـيـبـةَ مُـغْـرَمُ

يـومٌ يـكـادُ الـصَّـمـتُ يـهـدرُ بـالـغـنـا
فـيـهِ ويـرتـجـلُ الـنَّـشـيـدَ الأبْـكَـمُ

يـومٌ يـرنِّـحُـهُ الـهَـنـا ولَـهُ... غـدٌ
أهْـنـا وأَحْـفَـلُ بـالـجـمـالِ وأنـعَـمُ

* * *

يـا وثـبةَ «الـيـمـنِ الـسَّـعـيـد» تـيـقَّـظَـتْ
شُـبّـانُـهُ وسَـمَـتْ كـمـا يَـتـوسَّـمُ

ماذا يرى «اليمنُ» الحبيبُ تحقّقتْ
أسمى مُناهُ وجُلُّ ما يتوهَّمُ

فَتحَتْ تباشيرُ الصَّباحِ جُفونَهُ
فانشقَّ مَرْقَدُه وهبَّ النُّوَّمُ

وأفاقَ والإصرارُ ملءُ عيونِه
غضبانَ يكسِرُ قيدَهُ ويُدمْدِمُ

ومضى على ومضِ الحياةِ شبابُه
يقْظانَ يسبح في الشّعاع ويحلمُ

* * *

وأطلّ «يومُ العلم» يرفلُ في السَّنا
وكأنَّه بفمِ الحياة... ترنُّمُ

يومٌ تلقّنهُ المدارسُ نشْأها
درساً يُعلِّمُهُ الحياةَ ويُلهمُ

ويُرَدِّدُ التاريخُ ذكرَاهُ وفي
شَفَتيهِ منْهُ تساؤلٌ وتبسُّمُ

يومٌ أُغَنِّيهِ ويُسكرُ جوَّهُ
نَغَمي فَيَسْكَرُ من حلاوتِهِ الفمُ

* * *

وقفَ الشبابُ إلى الشبابِ وكلُّهم
ثقةٌ وفخرٌ بالبطولةِ مُفعمُ

في مهرجانِ العلم رَفَّ شبابُه
كالزهرِ يهمسُ بالشَّذى ويتمتمُ

وتـألـق الـمـتـعـلّـمـون... كـأنّـهـم
فـيـه الأشـعَّـةُ والـسَّـمـا والأنـجـمُ

* * *

يـا فـتـيـةَ الـيـمـنِ الأشـمِّ وحـلـمَـهُ
ثـمـرُ الـنُّـبـوغِ أمـامَـكُـمْ فـتـقـدَّمـوا

وتـقـحَّـمُـوا خـطـرَ الـطَّـريـق إلـى الـعُـلا
فـخـطـورةُ الـشُّـبَّـانِ أن يـتـقـحَّـمُـوا

وابـنـوا بـكـفِّ الـعِـلْـمِ عـلْـيـاكـم فـمـا
تـبـنـيـهِ كَـفُّ الـعـلـم لا يـتـهـدَّمُ

وتـسـاءلـوا مَـنْ نـحـن؟ مـا تـاريـخُـنَـا؟
وتـعـلَّـمـوا مـنـهُ الـطُّـمـوحَ وعَـلِّـمُـوا

* * *

هٰـذي الـبـلادُ وأنـتُـمْ مِـنْ قـلـبِـهـا
فِـلَـذٌ وأنـتـمْ سـاعِـدَاهـا أنـتـمُ

فـثِـبـوا كـمـا تَـثِـبُ الـحـيـاةُ قـويَّـةً
إنَّ الـشَّـبـابَ تـوثُّـبٌ وتـقـدُّم

لا يـهـتـدي بـالـعـلـمِ إلَّا نَـيِّـرٌ
بـهِـجُ الـبـصـيـرةِ بـالـعـلـومِ مُـتـيَّـمُ

وفـتـىً يُـحِـسُّ الـشَّـعـبَ فـيـه لأنَّـهُ
مـن جِـسـمـهِ فـي كُـلِّ جـارحـةٍ دمُ

يـشـقـى لـيُـسـعِـدَ أُمَّـةً أو عـالـمـاً
عِـطْـرُ الـرِّسـالـةِ حـرقـةٌ وتـألُّـمُ

فتفهّموا ما خلفَ كلّ تستُّرِ
إنَّ الحقيقةَ دُربَةٌ وتفهُّمُ

قد يلبسُ اللصُّ العفافَ ويكتسي
ثوبَ النبيِّ منافقٌ أو مجرمُ

مَيْتٌ يكفّنُ بالطِّلاءِ ضميرَهَ
ويفوحُ رَغْمَ طِلائه ما يكتمُ

* * *

ما أعجبَ الإنسانَ هذا مِلْؤهُ
خيرٌ وهذا الشرُّ فيه مجسَّمُ!

لا يستوي الإنسانُ هذا قلبُهُ
حَجَرٌ وهذا شمعةٌ تتضرَّمُ

هذا فلانٌ في حشاهُ بلبلٌ
يَشْدُو وهذا فيه يزأرُ ضَيْغَمُ

ما أغربَ الدُّنيا على أحضانِها
عِرْسٌ يُغنّيها ويبكي مأتمُ!

بيتٌ يموتُ الفأرُ خلفَ جدارِهِ
جُوعاً وبيتٌ بالموائدِ مُتْخَمُ

ويدٌ منعَّمةٌ تنوءُ... بمالها
ويظلُّ يلثمُها ويُعطى المعدمُ

* * *

فمتى يرى الإنسانُ دُنْيا غضةً
سَمْحاً فلا ظُلْمٌ ولا مُتَظلِّمُ؟

يـا إخْـوَتَـي نـشءَ الـمـدارسِ يـومُـكـم
بِـكْـرُ الـبـلادِ فَـكَـرِّمُـوهُ تُـكـرِمُـوا

وتَـفَـهَّـمُـوا سِـفْـرَ الـحـيـاةِ فَـكُـلُّـهَـا
سِـفْـرٌ ودرسٌ والـزَّمَـانُ مُـعـلِّـمُ

مَـاذَا أقـولُ لَـكُـمْ وتَـحْـتَ عُـيُـونِـكُـمْ
مَـا يُـعْـقـل الـوَعْـيَ الـكَـرِيـمَ ويُـفـهِـمُ؟

۞ ۞ ۞

في الجراح

٢٨ ـ ١١ ـ ١٣٨٢هـ/ ٢٢ ـ ٤ ـ ١٩٦٣م

وحــدي وراءَ الــيــأسِ والــحَــزَنِ
تــجــتــرُّنــي مِــحَــنٌ إلــى مِــحَــنِ

وطــفــولــةُ الــفــنَّــانِ... تُــذْهِــلُــنــي
عــن ثــقــلِ آلامــي وعــن وَهَــنــي

فــأنــا هــنــا طــفــلٌ بــدونِ صِــبــاً
والــيــأسُ مُــرضِــعَــتــي ومــحــتــضِــنــي

وعــداوةُ الأنــذالِ تَــشْــبــعُــنــي
وتُــغَــسِّــلُ الأدرانَ بــالــدَّرنِ

وتــفــوحُ جــيــفــتُــهــا هُــنــا وهُــنــا
كــالــرِّيــحِ فــي الــمُــســتــنــقــعِ الــنَّــتــنِ

وتــغــيــبُ عــن دَرْبِــي... وأعــيُــنُــهَــا
فــي الــدَّربِ غــابــاتٌ مــن الإِحَــنِ

وعِــدايَ أقــزامٌ... يُــخــوّفُــهُــمْ
صَــحْــوِي ويَــرْتَــاعُــونَ مِــنْ وَسَــنــي

مــا خَــوْفُــهُــم مِــنِّــي؟ ومــا اقــتــرنَــتْ
بــالــحــقــدِ أســراري ولا عَــلَــنِــي

خافُوا لأنَّ الشرَّ مِهْنَتُهُم
وأنا بلا شرٍّ بلا مِهَنِ

ولأنني أدري نقائصَهُمْ
ولأنَّهمْ خانوُا ولَمْ أخُنِ

ولأنَّهم باعوا عروبَتَهم
وعَلوتُ فوقَ البيعِ والثَّمنِ

ورضِيتُ أنْ أشقى وأَسْعَدَهُمْ
وَهَجُ الوُحولِ وزُخرُفُ العَفَنِ

* * *

أحيا كعصفورِ الخريفِ بلا
ريشٍ، بلا عُشٍّ، بلا فَنَنِ

أقتاتُ أوجاعي وأعزِفُها
وأَشِيدُ مِنْ أصدائِهَا سَكَني

وأتيهُ كالطَّيفِ الشَّريدِ بِلا
ماضٍ، بلا آتٍ، بلا زَمَنِ

وبِلا بلادٍ: مَنْ يُصَدِّقني؟
أنِّي هُنَا رُوحٌ بلا بَدَنِ

مَنْ ذا يُصَدِّقُ أنَّ لي بَلَداً
عيناهُ مِنْ حُرَقي ولَمْ يَرَني؟

وأنا هُنَا أرْضَعْتُ أنْجُمَهُ
سُهْدِي ووسَّدَ ليلَهُ شَجَني

أأعيشُ فيهِ وفوقَ تُربتِهِ
كالميْتِ المُلقَى بلا كفنِ؟

وَوَلائِــدِي بِــسُــفــوحِــهِ نَــهَــرٌ
ومــشــاعــلٌ خُــضْــرٌ عــلــى الــقُــنَــنِ

مــاذا؟ أيَــدْرِي إخْــوَتــي وأَبِــي
أنّــي يــمــانــيٌّ بــلا يَــمَــنِ؟

هــلْ لــي هُــنــا أو هٰــهُــنَــا وَطَــنٌ؟
لا، لا: جــراحــي وحــدَهــا وطــنــي

❁ ❁ ❁

تَحَدِّي

١٥ ـ ٧ ـ ١٣٨١هـ

نظمت هذه القصيدة في العهد الإمامي المباد.

هـدِّدونـا بـالـقَـيْـدِ أوْ بـالـسِّـلاحِ
واهْـدِروُا بـالـزَّئـيـرِ أو بـالـنُّـبـاحِ

وَكُـلُـوا جُـوعَـنـا وسـيـروا عـلـى أشْـ
ـلائِنا الحُمْرِ، كالخُيُولِ... الجماحِ

واقْـرَعُـوا فَـوْقَـنَـا الـطُّـبُـولَ وَغـطُّـوا
خـزْيَـكُـمْ بـالـتَّـصـنُّـعِ الـفـضَّـاحِ[1]

هـدِّدونـا لـن ينـثـنـي الـزَّحـفُ حَـتَّـى
يَـزحـفَ الـفـجـرُ مِـنْ جـمـيـعِ الـنَّـواحـي

* * *

قـسـمـاً لَـنْ نَـعُـودَ حـتـى تـرانـا
رايـةُ الـنَّـصْـرِ فـي الـنَّـهـارِ الـضَّـاحـي

خـوَّفـونـا بـالـمـوتِ، إنَّـا اسْـتَـهَـنَّـا
فـي الـصِّـراعِ الـكـريـمِ بـالأرواحِ

قـدْ ألِـفْـنـا الـرَّدى كـمـا تـألـفُ الـغـا
بـاتُ عـصـفَ الـخـريـفِ بـالأدْواحِ

(١) الطبول: كان ضرب الطبول في العهد الإمامي من أبّهة الدولة.

واحتقرنا قطعَ الرؤوسِ وأدمنَّا المنايا في حانةِ السَّفَّاحِ

فاحفِروا دربنَا قبوراً فإنَّا سوفَ نمضي للدَّفنِ أوْ للنَّجاحِ

* * *

نحنُ شعبٌ أغنيا خيالَ المنايا وتَحدَّى يدَ الزَّمانِ المَاحي

كلَّما أدمَتِ الطُّغاةُ جَنَاحاً مِنهُ أدمى نُحورَها بجناحِ

أتعبَ السِّجنَ والقيودَ ولَمْ يتعبْ وأَغْفَى سجَّانَهُ وهوصَاحِي

ساهرٌ كالنُّجومِ يستولِدُ الفجرَ وَيُومي إليهِ بالأجراحِ

* * *

أيُّها العابثونَ بالشّعبِ زِيدُوا ليلَنَا واملأوهُ بالأشباحِ

لغِّمُوا دَرْبَنَا، ومدُّوا دُجانَا واطْفِئوا الشُّهبَ وانتظارَ الصَّباحِ

سوف نمشي على الجراحاتِ حَتَّى نُشعلَ الفجرَ من لهيبِ الجراحِ

فاستبيحُوا دماءنَا تتورَّدْ وجنةُ الصُّبحِ بالدَّمِ المُستباحِ

إنّـمـا تُـنْـبـتُ الـكـرامـاتِ أرضٌ
«سمَّدتْ تُربَها» عظامُ الأضاحي

ودمـاءُ الـشّـهـيـدِ أنـضـرُ غـارِ
فـي جـبـيـنِ الـبُـطـولـةِ الـلَّـمَّـاحِ

وجراحاتُنَا عـلـى الأفـقِ أبْـهـى
شَـفَـقٍ لامـعٍ وأزهـى وِشَـاحِ

قَدْ أجَبْنَا صوتَ الـمُـرُوءاتِ لَـمَّا
عَـرْبَـدَ الـظَّـالِـمُ الـعـنـيـدُ الإبـاحي

وابـتَـنَـى الـقَـصْـرَ مِـنْ ضـلُـوعِ الـمـلا
يـيـنِ، وجُـوعِ الأجـيـرِ والـفـلَّاح

فـخَـلَـعْـنَـا عـنْ صـدرِهِ قـلـبَ «شمـ
شـونَ» وعـن وجـهِـهِ قـنـاعَ «سـجـاحِ»

نـحـنُ سِـرْنَـا عـلـى الـدِّمـاءِ إلـيـهِ
وعـلـى الـنَّـارِ والـقَـنَـا والـصِّـفـاحِ

وانـطـلـقـنـا عـلـى الـمـنـايـا كـأنَّـا
نـتـمـنَّـى الـحُـتـوفَ فـي كـلِّ ساحِ

لـم تُـرَنِّـخ مـصـبـاحَـنَـا أيُّ ريـح
دَمُـنَـا الـزَّيـتُ فـي فـمِ الـمِـصـبـاحِ

* * *

نحنُ شعبٌ خُضْنَا إلى الفجرِ هَوْلاً
فـاغـراً فـي الـطَّـريـقِ كـالـتـمـسـاحِ

وعـبـرنـا لـيـلاً كـألـسـنـةِ الـحـيَّـاتِ
والـدَّربُ عـاصـفٌ بـالـتَّـلاحـي (١)

وتَـفـشَّـتْ دمـاؤُنـا فـي الـرَّوابـي
الـسُّـمـرِ، كـالـعِـطـرِ فـي مـهـبِّ الـريـاحِ

بـيـنـنـا والـمـرامِ خـطـوةُ عـزمٍ
واثـبٍ كـالـضُّـحـى شـبـابُ الـطِّـمـاحِ

قـسـماً لَـمْ نَـقِـفْ عـن الـسَّـيـرِ حـتَّـى
نَـضـفـرَ الـغـارَ فـي جـبـيـنِ الـكـفـاحِ

❁ ❁ ❁

(١) التلاحي: الخصام والسباب.

رحلةُ التِّيه

سنة ١٩٧٣م

هدَّني السجنُ وأَدْمى القيدُ ساقي
فتعايَيْتُ بجُرحي ووِثَاقي
وأضعتُ الخطو في شوكِ الدُّجى
والعَمَى والقيدُ والجرحُ رفاقي
ومللْتُ الجُرْحَ حتَّى... ملَّني
جُرحيَ الدَّامي ومكثي وانْطِلاقي
وتلاشيتُ فلَمْ يبقَ سِوى
ذكرياتِ الدَّمعِ في وهمِ المآقي

* * *

في سبيلِ الفجرِ ما لاقيتُ في
رحلة التّيه وما سوف ألاقي
سوف يفنى كلّ قيدٍ وقُوى
كلِّ سفَّاحٍ، وعِطْرُ الجرحِ باقي
سوف تَهْدي نارُ جرحي إخوتي
وأُعيرُ الأنجُمَ الوَسْنى احتراقِي
فلنا شعبٌ فمَنْ يُنكرُني
وهوَ في دَمْعي وسُهْدِي واشْتِياقي؟

أنـــا ألـــقـــاهُ شـــجـــونـــاً ومـــنًـــى
فـــأُلاقـــيـــهِ هـــنـــا قـــبـــلَ الـــتَّـــلاقِـــي

❁ ❁ ❁

الحكم للشعب

٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م

لن يستكينَ ولن يستسلمَ الوطنُ
توثَّبَ الروحُ فيهِ وانتخى البدنُ

أما ترى كيفَ أغلى رأسَهُ ومضى
يدوس أصنامه البلها ويمتهنُ

وهبَّ كالماردِ الغضبانِ مُتَّشِحاً
بالنَّارِ يجتذبُ العَلْيا ويحتضنُ

فزَعْزَعَتْ معقِلَ الطغيانِ ضربتُه
حتَّى هَوَى وتساوى التَّاجُ والكفنُ

وأذَّنَ الفجرُ من نيرانِ مدفعِهِ
والمعجزاتُ شِفَاهُ والدُّنا أُذُنُ

تيقَّظتْ كبرياءُ المجدِ في دمِهِ
واحمرَّ في مُقْلتيْهِ الحِقْدُ والإحَنُ

* * *

يا صَرْعةَ الظُّلم شقَّ الشعبُ مرقدَهُ
وأشْعَلَتْ دَمَهُ الثَّاراتُ والضِّغَنُ

ها نحنُ ثُرنا على إذْعانِنَا وعلى
نُفوسِنَا واستثارَتْ أُمُّنَا «اليمنُ»

لا «البدرُ» لا «الحسنُ» السّجّان يَحْكُمُنَا
ألحكمُ للشَّعبِ لا «بَدْرٌ» ولا «حَسَنُ»

نحنُ البلادُ وسكَّانُ البلادِ وما
فيها لنا، إنَّنا السُّكانُ والسَّكنُ

أَليومُ للشَّعبِ والأمسُ المجيدُ لَهُ
لَهُ غدٌ ولهُ التاريخُ... والزَّمنُ

فلْيَخسأِ الظُّلمُ ولتذهبْ حكومتهُ
ملعونةً ولْيُوَلِّ عهدُهَا النَّتِنُ

* * *

كم كابدَ الشَّعبُ في أشواطِهِ مِحَناً
ماذا ترى؟ أنْضجَتْهُ هذهِ المِحَنُ!

كم خادعتهُ بزيفِ الوعدِ قادتُهُ
هيهاتَ أنْ يُخدعَ الفهَّامةُ الفَطِنُ

لن ينثني الشَّعبُ هزَّ الفجرُ غَضْبَتَهُ
فانقضَّ كالسَّيلِ لا جُبنٌ ولا وهنُ

حنَّ الشّمالُ إلى لُقْيَا الجنوبِ وكم
هزَّتْ فؤاديْهِمَا الأشواقُ والشَّجنُ

وما الشمالُ؟ وما هذا الجنوبُ؟ هما
قلبانِ ضمَّتْهُما الأفراحُ والحزنُ

ووحّد اللّهُ والتَّاريخُ بينهُما
والحقدُ والجرحُ والأحداثُ والفِتَنُ

* * *

«شمسان» سوفَ يُلاقِي صِنْوَهُ «نُقماً»
وترتمي نحوَ «صنعا» أختُها «عدنُ»

أَلمجد للشّعب والحكم المطاع له
والفعلُ والقولُ وهو القائلُ اللَّسِنُ

۞ ۞ ۞

من ذا هنا

ذو الحجة سنة ١٣٧٢هـ

مَـنْ أُنـادي؟ وأنـتِ صَـمَّـا سَـمِـيـعَـهْ
بـيـنَ صَـوْتـي وبـيـنَ أُمِّـي قـطـيـعَـهْ

مَنْ أُنادي؟ مَـنْ ذَا هُـنـا؟ لـم يُـجِـبْـنـي
آهِ، إلَّا صـمـتُ الـقُـبـور الـصَّـديـعَـةْ

يـا بـلادي: وأنـثـنـي أشـغـلُ الـتـفـتـيـشَ
عـنِّـي، وعَـنْ بـلادي الـصَّـريـعَـهْ

كيفَ ماتَتْ؟ كما يموتُ شبابُ العطرِ
فـي صُـفْـرةِ الـغـصـونِ الـخـلـيـعَـه

مـن درى كـيـفَ أطـبـقـتْ مُـقـلـتـيـهَـا
ورمـى الـلَّـيـلُ حُـلـمـهَـا فـي مـضـيـعَـهْ؟

أوكـلَـتْ أمـرَهَـا الـطُّـغـاةَ... كـراعٍ
نـامَ واسـتـودَعَ الـذِّئـابَ قـطـيـعَـهْ

وتـعـامَـتْ فـاسـتـعْـبَـدَتْـهـا عـبـيـدُ الـلَّـهـوِ
بـاسـمِ الـهُـدى وبـاسـمِ الـشَّـريـعَـهْ

وانـزوَتْ وحـدَهَـا تـئـنُ وتـسـتـلـقـي
وراءَ الـحـيـاةِ، خـلـفَ الـطَّـبـيـعَـهْ

❁ ❁ ❁

لنعترف

أيـنَ أضـعـنَـا يـا رفـاقَ الـسَّـمـاحْ
فـجـراً أفـقـنَـا قـبـلَ أن يـسـتـفـيـقْ

نَسقيهِ من خلفِ اللَّيالي الشِّحَاحْ
دمـاً ويـسـقـيـنـا خَـيـالَ الـرَّحـيـقْ

وفـجـأةً مـن شـاطـئ الـلَّـيـلِ لاحْ
وغـابَ فـيـهِ كـالـولـيـدِ. . . الـغـريـقْ

لا تـغـضـبوا ضـاعَ كـرجـعِ الـصُّداحْ
في ضَجَّةِ الفوضى وسُخْفِ النَّعيقْ

* * *

«لِـنـعـتـرِفْ» أنَّـا أضـعـنـا الـصَّـبـاحْ
فلْنحترِقْ حتَّى يُضيءَ. . . الطَّرِيقْ

أَلَـمْ نـؤُجِّـج نـحـنُ بـدءَ الـكـفـاحْ؟
فـلْـنـتَّـقِـدْ حتَّـى مـداهُ. . . الـسـحـيـقْ

لَـن نـنـطـفـي مـا دامَ فـيـنـا جِـراحْ
مُـسَـهَّـداتٌ فـي انـتـظـارِ الـحـريـقْ

لَـن نـنـطـفـي رغـم احـتـشـاد الـرِّيـاحْ
فـبـيـنـنـا والـنَّـصـرِ وعـدٌ وثـيـقْ

وفـجـرُنَـا الآتـي يـمـدُّ الـجـنـاحْ
لَـنـا ويُـومـي بـاخـتـلاجِ الـبـريـقْ

ثائران

١٧ رجب سنة ١٣٨٢هـ/ ١٣ ديسمبر سنة ١٩٦٢م

مَنْ جمالٌ ومَنْ أُسمِّي جمالا؟
مُعجِزَاتٌ منَ الهُدى تتوالى

وشُموخاً يسمو على كُلِّ فكرٍ
وعلى كُلِّ قمةٍ.. . يتعالى

مَنْ «جمالٌ»؟ حقيقةٌ تنثني
عنها الخيالاتُ يحترِقْنَ انفعالا

وعنادٌ أعْيَا البطولاتِ حتَّى
رجعَ الموتُ عنهُ يشكو الكلالا

* * *

موكبٌ من مشاعلَ انطفا الحسَّادُ
مِنْ نفخِهِ وزادَ اشتعالا

وتَدلَّتْ أضواؤه كالعناقيدِ
فأذكت في كلِّ عينٍ ذُبالا

وتملَّا ثُوَّارُ «صنعا» هُداهُ
فاستطاروا يُحَرِّقونَ الضَّلالا

والتقَوْا يَغسلونَ بالنَّارِ دُنيانا
ويَمْحُونَ بالدَّمِ الأوحالا

وأضاؤوا والليلُ يبتلعُ الشهبَ
وأمُّ الهلالِ تَطْوي الهِلالا
فتناغى ومضُ المآذنِ: ماذا؟
أيَّ فجرٍ أشْتَمُّ فيه «بِلالا»؟

* * *

ووراء الحنينِ شعبٌ مُسَجَّى
مَلَّ موتَ الحياة، ملَّ المَلالا
والرُّؤى تسألُ الرّؤى كيفَ ضَجَّ
الصَّمتُ؛ واستفسرَ الخيالُ الخيالا
مَنْ أطلُّوا كصحوِ نيسانَ يكسونَ
الرُّبى الجردَ خُضْرَةً واخْضِلالا
ومضى الثَّائرونَ يَفْدُونَ شعباً
يَتَحَدَّوْنَ باسمِهِ الآجالا
كالقلاعِ الجهنَّمِيَّاتِ ينقضُّونَ
يَرمونَ بالجِبالِ الجِبَالا
ويَشُبُّونَ ثورةً رَمَتِ التَّاجَ
وَهبَّتْ تُتَوِّجُ... الأجْيَالا
ومَشَتْ والشُّروقُ في خَطْوِها الجـ
بّارِ، يَنثالُ في الدُّروبِ انْثيالا
ومدَدْنا المُنى فكانَتْ عَطاءً
سَرْمَديّاً تجاوزَ الآمالا

فَـطَـفـرْنَـا إلـى الـحـيـاةِ كـمـوْتَـى
دفـعـتـهُـمْ قُـبـورُهـم... أطـفـالا

* * *

وبَـدأْنَـا الـشَّـوطَ الـكـبـيـرَ وأعـددنـا
لأخـداثِـهِ الـكـبـارِ... «جَـمَـالا»

واهـتـديـنـا بـهِ فـكـانَ دَلـيـلاً
وأبـاً يـحـملُ الـجـهـودَ... الـثِّـقَـالا

ويَـلَـوْنَـا فـيـهِ أخـاً لـم تـزدْهُ
لـهـبُ الـحـادثـاتِ إلَّا صـقَـالا

ودروبُ الـكـفـاحِ تُـنـبـيـكَ عـنـهُ
كـم طَـواهَـا وأتَـعَـبَ الأهـوالا

وثـنـى الـموتَ فـي «الـقـنـاة» وألـقـى
فـي أسـاطـيـلـهِ الـحـريـقَ... ارتِـجَـالا

ورمـى الـغـزوَ والـغُـزاةَ رمـاداً
تُـخـبـرُ الـعـاصـفـاتُ عـنـهُ الـرِّمـالا

وفُـلـولاً تـكـابَـتُ الـرُّوحُ فـيـهـا
مـثـلـمـا تـكـبـتُ الـعـجـوزُ الـسُّـعَـالا

* * *

لا تَـسَـلْ «بـور سـعـيـد» واسـألْ عـداهُ
كـيـفَ أدمَـى الـلَّـظـى وجـالَ وصَـالا

وتـحـدَّى الـرّدى الـغـضـوبَ ومـضـى:
خـلـفـهُ تـسـحـبُ الـذُّيـولَ اخـتـيـالا

وانتظارُ الفرارِ والنّصرِ وعدٌ
يَحتمي بالمُحالِ يُدني... المُحالا

والضُحى يرتدي رداءً من النّارِ
ويُرخي من الدُّخانِ... ظِلالا

ومنايا تمضي وتأتي منايا
وقتالٌ دامٍ يُثيرُ... قتالا

وسؤالٌ يَمضي وما من جوابٍ
وجوابٌ يأتي يُعيدُ السُّؤالا

فإذا «ناصرٌ» يقودُ تِلالاً
مِنْ شبابِ القُوى تَدُكُّ تِلالا

وجحيماً تحتلُّ أجسادَ مَنْ جاؤوا
يَرومونَ عندهُ... الإحتلالا

وأُباةٌ لا يعتدُونَ ويُهْدونَ
إلى المُعتدي الأثيمِ الزَّوالا

ويطيرونَ يضفرونَ النُّجومَ الخُضرَ
«غاراً» يُكلِّلون النِّضالا

وإذا النُّصرُ بين كَفَّيْ «جمالٍ»
ينحني خاشعاً ويَنْدى ابتهالا

* * *

مَنْ «جمالٌ»؟ سلِ البطولاتِ عنهُ
كيفَ أغرتْ بهِ العِدى الأنذالا؟

فتبارتْ أذنابُ «لندنَ» تُزري
باسمهِ فازدهى اسمُهُ وتَلالا

وأجـادُوا فـيـه الـسِّـبـابَ ولـكـن
يُحسِنُ الشَّتمَ مَنْ يُسِيءُ الفِعَالا

كيفَ يخشى أذيالَ لندنَ مَنْ صبَّ
على لندنَ المنَايا العجالا؟

إنَّ مَنْ تضربُ الرؤوسَ يداهُ
لا يُبالي أنْ يركُلَ الأذيالا

* * *

يا لصوصَ العروشِ عيبوا «جمالاً»
واخجلوا أنّكم قَصُرتم وطالا

فسقطتم على الوحولِ ذُباباً
وسما يعبر الشُّموسَ مجالا

واكتملتم نقصاً وزادَ كمالاً
ومَدَى النَّقص أنْ يعيبَ الكمالا

فبَنَى أُمَّةً وشِدْتُم عُروشاً
خائناتٍ تُبارِك القَتّالا

وقصوراً مِنْ الخَنَا مُثقلاتٍ
بالخطايا كالعاهراتِ الحَبَالى

فَسَلُوا عنكُمُ اللَّيالي السُّكارى
والحسانَ المُدلَّلاتِ الكَسَالى

وضياعَ الحِمَى وما لستُ أدري
ودنايا شتَّى عِراضاً طِوالا

لا تضيقُوا فإنَّ للشَّرف العالي
رجالاً وللدَّنايا رِجَالا

لا تَـضِـيـقُـوا إنَّ الـعـروبـةَ تـدري
مَـنْ «جـمـالٌ» وتـعـرفُ «الـسَّـلَّالا»

بـطـلُ الـثـائـريـنَ وافـى أخـاهُ
والـبـطـولاتُ تـجـمـعُ الأبـطـالا

أخـوانِ تـلاقـيـا فـاشْـرَأَبَّـتْ
«وحـدةٌ» الـعُـربِ تـنـحـرُ الإنـفـصالا

فـاهـتِـفِـي يـا حـيـاةُ إنَّـا اتَّـحـدنـا
فـي طـريـقِ الـمُـنَـى وزِدْنَـا اتِّـصالا

والتقى «الـنـيـلُ» والـسَّـعـيـدةُ جِـسْـماً
صـافَـحَـتْ كَـفُّـهُ الـيـمـيـنُ الـشِّـمَالا



وطنـي

سنة ١٣٧٣هـ

وطـنـي أنـت مُـلـهـمـي هَـزَجَ الـمـغـرم الـظَّـمـي
أنـت نـجـوى خـواطـري والـغـنـا الـحـلـوُ في فـمـي
ومـعـانـيـكَ، شـعـلـةٌ فـي عـروقـي وفـي دمـي
أنـت فـي صـدر مـزهـري مـوجـة مـن تـرنّـم
وصـدًى مـسـكـرٌ إلـى عـالـمِ الـخـلـد يـنـتـمـي
ونـشـيـدٌ... مـعـطّـرٌ كـالـرّبـيـع... الـمـرنَّـمِ
وهُـتـافٌ مـسَـلـسـلٌ كـالـرحـيـق... الـمـختَّـمِ

* * *

إيـهِ يـا مـوطـنـي أفِـقْ مـن كـراك... الـمـخـيِّـم
طـالـمـا تـهـت فـي الـدُّجـى والـظّـلام الـمـطـلـسم
وقـطـعـتَ الـمـتـاهَ فـي مـأتـم بـعـد مـأتـم
وتـمـشّـيـت فـي الـلّـظـى والـعـذابِ الـمـنـظّـم
أنـت تـجـثـو عـلـى الـلّـظـى وعـلـى الـشـوك... تـرتـمـي
سـاسـك الـجـوع والـشّـقـا والـنّـظـامُ الـجـهـنَّـمـي
إنْ يـلـوكَ مـنـك هـل أنـت مِـنْ أنـت تـحـتـمـي؟
فـتـوثّـبْ إلـى الـعـلا وثـبـةَ الـفـارس الـكـمِـي
وخُـضِ الـنّـارَ واحـتـمـلْ كـبـريـاءَ... الـتّـألُّـم
واصـرعِ الـظّـلـم تـكـتـفِ ذلَّ شـكـوى الـتّـظـلُّـم

❁❁❁

عـازفُ الصَّمت

١٧ ذي القعدة سنة ١٣٨٢هـ/ ١١ إبريل سنة ١٩٦٣م

أطـلـلْـتَ هـنـا وهـنـاكَ الـوقـوفْ
تُـلَـبِّـي طُـيـوفـاً وتـدعـو طُـيـوفْ

وفـي كُـلِّ جـارحـةٍ مـنـكَ... فِـكْـرٌ
مُـضـيءٌ وقـلـبٌ شـجـيٌّ شَـغُـوفْ

تُـغَـنِّـي هُـنـا وتـنـاجـي هُـنـاك
وتَـغـزلُ فـي شـفـتـيـكَ الـحـروفْ

وتـهـمـسُ حـتَّـى تـعـيـر الـصُّـخُـورَ
فـمـاً شـاديـاً وفُـؤاداً عَـطُـوفْ

وتُـعـطـي الـسُّـهـولَ ذهـولَ الـنَّـبـيِّ
وتُـعـطـي الـرُّبـى حيْـرةَ الـفـيـلـسـوفْ

تُـلَـحِّـنُ حـتَّـى تُـرابَ الـقُـبـور
وتَـعـزِفُ حـتَّـى فـراغَ الـكُـهـوفْ

وتُـفـنـي وجُـوداً عـتـيـقـاً حـقـيـراً
وتَـبْـنِـي وجُـوداً سَـخـيّـاً رَؤوفْ

وتَـغـرِسُ فـي مُـقْـلَـتـيْـكَ الـرُّؤى
كُـرومـاً تَـمُـدُّ إلـيـكَ الـقُـطُـوفْ

وتَـرنـو، وتَـرنـو وعَـيْـنـاك شَـوْقٌ
هَـتُـوفٌ يُـنـاجِـيـهِ شَـوْقٌ هَـتـوفْ

وأنت حنينٌ يُنادي حَنِيناً
وألفُ سُؤالٍ يُلبِّي أُلُوفْ

ودُنْياكَ عُشٌّ يُغنِّي ثَرَاهُ
فَتَخْضَرُّ أَصْدَاؤه في السُّقوفْ

* * *

وحينَ تَفِيقُ وتَفْنَى رُؤَاكَ
ويَنْأى الخيالُ المُرِيدُ العَزُوفْ

تَرى هٰهُنَا وتُلاقي هناك
صُفوفاً مِنْ الوَحلِ تَتْلُو صُفوفْ

عليها وجُوهٌ أراقَ النِفاقُ
مَلامِحَهَا، وأضاعَ الأُنُوفْ

وقَتْلى دَعَوْهَا ضحايا الظُّرُوف
وكانوا الضَّحايا وكانوا الظُّروفْ

أكانوا ملاهي صروفِ الزَّمان؟
وأُولَى وأُخْرى مَلاهي الصُّروفْ

وتَشْتَمُّ فوقَ اخْمِرارِ التُّراب
صدًى غائِماً مِنْ أغاني السُّيُوفْ

وتلمحُ فوقَ امتدادِ الدُّروب
سياطَ الخطايا تَسوقُ الزُّحُوفْ

ومقبرةً يَظْمأُ الميِّتُونَ
عليها ويحسُوْنَ وعداً خَلُوفْ

ومُجتمعاً حَشَرِياً يَحِنُّ
على غيرِ شيءٍ حنينَ الألُوفْ

ويَغدو علـى دَمِـهِ كـالـذِّئـاب
ويَـلْـقـى الـذِّئـابَ لـقـاءَ الـخَـروف

* * *

فماذا هُنـا مـن صُـنـوفِ الـسُّـقـوط؟
أحـطُّ الـصُـنـوفِ وأَخْـزَى الـصُـنـوفْ

هُنـا الأرضُ مُـسْـتَـنـقـعٌ مِـنْ ذبـاب
هُـنـا الـجـوُّ أُرْجُـوحَـةٌ مِـنْ كُـسُـوفْ

يُطَـبِّـلُ لـلـخَـائـنِـيـنَ الـطَّـريـقُ
كـأنَّ حَـصَـاهُ اسْـتَـحَـالـت دُفُـوفْ

مـآتم وأعـراس

٢٩ شعبان ١٣٨٢هـ/ يناير سنة ١٩٦٣م

أذاع الشاعر هذه القصيدة من راديو صنعاء بمناسبة مرور أربعة أشهر من عمر الثورة اليمنية المظفرة.

كـيـفَ كُـنَّـا يـا ذِكْـريـاتِ الـجـرائِـمْ
مـأتـمـاً فـي الـضَّـيَـاعِ يَـتْـلـو مـآتِـمْ

كـيـفَ كُـنَّـا قـوافِـلاً مِـنْ أنـيـنِ
تَـتَـعـايـا هُـنـا كـشـهْـقـاتِ نـادِمْ

وقَـطـيـعـاً مـن الـبَـراءاتِ يَـهْـوي
مِـنْ يَـدَيْ ذابـحِ إلـى شـدْقِ لاقِـمْ

ومَـضَـيْـنـا يَـسُـوقُـنـا سَـيـفُ جـلَّادِ
وتَـجْـتَـرُّنَـا سـكـاكـيـنُ ظـالِـمْ

* * *

ضـاعَ فـي خَـطْـوِنـا الـطَّـريـقُ فَـسِـرْنـا
ألـمـاً واجِـمـاً عـلـى إثْـرِ واجِـمْ

والـسُّـكـونُ الـمَـديـدُ يـبـتـلـعُ الـحـلـمَ
ويَـسْـري فـي وهـمِـنَـا وهـو جـاثِـمْ

والـدُّجـى حـاقِـدٌ يَـبـيـعُ الـشـيـاطـيـنَ
فَـنَـشْـري مـن الـقُـبـورِ الـتَّـمـائِـمْ

وخُطَانَا دمٌ تجمّدَ فِي الأشواكِ
جَمْراً وفِي الصّخورِ مَيَاسِمْ
ورياحُ الثّلوجِ تَشتمُّ مَسْرَانا
فَتَشْوِي وجُوهَنا بالشّتَائِمْ

* * *

كيفَ كُنَّا نَقْتاتُ جُوعاً ونُعْطِي
أَرْذَلَ المُتْخمِينَ أشهى المَطَاعِمْ؟
وجِرَاحَاتُنَا على بابِ «مولانا»
تُقِيمُ «الذُّبابُ» مِنها ولائِمْ
وهو في القصرِ يَحْتَسي الشَّعبَ خَمْراً
ودَماً والكؤوسُ غضبى لَوائِمْ
ويُرائِي وفِي حَنَايَاهُ دُنْيَا
مِنْ ضَحَايا وعَالَمٌ مِنْ مآتِمْ
فَنُفَدِّيهِ وهو يُغْمِدُ فينا
صارِماً مُدْمِناً ويَسْتَلُّ صارِمْ
ويَشيدُ القصورَ مِنْ جُثَثِ الشَّعبِ
المُسَجَّى ومِنْ رُفَاتِ المحارِمْ
ويُغَطِّي بالتَّاجِ رَأساً خَلايَاهُ
وأفكارُهُ ذِئابٌ حوائِمْ
وتِلالٌ مِنَ الجِرابِ وكَهْفٌ
مِنْ ضَوَارٍ وغابَةٌ مِنْ أراقِمْ

* * *

كيف كُنّا نَدْعُوهُ مَوْلًى مُطَاعاً
وهو «للإنْجِلِيزِ» أطْوَعُ خادِمْ

هَدَّنا الضَّعفُ فادَّعى قُوَّة «الجنِّ»
وبأْسَ الرَّدى وفَتْكَ الضياغِمْ

فَتَحامَاهُ ضَعفُنا واتَّخذْنَاهُ
إلَهاً مِنْ «شَعْوَذَاتِ» المَزَاعِمْ

عَمْلَقَ الدَّجلُ شَخْصَهُ وهو قزمٌ
تتظنَّاهُ قاعِداً وهو قَائِمْ

وصَبِيُّ الشُّذوذِ وهو عجوزٌ
نصفهُ ميّتٌ... وباقِيهِ... نائِمْ!

وأثيمٌ أيَّامه... للدَّنايا
ولياليهِ للبَغايا... الهوائِمْ

ويداهُ يَدٌ تُجرِّحُ شعباً
ويدٌ تَقْطفُ الجِراحَ «دراهِمْ»

* * *

ويُوَلِّي على الوزاراتِ والحُكْمِ
رِجالاً كالعانساتِ النَّواقِمْ

ولُصوصاً كأنَّهم قومُ «ياجُوجَ»
صغارُ النُّهى كِبَارُ العَمائِمْ

وطِوالُ الذُّقونِ شُعْثاً: كأهلِ
الكهفِ: بل كالكهوفِ صُمٌّ أعاجِمْ

يحْكُمونَ الجُموعَ والعدلُ يبكي
والمآسي تُدْمِي سُقُوفَ المَحاكِمْ

تـارةً يـرقـصـون فـوقَ الـضّـحـايـا
وأوانـاً يُـشَـرِّعـونَ الـمـظـالِـمْ

فـيُـسَـمُّـونَ شـرعَـةَ الـغـابِ حَـزْمـاً
إن أصـابـوا فـالـذِّئـبُ أحْـزَمُ حـازِمْ

ويُـصَـلُّـونَ والـمـحـاريـبُ تَـسـتـفـتـي
مـتـى تـصـبحُ الأفـاعـي... حـمـائِـمْ؟

ويـعـودونَ يـلـفـظـونَ الـحَـكـايـا
مـثـلـمـا تَـنـثـرُ الـنـثـيـلَ الـبـهـائِـمْ

ويـمـيـلـونَ يـعـبـرونَ الـرّؤى خَـيْـراً
وشَـرّاً مـن خـاطـرِ الـغـيـبِ نـاجـمْ

كـلّـهـم مـتـحـفُ الـغـبـاءِ... وكُـلٌّ
يـدَّعـي أنَّـهُ مـحـيـطُ الـمـعـاجِـمْ

فـيـلـوكـون مِـنْ «مـريـضٍ» الـتَّـواريـخِ
حُـروفـاً مـن فَـهْـرَسـاتِ... الـتَّـراجِـمْ

ويُـنـيـلـونَ «بـاقِـلاً» ثـغـر «قـسٍّ»
ويُـعـيـرونَ «مَـادِراً» جـودَ «حـاتِـمْ»

كـيـفَ هُـنّـا فـقـادنـا أغْـبِـيـاءٌ
ولـصـوصٌ مـتـوَّجـونَ أكـارِمْ؟

وصِـغـارٌ مُـؤَنَّـثـونَ وغِـيـدٌ
غـالـيـاتُ الـحُـلـى رخـاصُ الـمـبـاسِـمْ

* * *

هـكـذا كَـانَ حـاكـمـونـا وكُـنّـا
فـنَـحَـرْنَـا فـيـنـا خُـضـوعَ الـسَّـوائِـمْ

وانـتـظـرنَـا الـصّـبـاحَ حـتَّـى أَفَـقْـنَـا
لـيـلـةٌ وهـو ضـجَّـةٌ مِـنْ طـلاسـم

أتُـرى قـامـتِ الـقـيـامـةُ أم هَـبَّ
الـعـفـاريـتُ يَـطْـحَـنُـونَ الـقـمـاقـم؟

وأصَـخْـنَـا نُـفَـسِّـر الـوَهْـمَ بـالأوهـام
والـظَّـنَّ بـالـظُّـنـونِ الـرَّواجِـمْ

ووراءَ الـضَّـجـيـجِ إيـمـاءُ رَغْـدٍ
يـزرعُ الـشُّـهـبَ فـي يِـدَيْـهِ خـواتِـمْ

والـدُّجـى يَـعْـلُـكُ الـسُّـكـونَ ويَـعْـدو
مـثـلـمـا تَـعْـلِـكُ الـخـيـولُ الـشَّـكـائِـمْ

وسـألـنـا مـاذا؟ فـأوْمـتْ طُـيـوفٌ
زهـراتُ الـبـنـانِ خُـضْـرُ الـمـعـاصِـمْ

وتَـحـدَّى صـمـتَ الـقـبـورِ دوِيٌّ
شَـفـقـيُّ الـصَّـدى عَـنِـيـدُ الـغـمـاغِـمْ

والـعـيـانُ الـكـبـيـرُ مـيـعـادُ رؤيـا
أنـكَـرتْ صِـدْقَـهُ الـعـيـونُ الـحـوالِـمْ

وإذا فـاجـأ الـيـقـيـنُ عـلـى الـشَّـكِّ
حـسـبْـتَ الـيـقـيـنَ تـهـويـلَ واهِـم

* * *

وهُـنـا حـرَّق الـغـيـومَ انـفـجـارٌ
والـصَّـدى يـعـزفُ الـلـهـيـبَ مـلاحِـمْ

فـتـراخَـى «قـصـرُ الـبـشـائِـر» كـالـشَّـيـخِ
ولاذَتْ جُـدرانُـهُ بـالـدَّعـائِـمْ

واختَمى بالقوى فَضَجَّ عليهِ
لَهَبٌ عارِمٌ يلبِّيهِ عارِمْ
وحريقٌ يُدْمِي قُواهُ ويمضي
وحريقٌ جهنَّميٌّ... يُهاجِمْ
فارتمى في اللَّظى كما تَرْتَمي الأفيَالُ
حمرَ الرؤوسِ جرحى القوائِمْ
وتعالى الدُّخانُ والنَّارُ فاللَّيلُ
نهارٌ صحوُ الأساريرِ غائِمْ
وتَنَادَى الشُّروقُ من كُلِّ أُفقٍ
ثورةً فانبئي الرُّبى يا نَسَائِمْ
فإذا مأتمُ المآتمِ أعراسٌ
نَشَاوَى مُزغرِدَاتٌ نواغِم

* * *

أشرقَ الثَّائرونَ فالموتُ عُرسٌ
وأنينُ الحِمَى لُحونٌ بَواسِمْ
وارتعاشُ الخريفِ دفءٌ رَبيعِـ
يٌّ، وصيفٌ داني العناقيدِ دائِمْ
والجِراحُ التي على كُلِّ شبرٍ
أثمرتْ فَجْأَةً وكانَتْ بَرَاعِمْ

* * *

مَنْ رَأى الثائرينَ زَحْفاً من الخَضْبِ
وزحفاً منْ شامخاتِ العَزائِمْ؟

وصـبــاحــاً ضَـافـيَ الـشُّـروقِ مُـطِـلاً
وصـبـاحـاً فـي شـاطـئ الـلَّـيـلِ عـائِـمْ
وشـبـابـاً تَـوهَّـجُـوا فـانْـطَـفَـا «نَـيْـرونُ»
وانــهــارَ أغــبــرَ الــوجــهِ فــاحِــمْ
واسْـتَـثَـاروا دفءَ الـحـيـاةِ فـمـاتَ الـ
ـمـوتُ، وانْـقَـضَّ عـرشُـهُ وهـو راغِـمْ
وأطــلَّــتْ وجُــوهُــهــم مِــنْ وراءِ
الـلَّـيـلِ، كـالـصَّـحـوِ مِـنَ وراءِ الـغـمـائِـمْ
ومَـشَـوْا تـزرعُ الـدُّروبَ خُـطَـاهُـم
مَـوْسِـمـاً طـيِّـبـاً يَـجُـرُّ مـواسِـمْ
وشُـمـوسـاً هَـواتِـفـاً وانـتـصـاراً
حـاسِـمـاً يـهـتـدي عـلـى إثْـرِ حـاسِـمْ
والـضُّـحـى فـي الـدُّروب يـمـرحُ كـالأ
فـراح، فـي أعـيُـنِ الـصَّـبـايـا الـنَّـواعِـمْ

* * *

فـتـهـادَتْ مـواكِـبُ الـشَّـعـبِ ألـوانـاً
كـنـيـسـانَ مـائـجِ الـحُـسْـنِ فـاغِـمْ
وتـوالَـتْ حُـشـودُهُ الـكُـثْـرُ تَـشـدو
فـالـرُّبـى والـسُّـهـولُ شـادٍ وبـاغِـمْ
ونـسـيـنـا فـي غَـمْـرَةِ الـبِـشْـرِ. . . عـهـداً
أسْـودَ الـقَـلـبِ أحـمـرَ الـسَّـيـفِ قـاتِـمْ
كُـلَّـمـا عَـبَّ جـيـفـةً مـدَّ لـلأُخـرى
كُـؤوسـاً كـحـنـجـراتِ. . . الـضَّـراغِـمْ

كان حكامه ذباباً عليها
من صديد الجراح أخزى المعالِمْ
وذئاباً بُلهاً وكنَّا قطيعاً
قسَّمونا واستجمعونا غنائِمْ

* * *

فانقسمنا برغمنا وسألنا
أين أينَ القُربى؟ وأينَ المراحِمْ؟
أوما نحنُ إخوةٌ أمُّنا الخضراء؟
فيمَ اختصامُنا؟ مَنْ نُخاصِمْ؟
أنجبتنا هذي البلادُ فأنهتْ
بدَع الفنِّ قبلَ بدءِ العوالِمْ
وغذتنا تآخياً كانَ أبقى
من رُبى ريفِها ووَهْجِ العواصِمْ

* * *

فمضوا يُطعِمُوننا الحِقدَ حتَّى
جَهِلَ المرءُ قصدَهُ وهوَ عالِمْ
وتمادَوا في الهدمِ حتَّى كَسَرْنا
مِعولَ الحِقدِ في يديْ كُلِّ هادِمْ
ودفنَّا حُكمَ الشذوذِ رُفاتاً
واحتشدنا نتوِّجُ الشَّعبَ حاكِمْ
والتقينا نمُدُّ للفجرِ أُفقاً
مِن دمِ التوأمينِ «عادٍ» و«هاشِمْ»

ومَراحاً من تضحياتِ «البَلاقِيسِ»
وَمَغدى مِنْ تضحياتِ «الفَواطِمْ»

فانطلقْ حيث شئت يا فجرُ إنَّا
قَدْ فَرَشْنَا لك الدُّروبَ جماجِمْ

وزَحَفْنَا نَهْدِي الهُدى ومدَدْنَا
من قُوانَا إلى الأعالي سلالِمْ

وسَمَوْنَا صَفْقاً مبادِئُهُ الحبُّ
وغاياتُهُ سماءُ المكارِمْ

* * *

وأضَأْنا حتَّى انثنى سارقُ الإسلام
عريانَ يَحْتَمي بالهزَائِمْ

واشرأبَّتْ أرضُ النَّبِيِّ تُدَوِّي
مَنْ «سعودٌ»؟ أَطْغى وأغْشَم غاشِمْ!

وغبيٌّ مسلِّمٌ لكلِّ عدوٍّ
وهو حَرْبٌ على أخِيهِ المُسَالِمْ

مَنْ رآه يَرْجو «حُسَيناً» ويَهْذِي؟
مَنْ يَقِينا هَوْلاً مِنْ النَّارِ داهِمْ؟

فيعودُ الجوابُ عنهُ سُؤَالاً
هَلْ لطاغٍ مِنْ غضبةِ الشَّعبِ عاصِمِ؟

۞۞۞

الحريقُ السَّجين

٣ ـ ١ ـ ١٣٨٣هـ/ ٢٦ ـ ٥ ـ ١٩٦٣م

هنـاكَ وراءَ الأنـيـنْ
أنِـيــنِ الـتُّـراب
حَـريـقٌ سـجِـيـنْ

يُهَدْهِدُ خَلْفَ امتدادِ الغيومِ صـبـاحـاً دفـيـنْ
يَـمـدُّ نـهـودَ أغـانـيـهِ، يُـرضـعـنَ حُـلْـم الأنِـيـنْ
وتَخْضَرُّ بينَ جناحيْ صَدَاهُ رمـالُ الـسّـنـيـنْ
علـى وَجْهِهِ مِنْ سُهادِ اللَّـ يـالـي ذهـولٌ حَـزِيـنْ
وجُـوعٌ إلـى لا مَـدَى حَـنـيـنٌ يُـنَـادي حَـنِـيـنْ

* * *

وشَوْقٌ يُفَتِّش في كُلِّ طَيفِ عـن الـجـنَّـةِ الـضـائِـعَـهْ
ويُنهِضُ من عثراتِ التُّرابِ مُـنَـى ضـارعَـهْ
ويَـخـسـو الـفَـراغَ ويسقِيهِ أُغْـنـيَـةً رائِـعَـهْ
ويَسْتَودِعُ الـرِّيـحَ أنْـفـاسَ رغـبـتِـهِ الـجـائِـعَـهْ

* * *

ويُـوقِـدُ أشْـلاءَهُ لِـلـرُّؤى والـصَّـدى الـعـائِـدِ
ويَطْمَعُ أنْ يَسْتَفِزَّ ضميرَ الـدُّجَـى... الـحـاقِـدِ
وحَشْرَجَةُ الشُّهْبِ فِيهِ بـقـايـا دَمٍ جـامِـدِ
ويُغْطِي عُيونَ الـجَـلـيـد رُؤَى الـمـوسـمِ الـواعِـدِ

وتَـغـوي الـرِّيـاحُ فـيـخَـفِـقُ كـــالــطَّـــائِـــرِ الــبَـــارِدِ
ويَـغـيَـا جَـنَـاحٌ فـيَـسْـمـو عـــلـــى جـانِــحٍ واحِـــدِ

* * *

يُــدَلِّــلُ فَــوْقَ انــتــظَــارِ الــرُّبــى مُــتْـيَـةً كــادِحَــهْ
ويَـسْـقِـي الـحـنـانَ قُـبُـوراً هُــنـاكَ مُـعُـذَّبَـةً صائِـحَـهْ
تُعالِجُ أوْجَاعَـهَا المُعضِلاتِ «بِـيْـس» و «الـفـاتِـحَـهْ»
وتَخْشَى خيالَ الشُّروقِ فتغلقُ حُـفْـرَتَـهَـا الـنَّـازِحَـهْ

❁❁❁

شمسان

سنة ١٣٧٣هـ

حُرَقُ «الجنوبِ» قذائفٌ في مُهجَتي
تَغزو الحدودَ وتَحرِقُ الأسْدَادا

وحدي وفي أرضِ الجنوبِ عشيرتي
تتطلَّبُ السُّقيا وتَرجو الزَّادا

وتَسيرُ في الأصفادِ تائِهةَ الخُطَى
تَستنجِدُ الأغْوارَ والأنْجَادَا

فمتى تُحَرِّقُ بالدِّمَا أصفادَهَا
وتُبيدُ مَنْ صَنَعوا لها الأصْفادَا

دَعْني أُلَمْها في القيودِ... لعلَّها
تَتَذكَّرُ الآباءَ... والأجْدادَا

ولعلَّها ترنو إلى تاريخِنَا
فتَرى الفُتوحَ وتَعرِفُ القُوَّادَا

فعلى رُبى التَّاريخِ مجدُ جدودِنَا
يَهْدِي البنينَ ويُرشِدُ الأحْفَادَا

أدْنى المَواطِنِ مَوطِنٌ إنْ هَزَّهُ
جُرحُ الكرامةِ للصِرَاعِ تَمَادى

وأَذَلُّ ما في الأرضِ شعبٌ يَجْتدي
فَسْتَغْمِراً ويُؤَلِّهُ اسْتِبدادا

ويَــئـــنُّ مِـــنْ جَـــلَّادِهِ وهـــو الَّـــذي
صَـنَـعَ الـطُّـغـاةَ وسَـلَّـحَ الـجَـلَّادَا

فـــي الـــنَّـــاسِ أنـــذالٌ وأوغَـــدُ أُمَّـــةٍ
مَـــنْ ولَّـــتِ الأنْـــذالَ والأوْغـــادَا

«صِـرواحُ» يـا شَـمَـمَ الـبـطـولـةِ لـم يَـزَلْ
«شـمـسـانُ» يَـسْـطـعُ بـاسـمِـك الأطْـوادَا

* * *

«شــمــســانُ» زَمْـجَـرَ بـالإبـاءِ وأرْعَـدت
هَـضَـبـاتُـه تَـتَـحَـرَّقُ اسْـتِـشْـهـادَا

أنِـفَ الـدَّخـيـلَ فَـسِـرْ إلـيـهِ وشُـدَّ فـي
زَنْـدَيْـكَ مـنـهُ سـواعِـداً وزِنـادَا

واذرِ الـعـداةَ عـلـى الـسّـفـوحِ وفـي الـرُّبـى
مِـزَقـاً كـمـا تَـذْرو الـرِّيـاحُ رمـادا

❁ ❁ ❁

قالت الضحية

ذو القعدة سنة ١٣٨٢هـ

كـيـفَ كُـنـتـم أيَّـامَ كُـنْـتُ مُـثِـيـرَهْ؟
حـشـراتٌ حَـولِـي وكُـنْـتُ أمِـيـرَهْ

كُـنْـتُ أمـشـي فـتَـفـرِشـونَ طَـرِيـقـي
نـظـراتٍ مُـسْـتَـجـديـاتٍ كـسـيـرَهْ

وشُـجـونـاً حُـمْـراً وشـوْقـاً رَخـيـصـاً
ونِـــداءً وثَـــرثـــراتٍ كَـــثـــيـــرَهْ

تَـتَـنَـاجـوْنَ بـيـنـكُـمْ: أتُـراهـا
بنتُ «كِسْرى» أم «شَهر زاد» الصغيرهْ؟

لـو رأى «شَـهـريـارُ» طَـيْـفَ صِـبـاهـا
بـاعَ فـيـهـا سُـلـطـانَـهُ وسـريـرَهْ

وتَـحـومـونَ تَـزرعَـون رمـالَ الـجُـوعِ
نَـجـوى وأمـنـيـاتٍ وَفِـيـرَهْ

لـيـتـهـا لِـي أو لـيـتَ أنِّـي طـريـقٌ
لـخُـطـاهـا تَـمُـدُّ فـيـهِ الـمـسـيـرَهْ

لـيـتـنـي مـشـطُـهـا فـأَشْـتَـمَّ مـنـهـا
شـعـرَهَـا أو أكـونَ فـيـهِ ضَـفـيـرَهْ

لـيـتـنـي ثـوبُـهَـا، ويَـهـمـسُ ثـانٍ
يَـدَّعـي أنَّـهُ مُـنـاهـا... الـكـبـيـرَهْ

آخِرُ العهدِ بيننا سمَرُ الأمسِ
شَكوتُ الهَوَى وبَثَّت سعيرَهْ

لا تَقولوا: سامَرْتُ وهماً فما زالَ
على ساعِدَيَّ دِفءُ السَّميرَهْ

فَيُلَبيِّهِ ثالِثٌ: ليتَ أنّي
نُقطةٌ فوقَ خدِّها مُسْتَديرَهْ

ويُجاريهِ رابعٌ: فَيُغنّي
ليتني البحرُ وهي فِيَّ... جزِيرَهْ

ويُعيدُ المُنى أديبٌ شَجِيٌّ
ليتَها جدولٌ أناغي... خريرَهْ

هكذا كُنتمْ أمامي وخَلْفِي
غَزَلاً مُغرِياً وكُنْتُ... غَرِيرَهْ

ولأنّي أُنثى وأُمِّي عجوزٌ
ماتَ عنها أبي، سَقَطْتُ أجِيرَهْ

كيفَ أروي حِكايتي؟ وإلى مَنْ؟
كيفَ تَشكو إلى العقورِ العَقِيرَهْ

نشأتْ قِصّتي وكانَ أبِي كَهْلاً؟
وَقُورَ السِمَاتِ نذلَ السَّريرَهْ

يشتري كُلَّ حَظِّهِ مِنْ عَجوزٍ
بالأساطيرِ والغُيوبِ خبيرَهْ!

كانَ زُورُ المديحِ يَحلبُ كفَّيْهِ
ويُعطيهِ وَسْوَساتٍ خَطِيرَهْ

فَيَرى أنّ قومَهُ أهمَلُوهُ
فأضاعوا أنقى وأغلى ذخيرَهْ

يتمنّى قتلَ الألوفِ ولكنْ
بُغيةٌ صَعبةُ القِيادِ عَسيرَهْ

فالتوى يَذبحُ الصِّغارَ مِنْ الأطفالِ
أو يخطفُ الصَّبايا النَّظيرَهْ

ويُرابي بالبائِساتِ وراءَ الحيِّ
والهيْنَماتُ تُخفِي... نَكِيرَهْ

واختَمَى بالصَّلاةِ لم يَدنُ مِنْهُ
بَصَرُ الحيِّ أو ظُنونُ البصِيرَهْ

فانثنى ليلةً كما يَخبِطُ المخمورُ
في الوَحْلِ، والسَّماءُ مَطيرَهْ

قلِقاً تجرحُ الفراغَ خطاهُ
وهو يُصْغي إلى خُطَاهُ الحَسيرَهْ

وصَفِيرُ السُّكونِ ينفخُ أُذنيْهِ
فيرتابُ، يَسْتعيدُ صَفيرَهْ

وتَمادى تَنَهُّدُ الجوِّ حولَيْهِ
ووَالى شَهِيقَهُ... وزَفِيرَهْ

ورمى خلفهُ وبينَ يديهِ
عاصِفاً أدْمَتِ البروقُ هَدِيرَهْ

وعلى المُنْحَنى حِفيرَةُ صَخْر
جاءَها فانْطَوَتْ عليهِ الحفيرهْ

وهُنـاكَ انـتـهـى أو انـقـضـتِ الـجِـنُّ
عـلـيـهِ كـمـا تـقـولُ: الـعَـشـيرَهْ

زعـمـوه كـانَ يـصيـحُ مـن الـصَّـخـر
ويَـرجـو أصـداءَهُ أن تُـجـيـرَهْ

لـستُ أدري كـيـفَ انـتـهـى؟ مـاتَ يَـوْ
مـاً ورَمَـى عِـبْـئـهُ عـلـيـنـا... ونـيـرَهْ

* * *

فَـتَـبـنَّـى الـضَّـيـاعُ طِـفْـلاً كـسِـيـحـاً
وأنـا، والأَسَـى وأُمّـاً فَـقِـيـرَهْ

فـسـهـرنـا نَـشْـقـى ونَـسْـتَـرجِـعُ الأمـسَ
ونـبـكـي أبـي ونـرويـهِ سِـيـرَهْ

كـانَ يَـشْـرِي الـحُـظـوظَ مـن أُمِّ يـحـيـى
كُـلَّ يـومٍ كـانَـتْ لـهُ كـالـمُـشِـيـرَهْ

كـانَ يَـمْـتَـدُّ هـٰهُـنـا كُـلَّ لـيـلٍ
وهـنـا يَـرتـمـي... قُـبـيـلَ الـظَّـهِـيـرَهْ

* * *

كُـنْـتُ فـي مِـحـنـتـي كـزَنـبـقـةِ الـرَّمـلِ
أُعـانـي جـفـافَـهُ... وهـجـيـرَهْ

فـأشَـرْتُـمْ إلـيَّ بـالـمُـغـريـاتِ الـخُـضْـرِ
والـبـيـضِ، والـوعـودِ الـغَـزِيـرَهْ

وفَـلأْتُـم يـدي وأشْـغَـلْـتُـمُـونـي
شـمـعـةً فـي دُجـى الـخـطـايـا الـضَّـرِيـرَهْ

وعلى رُغمِ عفّتي، رُغمَ أُمّي
وأبي عُذتُ مُومساً سكّيرَهْ

ولَهوْنا حِيناً وأشتَى رَبيعي
فَتَعرَّيتُ أرتَدي زَمْهريرَهْ

وانصَرَفتمْ عنّي أَمَا كُنتُ يوماً
عِندكم منيةَ الحياةِ الأثيرَهْ؟

وزَعمتُمْ بأنّني كُنْتُ وَخْلاً
آدمِيّاً أَمَا شَرِبتُمْ عَصِيرَهْ؟

وأشَغتُمْ في الحيّ أنّيَ شرٌّ
يَتفادى دُنوَّهُ... ونذيرَهْ

فتوقّى حتّى خيالَ وجودي
وهو حَيٌّ على الحياةِ جَريرَهْ

***

كيفَ أبقى هنا وأنصافُ ناسٍ
جِيرَتي، ليسَ لي رِفاقٌ وجِيرَهْ

وغَدِي رهبةٌ ويوْمي انتحارٌ
واحتقارٌ، والأمسُ ذِكرى مَريرَهْ

وهنا حَيُّنا خُطَاهُ إلى الأمسِ
وأمجادُهُ عِظَامٌ نَثِيرَهْ

دفنَ الأمسَ جُثّةً مِنْ دَنايا
وانثَنى يَستعيرُ مِنها مَصِيرَهْ

فهو حَيٌّ مِنْ الجليدِ المدَمّى
يَجتبي لِصَّهُ ويَجفو خَفيرَهْ

يَدّعي المجدَ وهو مقبرةٌ تهتزُّ
خلفَ التّرابِ وهيَ قريرَهْ

يَزدريني وَخدي وإنّي وإيّاهُ
ضحايا شُرورِهِ المُستَطِيرَهْ

يَزدرِيني وتَوبتَي وحناني
فوقَ أهدابِهِ صلاةٌ مُنِيرَهْ

هل أُنَادِي الضَّميرَ والخُلْقَ فيهِ؟
لم أَجدْ فيهِ خُلْقَهُ أو ضَمِيرَهْ

* * *

أيُّها الآكِلُونَ عِرضِي لأنِّي
كنتُ أُلعوبةً لديكُمْ أسِيرَهْ

حَقِّروني يا دُوْدُ لو لَمْ تَكونوا
حُقَرَاءَ ما كُنْتُ يوماً حَقِيرَهْ

لا تَقولوا: كانَتْ بَغِيّاً، أَمَا الفُجَّارُ
كُثْرٌ والفَاجِرَاتُ كثيرَهْ؟

لستُ وحدي، كَم البَغَايا ولكِن
تلكَ مَغْمورَةٌ وهٰذي شهِيرَهْ

صدِّقوني إنْ قُلتُ في دُورِكُمْ مثلي
فَلَسْتُ الأُولَى ولستُ الأخِيرَهْ

كُلُّ حسناءَ زهرةٌ: هل يَرُدُّ الزَّهْـ
رُ عنهُ حتّى الذُّبابَ المُغِيرَهْ؟

❁❁❁

لا ارتِداد

٥ ـ ١ ـ ١٣٨٣هـ/ ٢٨ ـ ٥ ـ ١٩٦٣م

أَلدَّرْبُ شياطينٌ فرَحَى زُمَرٌ تَهذي مَرحى مَرحى
وتَخوضُ الدَّربَ فتسلبُهُ رُؤْياهُ أَغْنِيَةُ القَرْحى
وتُحوِّلُ هَجْعَةَ... تُربَتِهِ تَسْهِيداً، ولَيالِيه... جَرْحى
وتعُبُّ دَماً وتَمُجُّ دَماً ومُداها تَرتجِلُ... الذَّبْحَا
والشُّهبُ حنينٌ مَصْلوبٌ ظَمْآنٌ يَجترِعُ «المِلْحَا»
فَتئِنُ الرِّيحُ... تُمازِجُهُ وتُلَوِّنُ أُذْناهُ المَزْحَا
والآفَاقُ الوَسْنَى وَرَقٌ مُحِيَتْ، أو أوراقٌ... تُمحَى
والحَيُّ سُكونٌ مُصفَرٌّ كخطايا تَستَجدِي الصَّفْحَا
وتموتُ الشَّكوى في فَمِهِ فيُكَلِّفُ رَعْشَتَهُ البَوْحا
إصغاءٌ لم يسمع شَذْواً غنَّاهُ ولم يَذْكُرْ... نَبْحَا
صَمْتٌ، إغْفاءٌ، ثَلْجِيٌّ لم يَلْمَحْ في الحُلْمِ الصُّبْحَا

* * *

فتَثاءبَ حولَيْهِ جَبَلٌ وتَنَهَّدَ فاجْتَرَّ السَّفْحا
وتَلَظَّى دَمُهُ فامتَدَّتْ كالجُذوةِ قامَتُهُ السَّمْحا
وتَلَقَّتِ الأطيافُ إلى عَيْنَيْهِ تَقْتَبِسُ اللَّمْحا

* * *

فرنا والظُّلْمَةُ مِشْنَقَةٌ بجراحِ الأنجمِ مُبْتَلَّهْ

وَدُخانٌ عِمْلاقٌ يُرْخي فوقَ التِّيهِ العاني ظِلَّهْ
ويَروعُ الحُلْمُ فباغَتَهُ تَيّارُ الصَّحْوِ على غَفْلَهْ
وتَلَوّى حيناً في دَمِهِ وهَوَى أشْلاءَ مُنحَلَّهْ
وتَعالَتْ أحلامُ الوادي تُومِي كعناقيدِ النَّخْلَهْ
وأفاقَ ثَراهُ كموعُودِ بالموتِ، أَبَلَّ مِنَ العِلَّهْ
وتَمَطّى يَبْدأُ مِيلاداً خِصْباً نيْسانِيَّ الحُلَّهْ
واهْتَزَّ كأَسْخَى مَزْرعةٍ حُبْلَى تتمخَّضُ بالغَلَّهْ
وافْتَرَّ وبَاحَتْ شفَتَاهُ للبَيْدَرِ بُشْرَى مُخْضَلَّهْ
ومُنَى كتَبَسُّمِ زَنْبَقَةٍ فتَحتْ شفَتَيْهَا للنَّحلَهْ
وأعادَ الجوُّ حِكَايتَهُ كحدِيثِ الطِّفلِ إلى الطِّفلَهْ
وكَغُنْجِ الوَعْدِ على ثَغْرٍ خَمْرِيٍّ يَسْتَهوي القُبْلَهْ
وأسالَ الجوُّ مباهِجَهُ كالشلّالاتِ المُنْهلَّهْ
وغَلَى في الثَّلجِ دمٌ حيٌّ فأحالَ بُرودَتَهُ شُعْلَهْ

* * *

وامتدَّ عموداً جَمْرِيّاً واحْمَرَّ بِعينَيْهِ الأَرَقُ
ماذا؟ مَنْ أذْكى الرَّملَ هُنا؟ فَهَفا يَخْضَرُّ ويَنْطَلِقُ
وتَنادَى التُّرْبُ فمَقْبرةٌ تَذْوِي ورَمادٌ يَحْترِقُ
وهُنا احتشدَ العدَمُ الغَافي كالصَّيفِ يفُوحُ ويأتَلِقُ
يَلِدُ الميعادُ بِجَبْهَتِهِ تَارِيخاً يُبْدِعُه العَرَقُ
ويُوشِّحُهُ أُفُقٌ صحْوٌ بالدِّفءِ، ويحضُنُهُ أُفقُ
وتَوالَى موْكِبُهُ الشَّادي فَتَغَنَّت وازْدَهَتِ الطُّرُقُ
وتَعنْقَدَتِ الشُّهُبُ السَّكْرَى بيَدَيْهِ واخْضَرَّ الشَّفَقُ

يَمْضي يَجْتَرُّ مَوَاسِمَهُ ويُزَغْرِدُ حَوْلَيْهِ العبَقُ
ويُجَنِّحُ فَجْراً مِعْطَاءً ينْصَبُّ وفَجْراً... يَنْبَثِقُ
فتَغيمُ هُنَالِكَ أسْئِلَةٌ «تَلْغو» هل يَرْتَدُّ الغَسَقُ؟
وتَهُزُّ بَقِيَّةَ أشْبَاحٍ تَطْفُو فَيُرَسِّبُها الغَرَقُ
وتُزَوِّرُ بَوْحاً مَسْلُولاً بسُعَالِ الدَّعْوى يَخْتَنِقُ
فَتَضِجُّ الرَّبْواتُ الجَذْلَى لم يَخْفِقْ في المَوْتَى الرَّمَقُ



فارس الآمال

ذو القعدة سنة ١٣٨١هـ
على ذكرى الشهيد عبد اللّه اللقيه.

أخـــي أدعـــوكَ مِـــنْ خــلــفِ اتِّــقَــادي
وأبــحــثُ عَــنْ لــقــائِــكَ فــي رمــادي

ويَــنْــطِــبــقُ الــحــريــقُ عــلــيَّ... قَــبْــراً
فــيَــمْــضَــغُــنِــي ويَــعْــيَــا بــازْدِرَادِي

وأحْــيَــا فــي انْــتِــظَــارِكَ نِــصْــفَ مَــيْــتٍ
ورائِـــحَـــةُ الـــرَّدى مـــائِـــي وزَادِي

وأرْقـــبُ «فـــارِسَ الآمـــالِ» حـــتَّـــى
أخـــالُ إزايَ حَـــمْـــحَـــمَـــةَ الـــجِـــيَـــادِ

وتَـــرْفَـــعـــنـــي إلـــيـــكَ رُؤى ذُهُـــولـــي
فـــتـــتـــكـــئ الـــنُّـــجـــومُ عـــلـــى وِسَـــادِي

وأهْــوي عــنــكَ أصــفــعُ وجْــهَ حَــظِّــي
وأُعْــطــي كُــلَّ «جِــنْــكِــيــزٍ» قِــيَــادِي

وعــاصِــفَــةُ الــوَعــيــدِ تَــهُــزُّ حَــوْلِــي
يَــدُ «الــحَــجَّــاجِ» أَوْ شِــدقَــيْ «زِيــادِ»

* * *

فــتَــخْــفِــقُ مِــنْــكَ فــي جُــدرانِ كــوخــي
طُــيــوفٌ كــالــمــصــابــيــحِ الــهــوادي

فَـتَـتَـشْـدُو كُـلُّ زَاويـةٍ ورُكْـنِ
ويُـبْـدعُ عـازفٌ ويـجِـيـدُ شَـادِي

ويـلـمـعُ وهـمُ خَـطْـوِكَ فِـي الـرَّوَابـي
فَـتَـرْقُـصُ كـالـجَـمِـيـلاتِ الـخِـرادِ

ويَـجْـمـعُ جِـيـرَتِـي فَـرَحُ الـتَّـلاقـي
ويَـخْـتـلِـطُ احْـتِـشـادٌ بـاحْـتِـشـادِ

ويَظْمَـا الـشَّـوْقُ فـي عـيـنـيْ «سَعِيدٍ»
فَـيَـنْـدى الـوَعْـدُ مِـنْ شَـفَـتَـيْ «سُعـادِ»

* * *

وتـعـوي الـرِّيـحُ تَـنْـثُـرُ وَسْـوَسَـاتِـي
وُرَيْـقَـاتٍ تَـحِـنُّ إلـى الـمِـدَادِ

وتَـخْـنُـقُ حُـلْـمَ جِـيـرَانِـي وحُـلْـمِـي
وتَـسْـلُـبُ حَـيَّـنـا صَـمْـتَ الـحِـدادِ

ويَـخْـتَـرِقُ الـطَّـرِيـقُ إلـيـكَ شَـوْقـاً
فَـتُـطْـفِـئُـهُ أعَـاصِـيـرُ الـعَـوَادِي

وتَـقْـبـرُ فِـيـهِ قـافِـلَـةَ الأمـانِـي
وتُـرْدِي الـصَّـوتَ فـي فَـمِ كُـلِّ حـادي

* * *

ويَـسْـألُ هـل تَـعـودُ إلـى حِـمـانـا؟
فـتَـسْـعَـدَ سُـمَّـرٌ ويُـضِـيءَ نـادي

مَـزَارِعُـنـا إلـى لُـقْـيـاكَ لَـهْـفَـى
وبَـيْـدَرُنـا يَـتُـوقُ إلـى الـحَـصَـادِ

أتـرْحَـلُ تـسـتـفِـزُّ الـفـجـرَ حـتّـى
شَـقَـقْـتَ دُجَـاهُ ـ تُـبْـتَ عـنِ الـمَـعَـادِ

أتـأبَـى أنْ تـعـودَ ألَا تُـلَـبّـي
نِـدائـي هـل دريـتَ مَـنِ الـمُـنـادِي؟

سُـؤالٌ عـنـكَ يـحـفِـرُ كُـلَّ تـلٍّ
ويَـنْـبِـرُ عـنـكَ أغـوارَ الـوِهـادِ

أُفـتِّـشُ عـنـكَ أطـيـافَ الـعَـشـايـا
وأهـدابَ الـنُّـسـيـمـاتِ الـغـوادي

وتَـنْـأى عَـنْ مـدى ظَـنِّـي فـأمْـضِـي
إلـيـكَ عـلـى جـنـاحٍ مِـنْ سُـهـادِ

وأهْـمِـسُ أيـنَ أنـتَ؟ وأيُّ تُـرْبٍ
نـمـا واخْـضَـرَّ مِـنْ دَمِـكَ الـجَـوَادِ

أيـسـألُـكَ الـنِّـضـالُ دَمـاً شـهـيـداً
فَـتَـسـقـيـهِ وأنـتَ تـمـوتُ صَـادِي؟

أجِـبْ حـدّث فـلـمْ يُـخْـمِـدْكَ قَـتْـلٌ
فـأنـتَ الـحَـيُّ والـقَـتْـلـى الأعـادي

أُحِـسُّـكَ فـي بَـرَاءةِ كُـلِّ حَـيٍّ
صِـبـاً وأُحِـسُّ نَـبْـضَـكَ فـي الـجَـمـادِ

وأشْـتَـمُّ اخـتِـلاجَ صَـدَاكَ حَـوْلِـي
يُـمَـنِّـيـنـي ويَـغْـبـقُ فـي فُـؤادي

فـأدنـو مِـنْ نَـجـيـعـكَ أصْـطَـلِـيـه
وأُشْـعِـلُ مِـنْ تَـلَـظِّـيـهِ اعـتـقـادي

* * *

أتسألُ كيفَ جئتُ إليكَ إنِّي
أفتِّشُ في دمائِكَ عن بِلادي؟

وأنضَحُ مِنْ شذاها ذِكرياتي
وأقبسُ مِنْ تحدِّيها عِنادي

أتَأبى أن تُجيبَ؟ ومَنْ يُحلِّي
بِغَارِ النَّصرِ هَاماتِ الجلادِ؟

وهل أرتَدُّ عنكَ بِلا رَجاءٍ؟
يُعاتِبنُي ويُخجِلنُي ارْتدادِي؟

أتَذرِي أنَّ خلفَ الطِّينِ شَعباً
مِنْ الغِربانِ يَفخرُ بالسَّوادِ؟

يَموتُ توانِياً ويعيشُ وَهماً
بِلا سببٍ بِلا أدنى مُرادِ

يسيرُ ولا يسيرُ: يُبيدُ عهداً
ويأكلُ جِيفةَ العَهدِ... المُبادِ

يبيعُ ويَشترِي بالغَبْنِ غَبْناً
ويجترُّ الكَسادَ إلى الكَسادِ

وتَهْدي خطوَهُ جُثَثٌ كسالى
تُفِيقُ مِنْ الرُّقادِ إلى الرُّقادِ

تُعِيدُ تَثاؤباً أو تَبْتَديهِ
كأسمارِ العَجائزِ في البَوادِي

* * *

«أعبدَ اللهِ» كم يُشقيكَ أنَا
ضحايا العَجزِ أو صَرْعى التَّمادِي؟

أيـنـبـضُ فـيِ ثَـراكَ الـشَّـعـبُ يـومـاً
فـتـورِقَ رَبْـوةٌ ويَـرِفَّ وادي

وتَـعـتـنِـقُ الأُخُـوَّةُ والـتَّـصَـافـي
ويَـبْـتَـسِـمُ الـوَدادُ إلـى الـوِدادِ

رحـلْـتُ إلـيـكَ أسْـتَـجْـدِي جـوابـاً
وأسْـتَـوْحِـيـكَ مَـلْـحَـمـةَ الـجِـهـادِ

❁ ❁ ❁

يـوم المفاجأة

كانت هذه القصيدة أغنية ترحيب بالرئيس جمال عبد الناصر بمناسبة زيارته المفاجئة للجمهورية العربية اليمنية في ١١ ذي الحجة سنة ١٣٨٣هـ الموافق ٢٣ أبريل سنة ١٩٦٤م.

جـمـالٌ! أيَـأتِـي؟ أَجَـلْ! ربَّـمَـا
وَتَـسْـتَـفْـسِـرُ الأُمْـنِـيَـاتُ الـسَّـمَـا

أَيـأْتِـي؟ وَيَـرنُـو الـسُّـؤَالُ الـكَـبِـيرُ
يُـزَغْـرِدُ فِـي مُـقْـلَـتَـيْـهِ الـظَّـمَـا

فَـيُـخْـبِـرَهُ الـحُـلْـمُ إخْـبَـارَ طِـفْـلٍ
يَـروضُ عـلـى اسْـمِ أَبِـيـهِ الـفـمـا

* * *

وَفِـي أيِّ حِـيـنٍ؟ وَصَـاحَ الـبـشِـيـرُ
فَـجَـاءَتْ إِلَـيْـهِ الـذُّرَى عُـوَّمَـا

وَأرْخَـى عَـلَـيْـه الـضُّـحَـى صَـحْـوَهُ
وَدَلَّـى سَـوَاعِـدَهُ سُـلَّـمَـا

وَحَـيَّـاهُ شَـعْـبٌ رأى فِـي الـشُّـرُوقِ
جَـنَـى الـحُـلْـمِ مِـنْ قَـبْـلِ أَنْ يَـحْـلُـمَـا

فَـأيُّ مُـفَـاجَـأةٍ بَـاغَـتَـتْـهُ...
كَـمَـا تَـفْـجَـأُ الـفـرحـةُ الأَيِّـمَـا؟

فَمَادَ رَبِيعٌ عَلَى سَاعِدَيْهِ
وَفَجْرٌ عَلَى مُقْلَتَيْهِ ارْتَمَى

وَلَبَّى الهُتَافُ المُدَوِّي هُنَاكَ
هُتَافاً هُنَا... وَهُنَا مُفْعَمَا

يُلَبِّي وَيَدْعُو فَيَطْغَى الضَّجِيجُ
وَيَعْلُو الصَّدَى يَعْزِفُ الأَنْجُمَا

تُثِيرُ الجَمَاهِيرُ فِي جَوِّهِ
مِنَ الشَّوْقِ أَجْنِحَةً حُوَّمَا

وتَسْأَلُ فِي وَجْهِهِ مَوْعِداً
خَصِيباً وتَسْتَعْجِلُ المَوْسِمَا

وَتَحْدُو غداً فَوْقَ ظَنِّ الظُّنُونِ
وَأَوْسَعُ مِنْ أُمْنِيَاتِ الحِمَى

* * *

جَمَالٌ! فَكُلُّ طَرِيقٍ فَمٌ
يُحَيِّي وأَيْدٍ تَبُثُّ الزَّهَرْ

تَرَامَتْ إِلَيْهِ القُرَى والكُهُوف
تُوَلِّي جُمُوعٌ وَتَأْتِي زُمَرْ

وَهَزَّتْ إِلَيْهِ حُشُوْدُ الحِسَانِ
مَنَادِيلَ مِنْ ضَحِكَاتِ القَمَرْ

وَلاَقَتْهُ «صَنْعَاءُ» لُقْيَا الصِّغَار
أَباً عَادَ تَحْتَ لِوَاءِ الظَّفَرْ

تُلامِسُهُ بِبَنَانِ اليَقِينِ
وَتَغْمِسُ فِيهِ ارْتِيَابَ البَصَرْ

وَتَـهْـمِـسُ فِـيْ صَـخَـبِ الـبُـشْـرَيَـات
أَهٰــذَا هُــوَ الـقَــائِــدُ الـمُـنْـتَـظَـرْ؟

أَرَى خَـلْـفَ بَـسْـمَـتِـهِ «خَـالِـداً»
وَأَلْــمَـحُ فِـي وَجْـنَـتَـيْـهِ «عُـمَـر»

وَتَـدْنُـو إِلَـيْـهِ تُـنَـاغِـي الـمُـنَـى
وَتَـشْـتَـمُّ فـي نَـاظِـرَيْـهِ الـفِـكَـرْ

* * *

أَهٰــذَا الَّــذي وَسِــعَــتْ نَــفْــسُــهُ
هَــوَى قَــوْمِـهِ وَهُــمُـومَ الـبَـشَـرْ؟

أَطَـلَّ فَـأَوْمَـا انـتِـظَـارُ الـحُـقُـولِ
وَمَـاجَ الـحَـصَـى وَاشْـرَأَبَّ الـحَـجَـرْ

وَهَـنَّـأَتِ الـرَّبْـوَةُ الـمُـنْـحَـنَـى
وَبَـشَّـرَتِ الـنَّـسْـمَـةُ الـمُـنْـحَـدَرْ

وَأَخْـبـرَ «صِـرواحُ» عَـنْـهُ الـجِـبَـالَ
فَـأَوْرَقَ فِـي كُـلِّ نَـجْـمٍ خَـبَـرْ

وَأَشْـرَقَ فِـي كُـلِّ صَـخْـرٍ مَـصِـيفٌ
يُـعَـنْـقِـدُ فـي كُـلِّ جـوٍّ ثَـمَـرْ

* * *

وَأَعْــلَــتْ زُنُــوْدُ الــرُّبَــى وَحْــدَةً
سَــمَــاوِيَّــةَ الأُمِّ طُــهْــرَ الأَبِ

نَـمَـتْـهَـا الـمُـرُوءاتُ فِـي «مَـأْرِبٍ»
وَأَرْضَـعَـهَـا الـوحـيُ فِـي «يَـثْـرِبِ»

وَغَـنَّـى عَـلَـى صَـدْرِهَـا شَـاعِـرٌ
وَصَـلَّـى عَـلَـى مِـنـكـبَـيْـهـا نَـبِـي

وَرَدَّدهَـــا الـــشَّـــرْقُ أُغْـــرُوْدَةً
فَـعَـبَّ صَـدَاهَـا فَـمُ الـمَـغْـرِبِ

* * *

وَدَارَتْ بِـهَـا الـشَّـمْـسُ مِـنْ مَـوْسِـمٍ
سَـخِـيٍّ إلَـى مَـوْسِـمٍ أَطْـيَـبِ

إلَـى أَنْ غَـزَتْـهَـا سُـيُـولُ الـتَّـتَـارِ
وَرَنَّـحَـهَـا الـعَـاصِـفُ الأَجْـنَـبِي

تَـهَـاوَتْ وَرَاءَ ضَـجِـيـجِ الـفَـرَاغِ
تُـفَـتِّـشُ عَـنْ أَهْـلِـهَـا الـغُـيَّـبِ

وَتَـبْـحَـثُ عَـنْ دَارِهَـا فِـي الـطُّـيُـوفِ
وَتَـسْـتَـنْـبِـىءُ الـلَّـيـلَ عَـنْ كَـوْكَـبِ

وتَـحـلُـمُ أَجْـفَـانُـهَـا بَـالـكَـرَى
فَـتَـخْـفِـقُ كـالـطَّـائـرِ الـمُـتْـعَـبِ

هُـنَـاكَ جَـثَـتْ فِـي اشْـتِـيَـاقِ الـمَـعَـاد
تُـحَـدِّقُ كـالـمُـوثَـقِ الـمُـغْـضَـبِ

فَـتَـلْـحَـظُ خَـلْـفَ امْـتِـدَادِ الـسِّـنِـينَ
عَـلَـى زُرْقَـةِ «الـنِّـيـل» وَغْـداً صَـبِـي

تَـمُـرُّ عَـلَـيْـهِ خَـيَـالاتُ «مِـصْـرِ»
مُـرورَ الـغَـوَانِـي عَـلَـى الأَعْـزَبِ

رَأتْ فَــمَــه بُــرْعُــمــاً لا يَــبــوحُ
وَنَــيْــسَــانُ فِــي قَــلْــبِــهِ مُــخْــتَــبِــي

* * *

وَكَــانَ انْــتِــظــاراً فَــحَــنَّــتْ إِلَــيْــه
حَــنِــيــنَ الــوَلِــيــدِ إلــىَ الــمُــرْضِــعَــهْ

وَدَارَتْ نُــجُــومٌ وعَــادَتْ نــجــومٌ
وَأَهْــدابُــهَــا تَــرْتَــجِــي مَــطْــلَــعَــهْ

وكَــانَــتْ تُــواعِــدُهــا الأُمْــسِــيَــاتُ
كَــمَــا تَــعــد الــبــيــدرَ الــمَــزْرعَــهْ

ولاقَــتْــهُ يَــوْمــاً وَكَــانَ اسْــمُــهُ
«جــمــالاً» فــلاقَــتْ صِــبَــاهَــا مَــعَــهْ

* * *

هُــنَــا لاقَــتِ الــوحــدةُ ابْــنــاً يَــسَــيــر
فَــتَــمْــشــي الــدُّنَــا خَــلْــفَــهُ طَــيِّــعَــهْ

وَعَــهْــداً صَــبُــوراً سَــقَــاهَــا الــنِّــضَــالَ
فــأهْــدَتْ إلــىَ الــمُــعْــتَــدي مَــصْــرَعَــهْ

غَــذَاهــا دَمُ «الــنِّــيــلِ» خِــصْــبَ الــبَــقَــاء
وَلَــقَّــنَــهَــا الــفِــكْــرَةَ الــمُــبْــدِعَــهْ

وَعَــلَّــمَــهَــا مِــنْ عَــطَــايَــا حَــشَــاهُ
وَكَــفَّــيْــهِ أَنْ تَــبْــذُل الــمَــنْــفَــعَــهْ

وَمِــنْ جَــوِّهِ رفــرفــاتِ الــحَــمَــام
وَمِــنْ رَمْــلِــهِ طَــفْــرةَ الــزَّوْبَــعَــهْ

وَقَطْرَهَا فِي خدودِ النُّجُوم
صَلاةً وأَغْنِيَةً مُمْتِعَةْ
وَأَطْلَعَ لِلْعُرْبِ أَقْبَاسَهَا
شموساً بِصَحْوِ المُنَى مُشْبَعَةْ
هُنَاكَ أَفَقْنَا عَلَى وَحْدَةٍ
يَمُدُّ الخُلُودُ لَهَا أَذْرُعَةْ
فَصَارَتْ مَبَادِئُنَا في السَّلام
وَأَلْوِيَةَ النَّصْرِ فِي المَعْمَعَةْ

❁❁❁



مدينة الغد



فاتحة

١٨/٣/١٩٦٨م

يا صمتُ ما أحناكَ لو تستطيعْ
تلفُّني، أو أنني أستطيعْ

لكنَّ شيئاً داخلي يلتظي
فيخفقُ الثلجُ، ويَظمَا الربيعْ

يبكي، يُغنِّي، يجتدي سامعاً
وهو المُغنِّي والصدى والسميعْ

يهذي فيجثو اللَّيلُ في أضلُعي
يشوي هزيعاً، أو يدُمِّي هزيعْ

وتطبخُ الشهبُ رمادَ الضُّحى
وتطحنُ الريحُ عشايا الصَّقيعْ

ويلهثُ الصبحُ كمهجورةٍ
يجتاح نهدَيْهَا خيالُ الضجيعْ

* * *

شيءٌ يناغي، داخلي يشتهي
يزقو، يدوِّي كالزحامِ الفظيعْ

يدعو، كما يدعو نبيٌّ، بلا
وعيٍ، وينجرُّ انجرارَ الخليعْ

فيغتلي خلفَ ذبولي فتًى
ويجتدي شيخٌ، ويبكي رضيعْ

يجوعُ حتى الصيفِ ينسى الندى
معيادَهُ، يهمي شهيقُ النجيعْ

ويركضُ الوادي، وتحبو الرُّبى
ويهربُ المرعى، ويَغيا القطيع

ما ذلك الحِمْلُ الذي يحتسي
خفقي، ويعصي ذاهلاً أو يُطيعْ

يشدو فترتدُّ ليالي الصِّبا
فجراً عنيداً، أو أصيلاً وديعْ

وتحبلُ الأطيافُ تجني[1] الرؤى
ويولدُ الآتي ويحيا الصريعْ

فتبتدي الأشتاتُ في أحرفِي
ولادةً فرْحى، وحملاً وجيعْ

* * *

هذه الحروفُ الضائعاتُ المَدى
ضيَّعتُ فيها العمرَ، كي لا تضيعْ

ولستُ فيما جئتهُ تاجراً
أُحِسُّ ما أشري وماذا أبيعْ

أليكها يا قارئي إنها،
على مآسيها: عَذابٌ بديعْ

---

(١) تجني: تدخل موسم الإثمار.

مدينةُ الغد

صنعاء ٣٠ يونيو سنه ١٩٦٧م

مـن دهـورٍ. . . وأنـتِ سـحـرُ الـعـبـاره
وانـتـظـارُ الـمُـنـى وحـلـمُ الإشـاره

كـنـتِ بـنـتَ الـغـيـوب دهْـراً فـنـمَّـت
عـن تـجـلُّـيـكِ حـشـرجـاتُ الـحـضـاره

وتـداعـي عـصـر يـمـوتُ لـيـحـيـا
أو لـيـفـنـى، ولا يُـحـسُّ انـتـحـارَه

جـانـحـاه فـي مـنـتـهـى كـلِّ نـجـمٍ
وهـواهُ، فـي كـلِّ سـوقٍ: تـجـاره

بـاعَ فـيـه تـألُّـهُ الأرضِ دعـواه
وبـاعـت فـيـه الـصـلاةُ الـطَّـهـاره

أوَ مَـا تـلـمـحـيـنَه كـيـف يَـعـدو
يـطـحـنُ الـريـحَ والـشَّـظـايـا الـمُـثـاره

* * *

نَـمَّ عـن فـجـرِكِ الـحـنـونِ ضـجـيـجٌ
ذاهـلٌ يـلـتـظـي ويـمـتـصُّ نـارَه

عـالـمٌ كـالـدَّجـاجِ، يـعـلـو ويـهـوي
يـلـقُـطُ الـحَـبَّ، مِـن بـطـونِ الـقـذاره

ضيّعَ القلبَ، واستحال جذوعاً
ترتدي آدميّةً... مستعاره

* * *

كلُّ شيءٍ وشى بميلادِكِ الموعودِ
واشتمَّ دفئَه واخضراره

بشَّرتْ قريةٌ بلقياكِ أخرى
وحكت عنكِ نجمةٌ لمنَاره

وهذتْ باسمكِ الرؤى فَتَنادتْ
صَيْحاتُ الديوكِ من كلِّ قاره

ألمدى يستحمُّ في وعدِ عينيْكِ
وينسى في شاطِئيْه انتظارَه

وَجِباه الذُّرى مرايا تجلَّت
من ثُريَّاتِ مقلتَيْكِ شراره

* * *

ذاتَ يومٍ، ستُشرقين بلا وعدٍ
تعيدين للهشيمِ النَّضاره

تزرعين الحنانَ في كلِّ وادٍ
وطريقٍ، في كُلِّ سوقٍ وحاره

في مدى كلِّ شرفةٍ، في تمنِّي
كلِّ جارٍ، وفي هوى كلِّ جاره

في الروابي حتى يعي كلُّ تلٍّ
ضَجرَ الكهفِ واصطبارَ المغاره

* * *

سوف تأتين كالنبوءاتِ، كالأمطارِ
كالصَّيْفِ، كانثيالِ الغَضاره
تَملئين الوجودَ عدلاً رخِيّاً
بعد جورٍ مدجَّجٍ بالحقاره
تحشُدين الصفاءَ في كلِّ لمسٍ
وعلى كلِّ نظرةٍ، وافتراره
تلمسين المُجندلين فَيَغْدون
تُعيدين للبغايا البَكارَه
وتصوغين عالماً تُثمر الكثبانُ فيـ
ـه، ترفُّ حتى الحجاره
وتعفُّ الذئابُ فيهِ، وينسى
جبروتُ السِّلاحِ، فيهِ المهاره
ألعشايا فيه، عيونٌ كَسَالى
واعداتٌ، والشمسُ أشهى حراره
لخطاهُ عبيرُ (نيسان) أو أشذى
لتحديقه، أجدُّ إناره
ولألحانِه، شفاهٌ صبايا
وعيونٌ، تخضرُّ فيها الإثاره
أيُّ دنيا ستُبدعين جَنَاها
وصِباها فوق احتمالِ العبارة؟!

❁❁❁

عـائد

صنعاء سبتمبر ١٩٦٣م

مَـنْ أنـتَ، واسْـتـبـقَـتْ جـوابـي
لـهـبٌ، يـحـنُّ إلـى الـتـهـابِ
مَـنْ أنـتَ، عـزَّافُ الأسـى
والـنـارُ قـيـثـارُ الـعـذابِ
وعـلـى جـبـيـنِـك، قِـصَّـةٌ
حَـيْـرى، كـديـجـورِ الـيـبـابِ
وخـواطـرٌ، كـهـواجـسِ الإفـلا
سِ، فـي قـلـقِ الـمُـرابـي
وأنـا أتـدري: مـن أنـا؟
قُـلْ لـي، وأسـكَـرهـا اضـطـرابـي
سَـلْ تـمـتـمـاتِ الـعـطـرِ: هـل
«نـيـسـانُ» يـمـرحُ فـي ثـيـابـي؟
مَـنْ هـذه؟ أسـطـورةُ الأحـ
ـلامِ، أخـيـلـةُ الـشُّـهـابِ
هـمـسـاتُـهـا، الـخـضـرُ الـرِّقـاقُ
أشـفُّ مِـن ومـضِ الـسـراب
إنـي عـرفـتُـكِ كـيـف أفـرح؟
كـيـف أذهـلُ عـن رغـابـي؟

مـن أيـن أبـتـدِئُ الـحـديـثَ. . . ؟
وغـبـتُ فـي صـمـتِ ارتـيـابـي
مـاذا أقـولُ، وهـل أُفـتِّـشُ
عـن فـمـي، أو عـن صـوابـي؟
مَـنْ أنـتِ، أشـواقُ الـضُّـحـى
قُـبَـلُ الأصيـلِ، عـلـى الـهـضـابِ
حـلْـمُ الـمـواسـمِ، والـبـلابـلِ
والـنُّـسـيـمـاتِ الـرطـابِ
أُغـرودةُ الـوادي، نـبـوغُ الـعـنـد
لـيـبِ. . . شـذى الـروابـي
وذهـولُ فـنَّـانِ الـهـوى
ورؤى الـصِّـبـا وهـوى الـتـصـابـي
وهـجُ الأغـانـي، والـصـدى
حُـرقُ الـمـعـازفِ، والـرَّبـابِ
لا تـبـعـدي: أَرْسـتْ عـلـى شُـطـآ
نِـك الـنَّـعـسـى، رِكـابـي
فَـدنَـتْ تُـسـائـل مَـنْ رفـاقـي
فـي الـضـيـاع، ومـن صِـحـابـي. . ؟
هـل سـاءَلـتْـكَ مـديـنـةٌ
عـنِّـي؟ وسـهَّـدهـا مُـصَـابـي
كـانـت تـرى نـكـبـاتِ أهـلـي
فـي شـحـوبـي واكـتـئـابـي

فتقولُ لي: من أينَ أنتَ؟
وتزدريني، بالتغابي

أنا مِن مغاني شهر زادَ
إلى رُبى، الصَّحوِ انتسابي

بي من ذوائبِ (حدَّةٍ)[1]
عبقُ السماحةِ والغلابِ

وهنا أَصَخْتُ ووشوشا
تُ (القاتِ)[2] تُنبي باقترابي

وأظلَّنا جبلٌ ذُراه
كالعمالقةِ الغضابِ

عيناهُ مُتكأُ النجومِ
وذيلُه، طُرقُ الذئابِ

فَهَفَتْ إليَّ مزارعٌ
كمباسمِ الغيدِ الكعابِ

وحنتْ نهودُ الكرمِ
فاسترخت لِلَمْسي واحتلابي

وسألتُ (ريَّا) والسكو
نُ يَئِنُّ وَهْوَهةَ الكلابِ

ماذا؟ أينكر حَيُّنا
خفقاتِ خطوي وانسيابي؟

---

(١) حدة: متنزّه سياحي جنوب صنعاء.

(٢) القات: شجر يمضغ فيحدث تأثيراً كقهوة البن أو أكثر قليلاً.

أنَّــا تــلاقــيــنــا... هــنــا،
قــبــل انــتــظــارِك... واغــتــرابــي

هــل تــلــمــحــيــن الــذكــريــاتِ
تــهــزُّ أضــلاعَ الــتــرابِ؟

وطــيــوفَ مــأســاةِ الــفــرا
قِ، تُــعــيــدُ نــوحَــكِ وانــتــحــابــي

والأمــسُ يــرمــقــنــا وفــي،
نــظــراتِــه خَــجَــلُ الــمــتــابِ

كــيــف اعــتــنــقْــنــا لــلــوداعِ
وبــي مــن الــلــهــفــاتِ مــا بــي؟!

وهــتــفــتُ لا تَــتَــوَجَّــعــي:
ســأعــودُ، فــارتــقــبــي... إيــابــي!

ورحــلــتُ وحــدي، والــســطــر
يــقُ دمٌ، وغــابٌ، مــن حِــرابِ

فــنــزلــتُ حــيــث دمُ الــهــوى
يــجــتــرُّ، أجــنــحــةَ الــذُّبــاب

حــيــث الــبــهــارجُ والــحُــلــى
ســلــوى الــقــشــورِ عــن الــلُّــبــابِ

فــتــريــن ألــوانَ الــطِّــلاءِ
عــلــى الــصُّــدوعِ، عــلــى الــخــرابِ

والــتــســلــيــاتُ، بــلا حــســاب
والــمــلالُ، بــلا حِــســابِ

والـجـوُّ مـحـمـومٌ، يـئـنُّ
وراء جـدرانِ الـضـبـابِ

كَـمْ كُـنـتُ أبـحـثُ عـن طِـلابـي
حـيـث ضـيَّـعـنـي طِـلابـي

والـيـومَ عُـدتُ، وعـادَ لـي
مـرحُ الـحـكـايـاتِ الـعِـذابِ

مـا زلـتُ أذكـرُ كـيـفَ كُـنَّـا
لا نـنـافـقُ، أو نُـحـابـي

نُـفـضـي بـأسـرارِ الـغـرامِ
إلـى الـمـهـبَّـاتِ الـرِّحـابِ

والـريـحُ تـغـزلُ مـن زهـو
ر (الـبُـنِّ)، أغـنـيـةَ الـعـتـابِ

فـتـهـزُّنـا أرجـوحـةٌ
مـن خـمـرةِ الـشـفـقِ الـمُـذاب

وكـمـا تـنـاءَيْـنـا الـتـقـيـنـا
نـبـتـدي صـفـوَ الـشـبـابِ

ونـعـيـدُ تـأريـخَ الـصِّـبـا
والـحـبُّ، مـن بـدءِ الـكـتـابِ

أتـريـن: كـيـف اخـضـوضـرت
لـلـقـائـنـا مُـقَـلُ الـشِّـعـابِ؟

وتـلـفَّـتَ الـوادي إلـيـكِ
وهـشَّ، يـسـألُ عـن غـيـابـي

مـا دمـتِ لـي فـكُـوَيْـخُـنَـا
قـصـرٌ، يـعـومُ عـلـى الـسَّـحـابْ
والـشُّـهـبُ بـعـضُ نـوافـذي
والـشَّـمـسُ، شُـبَّـاكـي وبـابـي

❁❁❁

امرأةُ الفقيد

لِمَ لا تعودُ؟ وعادَ كلُّ مجاهدِ
بُحلى (النقيبِ) أو انتفاخِ (الرائدِ)
ورجعتَ أنتَ، توقُّعاً لَملمتهُ
من نبضِ طيفِك واخضرارِ مواعِدي
وعلى التصاقِك باحتمالي أقلقتْ
عيناي مُضطجعَ الطريقِ الهامدِ
وامتدَّ فصلٌ في انتظارِكَ وابتدا
فصْلٌ، تلفَّح بالدخانِ الحاقدِ
وتمطَّتِ الربواتُ تبصقُ عُمرَها
دَمَها وتحفرُ عن شتاءٍ بائدِ
وغداةَ يومٍ، عادَ آخِرُ موكبٍ
فشمَمْتُ خَطْوَك في الزحامِ الراعدِ
وجَمعتُ شخصكَ بُنيةً وملامحاً
من كلِّ وجهٍ في اللقاءِ الحاشدِ
حتى اقتربتُ وأمَّ كلٌّ بيتَه
فتّشتُ عنك بلا احتمالٍ واعدِ

***

أكتوبر ١٩٦٤م

مــن ذا رآكَ وأيــن أنــتَ؟ ولا صــدًى
أومــي إلـيـكَ، ولا إجـابـةُ عـائـدِ

وإلـى انـتـظـارِ الـبـيـتِ، عُـدتُ كـطـائـرٍ
قـلـقٍ يـنـوءُ عـلـى جـنـاحٍ واحـدِ

* * *

لا تـنـطـفـي يـا شـمـسُ: غـابـاتُ الـدُّجـى
يـأكـلْـن وجـهـي يـبـتـلْـعـن مـراقـدي

وسَـهـدتُ والـجـدرانُ تُـصـغـي مـثـلـمـا
أُصـغـي، وتـسـعـلُ كـالـجـريـحِ الـسَّـاهـد

والـسـقـفُ يـسـأل وجـنـتـيَّ لـمـن هـمـا؟
ولـمـن فـمـي؟ وغـرورُ صـدري الـنـاهـدِ؟

ومـغـازلُ الأمـطـارِ تـعـجـنُ شـارعـاً
لَـزِجـاً حـصـاهُ مـن الـنَّـجـيـعِ الـجـامـدِ

وأنـا أُصـيـخُ إلـى خـطـاكَ أُحـسُّـهـا
تـدنـو، وتـبـعـد، كـالـخـيـالِ الـشـاردِ

ويـقـول لـي شـيءٌ، بـأنـك لـم تَـعُـدْ
فـأعـوذُ مـن هـمـسِ الـرجـيـمِ الـمـاردِ

* * *

أتـعـودُ لـي؟ مَـن لـي؟ أتـدري أنـنـي
أدعـوكَ إنَّـك مـقـلـتـاي وسـاعـدي

إنـي هـنـا أحـكـي لـطـيـفـك قِـصَّـتـي
فـيـعـي، ويـلـهـثُ كـالـذبـالِ الـنَّـافِـدِ

خـلّـفـتَـنـي وحـدي، وخـلّـفَـنـي أبـي
وشـقـيـقـتـي، لـلـمـأتـم الـمُـتـزايـدِ
وفـقـدتُ أُمّـي: آه يـا أُمّ افـتـحـي
عـيـنـيـكِ، والـتـفـتـي إلـيّ وشـاهـدي!
وقـبـرتُ أهـلـي، فـالـمـقـابـرُ وحـدهـا
أهـلـي، ووالـدتـي الـحـنـونُ ووالـدي
وذَهـلـتَ أنـتَ أو ارتـمـيـت ضـحـيّـةً
وبـقـيـتُ وحـدي، لـلـفـراغِ الـبـاردِ

* * *

أتـعـود لـي؟ فـيـعـبُّ لـيـلـي ظـلَّـهُ
ويـصـيـحُ فـي الآفـاقِ، أيـن فـراقـدي؟

❁ ❁ ❁

اليوم الجنين

مايو ١٩٦٥م

عــلــى الــدَّربِ والــمَــرتــعِ
يــجــودُ، ولا يــدَّعــي
يــوشِّــي غــنــاءَ الــحُــقــولِ
وأنــشــودةَ الــمَــصــنــعِ
ويُــعــطــي حــيــاةً.. بــلا
نــيــوبٍ ولا مَــضــرعِ
يــشــدُّ أَبَــضَّ الــخــصــورِ
إلــى أغْــطَــشِ الأَذْرُعِ
ويــســخــو ســخــاءَ الــمَصِــيــفِ
عــلــى الــطَّــيــرِ والــضُّــفــدعِ
عــلــى الــسفــحِ والــمُــنــحــنَــى
عــلــى الــسّــهــلِ والأَرْفَــعِ
أَتــشْــتَــمُّ أنــفــاسُــهُ
طــيــوفَ الــرُّبــى الــهُــجَّــعِ
هــنــاك رؤى مَــهْــدِهِ
نــبــيــذيَّــةُ الــمــنــبــعِ
خُــمــامٌ مــن الأُغْــنــيــاتِ
عــلــى جَــدولٍ مُــمْــرَعِ

مـــرايـــا هـــوائـــيَّـــةٌ
سـرابـيَّـةُ الـمَـخْـدَعِ

وغـــيـــبٌ وراء الـــقـــنـــاعِ
ووعـــدٌ بـــلا بُـــرقـــعِ

هـــنـــاكَ انـــتـــظـــارٌ يـــحـــسُّ
خـــطـــاهُ وحـــلـــمٌ يَـــعـــي

ودفءٌ صـــريـــعٌ يـــحـــنُّ
إلـــى لـــمـــسِـهِ الـــمُـــبـــدِعِ

ووادٍ يُـــصـــيـــخُ إلـــى
تـــبـــاشـــيـــرِهِ الـــلُّـــمَّـــعِ

فـــأحـــلـــمُ أنَّ الـــجـــنـــيـــنَ
ولـــيـــدٌ بـــلا مُـــرضـــعِ

فـــألـــوي زنـــودَ الـــحـــنـــانِ
عـــلـــى خـــصـــرهِ الـــطـــيِّـــعِ

ويـــحـــبـــو عـــلـــى ســـاعـــديَّ
فـــأُرضِـــعُـــهُ أدمُـــعـــي

ويـــنـــأى، فـــتـــرنـــو الـــكُـــوَى
يُـــفـــتِّـــشـــن عـــنـــهُ مـــعـــي

ويـــرتـــدُّ، حـــلـــمٌ مـــضـــى
ويـــمـــضـــي، بـــلا مـــرجـــعِ

وتـــحـــتـــشـــدُ الأمـــســـيـــاتُ
عـــلـــى الـــعـــامـــرِ الـــبَـــلـــقـــعِ

فأرجوهُ أَنْ يَشرئبَّ
إلى شُرفةِ المطلعِ
أمُدُّ لَهُ سُلَّماً
إلى النُّورِ من أضلُعي
وأشدو لميلادِهِ
ويُصغي بلا مسمعِ
فأبكيهِ في مقطعِ
وألقاهُ في مقطعِ

❁ ❁ ❁

أسمار القريـة

يوليو سنة ١٩٦٤

مِن صدى البيدِ، والشّعابِ الحواشدْ
بـالـمـهـاوي والـضـاريـاتِ الـسـواهـدْ

مِن مُدى الـموتِ حيـن تـحـمرُّ فيـهـا
شـهْـوةُ الـدُّودِ والـقـبـورِ الـزواردْ

مِـن لـيـالـيـه حيـن مسَّ (عـلـيّـاً)
لـيـلـةَ الـعُـرسِ أنـه شـرٌّ وافـدْ

أو أتـى مـرشـداً فـأومـا إلـيـهِ
صـاحـبـاهُ أنَّ الـضـحـيَّـةَ راشِـدْ[١]

مِـن صـخـورٍ جُـلـودُهـنَّ حـرابٌ
وكـهـوفٍ عـيـونُـهـنَّ مـواقـدْ

حـيـث لـلـريـحِ والـتـلالِ عـروقٌ
مـن أفـاعٍ، وغـابـةٌ مـن سـواعـدْ

وعـلـى الـمُـنـحـنـى تـمـدُّ «صـيـادٌ»[٢]
لـلأذِلّاءِ حـائـطـاً مِـن أسـاوِدْ[٣]

---

(١) من حكايات الأسمار في أرياف بلادنا أن المحتضر يشاهد ملك الموت في يده سكين حمراء، وأنه قد يغلط فيهم بقبض روح شخص والمراد آخر وعلى الخصوص إذا اشتبه الاسمان.

(٢) صياد: اسم جِنّيّة توصف بصيد الرجال وهي أكثر طمعاً في الأذلاء.

(٣) الأساود: نوع من الحيات.

ولـهـا حـافـرا حـمـارٍ وتـبـدو
مـرأةً، قـد تـزوجـت ألـفَ مـاردْ
من ركـوبِ الـسُّرى عـلـى كـلِّ قـفـرٍ
لـم تَـرِدهُ حـتـى خـيـالاتُ رائـدْ
والـلـيـالـي عـلـى أكُـفِّ الـعـفـاريـتِ
نُـعـوشٌ، ذواهـبٌ، وعـوائـدْ
مِن قـوى الـبـأسِ قـصـةٌ تـلـو أخـرى
تـصرعُ الـوحـشَ قـبـل نـهـضـة قـاعـدْ
مِـن سـؤالٍ عـن الـحـجـازِ وردٌّ
عن غـلاءِ الـكـسـاءِ، و: الـتـبنُ: كـاسـدْ
مـن خـصـامٍ بـيـن الأقـاربِ فـي الـوا
دي، وحـربٍ فـي الـتـلِّ بـيـن الأبـاعـد
من تـثـنّـي الـمـراتـعِ الـخُـضـرِ تـومـي
بـالأغـانـي لـلـراعـيـاتِ الـنـواهـدْ
من متـاهِ الـظـنـونِ تـسـتـجـمـعُ الأسـما
رَ، شُـعـثَ الـرؤى، وفـوضـى الـمَـشـاهـدْ
بـيـن جـدرانِـهـا ركـامُ الـحـكـايـا
مـن جـديـدِ الـقـرى وأكـفـانِ تـالـدْ
وتـجـاعـيـدُ الـشـعـوذاتِ عـلـيـهـا
كـرُفـاتٍ تـقـيـأتـهـا الـمـراقـدْ
وعـلـى كُـلِّ بـوجـهـا وصـداهـا
تـتـنـادى زواحـفٌ ورواكـدْ

تجمع القريةُ الشتاتَ فتحوي
أمسياتٍ من عاصفاتِ القذائذْ

وسيولاً من الفراغِ المدوِّي
أشهلت فوقها بطونُ الروافذْ

وغناءً كخفقِ بيتٍ من القشِّ
تعاوت فيه الرياحُ الشدائذْ

وبخوراً وشادياً من جليدِ
ونداءً: كم في الصلاةِ فوائذْ

يحشرُ السُّمَّرُ الضجيجَ عليها
من شظايا نعشِ السنينِ البوائذْ

يتلاقيان كلَّما حشرجَ الطَّبْلُ
وأعلى الدخانُ ريحَ الموائذْ

فيقصُّون كيفَ طارَ (ابنُ علوانٍ)[1]؟
وماذا حكى (عليُّ بن زائذْ)[2]؟

عن مدارِ النجومِ وهي وعيدٌ
عن فمِ الغيبِ أو بريقِ المواعذْ

عندما تُسبلُ الثُّريَّا عِشاءً
عقدها تحبلُ السحابُ الخرائذْ

---

(١) بطل أسطوري معتقد في اليمن...

(٢) حكيم معتبر في الأوساط القبلية اليمنية ويعتمد الزراع على تجاربه السايرة في أمثال تحدد أوقات الأمطار والبذر والحصاد.

وإذا الـغـربُ وَاجـهَ الـصَّـيْـفَ بـالأر
يـاحِ بـاعـتْ عـيـالَـهـا (أمُّ قـالـد)[1]
ويـعـودون يـغـزلـون مـن الـرَّمـلِ
، ودودِ الـبـلـى، عـروقَ الـمـحـامـذ
فـيـلـوكـون مـعـجـزاتِ (فـقـيـهِ)
يـحـشـدُ الـجِـنَّ والـظَّـلامُ يـشـاهِـدْ
ومـزايـا قـومٍ يـصـلُّـون فـي الـظُّـهـرِ
وفـي الـلَّـيـلِ يـسـرقـون الـمـسـاجـدْ
وحـكـايـا تـطـولُ عـن بـائـعـاتِ الـخـبـزِ
كـم فـي حـديـثِـهـنَّ مَـكـايـدْ
عـن بـنـاتِ الـقـصـورِ يـقـطُـرنَ طـيـبـاً
كـرَوابِ مـن الـورودِ الـفـرايـدْ
أو كـصـيـفِ أجـادَ نـضـجَ الـعـطـايـا
أو ربـيـعٍ فـي الـبُـرعـمِ الـطـفـل واعـدْ
شَـعـرُهُـنَّ انـثـيـالُ فـجـر خـجـولِ
ظِـلُّـهُ فـي عـيـونِـهِـنَّ مَـرَاودْ
كـلُّـهـنَّ اسـتـمَـخـنـهـم فـتـأبَّـتْ
حـكـمـةُ الـطـيـنِ فـيـهـمُ أن تُـسـاعـدْ
ويـتـوبـون يـسـتـعـيـذون بـالـلَّـهِ
لأنَّ الإنـاثَ نـبـعُ الـمـفـاسـدْ

---

(١) سنة القحط عند المزارعين.

ويودّون لو يعودُ زمانٌ … كان ثرّ الجنى عميمَ الموارِدْ

ويسمّون حجّةً(1) موتَ الزّاد … فلاكَ الفراغَ جوعُ المزاوِدْ

وتناءتْ أسمارُهم وتدانتْ … مثلما تختفي الرؤى وتعاوِدْ

والتقوا ليلةً عجوزاً(2) توارتْ … في أخاديدها النجومُ الخوامِدْ

فابتدوا ثرثراتِهم وأعادوا … ما ابتدوا من رواسبٍ وزوائدْ

وعلى صمتِهم تهيّأ شيخٌ … مثلما تخفقُ الطيوفُ الشّوارِدْ

فحكى قصةً تململَ فيها … كلُّ حرفٍ، كأنّهُ قلبُ حاقدْ

وتعالى فيها التبجّحُ بالثأرِ … فهاجتْ مستنقعاتُ العوائدْ

وتنادوا .. لبّيك يا عمُّ هيّا … كلُّنا ثائرون لا عاذ واجدْ

إنّها ساعةٌ إليهم فكرُّوا … غمضتْ عنكمو العيونُ الحواسِدْ

* * *

(1) حجة: سنة.

(2) ليالي العجوز: بين أواخر الشتاء وأوائل الصيف في عرف أهل الريف.

واشرأبّتْ بيوتُهُمْ تلمحُ الشُّهبَ
دماً في ملامحِ الأُفقِ جامِدْ
وتعايا فيها النُّعاسُ تَعايي
طائرٍ موثقِ الجناحين بارِدْ
ومع الفجرِ ساءلَ السفحُ عنهم
جدولاً، في ترقُّبِ الفجرِ سَاهِدْ
فرآهُ يهفو، يمدُّ ذراعيْهِ
ويُومي لها بأهدابِ عابِدْ
وارتمى يحتسي عبيرَ خُطَاهَا
ويُعاني وَخْزَ الحصى ويُكابِد
ودَنَتْ فالتَوَى على صُبحِ ساقيْها
يُناغي ويَجتدي ويُراودْ
مَنْ أتتهْ؟ فلاّحةٌ مِشْطُها الشَّمسُ
عليها مِن الشُّروقِ قَلائِدْ
وقميصٌ مِن النَّدى ماج فيهِ
موسمٌ، نابضُ الأفانينِ مائِدْ
وانثنت مثلما يميسُ عمودٌ
زنبقيٌّ تَشْتَمُّ أخبارَ (قائِدْ)[1]
وعلى فجأةٍ تلقَّت خُطاها
من غبارِ الصَّدى، غيومٌ رواعِدْ
أيُّ شيءٍ جرى؟ وتُصغي وتعدو
وتُداري، نشيجَها فيُعانِدْ

---

(١) من أسماء أهل الريف.

وتَرامَتْ مناحَةُ القريةِ الثَّكلى
كما يزخرُ انفجارُ الجلامِدْ

ودنَتْ مَن ترى؟ أبا طفلتيْها
وهو جذعٌ مِن الجراحاتِ هامِدْ

وعجوزاً تبكي وحيداً وأطفالاً
كزُغبِ الحَمامِ يبكون والِدْ

وجريحاً يصيحُ أين يدايَ؟
أين رجلايَ؟ هُنَّ ما كنتُ واجِدْ

وشقيقاتُهُ يَمُتْنَ التياعاً
ويَهَبْنَ لهُ القلوبَ ضمائدْ

يرتمي يرتمين يجثو فينصُبْنَ
لهُ مِن صدورِهِنَّ وسائِدْ

وعواءُ النجيعِ في السَّاحِ يدوي
يذهبُ الحاقدون والحقدُ خالِدْ

أحمقُ الحمقِ أن تصيرَ الكراها
تُ تُراثاً، أو يَستحِلنَّ عَقائِدْ

وعلى إثر مَن مَضَوا عادت الأسما
رُ تحيا على أصولِ القواعِدْ

وتُباهي: أزدوْا صغيرين منَّا
وقتَلنا منهم ثلاثين ماجِدْ

وتعيدُ الذي أعادتْ دهوراً
من صدى البيدِ والشعابِ الحواشِدْ

⊛⊛⊛

شعب على سفينة

أبريل سنة ١٩٤٦م

كـهـودجٍ مِـن الـضَّـبـابْ
مِـن الـطـيـوفِ، والـسَّـرابْ
تَـزُفُّـهُ سـفـيـنـةٌ
مِـن الـضـيـاعِ والـتُّـرابْ
ومِـن تـخـيُّـلِ الـغِـنـى
ومِـن تـلـهُّـفِ الـرغـابْ
ومِـن حـكـايـا الـعـائـدِ
يـن بـالـحـقـائـبِ الـعـجـابْ
اَلـمـتـخـمـاتِ بـالـحُـلـى
وبـالـعـطـورِ والـثـيـابْ
وبـالـجُـيـوبِ تـحـتـوي
دراهـمـاً، بـلا حـسـابْ
لـمَّـا أتَـوا تـلـفَّـتـتْ
حـتـى الـقـصـورُ والـقـبـابْ
حـتـى الـسـهـوبُ والـقُـرى
حـتـى الـكـهـوفُ والـشـعـابْ
وكـلُّ صـخـرٍ عـنـدنـا
وكـلُّ شـارعٍ وبـابْ

* * *

ورغــم خــوفِــهِ مــضــى
مِــن غــربــةٍ إلــى اغــتــرابْ

حــشــاهُ مــلــجــأ الــطّــوى
عــيــنــاهُ مــرفــأُ الــذُّبــابْ

عــلــى الــفــراغِ يــبــتــدي
ويــنــتــهــي دُجــى الــعــذابْ

و (مــأربٌ) تــســاؤلٌ
مــتــى يــعــودُ؟ وارتــقــابْ

و(حــدَّةٌ)[1] مــخــاوفٌ
ومــوعــدٌ عــلــى ارتــيــاب

أيــنــثــنــي؟ فــيــنــثــنــي
إلــى الــمــزارعِ الــشَّــبــابْ

ومُــقــلــتــا (ســمــارةٍ)[2]
جــوًى (ومَــيْــتــمٌ) عِــتــابْ

يَــعــي لُــهــاثَ ربــوةٍ
تــعــدُّ أشــهُــرَ الــغــيــابْ

وتــشــرئــبُّ ربــوةٌ
إلــى مــحــاجــرِ الــشُّــهــابْ

تَــهــزُّ نــهــدَهــا إلــى
مــســافــرٍ بــلا إيــابْ

---

(١) حدة: من مصايف صنعا.

(٢) سمارة: جبل مطل على ناحية إبّ. وميتم: نهر في المنطقة نفسها.

تــحــطُــهُ جــزيــرةٌ
ويــرتــمــي بــه عُــبــابْ
مــســافــرٌ أضــنــى الــسُّــرى
وراعَ غــيــهــبَ الــذئــابْ
وأقــلــقَ الــحــصــى، بــلا
مَــدَى، وأجــهــدَ الــهــضــابْ

* * *

مِــن قــارةٍ لــقــارةٍ
يــجــوبُ أرحــبَ الــرِحــابْ
وهــو عــلــى عــيــونِــهــا
تــســاؤلٌ، بــلا جــواب
فــيــنــحــنــي ويــبــتــنــي
لــهــا نــواطــحَ الــسَّــحــابْ
يُــضــيــئــهــا ولا يــرى
يَــشــيــدُهــا، وهــو الــخــرابْ
يــعــيــشُ عُــمْــرَه عــلــى
أرجــوحــةٍ، مِــن الــحِــرابْ
أيــامُــهُ ســفــيــنــةٌ
جــنــائــزيَّــةُ الــذِّهــابْ
تــزفُّــه إلــى الــنــوى
كــهــودجٍ مِــن الــضَّــبــابْ

❂❂❂

الشهيدة

يوليو ١٩٦٥م

كرجوعِ السَّنى لِعينيْ كفيفِ
بغتةً كاخضرارِ نعشٍ جفيفِ

وكما مدَّتِ الحياةُ يديْهَا
لغريقٍ، على المنَيَّةِ مُوفي

وكما ينثني إلى خَفْقِ شيخٍ
عنفوانُ الصِّبا الطليقِ الخفيفِ

رجعتْ فجأةً رجوعَ وحيدٍ
بعد شكٍّ إلى أبيهِ اللَّهيفِ

كابدتْ دَربها إلى العودة الجَذْلى
وأَدْمَتْ شوطَ الصراعِ الشَّريفِ

حدَّقتْ مَن ترى ومَن ذا تُنادي؟
أين تمضي: إلى الفراغِ المخيفِ؟

وأرتها خوالجُ الذُّعرِ وجهاً
بربريّاً، كبابِ سجنٍ كثيفِ

وجذوعاً، لها وجوهٌ، وأذقانٌ
وإطراقةُ الحمارِ العليفِ

فتنادتْ فيها الظُّنونُ وأَصْغَتْ
لحفيفِ الصَّدى ووهمِ الحفيفِ

وكما يرتمي على قلقِ السَّمعِ
هدوءٌ بعد الضَّجيجِ العنيفِ

سرَّحتْ لمحةً فطالعها شيءٌ
كإيماءةِ السِّراجِ الضعيفِ

كان يُعطي حياتَهُ للحيارى
وعلى وجههِ اعتذارُ الأسيفِ

فأحسَّت هناك حيّاً مهيضاً
يتلوَّى تحت الشِّتاءِ الشفيفِ[1]

قُرَى، بِغنَ عُمرَهُنَّ على أد
نى الخصوماتِ والهُراءِ السخيفِ

واشرأبَّتْ ثقوبُهنَّ إلى الرِّيحِ
يُسائِلْنَ: عن شميمِ الرغيفِ

فدَنَتَ تنظرُ الحياةَ عليهنَّ
بقايا مِن الغُثاءِ الطَّفيفِ

والدوالي هناك أشلاءُ قتلى
جَمَدَتْ حولَها، بقايا النَّزيفِ

وتجلَّت أُمّاً تجعَّد فيها
عَرقُ الصيفِ وارتعاشُ الخريفِ

سألتها عن اسمِها فتبدَّى
مِن أخاديدها حنانُ الأليفِ

---

(١) الشتاء الشفيف: عنيف البرد.

واستدارت تَقصُّ: إن أباها
من (زَبيدٍ) وأمَّها من (ثقيفِ)

فأعادتْ لها الربيعَ فماست
في شبابيْن تالدٍ وطريفِ

نزلتْ ضيفةَ الحنانِ فكانَتْ
لديارِ الضياعِ، أسخى مُضيفِ

نزلتْ في مواكبِ من شروقٍ
وحشودٍ مِن اخضرارِ الرَّفيفِ

في إطارٍ مِن انتظارِ العصافيرِ
ومِن لهفةِ الصَّباحِ الكفيفِ

وتهادتْ على الرُّبى فتلظَّى
في عروقِ الثلوجِ، دفءُ المَصيفِ

وأجادتْ مِن الفراغِ وجوهاً
وجِباهاً، من الشموخِ المنيفِ

رجعتْ فانثنى اصفرارُ التوابيتِ
إلى خُضرةِ الشبابِ الوريفِ

❁❁❁

ابن سبيل

١٦/يوليو/١٩٦٥م

سارَ والدَّربُ ركامٌ من غباءِ
كلُّ شبرٍ فيهِ شيطانٌ بدائي
كان يرتدُّ ويمضي مثلما
تخبطُ الريحُ، مضيقاً مِن عناءِ
بين جنبيْهِ، جريحٌ هاربٌ
مِن يدِ الموتِ، ومسلولٌ فِدائي
يصلب الخطوَ على ذُعرِ الحصى
وعلى جذعٍ مديدٍ مِن شقاءِ
وعلى منعطفٍ أو شارعٍ
مِن دمِ الذكرى وأنقاضِ الرجاء
من يعي يسأله: أين أنا؟
ضاعَ قُدَّامي، كما ضاعَ ورائي
وإلى لا منتهى هذا السُّرى
في المتاهاتِ ومِن غيرِ ابتداءِ
إنني أخطو على شلوي وفي
وَهْوَهاتِ الرِّيحِ، أَشْتَمُّ دمائي
من يؤاويني؟ أيُصغي منزلٌ
لو أنادي، أو يَعي أيُّ خباءِ؟

أَلــمــمــراتُ مــغــاراتٌ لــهــا
وثبـةُ الـجـنِّ، وإجـفـالُ الـظِّـبـاءِ

وهــنــاك الــشُّـهـبُ غـربـانٌ، بـلا
أعـيـنٍ، تـجـتـازُ غـيـمـاً لا نـهـائـي

وهنـا الـشَّمسُ عـجـوزٌ، تـحـتـسـي
ظِـلَّـهـا، تـصـبـو إلـى تـحـديـقِ رائـي

مَـن دنـامـنّـي؟ وكـالـطَّـيـفِ الـتـوى
ونـأى، خـلـفَ خـيـالاتِ الـتـنـائـي

مِـنْ وراءِ الـتـلِّ عَـنَّـتْ غـابـةٌ
مـن أفـاعٍ؟ وكـهـوفٌ مـن عُـواءِ

وعـيـونٌ، كـالـمـرايـا، لـمـعـتْ
فـي وجـوهٍ، مـن رمـادٍ وانـحـنـاءِ

إنـه حـشـدٌ، بـلا اسـم وجـهُـهُ
خـلـفَـهُ مِـرآةُ تـزويـرِ الـطِّـلاءِ

مَـن يـرى؟ أيَّ زحـامٍ ودرى
أنـه يـرنـو إلـى زيـفِ الـخـواءِ؟

* * *

وبـلا زادٍ ولا دربٍ مـضـى
كـالـخـيـالاتِ الـكـسـيـحـاتِ الـظِّـمـاءِ

تـخـفُـقُ الأحـزانُ، فـي أهـدابِـه
وتُـنـاغـي، كـعـصـافـيـرِ الـشـتـاءِ

يـنـحـنـي، يـسـتـفـسـرُ الإطـراقَ عـن
وجـهِـهِ الـذَّاوي، وعـن بـابِ مُـضـاءِ

عن يدٍ، صيفيَّةِ اللَّمسِ وعن
شُرفةٍ جَذْلى، وعن نبضِ غناءِ

وتأنَّتْ نجمةٌ، أرسى على
جفنِها طيفٌ، خريفيٌّ الرِّداءِ

فتملَّاها مليّاً وارتدى
جوُّ عينيه، أصيلاً من صفاءِ

والتظى برقٌ، تضنَّى خَلفَهُ
ألفُ دنيا، من ينابيعِ السخاءِ

وبلا وعيٍ دنا، من كوخهِ
كغريقٍ، عاد من حَلقِ الفناءِ

فأحسَّ البابَ يلوي حوله
ساعدَيْ شوقٍ، وحضناً من بكاءِ

أين من يسأله، يخبرُهُ
عن مآسيهِ فيحنو أو يُرائي؟

وجثا، يحنو عليه منزلٌ
سقفُهُ الثلجُ، وجدرانُ المساءِ

وكما تنجرُّ أمٌّ ضيَّعت
طِفلَها، يبحثُ عن أدنى غذاء

يجتدي الصَّمتَ نداءً أو يداً
أو فماً يفترُّ، أو رجعَ نداءِ

ويُداري السُّهدَ أو يرنو إلى
ظلِّهِ، يختالُ في ثوبٍ نسائي

فــتُــعــاطــيــه مــنــاهُ أكْــؤســاً
مــن دخــانٍ؟ واحــتــضــانــاً مــن هــبــاءِ

تــحــتــســي أنــفــاسَــهُ أمــسِــيَــةٌ
عــاقــرٌ، تــمــتــصُّ ألــوانَ الــهــواءِ

هــل هــنــا لابــن ســبــيــلِ الــريــحِ مِــن
مــوعِــدٍ؟ أو هٰــهُــنــا دفءُ لــقــاءِ؟

عــاد مــن قــفــرٍ دُخــانــيٍّ، إلــى
عــامــرٍ؟ أقــفــرَ مــن لــيــلِ الــعَــرَاءِ

وغــدا يــبــتــدئُ الأشــواطَ مــن
حــيــث أنــهــاهــا، إلــى غــيــرِ انــتــهــاءِ

يــقــطــعُ الــتِّــيــهَ، إلــى الــتِّــيــهِ، بــلا
شــوقِ أســفــارٍ، ولا وعــدِ انــثــنــاءِ

وبــلا ذكــرى، ولا ســلــوى رؤًى
وبــلا أرضٍ، ولا ظــلٍّ ســمــاءِ

عُــمْــرُهُ دوَّامــةٌ مــن زئــبــقٍ
وســهــادٌ وطــريــقٌ مــن غَــبَــاءِ

❁❁❁

صديقُ الرِّياحْ

مارس ١٩٦٦م

على اسمِ الجنيهاتِ، والأسلحهْ
يتاجرُ بالموتِ، كي يربَحهْ
ويشتمُّ كفَّيْ مُرابي الحروبِ
فيزرعُ في رملِهِ مطمحَهْ
ذوائبهُ الحاضناتُ النُّجومَ
بأيدي المُرابين، كالمِمسحَهْ
يُمنِّيهِ طاغٍ، حساهُ الفجورُ
وجَلْمَدَ في حلقِهِ النَّحنحَهْ
فيدمى وتغدو جراحاتُهُ
منادِيلَ.. في كفِّ مَنْ جَرَّحَهْ
وتومي له حربةُ [الهرمزانِ]
بقرآنِ (عثمانَ) والمِسْبَحهْ
فيهوي، له جُبَّةٌ من رمادِ
ومن داميات الحصى أوشِحَهْ
على وجهِهِ، ترسُبُ الحشرجاتُ
وتطفو، قبورٌ، بلا أضرحَهْ
ويجترُّهُ من وراءِ السرابِ
أسًى، يرتدي صَبغةً مُفرِحَهْ

فيجتاحُ تلّاً شواهُ الحريقُ
وتلّاً، دخانُ اللظى لوّحهْ
ويغتالُ رابيةً مُمْسِياً
وتأكلُهُ ربوةٌ، مُصْبِحَهْ
وكالسّلِّ يمتصُّ زيتَ (الرياضِ)
ويُرضِعُ من دمِه المذبحَهْ
ويسقطُ حيث تلوحُ النقودُ
هنا أو هنا، لايعي مطرحَهْ
طيوفُ الحياةِ على مُقلتَيْهِ
عصافيرُ داميةُ الأجنِحَهْ
تَعُبُّ أساريرَه الأمسياتُ
وتنسى الصبيحاتُ أن تلمحَهْ
و غاياتُهُ أن يُديرَ الحروبَ
ويبتزَّ أسواقها المُربِحَهْ
وما دام فيهِ بقايا دَمٍ
فمن صالحِ الجيبِ أن يسفحَهْ
يجُودُ بأشلائِهِ ولتكُنْ
(لإبليسَ) أو (آدم) المصلحَهْ

* * *

وتلك عوائدُهُ الخالداتُ
يجوعُ، ومن لحمِهِ، يأكلُ
بلا دِرْهمٍ كان يَدْمَى فكيفَ؟
وكنزُ (المُعزِّ) لهُ يُبذَلُ

أيـنـسـى عـراقَـتَـه أنـه:
أبـو الـحـربِ أو طِـفـلُـهـا الأوَّلُ

ومـا زال تُـنـجـبُـهُ كـلَّ يـوم
(بـسـوسٌ) وأخـرى بـه تـحـبـلُ

إلـى أيـن يـسـري؟ وردَّ الـصـدى:
إلـى حـيـث لا يـنـثـنـي الـرُّحَّـل

وكـانَ هـنـاك سـراجٌ حـزيـنٌ
يَـئِـنُّ، ونـافـذةٌ تـسـعُـلُ

فـأصـغـى الـطـريـقُ إلـى مَـسـمَـرِ
كـنـعـشٍ يـنـوء بـمـا يـحـمـلُ

وقـال عـجـوزٌ سـهـا الـمـوتُ عـنـهُ
عـلـى مَـن نـنـوحُ ومَـن نـثـكـلُ؟

رمـى أمـسِ (يـحـيـى) أخـاهُ (سـعـيـداً)
وأردى ابـن أخـتـي أخـي (مـقـبـلُ)

فـردَّ لـهُ جـارُهُ: لـو رأيـتَ
مـتـاريـسَـنـا كـيـف تـسـتـقْـتِـل

تـمـورُ فـتـغـشـى الـجـبـالُ الـجـبـالَ
ويـبـتـلـعُ الـجـنـدلَ الـجـنـدلُ

ويـهـوي الـجـدارُ عـلـى ظـلِّـهِ
ويـجـتـرُّ أسـوارَهُ الـمـعـقِـلُ

وقـالـت عـروسٌ صـبـاحَ الـزفـافِ
سـعـى قـبـل أن يـبـردَ (الـمـخـمـلُ)

ويـومـاً حـكـوْا أنَّـهُ فـي (حـريـب)[1]
ويـومـاً أتَـى الـخـبـرُ الـمـذهـلُ

وصـاح فـتًـى: أخـبـروا عـن أبـي
وأجـهـشَ، حـتـى بـكـى الـمَـنـزِلُ

وولَّـى ربـيـعٌ مـريـرٌ، وعـادَ
ربـيـعٌ، بـمـأسـاتِـه مـثـقـلُ

وضـاعَ الـمـدى وصـديـقُ الـريـاحِ
يـحـومُ.. وعـن وجـهِـهِ يَـسـألُ

ويـمـضـي بـه عـاصـفٌ قُـلَّـبٌ
ويـأتـي بـه عـاصـفٌ حُـوَّلُ

* * *

أمـا آن يـا ريـحُ أن تـهـدئـي
ويـا راكـبَ الـريـحِ أن تـتـعـبـا

وأيـن تـرى شـاطـىءَ الـمـوجِ يـا
(بـراشُ)[2] ويـا نـسـمـاتِ الـصَّـبـا

ويـا آخـرَ الـشـوطِ: أيـن الـلـقـاء؟
ويـا جـدبُ أرجـوكَ أن تُـخـصِـبَـا

ويـا حـلـمُ، هـل تـجـتـلـي مُـعـجـزاً
تـحـيـلُ خـطـاهُ الـحـصـى كَـهْـرَبـا

يُـبـيـدُ بـكـفٍّ، نـيـوبَ الـريـاح
ويـمـحـو بـكـفٍّ، حـلـوقَ الـرُّبـى

---

(١) حريب مدينة شرق اليمن. (٢) براش: جبل شرق صنعاء.

ويغرسُ في الذئبِ رفقَ النِّعاجِ
ويمنحُ بعضَ القوى الأرنبَا

أيأتي؟ ويحتشدُ الانتظارُ
يمدُّ له المهدَ والملعبَا

ويبحثُ عن قدميْه الشروقُ
ويحفرُ عن ثغرِهِ المَغْرِبَا

وعادت كما بدأتْ غيمةً
توشِّي بوارقَها الخُلَّبا

وتُفرغُ أثدَاءَها في الرمالِ
وتهوي تحاولُ أن تَشْرَبا

و(صنعاءُ) ترتقبُ المعجزاتِ
وتحلمُ بالمُعجزِ المُجتبى

وكالصَّيفِ، شعَّ انتظارٌ جديدٌ
على الأفقِ، وامتدَّ واعشوشَبا

وحدَّقَ من كلِّ بيتٍ هوًى
يراقبُ عملاقَهُ الأغلبَا

ويختارُ أحلى الأسامي لَهُ
وينتخبُ اللَّقبَ الأعجبَا

ويخلقُهُ فارساً يمتطي
هلالاً ويتَّشحُ الكوكَبَا

سيدنو فقد آن للسُّهدِ أنْ
ينامَ وللنُّوحِ أن يطربَا

فـعُـمْـرُ الـرَّصـاصِ كـعُـمْـرِ سـواهُ
وإن طـالَ جـاءَ لـكـي يـذهـبَـا

وقـد يُـقْـمِـرُ الـجـوُّ بـعـد اعـتـكـارٍ
وقـد يُـنـجِـلُ[1] الأحـمـقُ الأنـجـبَـا

۞۞۞

(١) يُنجل: يكون له نجل.

كانَت وكان

أغسطس سنة ١٩٦٥م

كانت له، حيث لا ظِلٌّ ولا سعفُ
من النخيلِ الحوالي، ناهدٌ نَصَفُ

وكان أرغدُ نصفَيْها الذي ابتدأتْ
أو انمحى من صِباها الياءُ والألِفُ

أغرى، وأفتنُ ما في بعضِ فتنتِها
طفولةٌ، وامتلاءٌ مثمرٌ هَيِفُ

كانت له بعضَ عام، لا يمتُّ إلى
ماضٍ ولا امتدَّ من إخصابِه خَلَفُ

ولَّى، ولا خبرٌ يُهدى إليهِ وفي
حقائبِ الريحِ، من أخبارِهِ تُحَفُ

وقِصَّةٌ لَمْلَمَ التأريخُ أحرُفَها
فاستضحكَ الحبرُ في كفَّيْهِ والصُّحفُ

وغابَ أولَ يومٍ عن تذكُّرِهِ
وفي تظنّيهِ من إيمائِهِ نُتَفُ

كان الخميسُ أو الاثنين واحتشدتْ
مواقفٌ، تدفعُ الذكرى وتلتقِفُ

في بدءِ تشرينَ، نادَتْهُ نوافذُها
فحامَ كالطيف، يستأني وينجَرفُ

هل داك مخدعها؟ تومي النجوم على
جبينِهِ وعلى عينيْهِ تعتكِفُ

بل تلك غرفتُها أو تلك أيُّهما؟
أو هذه، وارتدت أزياءَ ها الغُرفُ

وبعدَ يومٍ وليلٍ، جاءَ يسألُها
عن عمِّها أخبروه أنهُ دَنِفُ

من ذا تريدُ؟ وتسترخي عبارتُها
فيأكلُ الأحرفَ الكَسلى ويرتشِفُ

ويدَّعي أنَّهم قالوا: أليس لها
عمٌّ ويعتصرُ الدَّعوى وينتزِفُ

ويستزيدُ جواباً هل هنا سكنٌ؟
أظنُّ [بيتُ فُلانٍ] أهلهُ انصرفوا

وخانهُ الريقُ، فاستحلتْ تلعثُمَهُ
واخضرَّ في شفتيْها العذرُ والأسفُ

ونصفَ (كانون) زارت بنتَ جارتِهِ
فأفشتِ الخبرَ الأبوابُ والشُّرَفُ

وقالت امرأةٌ: من تلك؟ والتفتت
أخرى، تُكذِّبُ عينيْها وتعترفُ

وعرَّفتها عجوزٌ، كلُّ حِرفتِها
صُنعُ الخطايا، لوجهِ اللهِ تحترِفُ

وقصَّتِ امرأةٌ عنها، لجدتِها
فصلاً، كما ذابَ فوقَ الخُضرةِ الصَّدَفُ

فعوَّذتْها وقالت: كنت أُشبِهَها
لكن لكلِّ طويلٍ يا ابنتي طُرَفُ

وغمغمَ الشَّارعُ المهجور: مَن خطرَتْ
كما تَخَطَّرَ تلٌّ مائجٌ ترِفُ

وحين عادت وحيَّاها على خجلٍ
ردَّتْ، وما كان يرجو، ليتها تقفُ

وخلفها اقتادَهُ وعدُ السَّرابِ إلى
بيتٍ نضيجِ الصِّبا جدرانُهُ الشَّغَفُ

حتى احتَستْها شفاهُ البابِ، لا أحدٌ
يُومي إليه، ولا قلبٌ لَهُ، يجفُ

وظَنَّ وارتابَ حتى اشتَمَّ قِصتَه
كلبٌ هناك وثورٌ كان يعتلِفُ

وعاد من حيث لا يدري على طُرقٍ
من الذهولِ إلى المجهولِ ينقذِفُ

فاعتادَ ذكراهُ بيتٌ مسَّه فمُها
في دربِها، وبظلِّ الدَّارِ يلتحِفُ

وقرَّبت دارَها من ظلِّ ملجئهِ
يدٌ تَعلَّم مِن إغداقِها السَّرفُ

وكان يُصغي فتدعو غيرُها ٱبنتَها
وجارةٌ غَيرها تَخفَى وتنكشِفُ

متى تبوحُ وهل يُفضي بخطرتِها
دربٌ، ويخبرُ عنها الريحَ منعطفُ؟

وحلَّ شهرٌ رماديُّ الخُطى هرِمٌ
ضاعت ملامِحُه، واسترختِ الكتِفُ

وفي نهايتِه، جاءت تُسائِلُهُ
عن هِرِّها.. لم يزُرنا، فاتنا الشَّرفُ

فنغَّمتْ ضحكةً كَسْلى، طفولتُها
جَذْلى، على الرقَّةِ المغناجِ تَنْقَصِفُ

فمدَّ كفّاً خجولاً، وانحنى فَرَنا
من وجهِها الموعدُ المجهولُ والصَّلَفُ

وكان يرنو، وجوعُ الأربعين على
ذبولِ خدَّيْهِ يستجدي ويرتجفُ

وقال ماليس يدري فادَّعت غضباً:
مَنْ خِلتَني؟ قُلْ لغيري: إنني كَلِفُ

وأعرضتْ واستدارتْ: كيف شارِعُنا؟
حلوٌ.. أما ساكنوه السوْءُ والحَشَفُ؟

(فلانةٌ) لم تَدَعْ عَرْضاً و(ذاك) فتًى
يُغوي ويكذبُ في ميعادِهِ الحلِفُ

من ذلك اليومِ يومِ (الهرِّ) كان له
عُمرٌ ومتَّجهٌ غضٌّ ومنصرفُ

واخضرَّ قُدَّامَهُ عُشٌّ تُدَلِّلُهُ
على رفيقِ الدوالي روضةٌ أَنِفُ

أجنتْ[1] لهُ، أيُّها يدعو مَجاعتَهُ
وأيُّ أفنانِها يحسو ويقتطِفُ؟

(١) أجنت له: أبدت له الثمار الجنية.

ومرَّ عـهـدٌ كـعـمـرِ الـحـلـمِ يـرقُـبُـهُ
مـتـى يـعـودُ يُـمـنِّـيـهِ ويـخـتـلـفُ؟

وكـان فـيـه كـمـولـودٍ عـلـى رغـدٍ
أنـهـى رضـاعـتَـه الـتـشـريـدُ والـشَّـظَـفُ

كـانـت لَـهُ ويَـقُـصُّ الـذكـريـاتِ عـلـى
طـيـفٍ، يـقـابـلُ عـيـنـيْـه ويـنـحـرف

والـيـومَ في الـقـريـةِ الـجَـوعـى يُـضـيِّـعـهُ
دربٌ، ودربٌ مـن الأشـواكِ يـخـتـطـفُ

يَـسِـيـحُ كـالـرِّيـحِ فـي الأحـيـاءِ يَـلـفِـظُـهُ
تِـيـهٌ، ويـسـخـرُ مـن تـصـويـبِـهِ الـهَـدَفُ

۞ ۞ ۞

نهايةُ حسناءَ ريفيَّة

سبتمبر سنة ١٩٦٥م

كما تذبلُ الذَّالياتُ الصَّبايا
ذوَتْ في سخاءِ المُنى والعطايا

وكالثَّلجِ فوقَ احتضارِ الطُّيورِ
تراخَتْ على مُقلتيْها العشايا

وكابنِ سبيلٍ جثَتْ وحدها
تُهدِّجُ خلفَ الضَّياعِ الشكايا

وتَسْعُلُ في صدرِها أمسياتٌ
من الطينِ، تبصقُ ذَوْبَ الحنايا

ويوماً أشار أخوها القتيلُ:
تعاليْ تشهَّتْ يديْكِ يدايا

فناحتْ كبنتِ مليكٍ غدَتْ
بأيدي (التَّتارِ) أذلَّ السَّبايا

أهٰذي أنا؟ وتعيدُ السؤالَ
وتبحثُ عن وجهِهَا في المَرايا

أما كان ملءَ قميصي الربيعُ؟
فأين أنا؟ في قميصي سوايا

وفرَّ سؤالٌ خجولٌ تلاهُ
سؤالٌ، على شفتيْها تعايا

وأيـن الـفَـراشُ الـذي امـتـصَّـنـي
أيـرثـي هـشـيـمُ الـغـصـونِ الـعَـرايـا
وذاتَ مـسـاءٍ تـمـطّـى الـسـكـونُ
كـبـاغٍ يـهِـمُّ بـأدهـى الـقـضـايـا
وأقـعـى يـهـزُّ إزاءَ الـجـدارِ
أكُـفّـاً مـن الـشـوكِ خُـرسَ الـنـوايـا
وفـي الـصـبـحِ أهـدتْ لـهـا جـارتـان
غـبِـيّـاً رضـيَّ الـرُّقـى والـسَّـجـايـا
يَـفُـضُّ الـكـتـابَ ويَـشـوي الـبـخـورَ
ويـسـتـلُّ مـا فـي قـرارِ الـخـفـايـا
فـتَـشْـتـمُّ أمـسِ الـمُـسجَّـى، يـعـودُ
وتـجـتـرُّهُ مـن رمـادِ الـمـنـايـا
وتـنـتـظـرُ الـزائـريـن كـأُمٍّ
تـراقـبُ عَـوْدَ بـنـيـهـا الـضـحـايـا
فـلا طـيـفَ حُـبٍّ يـشـقُّ إلـيـهـا
سُـعـالَ الـكـوى أو فَـحـيـحَ الـزَّوايـا
وكـان يَـمُـدُّ الـمـسـاءُ الـنـجـومَ
إلـيـهـا مـعـبَّـأةً بـالـهـدايـا
وتـتَّـئـدُ الـشَّـمـسُ قـبـلَ الـغـروبِ
تُـوشّـي رؤاهـا، بـأزهـى الـخـبَـايـا
ويـجـثـو الـصـبـاحُ مـلـيّـاً يَـرشُّ
شـبـابـيـكَـهـا، بـأرقِّ الـتَّـحـايـا

وتـحـمـلُ عَـن وَهْـجِ أسـمـارِهـا
رِيـاحُ الـدُّجـى هَـوْدجاً مـن حـكـايـا

وكـانـت كـمـا يـخـبِـرُ الـذاكـرونَ
أبـضَّ الـغـوانـي، وأطـرى مـزايـا

وأنـضَـرُ مِـن صاحـبـاتِ (الـسُّـمُـوِّ)
ولـكـنـهـا بـنـتُ أشـقـى الـرعـايـا

تـهـادتْ مـن الـريـفِ عـامَ الـجـرادِ
تُـعـاطي الـمـقـاصـيرَ أحـلـى الـخـطـايـا

وفـي بَـدءِ (نـسـيـانَ) حـثَّ الـخـريـفُ
إلـيـهـا مـن الـريـحِ أمْـضـى الـمـطـايـا

فـشـظَّـى كـؤوسَ الـهـوى فـي يـديْـهـا
وخـبَّـأَ فـي رئـتـيْـهـا الـشـظـايـا

وخـلَّـفَ مـنـهـا بـقـايـا الأنـيـنِ
وعـادَ، فـأنـهـى بـقـايـا الـبـقـايـا



لا اكتراث

سبتمبر سنة ١٩٦٥م

رويِّهِ، أو حطِّمي في كفِّه القَدَحا
فلم يَعُدْ ينتشي، أو يطعمُ التَّرحا

لا، لم يُحسَّ ارتواءً، أو يجدْ ظمأً
أو يبتهجْ، إن غَدَت أحلامُهُ مُنَحا

سُدًى، تُمنِّين مَنْ ماتت رغائِبهُ
مِنْ طولِ ما اغتبقَ القطرانَ واصْطَبَحا

فعادَ، لا يرتجي ظِلاً ولا شجَراً
ولا يراقبُ وعداً، جدَّ أو مَزَحا

إذا اشتهى اقتاتَ شِلواً من تذكُّرِهِ
وامتصَّ ما خطَّ في رملِ الهوى ومحا

كالطَّيفِ يحيا بلا شوقٍ، ولا حُلُمِ
ولا انتظارِ رجاءٍ، ضَنَّ أو سَمَحا

يُنقِّرُ السُّهدَ عن ميعادِ أُغنيةٍ
كطائرٍ جائعٍ، عن سِرْبهِ نَزَحا

ويَنزوي، كضريحٍ يستعيدُ صدًى
يبكي ويهزجُ (لا حُزناً ولا فَرحا)

لا تسألي: لم يَعُدْ مَن تعرفين هنا
ولَّى وخلَّفَ من أنقاضِهِ شَبَحا

آسِي بقاياهُ، أو شظِّي بقيَّتَهُ
للرِّيح، لم يدْرِ مَن آسى ومَنْ جَرحَا

❁ ❁ ❁

رائدُ الفَراغ

ديسمبر ١٩٦٤م

طـــاوٍ، يـــريـــدُ بـــلا إرادَه
ظـمــآنُ، يــجــترعُ اتِّــقــادَه

هــيـمـانُ، تَـركُـضُ فـيـهِ أشـواقُ
الــجـنـيــنِ، إلــى الــوِلادَه

فـيُـفـتِّـشُ الأطـيـافَ، عــن إيـمـاءِ
قـــــرطٍ أو قِـــــــلادَه

عـــن وعـــدِ بـــاذلـــةٍ تـــجـــودُ
فـــيـــســتـــزيـــدُ إلـــى الـــزِّيــادَه

لـفـتـاتُـهـا لـحـنٌ، تـتـوقُ إلـيـه
أخــــيــــلَــــةُ الإجــــادَه

ويُـــســـائـــلُ الأشـــبـــاحَ مَـــن
أعـــصـــي، ومَـــنْ أُدنـــي قـــيـــادَه؟

مَـــنْ أمـــلأُ الـــجـــاراتِ، مَـــنْ
أشـــهـــى، يـــحـــومُ بـــكُـــلِّ غـــادَهْ

ويـــغـــيـــبُ فـــي حُـــمَّـــى الـــسُّـــهـــا
دِ، يُـــعـــيـــدُ كـــارثـــةً مُـــعـــادَهْ

وكـــمـــا يُـــقـــدِّرُ يـــرتـــمـــي
فـــي دفءِ (تـــقـــوى) أو (ســـعـــادَه)

ويـمـدُّ زنـديـه، ويَـهـصِـرُ مَـنْ
يـظُـنُّ، بـلا هـوادَه

ويـمـورُ حـتـى يـشـتـكـي
قـلـقُ الـفـراشِ إلـى الـوسـادَهْ

ويـعـودُ يـغـفـو، أو يُـحـرِّقُ
فـي نـدامـتِـهِ، سُـهـادَه

* * *

حـتـى أطَّـلَـتْ لـيـلـةٌ
مِـعـطـاءَةُ الأيـدي، جـوادَه

مَـنـحَـتْـهُ مِـنْ رغـدِ الـمـواسـمِ
فـوق أحـلامِ الـرَّغـادَه

وعـلـى صـبـيـحـتِـهـا دَهَـتْـهُ
صـيـحـةٌ، وَأَدَتْ رُقـادَهْ

ضـاعِـفْ كِـراءَ الـبـيـتِ أو دَعْـهُ
... أتـحـرمـنـي الإفـادَه؟

مـاذا يـقـولُ (لِـمـدفَـنٍ)
ورثَ الـغـبـاوةَ والـسِّـيـادَة

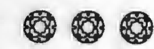
ذَهَـبـتْ مـلامِـحُ وجـهِـهِ
وتَـجـلْـمَـدَتْ فـيـهِ الـبَـلادَه

مِـنْ أيـن يُـعـطـي مِـنْ قَـطَـعْـتَ
سـبـيـلَـهُ، وحـكـرتَ زادَه

حـسـنـاً، سـأتـرُكـهُ، أضِـفـهُ
إلـى مـبـانـيـكَ الـمُـشـادَه

وانـــجـــرَّ يـــرتـــادُ الـــفـــراغَ
ويُـــطـــعـــمُ الـــشَّـــوكَ ارتـــيـــادَه

والـــريـــحُ تَـــبـــصـــقُـــهُ وتَـــصْـــفَـــعُ
فـــي مـــلامـــحِـــهِ بِـــلادَه



من أيـن؟

يناير ١٩٦٥م

مِــنْ أيــن تــهــمــســيــن لــي؟
فــتــســتــعــيــدُ الأهْــويَــهْ

مِــنْ أيـــن؟ إنَّـــنـــي عـــلـــى
أيــدِي الــظُّــنــونِ، أُلْــهِــيَـــهْ

مِــنْ حــيـــث لا أعـــي ولا
تَــدْريـــن، أيُّ أُحــجِــيَـــهْ؟!

وَتَــهــمِــســيــن لــي كَــمَــا
يَــتَــنْدَى اخــضــرارُ الأوديَـــهْ

كـــمـــا تـــبـــوحُ جَــنَّـــةٌ
حُــبــلــى بــأســخــى الأعــطــيَــهْ

فـــيــشــرئـــبُّ مَــنــزلـــي
مــن الــثُّــقــوبِ الــمُــصــغــيَــهْ

عــريـــانُ يَـــغـــزلُ الــصَّــدى
أسِـــرَّةً وأغْـــطـــيَـــهْ

يــمــدُّ كــلَّــهُ إلــيــكِ
حُــضــنَــهُ وأيــديَــهْ

أتـــشـــعُـــريـــن أنـــنـــي
ألـــقـــاكِ، كـــلَّ أُمـــسـيَـــهْ

عــلــى جــفــونِ خــاطــرِ
أو احــتــمــالِ أُمْــنــيَــهْ

يَــطــيــرُ بــي إلــيــكِ مِــنْ
هــنــا، جــنــاحُ أُغْــنِــيَــهْ

❁❁❁

فارس الأطياف

يونيه ١٩٦٦م

كـان اسـمُـهُ (يـحـيـى) وكـان يُـوافـي
بـيـتـاً، مـن الـمـيـعـادِ والإخـلافِ
وافــاه أولَ مــرةٍ كــمــجُــدِّفٍ
أعـطـى الـضَّـيـاع، قـيـادةَ الـمِـجْـدَافِ
وغـداةَ حَـيَّـا الـبـابَ قـطَّـبَ لـحـظـةً
وصـفـا كـوجـهِ الـوارثِ الـمـتـلافِ
وهـفـا إلـى لُـقـيـاهُ، أنـضـرَ مَـدْخـلٍ
تُـومـي رَوائـحُـهُ، إلـى الأضـيـافِ
وأتــاه ثــانــيــةً، فــمــاسَ أمَـامَـهُ
ثـوبٌ، كـوشـيِ الـمـوسـمِ الـهَـفـهـافِ
فـكـأنَّ كـلَّ خـمـيـلـةٍ ألـقَـتْ عـلـى
كـتـفـيْـه أرْديـةً، مـن الأفـوافِ
مـاذا وراء الـثـوبِ؟ فـجـرٌ راسـبٌ
يَـهـوي ويـسـتـحـيـي وفـجـرٌ طـافِ
ورَنَـا إلـى الـشُّـبَّـاكِ، يـرجـو فـاخـتـفـتْ
وارتـدَّ بـالـوعـدِ الـجـلـيِّ الـخـافـي
وغـدا إلـيـهِ، فـرفَّ شـيءٌ ظَـنَّـهُ
حـسـنـاءَ، تَـرفِـلُ فـي ثـيـابِ زفـافِ

ودعـا (حـسـيـنـاً) مـرةً فـأجـابَـهُ
صـوتٌ كـسـاقـيـةٍ مـن الأصـدافِ

فـاشـتـمَّ أتـرفَ ربـوةٍ أجـنَـتْ لـه
ودنـا، فـغـابـت عـن يـدِ الـقَـطَّـافِ

فـهُـنَـا مـزارٌ مـن طـفـولاتِ الـضُّـحـى
ومـن الـشَّـذى، وأصـايـلِ الأصـيـافِ

يَـمضي إليهِ، على الحنين وينثني
مـنـهُ عـلـى فـرسٍ مـن الأطـيـافِ

هي لَـمْ تَـعِـذْه، ويـرتـجي مـيـعـادَهـا
وسدًى يُعنقِدُ خُضَرةَ الصَّفصافِ

فـيـرودُ كـالـسِّـمـسـارِ، مـتـجرَ عـمِّـهـا
ويُـشـيـدُ، بـالـبـيَّـاع والأصـنـافِ

ويـعـودُ قـبـلَ الـعـصـرِ، يـقـصـدُ جَـدَّهـا
في البيتِ، يُطري حُمقَهُ ويُصافي

ومـضـى يـصـادقُ عـنـدَ مـدخـلِ بـابِـهـا
مـقـهًـى، وبـابـاً كـالـخـفـيـرِ الـجـافي

وبـــلا مـــحـــاولـــةٍ رآهـــا مـــرَّةً
جَـذْلـى كـحـقـلِ الـزَّنـبـقِ الـرفَّـافِ

كـان الـمـسـاءُ الـغـضُّ عـنـدَ رجـوعِـهِ
حـقـلاً ربـيـعـيـاً ونـهـرَ سُـلافِ

حـقَّـاً رآهـا كـالـضُّـحـى، والـبـوحُ في
نـظـراتِـهِ، كـالـطَّـائـرِ الـخـوَّافِ

خلفَ الزُّجاجِ تبرَّجتْ وأظَلَّها
شعرٌ، كأهدابِ الغروبِ الصَّافي

كانت تُغنِّي حينذاكَ وتنتقي
ثوباً وترمي بالقميصِ الضَّافي

وأمامَ مرآةٍ، تُعرِّي نِصْفَها
وتموجُ تحتَ المِئزرِ الشَّفافِ

لِمَ لا يُناديها؟ وكيفَ؟ ويختفي
عنهُ اسمُها، ويضيعُ في الأوصافِ

شفقيَّةُ الشَّفتينِ، كَخْلى ناهدٌ
صيفيَّةٌ، ثلجيَّةُ الأعطافِ

وخلا الطريقُ، فلم يُصِخْ إلَّا إلى
أصدائِها، وعبيرِهَا الهتَّافِ

ومشى يُحدِّقُ والذهولُ الحلوُ في
عينيه يبسمُ كالصَّبِيِّ الغافي

ويُعيدُ رؤيتَها ويحضنُ ظِلَّها
ويمدُّ آمالاً، بلا أطرافِ

ويَعي، فيتَّهمُ المُنى، ويعودُهُ
حُلمٌ سخيُّ الهمسِ والإرجافِ

فيشيدُ مملكةً، ويستولي على
أسمى الرؤوسِ، وأعرضِ الأكتافِ

ويرنُّ مِذياعٌ فُيمسي مُطرباً
في زحمةِ التّصفيقِ والإرهافِ

يشدو، فتحتشدُ المَسامرُ حولهُ
مـوَّاجةَ الأنداءِ، والأزدافِ
ويمدُّ خطوتَهُ فيركضُ «عَنتَرٌ»
في صَدرِهِ ويكرُّ، «عبدُ منافِ»
فيُغيرُ، يطعنُ، أو يحوزُ فُلانةً
وفُلانةً بشريعةِ الأسيافِ
فإذا اسمُهُ، أخبارُ كُلِّ مدينةٍ
وإذا صداهُ مَسَامِرُ الأريافِ
وتلينُ خطوتُه فيصبحُ تاجراً
تكسوهُ أُبَّهةٌ من الآلافِ
إنَّ النُّقودَ سلاحُ كُلِّ مُقاتلٍ
ماكانَ أصدقَ حكمةَ الأسلافِ!
مَنْ كانَ أوضعَ مِنْ «مُثَنَّى» فاحتوى
مالاً، وأصبحَ أشرفَ الأشرافِ
سأفوقُ مَنْ أثْرَوا، وتُخبرُ جدَّتي
أنَّ الزَّمانَ يَرِقُ بعدَ جَفافِ
وتقصُّ أُمِّي كيفَ كانَ دعاؤها
حولي قناديلاً، تضيءُ مَطافي
وانجرَّ يهمسُ، للطِّيوفِ ويجتلي
وعداً، مِنَ الإغداقِ والإسرافِ
ويُحَوِّلُ الدُّنيا، بلمعةِ خاطرٍ
قيثارةً، موهوبةَ العَزَّافِ

فيُعِدُّ مشروعاً، ويُنجزُ ثانياً
كالبرقِ، يحملهُ إلى الأهدافِ

وغداً، ستُخبرُ كلُّ بنتٍ أُمَّها
عنهُ، وتحسدُ أُختَها وتُجافي

وتنافِسُ الحُلواتُ بنتَ مزارهِ
فيهِ، وتمنَحُهُ بلا استعطافِ

وإلى مَدى التَّحليقِ يرفَعُهُ هوًى
وهوًى يخوضُ بهِ مَدَى الإسفافِ

ورَنَا، بلا قصدٍ، فخالَ تحرُّكاً
يدنو كقُطَّاعٍ مِنْ الأجلافِ

مَنْ ذا هُناكَ؟ وكان يسعلُ حارسٌ
ويقصُّ ثانٍ فرقةَ الأُلّافِ

وأجابَ هِرٌّ هِرَّةً فأجالَ في
وَجْهِ السُّكونِ توسُّمَ العَرَّافِ

فاعتادهُ شبحٌ عليهِ عباءةٌ
شَعثاً ووجهٌ كالضَريحِ العافي

واحتَجَّ مُنعطفٌ أطارت صَمْتَهُ
ونُعَاسَه نقَّالةُ الإسعافِ

ماذا دنا مِنهُ؛ توثُّبُ غابةٍ
من أذرعٍ صخريَّةِ الأخفافِ؟

ومشى كمُتَّهمٍ تُكشِّرُ حَولَهُ
وحشيَّةُ المَنفى ووجهُ النَّافي

وأشارَ مصباحٌ فأنكرَ وجهَهُ
ويديْه في إيمائِهِ الخطَّافِ
ورأى هواجسَهُ على ظَلِّ الدُّجى
كدَمِ الشَّهيدِ على يدِ السَّيَّافِ
وأحسَّ عمَّتَهُ تقولُ لأُمِّهِ:
رجعَ ابنُ قلبكِ: فأْمني أو خافي
وهناكَ أخبرَهُ التَّعَثُّرُ أنَّهُ
يمضي ويرجعُ وهو طاوٍ حافِ



وراء الرياح

يونيو سنة ١٩٦٤م

تـقـولـيـنَ لـي: أيـنَ بـيـتـي مُـزاحْ؟
مِـنْ الـنَّـارِ زادَ رمـادي جـراحْ؟

تـقـولـيـنَ أيـنَ؟ وبـيـتـي صـدًى
مِـنْ الـقَـبـرِ، جُـدرَانُـهُ مِـنْ نُـوَاحْ

وتِـيـهٌ وراءَ ضـيـاعِ الـضَّـيـاعِ
وخـلـفَ الـدُّجـى، ووراءَ الـرِّيـاحْ

هُـنَـاكَ قـراري، عـلـى الـلاقـرارِ
وفـي لا غُـدُوٍّ وفـي لا رَوَاحْ

وراءَ الـنَّـوى، حـيـثُ لا بـرعـمٌ
جـنـيـنٌ، ولا مـوعـدٌ، مـن جَـنَـاحْ

أمـوتُ، وأسـتـولـدُ الأغـنـيـاتِ
وأبـذُلُـهـا، لـلـبِـلـى فـي سـمـاحْ

وأحْـلُـمُ، حـيـثُ الـرُّؤى تـرتـمـي
عـلـى غـابـةٍ، مـن لُـهـاثِ الـنُّـبـاحْ

وحـيـثُ الأفـاعـي، تـبـيـعُ الـفـحـيـحَ
وتـمـتـصُّ جـوعَ الـحَـصَـى فـي ارتـيـاحْ

لـمـاذا أُجـيـبُ؟ وتَـسْـتَـنْـبِـتـيـنَ
سـؤالاً، يُـبـرعـمُ حُـلـمَ الـصَّـبـاحْ

فأُصغي، وأسمعُ من لا مكان
صدًى واعداً، زنبقيَّ الصُّداحْ
وأَشْتَمُّ صيفاً خجولَ القِطافِ
تلعثمَ في وجنتيْكِ وفاحْ
وناغى على شاطِئيْ مُقلتيْكِ
مُنًى رُضَّعاً، ووعوداً شِحاحْ
أحَلْنَ رمادي حريقاً صموتاً
وأورقنَ في شفتيْهِ فبَاحْ
لأنَّا التقيْنا، وَلَذْنا الشُّروقَ
وأَهْدى لنا كلُّ نجمٍ وِشَاحْ
فماجَ بِنَا منزلٌ من شذاً
ومِنْ أغنياتِ الصِّبا والمَراحْ

۞۞۞

يا نجوم

مارس ١٩٦٧م

لـفـتـةً «يـا نـجـومُ إنِّـي أُنـادي»
مـن رآنـي، أو مـن تـجـلّـى الـمُـنـادى؟

إنَّـنـي يـا نـجـومُ كُـلَّ مـسـاءٍ
هٰـهُـنـا، أبـلـعُ الـشِّـفـارَ الـحِـدادا

وبـلا مـوعـدٍ، أمُـدُّ بـنـانـاً
مـن حـنـيـنٍ، لـكُـلِّ طـيـفٍ تـهـادى

لـكـنـوزٍ، مـن شـعـوذاتِ الـتَّـمـنـي
تـتـبـدَّى ثُـنَـى، وتَـخـفـى فُـرادى

أزرعُ الـسَّـقـف والـزوايـا فُـتـوحـاً
فـتـسـوقُ الـكـوى إلـيـهـا الـجـرادا

وأنـادي والـريـحُ تـمـضـي وتـأتـي
كـالـمـنـاشـيـرِ، جَـيـئـةً وارتـدادا

وتـقـصُّ الـذي حـكـتـه مِـراراً
لـلـرَّوابـي، ولـقَّـنـتـهُ الـوِهـادا

وتـعـيـدُ الـذي أعـادت وَتـروي
مِـن سُـعـالِ الـبـيـوتِ فـصـلاً مُـعـادا

مَـنْ أنـادي يـا ريـحُ؟ مَـنْ لـسـتُ أدري
هـل سـيـدنـو، أم يـسـتـزيـدُ ابـتـعـادا

مَـنْ يـرانـي؟ إنِّـي هُـنَـا يـا عَـشـايـا
أنـفـخُ الـسَّـقـفَ، أو أُداري الـرُّقـادا

ورؤًى، تـسـتـفـزُّنـي وتُـولِّـي
ورؤًى تـزرعُ الـمـسـاءَ سُـهـادا

وهَـوًى، يَـعـزفُ احـتـراقـي ويـشـدو
فـأُعـيـدُ الـصَّـدى، وأحـسـو الـرَّمـادا



أُمُّ يعرُب

أغسطس ١٩٦٤م

حـــيــث الــغُــبــارُ الأهــوجُ
عــلــى الــرِّيــاحِ يــنــشــجُ

وحــيــث تــشــمــخُ الــدُّمــى
ويــســتــطــيــلُ الــعَــوْسَــجُ

هــنــاكَ، حــيــث يــدَّعــي
عــلــى الــقــشــورِ الــبَــهــرجُ

جــزيــرةٌ، تــطــفــو عــلــى
صــحــوِ الــرُّبــى، وتــدلــجُ

مُــطِــلَّــةٌ، كــأنَّــهــا
نــعــشٌ، أشــمُّ أبــلــجُ

قــمــضــي بــه، حَــنــيَّــةٌ
جــرحــى، وتــلٌّ أعــرجُ

ســمــراءُ، حــلــمــهــا عــلــى
أيــدي الــريــاحِ، هــودجُ

ومِــــرودٌ، مِــــن الــهــوى
ومــرتــعٌ، مُــضــرَّجُ

تــجــثــو كــذاهــلٍ إلــى
مــا لا يــرى يُــحــدِّجُ

كـجـائـعٍ يـشـتـمُّ مِـنْ
حـولـيـهِ لـحـمـاً يـنـضـجُ
تَـهْـوَى، وظـلُّ نـفـسِـهَـا
يُـخـيـفُـهـا، ويـزعـجُ
فـتـحـبـلُ الـرُّؤى عـلـى
أهـدابِـهَـا، وتُـخـدجُ
عـلـى الـفـراغِ، تـنـطـفـي
ولـلـفـراغِ تُـمـسـرجُ
عـلـى اصـفـرارِ وجـهِـهَـا
تَـغَـمْـلَـقَ الـتَّـشَـنُّـجُ
فـبـعـضُـهـا، لـبـعـضِـهـا
تَـوَحُّـشٌ، مُـهـيِّـجُ
يُـومـي إلـى رُكـامِـهـا
ركـامُـهـا الـمـدجَّـجُ
فـتـرجـع (الـبـسـوسُ) فـي
أحـشـائِـهـا تُـهَـمـلِـجُ
ويَـعـصـرُ الـتـحـامُـهَـا
دمـاءَ هـا، ويَـمـزِجُ
وتـنـثـنـي يَـهـزُّهَـا
تـبـجُّـحٌ، مُـحَـشـرَجُ
تـقُـصُّ عـن جـدودِهَـا
كَـمْ أخـمـدوا، وأجَّـجـوا

وأبـــدعـــوا، مَـــقـــابـــراً
وأســـقـــطـــوا، وتـــوَّجـــوا
وأتـــخـــمـــوا ســـوقَ الـــرَّدى
وأكـــســـدوا، وروَّجـــوا
وأيـــنَ صـــالَ «جُـــزهُـــمٌ»
وأيـــنَ جـــالَ «خَـــزْرَجُ»
فـــيـــشـــرئـــبُّ «هـــاشـــمٌ»
مـــن رمـــلِـــهَـــا «ومـــذحـــجُ»
فـــتـــغـــزلُ الـــحـــيـــاةُ مِـــنْ
ثـــلـــجِ الـــبِـــلـــى، وتَـــنْـــسُـــجُ
سَـــلِ الـــرِّيـــاحَ: هَـــلْ لَـــهَـــا
خـــلـــفَ الـــرُّؤى، تـــوهُّـــجُ
هـــل يـــســـتـــفـــزُّ وجـــهَـــهَـــا
إلـــى الـــضُّـــحـــى، الـــتَّـــبَـــرُّجُ
هـــنـــاكَ ذرَّ بُـــرعـــمٌ
فـــأومـــأ الـــتـــأرُّجُ
إلـــى نـــهـــودِ هَـــضْـــبَـــةٍ
يُـــحـــيـــلُـــهـــا الـــتَّـــرَجْـــرُجُ
تُـــشـــيـــر مـــوعـــداً، عـــلـــى
عـــيـــنـــيْـــهِ، طَـــيْـــفٌ أدعـــجُ
هـــنـــاكَ: نـــبـــضُ مـــولـــدٍ
يُـــريـــبُـــهُ، الـــتَّـــحَـــرُّجُ

تــلــجــلــجــت بــنــانُــهُ
فــأفــصــحَ الــتَّــلــجْــلُــجُ
وكَــرْمــةٌ، عــيــونُــهَــا
أحــلامُ أنــثــى، تَــزَوَّجُ(1)
ومُــنــحــنًــى، يَــخــضــرُّ فــي
حــروفِــهِ، الــتَّــهَــدُّجُ
وواحــةٌ، حــبــلــى تَــعــي:
مــتــى؟ وكــيــفَ تُــنــتِــجُ؟
فــتَــبــتَــدِي جــزيــرةٌ
أُخــرى أجــدُّ أبــهَــجُ
لــهَــا طــفــولــةٌ، عــلــى
رَكْــضِ الــبــزوغِ، تــدْرُجُ
عــلــى امــتــدادِ حِــضْــنِــهــا
تَــنْــدَى الــحَــصــى، وتَــهْــزُجُ
ويَــنــتــشــي «عَــرارُهــا»
ويــفــرحُ الــبَــنَــفْــسَــجُ
فــلــلــكُــوى، تَــلَــفُّــتٌ
ولــلــرُّبــى تَــمَــوُّجُ

❁❁❁

(1) تزوج: تدخل طور الزواج.

آخر جديد

إبريل ١٩٦٥ م

مــولاتــي، يــا أحــلــى الأحــلــى
عــنــدي لــكِ، أخــبــارٌ عــجــلــى

قــالــوا عــن «حُــورِيَّــةَ» امــتــلأت
فــتــنــاً، أغــلــى مــا فــي الأغــلــى

نَــهــداهــا: كِــبْــرُ شُــمــوخِــهــمــا
خــدَّاهــا، نــظــرتُــهــا، الــنَّــجــلا

أَنَّــى خَــطَــرَتْ، لَــبِــسَــتْ حــقــلاً
مــن غــزلٍ، وانــتــعــلــت حــقــلا!

فــهُــنــا وهــنــاكَ، لِــمِــشــيــتِــهــا
تــأريــخٌ، يــســتــهــوي الــنَّــحــلا

أمــلاهُ يــومــاً مــنــعــطــفٌ
والــرِّيــحُ، أعــادَتْ مــا أمــلــى

«وثُــريَّــا» أَجْــنَــتْ، وحَــواهــا
عُــشٌّ، فــاخْــضَــوْضَــرَ واَخْــضَــلَّا

وحــكــى عــن «مــرْيَــمَ» جِــيــرَتُــهــا
مــيــعــاداً، ولــقــاءً نَــذْلا

حــتــى عــرَّاهــا إخــوتُــهــا
مــن أكــفــانِ الــحــسَــبِ الأعــلــى

وانـحـلَّـتْ عـن «يـحـيـى» قـمـرٌ
واسـتـهـوت مِـطـلاقـاً كَـهْـلا

* * *

لـكـن، أأقُـصُّ لـغـالـيـتـي
مـن آخـرِ أخـبـاري فَـضْـلا
إنِّـي وحـدي، والـبـردُ عـلـى
أنـقـاضـي، يـسـقـطُ كـالـقـتـلـى
أجـتـرُّ الـطـيـنَ، وأعـزفُـهُ
وأُغـنِّـي، لـلـرِّيـحِ الـثَّـكْـلَـى

* * *

بـالأمـسِ، شـذا الـمـذيـاعُ هُـنَـا
فـشـمَـمْـتـكِ، أُغـنـيَـةً جَـذْلى
وكـزهـرِ الـرمَّـانِ اخـتـلَـجَـتْ
شـفـتـاكِ، وخِـفَّـتُـكِ الـخَـجْـلى
وتـنـاغـى الـطِّـيـبُ، كـعـزَّافِ
ولَـدَتْ قـيـثـارتُـهُ الـحُـبْـلـى
وكـأنَّ لـقـاءً يـحـضُـنُـنَـا
أرجـو، فـتُـجـيـديـن الـبَـذْلا

* * *

والـيـومَ، تـقـمَّـصـنـي قَـلَـقٌ
مـجـنـونٌ، لـم يـعـرف مـهْـلا
فـتـقـاذفـنـي الـتَّـجـوالُ كـمـا
تـسـتـاقُ الـعـاصـفـةُ الـرَّمْـلا

فَــعَــبَــرْتُ زُقــاقــاً مــأهــولاً
وزُقــاقــاً هَــرِمــاً مُــنــحــلا

وتُــرابــاً يــنــسَــجُ أقــنــعــةً
لــوجــوهٍ لَــمْ تَــحــمــلْ شَــكْــلا

وطَــريــقــاً سَــمــحــاً أسْــلَــمَــنــي
لــمــضــيــقٍ يَــلــتَــحِــفُ الــوَحْــلا

وإلــى ســوقٍ فــي آخــرِهِ
مُــنــعــطَــفٌ يُــنــشــدنــي أهــلا

وســألــتُ هــنــالــك «فــلــفــلــة»
عــن دارِكِ فــادَّعــتِ الــجــهــلا

أَوَلا تَــدْريــنَ، تــلــقَّــانــي
عَــبَــقٌ، مِــنْ شــرفــتــكِ انــهــلَّا

وهُــنــاكَ جَــثَــوتُ، أعــبُّ صَــدًى
حــيّــاً، وأعــيــدُ صَــدًى ولَّــى

وإخــالُ الــمــمــشــى يَــسْــتَــرْخــي
ويُــلَــحِّــنُ خَــطْــرَتَــكِ الــكَــسْــلــى

فــأُصــيــخُ، إلــى مــا لا أدري
و أضــمُّ، الــهِــرَّةَ والــطِّــفْــلا

ورآنــي الــبــابُ، فــمَــدَّ عــلــى
كــتِــفَــيَّ، الــخُــضْــرةَ والــظِّــلَّا

وحــكــى لــي، كــيــفَ تــلاقَــيــنــا
فــي تِــلــكَ الأُمــسِــيَــةِ الــكَــحْــلَــى

ومــتــى تــأتــيــنَ؟ أيــخــبــرُنــي؟

وتــلــعــثــمَ بــالــخــبــرِ الأجــلَــى

* * *

والآنَ، رجــعــت، كــمــا تــســري

فــي الــغــابِ، الــقــافــلــةُ الــعَــزْلا

هـــذا مــا جــدَّ، ولا أدري

مــاذا ســيــجــدُّ، ومــا يَــبْــلــى

خدعة

مايو سنة ١٩٦٥م

مَنْ تمنحينَ، الضَّحكةَ الواعِدَهْ
والهزَّةَ المعطاءَةَ، النَّاشِدَهْ

سُدَى، تَمُدِّينَ إليهِ اللَّظَى
لن تستحرَّ الكومةُ الخَامِدَهْ

قد أصبحَ الجُوعان، يا روحَه
شبعانَ، تزدانُ لَهُ المائِدهْ

أَلجمراتُ، الخضرُ، في لَمسِه
تشلَّجَتْ، واحِدَةً، واحِدَهْ

تَسَاءَلي: أينَ اختفى وجهُهُ؟
كيفَ انطفَتْ أعراقُهُ الواقِدَهْ؟

وفتِّشي عينيهِ، هَلْ فيهما
حتى رمادُ الجُذوةِ البائِدَهْ

مَنْ ذا تُثيرين، كما تقتفي
صَبِيَّةٌ، عصفورةً شارِدَهْ

يداهُ، في مجناكِ، لَكِنَّهُ
ريَّانُ، يحسو، قهوةً بارِدَهْ

وكانَ لا يصحو، ولا يرتوي
مِنْ دفءِ هٰذي الثَّروةِ الحاشِدَهْ

عُـودي إلــى، الأمـسِ تَـريـهِ، كـمـا
كـانَ اجـتـداءً أو مُـنًـى سـاهِـدَهْ

أو حـاولـي أن تُـصـبـحـي، لُـعـبـةً
أُخـرى، ومُـدِّي نـظـرةً كـائِـدَه

فـالـحـلـوةُ الأولـى عـلـى نُـضْـجِـهَـا
وخِـصْـبِـهـا، كـالـسِّـلـعـةِ الـكـاسِـدَهْ

فـكـيـفَ، والأُخـرى غـداً عِـنْـدَهُ
أُولـى، فـيـا لـلـخـدعـةِ الـخـالِـدَهْ!

مـاذا تـقـولـيـنَ، أكـلٌّ الـذي
يـبـنـي، وتـبـنـيـنَ، بـلا قـاعِـدَهْ



صَدَى

مــن ذا يُـنــاديــنــي؟ أحــسُ نــداء
يـعـتـادُنـي، فـيُـحـيـلُـنـي أصـداء

خـلـفـي، وقُـدّامـي، يُـزنـبـقُ دِفْـئُـهُ
ويـنـرجـسُ الـلّـفـتـاتِ والإغـراء

فـأشـدُّ أنـفـاسـي وأعـراقـي إلـى
فـمـه، وأغـزلُ مِـنْ شـذاه رداء

مَـنْ ذا؟ ويـلـثُـمـهُ الـتـسـاؤلُ والـمُـنـى
يـحـفـرن عـنـهُ الـحـيـرةَ الـشـقـراء

والـبـابُ يـلـثـغُ، بـالـلِّـقـاءِ ويـنـطـوي
فـي صـمـتـهِ، يـتـحـرّقُ اسـتـجـداء

والسُّهدُ يلهثُ، في الرُّفوفِ، ويحتسي
أنـفـاسَـه، ويُـجَـرجِـرُ الإعـيـاء

فـأقـولُ لـلـجـدرانِ: مَـنْ؟ وتـقـولُ لـي:
مَـنْ؟ والـكُـوَى تـتـسـاجـلُ الإيـمـاءَ

وتَـمـدُّ أذْرُعَـهـا إلـيـهِ، وتـنـحـنـي
تُـصـغـي، وتـجـمـعُ ظِـلَّـهـا، أشـلاءَ

والليلةُ الكَحْلى، تُصيخُ إلى الصَّدى
فـتُـحـيـلـهـا مـعـزوفـةً سـمـراءَ

وَتميسُ، مِنْ خِلفِ الثُّقوبِ، كناهدٍ
خَجْلى، تريدُ وتَحْذَرُ الإفشاءَ

مَنْ ذا يُناديني؟ ويدنو مِنْ يدي
حتى أَهِمَّ بلمسِهِ، يتناءى

كيفَ اسْتسرَّ؟ وأستحيلُ ترقُّباً
شَرِهاً، يُداري السُّهدَ والإغفاءَ

حتى يعودَ.. أكادُ أهتفُ باسمِهِ
ويُريبني، فأضيِّعُ الأسماءَ

مِنْ أينَ يدعوني؟ وأنبشُ لهفَتي
عن نَبْعِهِ؟ وأفتِّشُ الإصغاءَ

وأمدُّ أسئلةً، يُمنِّي بعضُها
بعضاً، ويضحكُ بَعْضُها استهزاءَ

من أينَ باحَ؟ أمِنْ هُنالكَ؟ ربَّما:
أَمْ أنَّهُ مِنْ هٰهُنَا، يتراءى

مِنْ حيثُ لا أدري، وأدري أنَّهُ
يعتادُني، فيحيلُني أصداءَ

أصيلُ القرية

مارس ١٩٦٧م

تـــدلَّـــى كـــمـــزرعـــةٍ مِـــنْ شَـــرَرْ
مُـــعـــلَّـــقـــةٍ، بـــذيـــولِ الـــقَـــمَـــرْ

وحـــامَ، كـــغـــابٍ مِـــن الـــيـــاسـمـيـــن
تـــنـــدَّى عـــلـــى ظـــلِّـــه واسـتَـــعَـــرْ

فـــمـــالَـــتْ تُـــودِّعُـــهُ، رَبْـــوةٌ
وتـــهـــتـــزُّ، كـــالـــلَّـــهـــبِ الـمُـحـتـضِـر

كـحـسـنـاءَ عـرَّى الـعـتـابُ الـخـجـو
لُ هـــواهـــا وبـــالـبـسـمـاتِ اسـتَـتَـرْ

تُـــعـــابِـــثُـــهُ وتُـــبـــاكـــي الـــطـــيـــورَ
وتـــســـتـــعـــبـــرُ الـــرابـــيـــاتِ الأُخَـــرْ

ومـــدَّت لَـــهُ الـــقـــريـــةُ الـــهَـــيْـــنَـــمَـــاتِ
كـــلـــغـــوِ الـــرؤى كـــاصـطـخـابِ (الـتَّـتَـرْ)

وأغـــلَـــتْ لَـــهُ، جـــوقـــةً مِـــنْ دُخـــانٍ
ومـــعـــزوفـــةً، مِـــنْ خـــوارِ الـــبَـــقَـــرْ

فـــرَفَّ كـــأجـــنـــحـــةٍ، مِـــنْ نُـــضَـــارٍ
كـــأرديـــةٍ، مـــن دمـــوعِ الـــزَّهَـــرْ

وعـــرَّاهُ، صـــحـــو الـــمَـــدى، فـــارتـــدى
لـــهـــيـــبَ ذوائـــبـــه، واتَّـــزَرْ

* * *

تهادى، يُجمّعُ من كُلّ أُفقٍ
صدى عُمْرِهِ، ولهاثَ البَشَرْ
ويحبو كموجٍ يمدُّ.. يديه
إلى شاطىءٍ مِنْ مُزاحِ القَدَرْ
وأرسى على كَتِفَيْ شاهق
كأرجوحةٍ، مِنْ ذهول الفِكَرْ
يُلَمْلِمُ مِنْ جَمْرَتي مُقْلَتيْهِ
حِبالاً، يخيطُ شِراعَ السَّفَرْ
ويجبلُ آثارَ أقدامِهِ
أباريقَ حُبٍّ، ونجوى سَهَرْ
وأغفى، فنادى الرَّواحُ الرُّعاةَ،
فعادوا تُبَنّى، وتوالَوْا زُمَرْ
وناشَتْ خُطاهُمْ هدوءَ التُّرابِ
ورعشَ الكَلا، وسكونَ الحَجَرْ
ونقَّرَ خطوُ القطيع الحصى
كما ينقرُ السَّقفَ وقعُ المَطَرْ
وشدَّ الرُّعاةُ، إلى الراعياتِ
شبابَ المُنى، وملاهي الصِّغَرْ
وكانت (غزالٌ) غناءَ الرُّعاةِ
وصيفَ الرُّبى، وشذا المُنحَدَرْ
مآزرُها، مِنْ رنوِّ الحقولِ
إليها، ومن قُبُلاتِ النَّهَرْ

وقـامـتُـهـا، مِـنْ عـمـودِ الـصَّـبـاح
ذوائـبُـهـا، مِـنْ خـيـوطِ الـسَّـحَـرْ

* * *

وكـانـت تُـمـاشـي (مُـثـنَّـى صَـلاح)
وتـقـرأُ فـي وجـهِ (تـقـوى) الأثـر
ولـمَّـا دنـا الـحـيُّ ضَـجَّـت (سُـعـادٌ)
أضـاعَ (حـسـيـنُ) الـخـروفَ الأغـرّ
فَـمَـنْ مَـنْ رآهُ؟ تـعـالـوْا نـعـدُّ
مـواشـيَـنـا، قـبـلَ تـيـهِ الـنَّـظَـرْ
ولـمـا أتـمُّـوا، حَـكَـتْ (وردةٌ)
و (فـرحـانُ) عـن كُـلِّ وادٍ خَـبَـرْ
فـأخـبـرَ: أيـن ذوى مـرتَـعٌ؟
وأيـن زَكـا مـرتَـعٌ وازدهـر؟
وفـي أيِّ شِـعْـبٍ؟ تـمـدُّ الـذئـابُ
حَـلاقِـمَـهـا، مِـنْ وراءِ الـحـذر

* * *

ومـرُّوا كـحـقـلٍ، تـلـمُّ الـرِّيـاحُ
وُرَيـقَـاتِـهِ، وَتَـمـيـلُ الـثَّـمَـرْ
كـقـيـثـار هـاوٍ؟، دؤوبٍ يُـلـحُّ
عـلـى وتـرٍ؟ ويُـدَمِّـي وَتَـرْ
وأدمـى الـوداعُ، نـداءَ الـعـيـونِ
ولـوْنَ ظـلُّ الـغـروبِ الـخَـفَـر

* * *

وحيًا فمُ القريةِ العائدين
ونادى مَمَرٌّ، ولَبّى مَمَرْ

وأخفى (عليّاً) مضيقٌ طويل
ووارى (تُقى) شارعٌ مُختَصَرْ

ودارت ثوانٍ، فرانَ السُّكونُ
ينوِّع، بالذكرياتِ السَّمَرْ

ففي مسمرٍ، ذكرت (مَريمٌ)
أباها، وناحت كيومِ انتحَرْ

وفي مسمرٍ بَثَّ (سَعدٌ) أباه
شجونَ الزَّواجِ، وأغضى البَصَرْ

وثَرثَرَ في كُلِّ بيتٍ حديثٌ
وأحزن كلُّ حديثٍ وسَرّْ

(فأُمُّ ثُريّا)، تفوقُ الرِّجالَ
وتُوحي أمرَّ... وأحلى الذِّكَرْ

فكيفَ تجلَّتْ مساءَ الزِّفافِ
وفي الصُّبحِ، مات أبوها الأبرّْ

(وأُمُّ عليٍّ) تُربِّي الدَّجاجَ
وتكدحُ خلفَ ارتعاشِ الكِبَرْ

تُرقِّعُ أسمالَ أطفالِها
وتحسو عروقَ يديها.. الإبَرْ

(وحسّانُ) خانَ غرورَ البناتِ
بهِ، وانتقى: أمَّ إحدى عشر

وبـاعَ (رَجـا) أُخـتَـهُ فـي «الـريـاضِ»
بـألـفـيـن، لـلـتَّـاجِـر الـمُـعـتـبَـرْ

ومـاتَ (ابـنُ سـرحـانَ) يـومـاً وعـادَ
يُـخـبِّـر جـيـرانَـهُ، عـن سَـقَـرْ

وأصـغـى الـسُّـكـونُ، إلـى كُـلِّ بـيـتٍ
كـحـيْـرانَ، يـنـوي ويـنـسـى الـوَطَـرْ

وأغـفـى رفـاقُ الـهـوى والـقـطـيـع
عـلـى مـوعـدِ الـمُـلـتـقـى الـمُـنـتـظَـرْ

ولـيـلـتُـهُـمْ ذكـريـاتٌ وحُـلْـمٌ...
كـلـمعِ الـنـدى، فـي اخـضـرارِ الـشَّـجَـرْ

طـيـوفٌ، كـمـا حـثَّ سـربُ الـحـمـام
قـوادَمَـهُ، خَـلـفَ سـربِ عَـبَـرْ

وكـلَّـت ريـاحٌ، وجُـنَّـت ريـاحٌ
ونـجـمٌ تـأنَّـى، ونـجـمٌ طَـفَـرْ

وَفـتَّـشَ عـن قـدمـيْـهِ الـدُّجـى
ودبَّ، كـأعـمـى يـجـوسُ الـحُـفَـرْ

فـأذكـى هُـنَـا جـمـراتِ الـسُّـهـادِ
وأعـطـى هُـنَـاكَ الـرؤى والـخَـدَرْ

وأفـنـى هـزيـعـاً وأدمـى هـزيـعـاً
فـعـادَ الأصـيـلُ الـمُـوَلِّـي سَـحَـرْ

لصٌّ في منزِل شاعِرْ

نوفمبر ١٩٦٦م

شكراً، دخلتَ بلا إثارَهْ
وبلا طفورٍ، أو غَرارهْ

لما أَغَرْتَ خنقتَ في
رجليكَ ضوضاءَ الإغارهْ

لَمْ تسلُبِ الطِّينَ السُّكونَ،
ولم تُرِعْ نومَ الحجارهْ

كالطَّيفِ، جئتَ بلا خُطَى
وبلا صدًى، وبلا إشارهْ

أرأيتَ هذا البيتَ قِزْ
ماً، لا يُكلِّفُكَ المهارهْ؟

فأتيتَهُ، ترجو الغنا
ئِمَ، وهوَ أَغرَى مِنْ مَغارَهْ

* * *

ماذا وجدتَ سِوى الفراغِ
وهِرَّةٍ تَشْتَمُّ فاره

ولهاثَ صُعلوكِ الحُروفِ
يَصوغُ، مِنْ دمِهِ العِبارهْ

يُـطـفـي الـتـوقُّـدَ بـالـلَّـظـى
يَـنـسـى الـمـرارةَ، بـالـمـرارهْ
لَـمْ يُـبـقِ فـي كـوبِ الأسـى
شـيـئـاً حـسـاهُ إلـى الـقـراره

* * *

مـاذا؟ أتـلـقـى عـنـدَ صُـعـلـو
كِ الـبـيـوتِ، غِـنـى الإمـارهْ
يـا لـصُّ، عـفـواً إن رجِـعْـتَ
بـدون رِبـحٍ، أو خـسـارَةْ
لَـمْ تَـلْـقَ إلَّا خـيـبـةً
ونـسـيـت صـنـدوقَ الـسِّـجـارهْ
شـكـراً، أتـنـوي أَنْ تُـشـرِّفَـنـا،
بـتـكـرارِ الـزِّيـارهْ!؟

۞ ۞ ۞

ذهول الذهول

فبراير سنة ١٩٦٤ م

لـديـهِ، أحـلـى الـحـكـايـا شُـكـولْ
تُـثـيـرُ فـيـهـا عـنـفـوانَ الـفُـضـولْ

يُـخـبِّرُهـا.. يـسـألـهُـا.. يـنـتـقـي..
مِـنْ قِـصَّـةِ الأشـواقِ أشـهـى الـفُـصـول

وكـيـفَ؟ يـنـسـلُّ إلـيـهـا إذا
تَـثـاءَبَ الـبـابُ، وأومـا الـدُّخـولْ

وغـابَ فـي الـتَّـفـكـيـرِ، واعـتـادَهُ
ظِـلٌّ دُخـانِـيٌّ، كـوجـهِ الـعَـذولْ

مـاذا؟ إذا لاحـت لَـهُ فـجـأةً
وأنـكـرتْـه، واحـتَـمَـتْ بـالأُفـول

لا، لَـمْ يَـغِـبْ عـن بـالِـهَـا، إنَّـهُ
كـانَ لَـهَـا جـاراً عـطـوفـاً وَصُـول

لـكـن أتـدري أنَّ أشـواقَـهُ
كـمـا تَـكـبُّ الـعـاصـفـاتُ الـسـيـولْ؟

أَلَا تَـرى، أنَّ اخـتـلاجـاتِـهِ
أمـامَـهـا شَـهْـقُ الـحـريـقِ الأَكـولْ؟

وكـانَ يـخـشـى بـيـنَ جـيـرانِـهَـا
جـاراً تُـرابـيَّ الامـانـي خَـتُـولْ

يُخَمْجِمُ الشَّيطانُ في صدرِهِ
وبينَ فكَّيهِ يُصَلِّي بَتُولْ

واستنطقَ البابَ ومدَّ المُنى
وهو احتراقٌ وانتظارٌ سَؤولْ

واسْتَنْزَلَتْها قبضتا وهمِهِ
فضمَّها، قبل احتمالِ النُّزولْ

* * *

مَنْ ذا؟... وإذ لاحت رماهُ إلى
شموخِ نَهْديهَا، الخيالُ العَجولْ

وأقبلَتْ في موكبٍ مِنْ شذى
مُلَحَّنِ الخَطْوِ طروبِ الذبولْ؟

مفاصلُ المَمْشى على خطوِهَا
عادت صنوجاً، واستحالَتْ طُبُولْ

ومُقلتاها، تَغزِلان الرُّؤى
حمائماً زُرقاً وصحواً كَسولْ

كيفَ يُناجِيها؟ ألا تنطوي
أحرفهُ، تحت اصفرارِ الذُّبولْ

فيَنحني خجلانَ، لكنَّها
حسناءُ يُرضيها اللهيفُ الخَجولْ

ماذا يُلاقي؟ شعلةً بضَّةً
من الصِّبا، والكبرياءِ المَلولْ!

دفئاً، وإشراقاً، كما يرتمي
فجرُ الرُّبى، فوقَ اخضرارِ السُّهُولْ

يحبو على أهدابها، موعدٌ
طِفلٌ، ويسترخي عليه الخُمول
في أيّ زاهٍ من تهاويلها؟
يرسو، وفي أيِّ اخضرارٍ يَجول
يذهله عن بعضِها بَعضُها
فما الذي يُغوي؟ وماذا يَهُول؟

* * *

وعادَ يحكيها لِنَاي الهوى
ويسألُ الأشباحَ ماذا يَقُولْ؟
هل يُخبرُ الأشواقَ عنها كما
يخبرُ عن (جنّاتِ) عذنِ رَسول
ووجهُهُ، أسئلةٌ حوَّمٌ
ظوامئ، يمتصُّهُنَّ النُّحُول
يَخفِقنَ كالأوراقِ، يسألنَ عن
روائحِ الأُنثى، رياحَ القُبولْ

* * *

وكانَ يَطوي شارعاً جوُّهُ
غابٌ، كثيفٌ، مِنْ زُنودِ (المَغولْ)
كالنّعشِ، يستلقي عليهِ الدُّجى
وتَعجنُ السُّحبُ عليهِ الوحول
وسَاءَلَ الدّربُ التفاتَ الحَصى
مَنْ ذلكَ الآتي؟ كطَيفِ الطُّلول!

يَـمـدُّ رؤيـاهُ إلـى لا مـدَى
ويـذرعُ الأوهـام عَـرْضـاً وطُـولْ

عـهـدتُـهُ مـرَّ عِـشـاءً وفـي
عـيـنيـه، مِنْ أطيـافِ (قـيسٍ) فُـلولْ

وزارَ داراً بـيـنَ جُـدرانِـهـا
صيـفٌ، نـبيـذيُّ الـجَـنى والـحُـقولْ

مـضـى إلـيـهـا ذاهـلاً وانـثـنـى
عـن بـابِـهَـا، وَهْـوَ ذهـولُ الـذُّهـولْ

ذكريات شيخيْن

ابريل سنة ١٩٦٧م

كـان يـا «عـمـرو» هـنـا بـيـتُ الـمَـرَحْ
زنـبـقـيَّ الـوعـدِ، صـيـفـيَّ الـمِـنَـحْ

أَلـطـيـوفُ الـحـمـرُ، والـخـضـرُ عـلى
مـقـلـتـيْـهِ، كـعـنـاقـيـدِ الـبَـلَـحْ

أشـمـست فـيـهِ الـلَّيـالي. . . والـمـدى
بـشـريَّـاتِ دوالـيـه اتَّـشَـحْ

كـان مـضـيـافـاً، إذا مـا جـئـتـهُ
شـعَّ كـالـفـجـرِ، وكـالـوردِ نَـفَـحْ

فـانـمـحـى: يـا لـلـتـلاقـي بـعـدمـا
نَـزَحَ الـرُّوَّادُ عـنـهُ ونَـزَحْ!

* * *

يـا تُـرى، مـن أيـنَ نـمـشـي؟ هٰـهُـنَـا
قـام حـيٌّ، وهُـنَـا أرسـى مَـصَـحّْ

وعَـهِـدنَـا مَـنـزلاً قَـزْمـاً هُـنَـا
مـن تُـرى عـمـلَـقَـهُ، حـتـى طَـمَـحْ؟

واسـتـراحَـتْ هٰـهُـنَـا مـقـبَـرَةٌ
قَـرُبَ الـعُـمـرانُ مِـنـهـا فـاكـتَـسَـحْ

ووراءَ السُّـورِ، أرسـى مصـنـعٌ
وهـنـاكَ، امـتـدَّ سـوقٌ وانـفـسـح
أيـنَ نـحـنُ الآنَ؟ واری عَـهْـدُنـا
وجـهَـهُ، وانـطـفـأت فـيـهِ اللُّـمَـحْ
أنـكـر (الـنـهـريـنِ)[1] وجـهـيْـنـا ومِـنْ
قـبـلـهِ، أنـكـرنـا (بـابُ الـسَّـبَـحْ)
مَـنْ يُـقـوِّيـنـا، وكُـنَّـا زمـنـاً
كـبـغـالِ (الـرُّومِ) أو خـيـلِ (جَـمَـحْ)[2]

* * *

هٰـهُـنَـا نَـجْـلِـسُ، يـا (عـمـرو) نـرى
مـا اقـتـنـى الـتـأريـخُ مِـنَّـا واطَّـرَحْ؟
خـطُّ آثـارَ خُـطـانـا، زمـنٌ
بـيـديـهِ وبـرجـلـيـهِ، مَـسَـحْ
فـانـحـنـى (عـمـرو) وقـالَ: اذكُـرْ لـنـا
يـا (عـلـيُّ) الأمـسِ واتـركْ مـا اجـتَـرَحْ
أمـسُـنـا، كـانَ كـريـمـاً مُـعْـدَمـاً
وزمـانُ الـيـومِ، أغـنـى وأَشَـحْ
كـيـفَ كُـنّـا نَـنْـطَـوي، خـلـفَ الـلِّـحـى
ونـواري مِـنْ هَـوَانـا، مـا افـتَـضَـحْ

---

(١) النهرين وباب السّباح حيان شهيران في قلب صنعاء.
(٢) هذه حكاية الشيوخ حين يصفون ما ذهب مِن قوى الشباب.

يـومَ أعـلَـتْ (روضـةٌ) بـرقُـعَـهـا
واستـجـدنـا، مـا اختـفـى مِـمَّـا اتَّـضَـحْ
أطـعَـمَـتـنـا... وألـحَّـتْ فـي الـنَّـوى
عـن يـديـنـا، وتـشـهَّـيـنـا ألَـحّْ
فـتـردَّدنـا عـلـى جـارٍ لَـهَـا
نـشـتـري الـتَّـبـغَ، ونُـطـري مـا امـتَـدَحْ
وأطـلَّـت ذاتَ صُـبـحٍ مِـثـلـمـا
يـرتـدي صـحـو الـرُّبـى (قـوسَ قُـزَحْ)
فـارتَـعَـشْـنـا، وانْـجَـلَـتْ دهـشَـتُـنـا
ثـم أومـأنـا إلـيـهـا، بـالـسُّـبَـحْ
فـاقـتـفـتْـنـا، وَتَـركْـنَـا لِـلـهـوى
كُـلَّ أمـرٍ، وأَطَـعْـنَـا مـا اقـتَـرَحْ
ومـضـى عـامـان، لا نـدري مـتـى
جـدَّ حـادي الـعُـمـرِ، أو أيـنَ مَـزَحْ؟
كـيـفَ كُـنَّـا، قـبـلَ عـشـريـن نـعـي
هَـمْـسَـةَ الـطَّـيـفِ، وإيـمـاءَ الـشَّـبَـحْ
ونُـغَـنّـي كـالـسُّـكـارى، قـبـلَ أنْ
يـعـد الـعـنـقـودُ أشـواقَ الـقَـدَحْ
ثُـمَّ أصـبـحـنـا نـشـازاً، صـوتُـنـا
فـي ضـجـيـجِ الـيـومِ، كـالـهـمـسِ الأبَـحّْ
كـلُّ شـيءٍ صـارَ ذا وجـهـيـنِ، لا
شـيءَ يـدري، أيُّ وجـهـيـهِ أصَـحّْ؟

يـا (عـلـيُّ): انـظُـر، ألاح الـمُـنْـتَـهـى
لا انتهى المسعى، ولا السَّاعي نَجَحْ!

لـم نَـعُـدْ نـهـنـأ، ولا نـأسـى ذَوَتْ
خـضـرةُ الأُنـسِ، خَـبَـتْ نـارُ الـتَّـرَحْ

أو خَـبَـا الـحِـسُّ الـذي كُـنَّـا بـهِ
نَـطْـعَـمُ الـحُـزْنَ، ونَـشْـتَـمُّ الـمَـرَحْ

لَـمْ يَـعُـدْ شـيءٌ كـمـا نـألَـفُـهُ
فـعَـلامَ الـحُـزْنُ، أو فِـيـمَ الـفَـرَحْ؟

* * *

دَخَـلَـتْ (صـنـعـاءُ) بـابـاً ثـانـيـاً
لـيـتَـهـا تَـدري، إلـى أيـنَ افـتَـتَـحْ

سَبَّاحُ الرَّمَاد

أكتوبر سنة ١٩٦٣م

يـريـدُ، ويَـمـضـي، إلـى لا مـرادْ
يـخـوضُ إلـى الـوعـدِ، مـوجَ الـرَّمـادْ

ويَـرمـي سـفـيـنـتَـهُ لـلـحـريـقِ
وتُـتـنـشِـدُ أهـدابُـهُ: لا ارتـدادْ

فـيـقـذفُـهُ سَـفَـرٌ حـالِـمٌ
إلـى سـفـرٍ، مِـنْ رؤى (شـهـرزادْ)

وتـجـتـرُّهُ مِـنْ غـيـومِ الـصَّـديـدِ
بـلادٌ مـن الـطِّـيـبِ، فـي لا بـلادْ

يـنِـمُّ عـلـيـهـا اخـتـلاجُ الـبـروقِ
فـتـمـتـدُّ عـيـنـاهُ، فـي.. لا امـتِـدَادْ

فـتـبـصِـقُـهُ الـرِّيـحُ، مِـنْ كُـلِّ فَـجٍّ
وتـمـضـغُ فـي مُـقـلـتـيـهِ.. الـعِـنَـادْ

وتـسـألُـهُ: هـل يـعـودُ إلـى
مـصـيـفِ رُبَـاهُ، ودِفءِ الـوِهَـادْ؟

فـيـسـألُـهـا: هَـلْ لَـهُ مَـنْـزِلٌ
عـلـى شُـرفـتـيْـهِ، انـتـظـارُ الـمَـعَـادْ؟

فـتُـخـبِـرُهُ: أنَّ دُنـيـاهُ ريـحٌ
ودوَّامـةٌ، مِـنْ طُـيـوفِ الـسُّـهـادْ

ضــجــيــجُ فــراغٍ، يــلــوكُ صَــدَاهُ
ويُــوهــمُ شِــدقــيْــهِ، بــالإِزدرادْ

وديــانُــهُ، فــي ضــيــاعِ الــضَّــيــاعِ
ومَــوعِــدُهُ، رحــلــةُ (الــسِّــنــدبــاذ)

يــغــازلُ خــلــفَ امــتــدادِ الــخَــيــالِ
مــدًى لــلــفُــتــونِ، عــلــيــهِ احــتــشــاذْ

ســواعِــدُهُ، سُــلَّــمٌ لــلــشُّــمــوسِ
وأهــدابُــهُ لــلــثُّــريَّــا وِسَــاذْ

ذوائِــبُــهُ، لُــجَــجٌ مــنْ رحــيــقِ
وأحــضــانُــهُ الــخُــضْــرُ، صَــيْــفٌ، جَــوادْ

لــوافِــتُــهُ، مِــنُ أغــانــي الــطُّــيــوبِ
وأبــوابُــهُ، أذرعٌ، مِــنْ وِدادْ

حــنــونُ الــمَــمَــرَّاتِ، جــدرانُــهُ
نــجــومٌ كَــسَــالــى، تُــديــرُ الــرُّقَــاذْ



كلمةُ كُلِّ نَهَار

سبتمبر ١٩٦٧م

كيف اشرأبَّ (ظفارٌ)[1] وانتخى[2] (صَبِرُ)
يوم التقى الشَّعبُ، والآمالُ، والقَدَرُ

وكيفَ عادَ (الصنعاءَ) العجوزِ، صِباً
أطرى، وأشمسُ، في أرجائِها السَّمَرُ

وكيف يا (نِقمُ) المولودُ، كيف هَمَتْ؟
أصداؤهُ الخُضْرُ، حتى أورقَ الحَجَرُ

وكيف أنكرت يا (صراوحُ)[3] كُلَّ صدًى
حتى تورَّدَ في أهدابِكِ الخَبَرُ

وكان يومُ نُشورِ الشَّعبِ مُنتظراً
وافى، كما انْهَلَّ في ميعادِهِ المَطَرُ

أطلَّ، فاحتضنتْهُ كُلُّ رابيةٍ
وبَشَّرَ الواديَ الممتدَّ، مُنْحَدَرُ

وسارَ، والفجرُ في كَفَّيْهِ ألويةٌ
ومِنْ جراحِ الضَّحايا، خلفَهُ، سَحَرُ

---

(١) ظفار جبل حنوب غرب صنعاء ـ وصبر جبل مطل على تعز من الجنوب.

(٢) انتخى: ساورته النخوة.

(٣) صرواح: جبل في الشرق من صنعاء حدثت فيه أول معركة بعد قيام الثورة.

فـهـنَّـأت جـارةٌ أُخـرى، وهـنَّـأهـا
جـارٌ، وزغـردتِ الـشُّـرفـاتُ والـجُـدُرُ

وهـهـنـا غـمْـغَـمْ الـتـأريـخُ: أيـنَ أنـا؟
مَنْ قائدُ الزَّحفِ، سيفُ اللهِ أو عُمَرُ؟

مـاذا هُـنـا الـيـومَ، يـا دُنـيـا؟ هُـنـا يـمـنٌ
طِـفـلٌ، عـلـى شـفـتـيْـه يـبـسـمُ الـظَّـفَـرُ

هـذا الـنُّـشـورُ، أو الـمـيـلادُ، مَـدَّ فـمـاً
إلـى الأعـالـي، فـدلَّـى نـهـدَهُ الـقَـمَـرُ

مـضـى، وكـلُّ طـريـقٍ تـحـت مـوكـبِـهِ
شَـدوٌ، وكُـلُّ حـصـاةٍ حـولَـهُ، وَتَـرُ

* * *

وذاتَ يـومٍ، ربـيـعـيِّ الـضُّـحـى، نَـبَـحَـتْ
(صِنوانَ)[1] عـاصـفـةٌ تَـعـوي وتَـنْـفَـجِـرُ

مـن ذا أهـاجَ رمـادَ الأمـسِ، فـاشـتَـعَـلَـتْ
فـي أعْـيُـنِ الـرِّيـحِ، مِـنْ ذرَّاتِـهِ، شَـرَرُ

أهـذهِ الـحَـرْبُ، يـا تـاريـخُ، كـيـف تَـرى
مِن خلف (جنَّاتِ عدنٍ) أومَأت (سَقَرُ)

ومـرَّ عـامٌ، جـحـيـمـيٌّ، روائـحُـهُ
دمٌ، بِـحَـشـرجـةِ الـبـتـرولِ، مُـتَّـزِرُ

ودبَّ ثـانٍ، خـريـفـيُّ الـمَـدى، قَـلِـقٌ
يُفني، ويَفْنَى، ويحيا، وَهْوَ ينتحرُ

---
(١) صنوان: منطقة شمال صنعاء.

وطالَ كالسُّهدِ، حتى انهدَّ في دمِهِ
تشاءبَتْ مِنْ بقايا وجهِهِ، الحُفَرُ
وغابَ خلفَ الشَّظايا، فابتَدَتْ سَنَةٌ
تُعَبِّيءُ النَّارُ، تُدينُها وتعتَصِرُ
فأجهدَ الموتُ شِدْقيْه وقبضَتَهُ
حتى تجلمدَ في أنيابِهِ الضَّجَرُ
وقالَ كلُّ نهارٍ: لن تنالَ يدٌ
مِنْ ثورةٍ، ماتَ في ميلادِهَا، الخَطَرُ



ليلة خائف

نوفمبر ١٩٦٧م

كـانـت قـنـاديـلُ الـمـديـنـةِ
كـالـشـرايـيـن، الـنّـوازِفْ
والـجـوُّ يَـلـهـثُ، كـالـمـداخـنِ
فـوقَ أكـتـافِ الـعـواصِـفْ
وهـنـاك مـذعـورٌ، بِـلا
حـانٍ عـلـى الأشـواكِ عـاكِـفْ
كـالـطّـائِـر الـمـجـروحِ، فـي
عـشٍّ، بـأيـدي الـرّيـح واجِـفْ
أَلـسـقـف يُـنـذِرُهُ، ويـصـمـتُ
أو يـوسـوِسُ، كـالـزّواحِـفْ
والـظِـلُّ، يـلـمـحُـهُ، وفـي...
عـيـنـيـه، تـحـتـرقُ الـهـواتِـفْ
والـبـاب، يـلـغـطُ، بـالـوعـيـدِ
ويـنـتـقـي، أعـتـى الـرّواجِـفْ
مـاذا هُـنـاكَ؟ ورَاعَـهُ
شـيءٌ، كـلـغـلَـعَـةِ الـقـذائـفْ
فـأحـسّ أفـواجَ (الـتّـتـارِ)
طـوائـفـاً، تـتـلـو طـوائِـفْ

ورأى النوافذَ اغبيُناً
كالجمرِ، مُطفأةَ العواطِفْ
أينَ المفرُّ؟ وهَمَّ واستأنى
وأحجمَ، نصف تالِفْ
فيفرُّ، وهو مُسمَّرٌ
والبيتُ، يَهربُ وَهْوَ واقِفْ
ومَضَتْ نجومٌ مُطفآتٌ
وانثنَتْ، أُخرى كواسِفْ
فروَتْ إليهِ الرِّيحُ، خَفْـ
قَةَ مِعزَفٍ ونحيبَ عازِفْ
وعلى اختناقِ لُهَاثِهِ
ضَحَّى، بصوتٍ غيرِ آسِفْ
وهُنَا، تحدَّى الرُّعبَ، أو
داراهُ، أو أَلِفَ المخاوِفْ
فَهَمَى على عينيه إغْـ
فاءٌ، كأسحارِ المَصَائِفْ
وتبنَّتِ الأحلامُ، هَجـ
ـعَتهُ، وبُدِّلتِ المواقِفْ
فانهارَ قُطَّاعِ الطَّريـ
ـقِ وأسكتَ الجوُّ، العواصِفْ
ورأى فراديساً تُدلِّـ
ـلهُ، تَمُدُّ لَهُ، المقاطِفْ

وبِـرغـمِـهِ، عَـصَـفَ الـتَّـيَـقُّـ
ظُ، بـالـعُـلالاتِ الـخـواطِـفْ

فـأفـاقَ، رُبـعَ مُـخـدَّرٍ
ثُـلُـثـيْ صـريـعٍ، نِـصـفَ خـائِـفْ

❁ ❁ ❁

أُمٌّ في رِحلة

سبتمبر ١٩٦٧م

هــل هــذا طِــفــلُــكَ؟ واقــتــربــت
كــالــطِّــفــلِ تُــنــاغــي، وتُــنــادي:

طِــفْــلــي، هــل أعــجــبَ سيِّــدتــي؟
حــلــوٌ، كــهــدايــا الأعــيــادِ

وكــأوَّلِ إحــســاسِ الأُنــثــى
بــرنــوِّ الــمُــعــجَــبِ والــصَّــادي

مــا اســمُ الــمحروسِ؟ أجِبْ يا بْني
(نــعــمــان) كــجَــدِّ الأجــدادِ

أهــلاً (نُــعــمــانُ) فــيــســتــحــيــي
ويُــرَفــرِفُ، كــالــوَردِ الــنَّــادي

فــتُــحــاكــي لــثــغَــتَــهُ الــخَــجْــلــى
وتُــغَــمِّــمُ كــالــنَّــبــعِ الــشَّــادي

مــا أروَعَــهُ، يــا عــمُّ ومــا
أســخــى عــيــنــيــهِ، بــإســعــادي

أولادي الأربــعــةُ، اخــتــلــطــوا
فــيــهِ، مــا أحــلــى أولادي

عــيــنــاهُ، كــعــيــنــيْ (عــائــشــةٍ)
خــدَّاهُ، كــخَــدَّيْ (عــبَّــادِ)

فـمـهُ، يـفـتـرُّ، كـثـغـرِ (لـمَـى)
زنـــداهُ، كـــزِنْـــدَيْ (حـــمَّـــادِ)

* * *

شـــكـــلٌ حـــلـــوٌ، مـــا أجـــمـــلَـــه
كـالـطَّـيـفِ، كـأطْـيـارِ الـوادي
كـالـحـبِّ كـدغـدغـةِ الـذِّكـرى
كـالـحـلـمِ، كـهـمـسِ الـمـيـعـادِ
أشـتَـمُّ حـلـيـبـي. . . فـي فـمِـهِ
قُـبـلاتـي أنـفـاسَ بـلادي
وتـمـدُّ إلـيَّ مـلامِـحُـهُ
فَـرحـي وعـذابَ الـمـيـلادِ
زَهـوي بـالـحـمـلِ، كـجـاراتـي
صـرخـاتُ الـمَـهـدِ، وإجـهـادي
وتُـعـيـدُ إلـيَّ طـفـولـتُـهُ
صِـغـري، وطـفـولـةَ أنـدادي
فـكـأنِّـي ولِـدَاتـي نَـشْـدُو
أو نـركـضُ، كـالـسَّـيـلِ الـعـادي

* * *

(نـعـمـانُ) أعـاد صِـبَـا عُـمـري
يـا عـمُّ، وأيـقـظَ، إيـقـادي
كـهـوًى، كـلَّـتْ أنـشـودتُـهُ
وتَـلَـظَّـى، رجـعُ الإنـشـادِ

خــلــفــي، يــاعـــمُّ، نـــداءاتٌ
وأمـــامـــي، سِـــحـــرُ الأبـــعـــادِ

أمــضـــي، وأعـــودُ، وأطــفـــالـــي
أســـفـــاري، أشـــواقُ مَـــعَـــادي

لا تـــأسَـــيْ، يـــابـــنـــتـــي، إنـــي
ســـافـــرتُ الـــعـــمـــر، بـــلا زادِ

خـضــت الـخــمـسـيـن، بـلا ولَـدٍ
يـــرجـــى، وبـــلا أمـــلِ حـــادي

وأتـــــــى الأولاد، بـــــــلا رزق
وبـــلا طُـــرقٍ، وبـــلا هـــادي

فـصَـبَـرْنَـا صبـرَ الـدَّربِ عـلـى
أقـــدامِ الـــرَّائـــحِ، والـــغـــادي

واسـتـنـجـدنـا الـمـولـى حـتـى
لـــبَّـــانـــا، أســـخـــى إنـــجـــادِ

* * *

أتُـــحـــبِّـــيـــنَ ابـــنـــي؟ كـــلَّ ابـــنٍ
فـــي الأرضِ، وكـــلَّ الأحـــفـــادِ

* * *

عـــفـــواً، يـــا عـــمُّ، أنـــا أمٌّ
أولادُ، الـــغـــيـــرِ كـــأولادي

❁❁❁

سفَّاحُ العمران

مارس ١٩٦٧م

يا قاتلَ العُمران.. أخْجَلت المعاوِلَ.. والمكينةْ
ألِأَنَّ في فمِكَ النفوذَ وفي يديكَ دَمَ الخزينَةْ؟
جَرَّحْتَ مُجْتَمعَ الأسى وخنقتَ في فمِهِ.. أنينَهْ
وأحلتَ مُزدحمَ الحياة خرائباً، ثكلى، طَعينهْ
ومضيتَ من هدمٍ إلى هدمٍ، كعاصفةٍ هجينَهْ[1]
وتَنهُّدُ الأنقاضِ في كفَّيْكَ، أوراقٌ ثمينَهْ
وبشاعَةُ التَّجميلِ في شفتيْكَ، كأسٌ أو دَخِينَه[2]
سَلْ ألفَ بيتٍ عطَّلَتْ كفَّاكَ مِهنَتَها الضَّنِينهْ
كانتْ لأهليها متاجرُ مِثلَهُمْ، صُغرى، أمينهْ
كانوا أحقَّ بها، كما كانت لِمِثْلِهِمُ، قِمينَهْ
فطَحَنْتَها... ونَفَيْتَهُمْ مَنْ للضَّحايا المُستَكِينهْ؟
أخرَجتَهُمْ كاللاجئينَ بلا معينٍ، أو مُعينهْ
وكنَسْتَهُم تحتَ النَّهارِ كطينةٍ، تَجترُّ طِينهْ
فمَشَوا بلا هدفٍ، بلا زادٍ، سِوى الذِّكرى المُهينهْ
يستصرخونَ اللهَ والإنسان والشَّمسَ الحزينهْ
وعيونُ أمِّ النُّورِ خَجلى والضُّحى يُدمي جَبِينَهْ

(١) هجينة: لئيمة مدخولة النسب.
(٢) دخينه: سجاره.

والرِّيحُ تنسجُ من عصيرِ الوَحْلِ قِصَّتَكَ المُشينهْ

* * *

من أنتَ؟ شيءٌ، عن بني الإنسانِ مقطوعُ القرينه!
ذئبٌ على الحَمَلِ الهزيل تروعُكَ الشَّاةُ السَّمينه
عيناك، مذبحةٌ مصوَّ بةٌ، ومقبرةٌ كمينه
ويداكَ، زوبعتانِ، تنبحُ في لُهاثهما الضَّغينهْ
يا وارثاً عن «فأرِ مأربَ» خُطَّةَ الهَدمِ اللَّعينَهْ
حتى المساجدُ، رُعْتَ فيها الطُّهرَ، أقلقتَ السَّكينهْ
يا سارقَ اللُّقماتِ، مِن أفواهِ أطفالِ المدينهْ
يا ناهبَ الغفواتِ، من أجفانِ «صنعاء» السَّجينهْ
من ذا يكفُّ يَديْكَ، عن عصـ ـرِ الجراحاتِ الثخينهْ
من ذا يُلبِّي، لو دَعَتْ هـ ـذي المناحاتُ الدَّفينهْ
من ذا يُلقِّنُ طَفرةَ الإعصـ ـارِ، أخلاقاً رزينهْ
نأتِ الشواطئ، يا رياح فأينَ من يُنجي السَّفينهْ؟!

ذات يوم

سبتمبر ١٩٦٢م

أَفَقنا على فجرِ يوم صَبي
فيا ضحواتِ المُنى إطرَبي

* * *

أتدرينَ، يا شمسُ ماذا جرى؟
سَلَبنا الدُّجى فجَرنا المُختبي!
وكانَ النُّعاسُ على مُقلتَيكِ
يُوشوِشُ، كالطَّائِرِ الأزْغَبِ
أتدرينَ، أنَّا سبقْنَا الربيعَ
نُبشِّرُ بالموسمِ الطَّيِّبِ؟
وماذا؟ سؤالٌ على حاجبيْكِ
تَزَنْبَقَ في هَمسكِ المذهبِ!
وسِرنا حشوداً تطيرُ الدروبُ
بأفواجِ ميلادِنا الأنجبِ
وشَعباً يدوِّي: هي المعجزاتُ
مُهودي، وسيفُ «المثنَّى» أبي
غربتُ زماناً غروبَ النهارِ
وعُدتُ، يقودُ الضُّحى مَوْكِبي

* * *

أضـأنـا الـمَـدى، قـبـلَ أَنْ تـسـتـشـفَّ
رؤى الـفـجـرِ، أخـيـلـةَ الـكَـوكَـبِ

فـولَّـى زمـانٌ، كـعـرضِ الـبَـغـيِّ
وأشـرقَ عـهـدٌ، كـقـلـبِ الـنَّـبـي

طـلـغْـنـا نُـدَلِّـي الـضُّـحـى ذاتَ يـوم
ونـهـتـفُ: يـا شـمـسُ لا تَـغْـرُبـي

●●●

سيرةٌ للأيام

مارس ١٩٦٨م

ربــمــا لا تــطــيــقُ مــثــلــي قــرارا
فــلــنُــســافِــر... تــســاؤلاً وادِّكــارا

يا صديقي الحنينُ... من أين تدري؟
كيف عاد الضُّحى؟ وأين توارى؟

أتــراهُ نــهــارَ الأمــسِ... الــمُــوَلِّــي
عاد أشهى صباً، واسخى انهمارا

هــل رمــادُ الــضُّــحــى، يَــحُــولُ رداءً
لــلــعــشــايــا، لــكــي يــعــودَ نــهــارا

ألــعــشــايــا صــبــحُ كــفــيــفٍ يُــدلِّــي
شــوقَــه مــن رمــادِ عــيــنــيْــه نــارا

يسحبُ الظلَّ، والطيوفَ الحزانى
ويُــعــانــي شــوقَ الــطُّــيــورِ الأســارى

ثم يأتي... كما مضى... في ذهولٍ
شــفــقــيٌّ، يَــدْمــى، ويــنــدى افــتــرارا

يا صديقي... وهل يَعي كيفَ أغفى
جــمــرُ أجــفــانِــهِ وكــيــفَ أنــارا

وهــلِ الــشَّــمــسُ طــفــلــةٌ، أو عــجــوزٌ
تــســتــعــيــرُ الــصِّــبــا، وتُــغــوي الــمَــدارا

أتـــراهـــا عـــصْـــرِيَّـــةً، أم تَـــراهـــا
مـتـحـفـاً دايـراً، يُـوشِّـي الـجِـدارا
مـا الـذي تـدَّعـي؟ لـهـا كـلَّ يـوم
مـولـدٌ، كـيـفَ «يـا فـقـيـهَ بُـخـارى»؟
أَوَ مَـا أزوجَـتْ[1] (وروما) جـنـيـنٌ
و(أبـو الـهـولِ) في حنايا الـصَّـحـارى
أَوَ مَـا أدفَـأَتْ[2] (ثَـبـيـراً) ولـمَّـا
يَـلِـدُ الـغـيـبُ (يَـعْـرُبـاً) أو (نِـزارا)؟
فـلـيَـكُـن. . . إنَّـمـا الأصالاتُ أبـقـى
جِـدَّةً، والـنُّـضـارُ يـبـقـى نُـضـارا
يـا صـديـقـي. . . فـكـيـفَ يَـدْعُـونَ هـذا
مُـسـتـعـاداً، وذاكَ يُـدعـى ابـتـكـارا
رُبَّـمـا لـم يَـجِـدَّ شـيءٌ، ولـكـن
نـحـنُ نَـرنـو، بـنـاظـراتِ الـسُّـكـارى!
والـرَّبـيـعُ، الـذي نـرى الـيـوم، هـل كـان
الـرَّبـيـعَ، الـذي رأيـنـا مـراراً
وسـنـلـقـاهُ، بـعـدَ (كـانـون) أمـلـى
بـالـرؤى مـن عـيـونِ أحـلـى الـعَـذارى
والـمـصـيـفُ الـذي نَـراهُ كِـبـاراً
كـان ذاكَ الـذي شَـهِـدنـا صِـغـارا

(١) أزوجت: دخلت سن الزواج.
(٢) ثبير: جبل في الجزيرة العربية.

ولـمـاذا صـمـتَّ، تـرنـو يـمـيـنـاً
فـي شـرودٍ، وتـسـتـديـرُ يـسـارا
كـيـفَ نُـغـضـي، ولـلـسؤالاتِ ركـضٌ
تـحـتَ أهـدابِـنَـا، يـخـوضُ الـغِـمـارا؟
هل تُـحِسُّ الـحقـولُ ما سرُّ (نيسانَ)؟
ومِـنْ أيـنَ عـادَ يَـهـمـي اخـضـرارا؟
كيفَ أَصْغَتْ إليهِ؟ هل ضَجَّ يا أشواكُ
مَـوتـي.. وبـاركَ (الـجُـلَّـنـارا)
أيُّ فـصـلٍ مـن الـفـصـولِ الـتـوالـي
أسكتَ(البومَ) واستعادَ (الـهزارا)؟
أينَ يَمضي الزَّمانُ: هل سوف يَطْوي
سِفْرَهُ، أو يَعي فيشكو العثارا؟
ربَّـمـا... إنـمـا... لـمـاذا نُـنـادي؟
ويـضـيـعُ الـصَّـدى، فـنـرجـو الـقِـفـارا
أتـظُـنُّ الـريـاحُ، تـدري إلـى أيـنَ؟
ومِـن أيـنَ، تَـسْـتَـهِـلُّ الـمَـسـارا؟
أتـراهـا، تُـعـطـي الـرُّبـى جـانـحـيْـهـا
ذاتَ يـومٍ، وتـسـتَـعـيـرُ الـوقـارا؟
يـا صـديـقـي... أنـا وأنـت اشـتـهـاءٌ
نـحـتـسـي الـمـلـحَ، أو نـلـوكُ الـشِّـفـارا
طالَ فينا جوعُ السُّؤالِ، فأطعمناهُ
(كـانـونَ) واعـتـصـرنـا الـغُـبـارا

واجـتـدانـا ولائـمـاً عـاجـلاتٍ
فـطـبـخـنـا عـلـى الـنُّـجـومِ الـحـيـارى

كـلُّ مـا عـنـدنـا نـداءٌ بـلا ردٍّ
سـؤالٌ، يـتـلـو سـؤالاً، مُـثـارا

مَـنْ دَعَـانـا؟ ومَـنْ نُـنـادي؟ أصَـخْـنَـا
وانـتـظـرنـا، حـتـى حَـرِقْـنَـا انـتـظـارا؟

فلنَنَم... والنعاسُ يَروي حكايانا،
ويُـرخـي قـبـلَ الـشُّـروع الـسِّـتـارا



عند مجهولة

٢٩/١٠/١٩٦٩م

هـذه الأمـسـيَّـةُ الـكَـسْـلـى الـغـريـبـهْ
مـرحٌ خـابٍ ولـذَّاتٌ كـئـيـبَـهْ

أَلـسَّـقـوفُ الـخُـرسُ أيـدٍ لا تـرى
ووراءَ الـبـابِ أنـفـاسٌ مُـريـبـهْ

والـزَّوايـا أذرعٌ مـجـهـولـةٌ
والـكُـوى عـيـنـا رقـيـبٍ أو رقـيـبَـهْ

رُبَّـمـا أخـطـأت لـكـن قـلـقٌ
يـعـتـريـنـي واحـتـمـالاتٌ قـريـبَـهْ

* * *

أَلـلـقـاءُ الـحـلـو مـرَّ هٰـهُـنَـا
وتـنـاجـى الـحُـبُّ دقَّـاتٍ رتـيـبَـهْ

هـذه الـسـاعـاتُ أنـسٌ خـائـفٌ
ومُـنًـى خـمـريَّـةٌ جَـذْلـى رَهـيـبَـهْ

أيـنَ طـعـمُ الـخـمـرِ والـحُـبِّ هـنـا
ولـديَّ الـكـأسُ مـلأى والـحـبـيـبَـهْ

يـا حـنـانَ الـحـلـوةِ الـغَـنـجَـا إلـيَّ
أيـنَ تَـمـضـي بـي لـيـالـيـكَ الـعـجـيـبَـهْ

هُـهُـنَـا يـا شـهـرزادُ انـطـفـأت

نـارُ جَـذْبـي وابـتـدت نـارٌ خَـصِـيـبَـهْ

* * *

إنـمـا مـن أنـتِ قُـولـي لـي أَمَـا

خلْفَ بـرقِ الأُنـسِ أمـطـارُ الـمُـصِـيـبَـهْ

بـالـهـوى مَـنْ أنـتِ يـا مـجـهـولـةٌ

دونَ أَنْ أدعـوَهـا كـانـت مُـجـيـبَـهْ

فـلـتـكـونـي مَـنْ تُـريـديـن لـقـد

كـنـتُ مَـصـدوراً فـأصـبـحـتِ الطَّـبـيـبَـهْ

❁ ❁ ❁

ضائع في المدينة

٢٥/٤/١٩٦٩م

سـوفَ أبـكـي ولَـنْ يُـغـيِّـرَ دَمـعـي
أيَّ شـيءٍ مـن وضـعِ غـيـري وَوَضـعـي
هَـلْ هُـنَـا أو هُـنَـاكَ غـيـرُ جـذوعٍ
غـيـرُ طـيـنٍ يَـضِـجُّ، يـعـدو ويُـقـعـي
لـو عـبـرت الـطَّـريـقَ عـريـانَ أبـكـي
وأُنـادي، مـن ذا يـعـي، أو يُـوَعِّـي؟
يـا فـتـى! يـا رجـال! يـا يـا، وأنـسـى
فـي دويِّ الـفـراغِ صَـوْتـي وسَـمْـعـي

* * *

رُبَّـمـا قـالَ كـاهـنٌ، مـا دهـانـي؟
ومَـضَـى يـسـتـعـيـذُ مِـنْ شَـرِّ صُـنـعـي
رُبَّـمـا اسـتـفـسـرَتْ عـجـوزٌ صـبـيّـاً
مـا شـجـانـي، وأيـن أُمِّـي ورَبـعـي
أو رمـى عـابـرٌ إلـيَّ الـتـفـاتـاً
واخـتـفـى فـي لـحـاقِ جـمـعٍ بـجـمـعِ

* * *

إنَّـمـا لـو لَـمَـسْـتُ جـيـبَ غـنِـيٍّ
فـي قـوى قـبـضـتـيْـهِ قـوتـي، ومَـنْـعـي

لــتــلاقــى الــزّحــامُ حــولــي يُــدوِّي
مـجـرمٌ، واحـتـفـى بـركـلِـي وصَـفْعِـي

ولـصـاحَ الـقُـضـاةُ مـا اسـمي وعُـمْـرِي؟
مَـنْ ورائـي؟ مـا أصـلُ أصـلـي وفَـزْعِـي؟

مــا الــذي يــا فــلانُ يــا بــن فُــلانٍ؟
ولَــهَــوْا سـاعـةً بـخـفـضـي ورفـعـي

وهَـــذَى الــمُــدَّعـي بـقـتـلـي لأنّـي
خُـنـتُ، حـاولـتُ مـكـسـبـاً غـيرَ شـرعـي

وزرعــتُ الــلُّــصــوصَ فــي كُــلِّ دربٍ
وعـــلـــيَّ ابـــتـــلاعُ أشـــواكِ زَرْعـــي

فـيـقـصُّ الـقَـضَـاةُ أخـطـارَ أمـسـي
وغَـدِي وانـحـرافَ وَجْـهـي وطَـبْـعـي

عـنـدهـم مِـنْ سَـوابـقـي نـصـفُ سِـفْـرٍ
وفـصـولٌ أشـدُّ، عـن خُـبـثِ نَـبْـعـي

وســأُدعــى تــقــدُّمـيّـاً خَـطـيـراً
أو أُســمَّــى تــآمُــرِيّــاً، ورَجْــعــي

وهُـنـا سـوفَ يـحـكـمـونَ بـسـجـنِـي
ألـفَ شـهـرٍ، أو يَـسْـتَـجـيـدون قَـطْـعـي

وســأبــكــي ولــن يُــغــيِّــرَ دَمــعــي
أيَّ شـيءٍ مِـنْ وضـعِ غَـيـري وَوَضْـعِـي

❁❁❁

بينَ أُختين

١/٧/١٩٦٨م

أيـــقــولُ إنِّــي رُبَّـــمــا
سَـلَـخْـتُـهُ مِـنْ دعـوى الـشَّـهـامَـهْ
لـو يـجـتـديـهـا هـل تـجـود
ولــو أبَــتْ يــا لــلـنَّـدامَـهْ
كــانــت مُـطَـلَّـقـةً فـهـل
تـأبـى الـذَّلـولُ الـمُـسـتـهَـامَـهْ
لـكـن لـمـاذا يـشـتـهـيـهـا كَـمْ
يُــلِــحُّ بــلا سـآمَـهْ
أَو مَـا تَـلـوحُ كـأُخـتِـهَـا
أو أنَّـهـا أجـلـى قَـسـامَـهْ
وأبَـضُّ أفـنـانـاً وأعـرض
مِـئـزراً وأمـدُّ قـامَـهْ
فـي عـنـفـوانِ الـسَّـبـع والـ
ـعـشـريـنَ أمـرَحُ مِـنْ غُـلامَـهْ
لـو لَـمْ تَـكُـنْ أخـتُ الـتـي
فـي دارهِ لـرمـى احـتـشـامَـهْ

* * *

أيُـطـيـقُ لـو سَـخِـرت بـهِ
حَـمْـلَ الـقـطـيـعـةِ والـمَـلامَـهْ

أوْ لَــوْ حَـكَـتـهُ لأخْــتِــهــا
لا ستعجلت يومَ القيامَهْ
لــكــنْ رفــيــفُ ثــمــارِهــا
يدعوه ينتظرُ اقتحامَهْ

* * *

أتــرُدُّهُ لــن تــســتــحــيــل
لَـبُـوءةً هـذي الـحَـمـامَـهْ
أَوَ لَــمْ تَــعِــذْهُ دلائــلٌ
مِـنْـهـا مـلـوَّنَـةُ الـوَسَـامَـهْ

* * *

ضَـحِـكـتْ لَـهُ يـومَ الـخـمـيـس
وضِـحْـكَـةُ الأُنـثـى عـلامَـهْ
وأحَـسَّـهـا لـمـحـت هـواه
بـعـيـنِ زَرْقَـاءِ الـيـمـامَـهْ
أيــامَ وعــكــةِ أُخْــتِــهــا
جــاءَتْ وطَــوَّلَــتِ الإقــامَـهْ
وبَــدَتْ أرقَّ مِــنْ الــنَّــدَى
وتــكــلَّــفَــتْ كَـذِبَ الـصَّـرامَـهْ
وغــداةَ زارَ شــقــيــقَــهــا
كـانَـتْ أرقَّ مِـنْ الـمـدامَـهْ
حـيَّـتـهُ حـيـنَ أتـى وقـا
لَـتْ حـيـنَ عـادَ مَـعَ الـسَّـلامَـهْ

سـلْـمٌ عـلـى تـقـوى وزا
دت دِفءَ نَـبْـرَتِـهـا رخـامَـهْ

فـنـوى تـصـيُّـدَهَـا غـداً
أو بـعـدُ وَلْـتَـقُـمِ الـقِـيـامَـهْ

* * *

واخـتـار حُـلَّـتـه ونـمَّـق
فـوقَ جـبـهـتِـهِ الـعَـمَـامَـهْ

وأتـى يُـغَـنِّـي «يـا عـروسَ الـرَّوْضِ»
أو يـــا ريـــم رامَـــهْ

أو يـشـرئـبُّ كـظـامـئٍ
بـيـديـهِ يـعـتـصـرُ الـغَـمَـامَـهْ

حـتـى دَنـا مِـنْ دارِهـا
حـيَّـتـهُ آيـاتُ الـفَـخَـامَـهْ

مَـنْ ذا هُـنَـا؟ خـرجـوا أتَـدْ
ري عـاد خـالـي مِـنْ تِـهـامَـهْ

كـيـفَ الـعِـيـالُ؟ وأيـنَ أخـتـي
عِـنـد عَـمَّـتِـهـا كَـرَامَـهْ

ودَعَـتْـهُ ضِـحـكَـتُـهَـا فـهَـمَّ
وعـادَهُ خَـورُ «الـنَّـعـامَـهْ»

ودَنَـتْ كـأجـنـى كَـرْمَـةٍ
تـلـهـو بـنـهـديْـهَـا أمَـامَـهْ

وأرادَ فـاسـتـحـيـا عـلـى
شـفـتـيْـهِ مـشـروعُ ابـتـسـامَـهْ

سوفَ تَذْكُرين

٢/٢/١٩٦٩م

ذاتَ يـومٍ سَـتَـذكُـريـنَ ارتـجـافـي
بـيـنَ كـفَّـيْـكِ وانـهـيـالَ اعـتـرافـي
وسـؤالـي مَـنْ ذا هُـنَـا وارتـيـاعـي
مـنْ سُؤالـي وخَشْيتي أنْ تـخـافـي
واقـترابـي حـتـى شَـمَـمْـتُ وعـودي
بـأسـى جـيـئـتـي وهـزء انـصـرافـي

* * *

وورائـي ذِكـرى تَـعُـضُّ يَـدَيْـهَـا
وأمـامـي طـيـفٌ كـوحـشٍ خُـرافـي
مَـنْ رآنـي مِـنْ أيـنَ جِـئْـتُ وأمـضـي
كـالـصَّدى كـاغـترابِ ريحِ الـفيافي
أيُّ جَـذْلـى رَجِـعْـتُ عـنـهـا ومِـنـهـا
وإلـيـهـا جِـنـازتـي وزِفَـافـي
والـذي كـانَ مَـنـزلـي قـبـلَ حـيـنٍ
جئتُـهُ فـاسـتـحـالَ مَـنـفـى الـمـنـافـي
إنَّـمـا سـوفَ تَـذْكُـريـنَ وقـوفـي
بـيـن كـفَّـيْـكِ اجـتـدي أو أُصـافـي

ذاتَ يومٍ سترحمين احتراقي
بعدما ذُبْتُ واعتصرتُ جَفافي

وتقولينَ كانَ عصفورَ حُبٍّ
ظامِئاً كيفَ عزَّ عنهُ ارتشافي

كانَ يأتي والجوعُ يشوي يديهِ
وعلى وجهِهِ اصفرارُ القوافي

واختلاجاتُهُ تُسَلِّي غُرُوري
وانكساراتهُ تَحُثُّ انعطافي

كانَ يقتادُهُ عَبيري فيدنو
ثُمَّ يُثنيهِ ضَعْفُهُ عن قِطافي

* * *

وتَعودينَ تَذْكُرين التماسي
ورُجوعي وكيفَ كنتُ أُوافي

وتَوَدِّينَ لَوْ بَذَلْتِ ولكن
عندَ أنْ تُجدِبي وأرضى عَفافي

۞ ۞ ۞

نحنُ أعداؤنا

إبريل ١٩٦٩م

لأنّـا رضِـعْـنَـا حـليـبَ الـخُـنُـوع
تـقـمَّـصْـنَـا مِـنْ صِـبـانـا الـخُـضُـوعْ

فـجُـعْـنَـا لـيـكـتَـظَّ جَـلَّادُنَـا
ويَـطْـغـى، ونـنـسـى بـأنَّـا نَـجُـوعْ

وحـيـنَ شَـعَـرنـا بـنـهـشِ الـذِّئـا
ب شَـدَدْنـا عـلـى الـجُـرحِ نـارَ الـدُّمُـوعْ

ورُحـنـا نُـجـيـدُ سِـبـابَ الـدُّجـى
ولَـمْ نـدرِ كـيـفَ نـضـيءُ الـشُّـمـوعْ

نـفـورُ وتُـطْـفـئُـنَـا تـفـلـةٌ
فـنَـمْـتَـصُّ إطـفـاءَنـا فـي خُـشُـوعْ

ولـمّـا سَـمِـعْـنـا انـفـجـارَ الـشُّـعـوب
أفـقـنـا نـرى الـفـجـرَ قـبـلَ طُـلُـوعْ

ويـومـاً ذكـرنـا بـأنَّـا أُنـاس
فـثُـرنـا ومُـتـنـا لـتـحـيـا الـجُـمُـوعْ

ولـكِـنْ لـبِـسْـنَـا رداءَ الأُبـاة
وفـي دَمِـنـا الـمُـسـتـضـامِ الـهُـلُـوعْ

فـحـيـنَ الـتـوتْ بـنـا شـروعُ الـمَـسـيـر
حَـذِرنـا الـمـغـبَّـاتِ قـبـلَ الـشُّـروع

وقُلْنا أتى من وراءِ الحُدود
جرادٌ غريبٌ فأشقى الرُّبُوغ

وليسَ عِدانا وراءَ الحُدود
ولكِنْ عِدانا وراءَ الضُّلُوغ

فقد جَلَتِ الرِّيحُ ذاكَ الجَرادَ
فكُنَّا جراداً وكُنَّا الزُّروغ

* * *

ومَنْ ذا أتى بعدُ؟ غازٍ تَصول
يداهُ ويرنو بعينَيْ «يَسُوغ»

عرفناكَ يا أروعَ الفاتحين
إلى أينَ؟ ليسَ هُنَا من تَرُوع

أتلقاكَ يا «عنترَ» ابنُ السّيوف
بغيرِ المَواضي وأقوى الدُّروع

وكانتْ بروقُ الدَّمِ المُفتدي
وعوداً تَعي وغيوباً تَضُوغ

هُناكَ انتصرنا بَذَرْنا الرَّبيع
ولكِنْ جَنَيْنا شِتاءَ القنوغ

وَقَفْنا نحوكُ لأبلى القبور
وُجُوهاً، نَغصِرُ طلاء الصُّدوغ

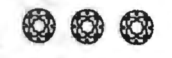
وليسَ عِدانا وراءَ الحُدود
ولكِنْ عِدانا وراءَ الضُّلُوغ

* * *

تُرى كيفَ نَمضي وهَلْ خلفَنا؟
مَنُوعٌ وبينَ يدينا مَنُوعْ
وأينَ وَصلنَا؟ هُنَا لَمْ نَزَلْ
نبيعُ المُحيَّا ونَشري الهُجوعْ

* * *

فهَلْ خلْفَنا شاطئٌ يا رياح!
أقدامُنا مرفأٌ يا قُلُوعْ؟
وصَلنا هُنا لا نُطيقُ المُضِيَّ
أمَاماً ولا نستطيعُ الرُّجوعْ
فلَمْ يبقَ فينا لماضٍ هوًى
ولَمْ يبقَ فينا لآتٍ نُزُوعْ



حماقةٌ وسَلاَم

١١/١٠/١٩٦٨م

ماذا ترى؟ وهناً يريدُ، وطاقةً تمتَصُّ طاقَهْ
وإفاقةً كالسُّكرِ... أو سُكْراً أَمَرَّ مِنْ الإفاقَهْ
جيلاً يوثِّقُ بينَ مَصْرَعِهِ، ومحياهُ.. العَلاقَهْ
ويريقُ آلافَ الكؤوسِ، أسًى على الكأسِ المُراقَهْ
تشتدُّ فيه قوى الفتى، وتَميعُ في دمِهِ الرَّشاقَهْ

* * *

جيلُ التَّحرُّرِ والهَوى، عبدُ التفاهةِ والأناقَهْ
جيلُ التَّفَتُّحِ والتَّمزُّقِ، والحداثةِ والعِتاقَهْ
حيْرانُ يَغمرهُ الشُّروقُ، ولا يَرى أيَّ ائتلاقَهْ
ومُرفَّهٌ، للجوعِ في ذرَّاتِ طينتِهِ... عراقَهْ
غضبانُ يبلعُ بعضُهُ بعضاً، ويفخرُ بالصَّفاقَهْ
وسينتهي.. وجدُ السِّلاحِ، وليسَ تَنْقُصُهُ الحماقَهْ
ليتَ الذي دفَعَ السِّلاحَ إليهِ، علَّمَهُ اللَّباقَهْ
حتى يَعي مَنْ يستفزُّ، ومن يُلاقي في طلاقَهْ
حتى يُوالي عن هُدًى يقظٍ، ويَكْرَهُ عن لياقَهْ
مَنْ لا تُعلِّمُهُ العدواةُ، فهو أجهلُ بالصَّداقَهْ

ثكلى بلا زائر

مارس سنة ١٩٦٩م

بـنـاتُ عـيـسـى وابـنـةُ الـمَـغـربِ
لَـبِـسـنَ ألـوانَ الـرَّبـيـعِ الـصَّـبـي

رَجِـعْـنَ بـعـدَ «الـنَّـقـشِ» مِـنْ بـابِـنـا
يَـرْكُـضـنَ، يَـضْـحَـكـنَ، بـلا مُـوجـبِ

ومَـوْكَـبَـتْ «بِـلـقـيـس» مِـنْ صِـنْـفِـهـا
عَـشـراً، وقـادت رحـلـةَ الـمَـوْكِـبِ

ورُحْـنَ مِـن سـوقٍ إلـى شـارعٍ
عـلـى شـظـايـا أعـيُـنِ الـعُـزَّبِ

يَـسـخَـرنَ حـيـنـاً مِـنْ هـوى مُـعـجَـبِ
وتـارةً يَـبْـحَـثـنَ عـن مُـعـجِـبِ

يُـبـديـنَ أطـرافَ الـحُـلـى عَـنْـوَةً
وغـفـلـةً يُـسْـفِـرنَ، لـلأجـنـبـي

و«أمُّ نـشـوان» احـتـلَـت فـانـثـنـت
حـسـنـاءَ، بـيـنَ الـبِـكـرِ والـثَّـيِّـبِ

* * *

فـكـيـفَ ألـقـى الـعـيـدَ يـا والـدي؟
أقـوى مِـنْ الـنِّـسـيـانِ ذِكـرى أبـي

جاءتْ قُبيلَ الأمس أُمّي «تُقى»
في لهفةِ الأمِّ، وعُنفِ الغَبي

فاحمرَّ من تقبيلِها مدمعي
وانهدَّ من تربيتِها، منكِبي

وغذّتني أمسِ «وفّاسةٌ»
يا بنتي ارتاحي غداً واطربي

لا تحرمي طفليكِ، عيديهما
لاقيهما فرحى، ولو، جَرّبي

ما أنتِ أولى امرأةٍ فارقتْ
أباً، جرى هذا، لبنتِ النّبي

* * *

ولفّني ليلٌ كسولٌ، بلا
قلبٍ، بلا حلمٍ، بلا كوكب

وأصبح العيدُ فماجَ الصِّبا
مِنْ ملعبٍ داوٍ، إلى ملعب

وثرثرَ الملباغ، مِلء الندى
يا عيدُ، يا عيدُ، ولَمْ يتعبِ

واستنطقَ «الحيمي» فتغرافُهُ
وصاحَ وابناهُ مع «القعطبي»

زَمرٌ وحشدٌ ههنا أو هُنا
مدافعٌ كالأحمقِ المُغضَبِ

لا، لنْ أطيلَ اليومَ أمواجَهُ
مِنْ صَخَبٍ عالٍ إلى أصخبِ

أغـلـقـتُ بـابَ الـبـيـتِ فـي وجـهِـهِ
فـانـســلَّ مِـنْ شُـبّـاكِـهِ الأشـيَـبِ
هـربـت مِـنْ تـلـويـحِ كـفَّـيْـهِ، مِـنْ
عـيـنـيْـهِ، فـانـثـالَ عـلـى مَـهْـرَبـي
كـيـفَ يَـرى «ثـكـلـى بـلا زائـرٍ»؟
وأيـنَ مِـنْ أضـوائِـهِ أخـتـبـي
الـيـومَ «عـيـدُ الـلَّـهِ» يـا والـدي
فـأيـنَ أنـتَ الـيـومَ؟ تَـهـتَـمُّ بـي
تـجـيـئُـنـي قَـبـلَ الـضُّـحـى كـي أرى
أثـمـارَ حُـلـمـي فـي الـسَّـنـى الـمُـذهـبِ
تـلـتـذُّ بـاسـمِـي تـسـتـجـيـدُ ابـنـتـي
يُـتَـمـتـمُ ابـنـي بـاسـمِـكَ الأعـذبِ
تـقـولُ «كَـعْـكِـي» لـم تَـذُقْ مِـثْـلَـهُ
«كـقـهـوتـي» فـي الـعُـمْـرِ لَـمْ تـشـرَبِ
يُـعـيـدُنـي تـدلـيـلُـكَ الـمُـشْـتَـهـى
صـبـيَّـةً كـطـائـرِ الأزْغـبِ
زوّارُ جـاراتـي أتَـوْا وانـثـنـوْا
وأنـتَ لَـمْ تُـقـبِـلْ ولَـمْ تَـذْهَـبِ

فـرُحـتُ أُضـنـي الـبَـحـثَ فـيـمن مضـى
أو مَـنْ أتـى عـن وجـهِـكَ الـطَّـيِّـبِ
لِـكُـلِّ بـنـتٍ والـدٌ أو أخٌ
إلا أنـا، يـالـيـتَ يَـدري أبـي

حتى أبو «سعدى» أتى بعدما
غاب ثلاثين، ولم يكتب

وعاد بن «غانا» أخو «زهرة»
وعمّ «أروى» عاد من «يثرب»

أبي، أتدري من يُنادي؟ أما
تشتمُّ ريحَ الدار كالغيّب

عمّي الذي أوصيتهُ لا تسل
عن فرحة، في ذمة الثعلب

لو شَمَّ كفّي لاحتسى خاتمي
لو مسَّ رِجلي، لاحتوى جوربي

في آخرِ السّبعينَ، لكنّهُ
أصبى إلى اللّدغ من العقرب

ومُتَّ أنتَ الغضُّ، وابن البِلى
كالبغلِ، يا للموقف الأغرب

كيفَ نَجا اللّصُّ وماتَ الّذي
يستغفرُ اللهَ ولم يُذنِب

عفواً، فلا تدري، ولا عِلمَ لي
كيفَ يُعادي الموتُ أو يجتبي

❁ ❁ ❁

حلوةُ الأمس

١٩٦٨/٧/٥م

أيُّ شـوقٍ إلـيـكِ أيُّ انـدفـاعَـهْ
فـلـمـاذا اسـتـحـالَ جُـوعـي قَـنـاعَـهْ

لـم تـكـونـي شـهـيَّـةَ الـدِّفءِ لـولَـمْ
تـرتَـعِـشْ فـي دَمـي إلـيـكِ الـمَـجـاعَـهْ

كُـنْـتِ يـا حُـلـوتـي أَضَـنَّ اشـتـهـائـي
بـعـد أَنْ تَـبـذُلـي يـزيـدُ فـظـاعَـهْ

غـيـرَ أنِّـي طـيـنٌ يـئـجُ وتُـطـفـي
نـارَهُ تـفـلـةٌ تُـسـمَّـى اضـطـجـاعـه

* * *

قـد تـقـولـيـنَ سـوفَ أنـاى ويَـظـمـا
ثـم يـأتـي وتـجـتـدي فـي ضـراعَـهْ

رُبَّـمـا أشـتـهـيـكِ عـامـاً وأُنـهـي
شـوقَ عـامـيـن فـي مـدى رُبْـعِ سـاعَـةْ

«حُـلـوةَ الأمـسِ» مـا تـزالـيـن أحـلـى
إنَّـمـا فـي تـصـوُّراتـي الـشَّـنـاعَـهْ

مـا اخـتـتـمـنـا تـمـثـيـلَ دورٍ بـدأنـا
مِـنـهُ فـصـلاً لَـكِـن فَـقَـدْنـا الـبَـرَاعَـهْ

* * *

هـل تُـخـيـفـيـنـنـي بـإسـعـادِ غـيـري

صَـدِّقـيـنـي إذا أدَّعـيـتُ الـمـنـاعَـ

فـلـتـخُـصِّـي بـمـا لـديـكِ فُـلانـاً

أو فـلانـاً أو فـلـتـكـونـي مُـشـاعَـ

۞ ۞ ۞

من رحلةِ
الطَّاحونةِ إلى الميلادِ الثَّاني

٢/٨/١٩٦٩م

مِنْ الفجرِ حتى الفجرِ ننجرُّ كالرَّحى
إلى اينَ يا مَسرى ومن أينَ ياضُحى

أَضَعْنا بلا قصدٍ طريقاً أضاعَنا
ولاحَ لَنَا دربٌ بدأناهُ فانمحى

وشَوَّشَنا تلويحُ برقٍ أهاجَنا
وولَّى ولا ندري إلى أينَ لوَّحا

وقُلنا، كما قالَ المُجِدُّون، مَنْ غفا
عن الفوزِ لم يظفرْ ومن جدَّ أَفلَحَا

إذا لم نَجِدْ في أولِّ الشَّوطِ راحةً
فسوف نُلاقي آخرَ الشَّوطِ أروحا

ورُحنا نسقّي الرَّملَ أمواهَ عُمْرِنا
فيظما، ويرويهِ إلى أن ترَنَّحا

* * *

سَرينا وسِرنا نَطحنُ الشَّوكَ والحَصى
ونحسو ونقتاتُ الغُبارَ المُجرَّحا

ومِنْ حولِنا الأطلالُ تستنفرُ الدُّجى
وتُرخي على الأشباحِ غاباً مِنَ اللُّحى

فَنا أو فَنا، يا زحفُ نرتاحُ ساعةً
تَعِبْنا وأتعبنا المَدارَ المُسلَّحا

كطاحونةٍ نمضي ونأتي كمُنحنى
يَشُدُّ إلى رجليهِ تلاً مُجنَّحا

* * *

فيا ذكرياتِ التّيهِ مَنْ جرَّ قبلنا
خُطاهُ وأمسى مثلنَا حيثُ أصْبحا

ركضنا إلى الميلادِ قرناً وليلةً
وُلِدْنا فكانَ المهدُ قبراً تفتَّحا

ومِتْنَا كما يبدو، رَجِعنا أجنَّةً
لنختارَ ميلاداً أشقَّ وأنجحا

❁ ❁ ❁

كاهنُ الحَرف

سبتمبر ١٩٦٩م

مَـنْ تُـغـنِّـي هُـنـا؟ وتَـبـكـي عـلامـا؟
كـلُّ شـيءٍ لا يـسـتـحـقُّ اهـتـمـامـا

أَلـقـضـايـا الـتـي أهـاجـتـكَ أقـوى
مِـنْ أغـانـيـكَ مِـنْ نُـواحِ الأيـامـى

خـلـفَ هـذا الـجـدارِ تـشـدو وتـبـكـي
والـزَّوايـا تـنـدى أسًـى وجُـثـامَـا

هـذه سـاعـةُ الـجـدار كـسـولٌ
تَـرجِـعُ الـقَـهـقَـرى وتَـنْـوي الأمَـامَـا

والـثَّـوانـي تَـهـمـي صـديـداً وشـوكـاً
وسَـتـهـمـي ولـيـسَ تـدري إلـى مـا؟

والـحـكـايـا رؤى سـجـيـنٍ أقَـرُّوا
شـنـقَـهُ بـعـدَ سـجـنِ عـشـريـنَ عَـامـا

والـمـحـبَّـاتُ والـتَّـلاقـي رمـادٌ
والأغـانـي بـردُ الـقـبـورِ الـقُـدامـى

والـصُّـبـيـحـاتُ كـالـيَـتـامـى الـحَـزَانـى
والـلَّـيـالـي كـأُمَّـهـاتِ الـيَـتَـامـى

عـبـثـاً تـنـشـدُ الـكـؤوسَ لـتَـسـلـى
مـاتَ سِـحـرُ الـكـؤوسِ، مـلَّ الـنَّـدامـى

ـلُّ حينٍ وكلُّ شبرٍ زِحامٌ
مِنْ رُكامِ الوحولِ يتلو زِحامَا

ـنْ تُغنِّي يا (كاهنَ الحرفِ) ماذا؟
هَلْ سُعالُ الحروفِ يُشجي الرُّكاما

❁ ❁ ❁

حكايةُ سنين

ابريل ١٩٦٥م

مِـنْ أيـنَ أبـتـدئُ الـحـكـايـه؟
وأضـيـعُ فـي مَـدِّ الـنِّـهـايَـهْ
وأعــي نـهـايـةَ دَورِهَـا
فـتـعـودُ مـن بـدءِ الـبـدايَـهْ
تَـصِلُ الـخـطـيـئـةَ بـالـخـطـيـئـةِ
والـجـنـايـةَ بـالـجـنـايَـهْ
مِـنْ عـهـدِ مَـنْ وُلِـدوا بـلا
سـبـبٍ ومـاتـوا دونَ غـايَـهْ
أَلـمُـسـبـلـيـنَ عـلـى الـذِّئـابِ
الـبـيضِ أجـنـحـةَ الـرِّعـايَـهْ
أَلـنـاسـجـيـنَ عُـروقَـهُـمْ
لـمـواكـبِ الـطَّـاغـونِ رايـهْ
مَـنْ حـوَّلـوا الـمُـسـتـنـقـعـاتِ
الـجـائـعـاتِ إلـى الـنِّـفـايَـهْ
أنـصـافُ آلـهـةٍ مُـطَـوَّقَـةٌ
بـأسـلـحـةِ الـعِـنـايـهْ
ووجـوهُـهُـمْ كـالـلَّافـتـاتِ
عـلـى مـواخـيـرِ الـغِـوايـهْ

كـانـوا مـلـوكـاً ظـلُّـهُـمْ
حـرمٌ ورِقْـيـتـهـم حـمـايـهْ
فـلـحـومُـنـا لـخـيـولِـهـم
مـرعًـى وأعـظُـمُـنـا سِـقـايـهْ
وبـيـادِرٌ تُـعـطـيـهِـمُ
حـبَّـاتِ أعْـيُـنِـنـا جِـبـايـهْ
والـلـهُ والإسـلامُ فـي
أبـواقِـهِـمْ بـعـضُ الـدِّعـايـهْ
أيـام كـانـت لـلـذُّبـاب
عـلـى الـجِـراحـاتِ الـوِصـايـهْ
أيـامَ كـان الـسُّـلُّ يـأكُـلُـنـا
ولـيـسَ لـنـا دِرايـهْ
وأبـي يُـعـلِّـمُـنـا الـضَّـلالَ
ويـسـألُ الـلـهَ الـهِـدايـهْ
ويـعـيـذُنـا بـ(الـمُـصْـطَـفـى)
والـصَّـالـحـيـن وكُـلِّ آيـهْ
ويـقـولُ: إعـتـادوا الـطَّـوى
كَـمْ عـادةً بـدأتْ بِـرايـهْ
ويـعـودُ يَـشـكـو والـسُّـعـالُ
يـرضُّ فـي فـمِـهِ الـشِّـكـايـهْ
مِـنْ هٰـهُـنـا ابـتـدت الـرِّوايَـةُ،
أيـنَ أيـنَ مَـدى الـرِّوايـهْ؟

* * *

أأقصُّها؟ بعضي يُهيِّئني
وبعضي يزدريني
وبرغمِ إرهاقي أخوضُ
مَجاهلَ السِّرِّ الكمينِ
وظلالها خلقي وقُدّاً
مي كأمسيةِ الطَّعينِ
فأتيهُ فيها كالتفاتِ
الطَّيفِ للطَّيفِ الحَزينِ
وأعافُها فيشُدُّني
أرَقِي ويعزفُني حَنيني
وتُزَقْزِقُ الخَلَجَاتُ في
رأسي كعصفورٍ سجينِ
ماذا يُعاوِدُني؟ كشعوذةِ الرُّؤى،
كصدى اليقينِ؟!
ويديرُ كأساً من دمِ
الذِّكرى وحشرجةِ الأنينِ
فَتُهيجُني، ومُنايَ تحفرُ
في حريقي عن معيني
والحرفُ يمزحُ في فَمِي
والسُّهدُ يلهثُ في جَبيني
ومَدى السُّرى يطفو ويرسبُ
في فمِ الوهمِ الضَّنينِ

ويـــمـــدُّ أغـــنـــيـــةً تـــحِـــنُّ
إلـــى الـــصَّـــدى، وإلـــى الـــرَّنـــيـــنِ

ولِـــمَـــنْ أَلَـــحْـــنُ هَـــجْـــعَـــةَ الأشـــ
ـــبـــاحِ والـــرُّعـــبِ الـــدَّفـــيـــنِ؟

لـــمـــواكـــبِ الـــتَّـــاريـــخ يَـــزويـــهـــا
الأمـــيـــنُ عـــن الأمـــيـــنِ

ولِأُمِّـــيَ الـــيـــمـــنِ الـــعـــجـــوزِ
ولابـــنـــيَ الـــيـــمـــنِ الـــجَـــنـــيـــنِ

كـــانـــت مـــواقـــعُ خَـــطْـــوِهِ
طـــيـــنـــاً تـــوحَّـــلَ فـــوقَ طِـــيـــنِ

* * *

أتـــقـــولُ لـــي، ومـــتـــى ابـــتـــدَتْ
ســـخـــريَّـــةُ الـــقـــدرِ الـــبَـــلـــيـــدِ؟

وإلـــى بـــدايـــتِـــهَـــا أعـــودُ
عـــلـــى هُـــدى الـــحـــلـــمِ الـــشَّـــريـــدِ

مُـــنْـــذُ انـــحـــنـــى مـــغـــنـــى (عُـــلَـــيَّـــةَ)[1]
واســـتـــكـــانَ حِـــمـــى (الـــولـــيـــدِ)

واســـتـــولَـــدَ الـــسُّـــحـــبَ الـــحَـــبَـــالـــى
ألـــفُ (هٰـــرونِ الـــرَّشـــيـــدِ)

حـــتـــى امـــتـــطـــى (جـــنـــكـــيـــز)
عـــاصـــفـــةَ الـــصَّـــواهِـــلِ والـــحـــديـــدِ

---

(١) عليّة بنت المهدي كرمز لانهيار الحضارة العربية والوليد بن عبد الملك كرمز للفتح العربي.

وهـنـالـكَ انـتـعـلَ (الـتَّـتـارُ)
مـعـاطِـسَ الـشَّـمَـمِ الـعـنـيـدِ
وتـمـوكَـبَـتْ زُمَـرُ الـذِّئـابِ
عـلـى دَمِ الـغـنـمِ الـبَـديـدِ
فـاسـتَـغْـجَـمَ (الـضَّـادُ) الـمـبـيـنُ
ورايـةُ الـفـتـحِ الـمَـجِـيـدِ
أيـن الـعـروبـةُ؟ هَـلْ هُـنـا
أنـفـاسُ «قـيـسٍ» أو «لـبـيـدِ»
أيـن الـتـمـاعـاتُ الـسُّـيـوفِ
ودفءُ رنَّـاتِ الـقَـصِـيـدِ؟
لا هٰـهُـنَـا نـارُ الـقِـرى
تـهـدي، ولا عـبـقُ الـثَّـريـدِ
لا مـسـتـعـيـدَ، ولا اخـتـيـالُ الـشَّـدوِ
فـي شـفـتـيْ «وَحِـيـدِ»[1]
فـتـلامَـعَـتْ أيـدي عـلـوج «الـتُّـركِ»
تـومِـئُ مـن بـعـيـدِ
وتـقـولُ: يـا ريـحُ ابـدئـي صَـخَـبـي،
ويـا دُنـيـا: أعـيـدي
وتَـمـدُّ تَـلـمـسُ مِـنْ هُـنَـاكَ
ذوائـبَ الـيـمـنِ الـسـعـيـدِ

---

(١) (وحيد) المغنية التي أجاد ابن الرومي وصفها في داليته الفذة.

حــيــثُ اخــتــلاجــاتُ الــغــروبِ
عــلــى الــرُّبــى، لــفــتــاتُ غــيــدِ
حــيــثُ الــمــزارعُ، وانــتــظــارُ
الــجــوعِ حــبَّــاتِ الــحَــصِــيــدِ
حيثُ الصراعُ على السَّفاسفِ،
والــزِّحــامُ عــلــى الــزَّهــيــدِ
ومضى العُلوجُ إليه كالإعصارِ،
كــالــسَّــيــلِ الــشَّــديــدِ
وبــرغــمِــهِ أدْمــوْا إلــى
(صــنــعــاء) بــيــداً بــعــدَ بــيــدِ
فــتــثــاءَبَــتْ أبــوابُــهــا
لــزحــوفِ (أبــرهــة) الــجَــديــدِ

* * *

وهــنــا انــحــنــى (نــقــمُ) الــصَّــبُــورُ
وأذعــنــت كــثــبــانُ (مِــيــدي)
وتــهــافَــتَ الأجــدادُ، فــاتَّــكــلَ
الــمُــطــيــقُ عــلــى الــقــعــيــدِ
وتــخــدَّروا بــروائــحِ الــمَــوتــى
وعــهــدِهِــمُ الــرَّغــيــدِ
وكــمــا تُــقــلِّــدُ أمُّ أُمِّــي
لــثــغــةَ الــطِّــفــلِ الــولــيــدِ
راحــوا يُــعــيــدون الــمُــعــاد
عــن (الــحــســيــنِ) وعــن (يــزيــدِ)

عــن مُـهـرِ (عـنـتـرةٍ) وعــن
صـمْـصَـامَـةِ الـشَّـيـخ الـزُّبـيـدِي
عـن (شـهـريـار) و (بـابِ خـيـبـر)
و (ابـنِ عـلـوان)[1] الـنَّـجـيـدِ
وغـذاؤهـم زجـلُ (الـخـفـنـجـي)[2]
والـلـحـومُ بِـكـلِّ عـيـدِ
ومـصـيـرُهُـمْ حُـلْـمٌ عـلـى
أهـدابِ شـيـطـانٍ مَـريـدِ
وتَـمَـلْـمَـلـوا يـومـاً وفـي
نـظـراتِـهـم كـسـلُ الـوعـيـدِ
فـمَـحَـوْا دُخـانَ (الـتُّـركِ)
وارتـدّوا إلـى الـغـسقِ الـحـمـيـدي
فـتَـخَـيَّـروا لـلـحُـكـم أوثـانـاً
مِـنَ الـدَّمِ والـجـلـيـدِ
أهـواؤهُـم كـمـسـاربِ الـحـيَّـاتِ
فـي الـغـارِ الـمـدِيـدِ
أو كـالـمـقـابـرِ، يـبـتـلِـعْـنَ
ويَـسْـتَـزِدنَ إلـى الـمَـزِيـدِ
كـانـوا عـبـيـدَ خُـمـولِـهِـمْ
والـشَّـعْـبُ عِـبـدانُ الـعَـبـيـدِ

---

(١) يعرف ابن علوان في اليمن بأنه المنقذ من الجان كما هو في الاساطير الشعبية.

(٢) الخفنجي شاعر شعبي ساخر.

كــانــوا يُــعــيــرونَ الــمُــدى
شــرعــيَّــةَ الــذَّبــحِ الــمُــبــيــدِ

أو يَــقــتــلــونَ ويَــخــرُجــونَ
يُــرحُــمــون عــلــى الــفــقــيــدِ

خــلــفَ الــدُّخــانِ يُــمَــثِّــلــونَ
روايــةَ (الــيــمــنِ) الــشَّــهــيــدِ

* * *

أتــقــولُ لــي؟ وهــل انْــطَــفَــتْ
فــي ذلــكَ الــعــهــدِ الــنُّــجــومُ؟

دفَــنَ الــغــبــارُ هــواءَهُ
فــتَــجَــلْــمَــدَتْ فــيــهِ الــغُــيــومُ

وتــهــدَّجَ الــرَّاوي كــمــا
يــســتــعــطــفُ الأُمَّ الــفــطــيــمُ

واجــتــرَّ نــبــرَتَــهُ، وقــال
وكــفَّــنَ الــزَّمــنَ الــسُّــهــومُ

تــمــشــي الــفــصــولُ كَــمَــا يُــخَــشْــخِــشُ
فــي يــدِ الــرِّيــحِ الــهــشــيــمُ

أنَّــى أَصَــخْــتَ فــلا صــدَى
يُــنــبــي، ولا يــوحــي نــســيــمُ

إلَّا رفــاتُ الــبــائــديــن
تــقــيَّــأتــهُــنَّ الــجــحــيــمُ

وعــلــى امــتــدادِ الــتِّــيــهِ يــزعــقُ
(هــدهــدٌ) ويــصــيــحُ (بُــومُ)

وهـنـاك كـانـتْ قـريـةٌ
تـجـثـو كـمـا ارتَـكَـمَ الـرَّمـيـمُ
جَـوْعـى ويـطـبُـخُـهـا الـهـجـيرُ
وتـحـتـسـي دَمَـهـا الـسَّـمُـومُ
نَـسِـيَـتْ مـواسِـمَـهـا فـأشـتَـتْ
قـبـلَ أَنْ تَـلِـدَ الـكُـرُومُ
تـروي حـكـايـاهـا الـشـقـوبُ
فـيـسـعُـلُ الـجـوُّ الـكـلـيـمُ
ووراءَ تـلـويـحِ الـطُّـلاءِ
مـديـنـةٌ جَـرحـى تَـؤومُ
تَـبْـيَـضُّ مـن بـعـدِ كـمـا
يـتـكـلَّـفُ الـضَّـحـكَ الـلـئـيـمُ
وعـلـى الـشـوراعِ تـنـعـسُ الـذِّكـرى،
ويـصـفـرُّ الـوجـومُ
وعـلـى تـجـاعـيـدِ الـرَّمـادِ
يُـهَـيْـنِـمُ الـثَّـلـجُ الـبـهـيـمُ
وتُـغـوِّرُ الـسَّـنـةُ الـعـجـوزُ
وتـبـدأُ الـسَّـنـةُ الـعـقـيـمُ
حـتـى تـفـجَّـرَ لـيـلـةً
حَـدَثٌ كـمـا قـالـوا: عـظـيـمُ
فـهـوى كـمـا زَعَـمـوا (الـحـرامُ)
ونـاحَ (زمـزمُ) و(الـحَـطـيـمُ)

* * *

مــاذا جــرى؟ مَــنْ يــخــلــفُ
الــمَــرحــومَ؟ مــن أتــقــى وأخــشــى؟

أو تــحــســبُ الــجــوَّ الــكــفــيــفَ
مــحــا الــدُّجــى، أو صــارَ أعــشــى؟

ألــقــتْــهُ غــاشــيــةٌ إلــى
أُخــرى إلــى أدجــى وأغــشــى

فــجــنــازةُ (الــمــنــصــورِ) أمــسِ
غَــدَتْ(لــيــحــيــى) الــيــومَ عَــرْشــا

فــأجــالَ سُــبــحَــتَــهُ وزادَ
عــلــى امــتــدادِ الــغــشّ غِــشّــا

واذا بــعــجــلِ (الــتُّــركِ) عــادَ
عــلــى الــضَّــحــايــا الــعُــزْلِ وَحْــشــا

يُــردي ويــجــهــرُ أو يــحــوكُ
مــكــايــداً حُــمــراً ورَقْــشــا

وعــلاهُ (جــوخٌ) فــاخــتــفــت
أظــفــارُهُ وأجــادَ بَــطْــشــا!

وعــمــامــةٌ كُــبــرى تُــتــوِّجُ
رأسَ طــاعــونٍ مُــوَشَّــى

وتــزيــنــهُ، لــلــعــاثــريــنَ
كــمــا يَــزِيــنُ الــدَّفــنُ نــعــشــا

فــيــشــقُّ لــلــشَّــعــبِ الــقُــبــورَ
ويــســتــحــيــلُ الــشَّــعــبُ رَفْــشــا

وضحيَّةٌ تَروي هوى
جلَّادِها وتموتُ عَطْشى
ويجودُ للكفِّ الذي
يُعطيهِ تمزيقاً ونَهشا
ويعودُ يَستجدي الرَّغيفَ
ويُرهِقُ التَّفتيشَ نَبشا
ماذا يقولُ؟ أيرتجي؟
مولاهُ، هل يُعطيهِ قِرشا؟
لا الجوعُ أنطقَهُ وإنْ
نَمَّ الذُّبولُ بهِ وأفشى
أتراهُ لَمْ يحملْ فَماً
فيبوحُ إطراقاً ورَعْشا
ويُحِسُّ أذرَعَهُ وأرجلَهُ
أمامَ الرِّيحِ قَشّا
يهوي وتبلعُ ما يريدُ
ضراعةٌ مسختهُ كَبْشا
وجهٌ كأقدمِ دِرْهَمٍ
لَم يُبقِ فيهِ المَسحُ نَقشا
سنواتُ (يحيى) تستقي
دَمَهُ، ويرجوه ويَخشى

* * *

ويديرُ أسئلةً، ويحذر
همسَهُ ويعي انكسارهْ

ويــهــمُّ حــقــدُ هــوانِــهِ
فــتــفــرُّ مِــنْ دمِــهِ الــجــسَــارهْ

ويــمــدُّ عــيــنــيْــه كَــمَــا
تــرنــو إلــى الــسِّــنَّــوْرِ (فــارَهْ)

فــتــشــدُّ نَــقْــنَــقَــةُ الــطُّــبــولِ
إلــيــه أُبَّــهــةَ الــحَــقَــارَهْ

وغــداة يــومِ أوْمــضَــتْ
مــن حــيــثُ لا يَــدري إشــارَهْ

فــأطــلَّ نــجــمٌ مِــنْ هُــنَــاكَ
ومِــنْ هُــنَــا لَــمَــعَــتْ شَــرارَهْ

حــتــى تــنــهَّــدَ (حِــزْيَــزٌ)[1]
وتــنــاشــد الــصَّــمــتُ انــفــجــارَهْ

نــبــضَ الــهــدوءُ الــمــيْــتُ واحــمــرَّت
عــلــى الــثَّــلــجِ الــحَــرارَهْ

مــاذا؟ وأقــمــرتِ الــنَّــوافــذُ
والــسُّــطــوحُ بــكُــلِّ حــارَهْ

وتــنــاغــمــت (صــنــعــاء) تــســألُ
جــارةٌ، وتُــجــيــبُ جــارَهْ

حُــريَّــةٌ «دســتــورُ» صُــغــنــاهُ
وأعــلــيْــنــا شِــعــارَهْ

(١) حِزْيَزٌ المكان الذي صُرع فيه الإمام يحيى عام ١٩٤٨م.

(سَجِّل [١] مكانكَ) وانبرى
التاريخُ يحتضنُ العِبارَهْ
وأطلَّ جوٌّ لم تلذْ
أُمُّ الخيالاتِ انتظارَهْ
وهناكَ أدركَ (شهرزاد)
الصُّبحُ، فارتقبتْ نهارَهْ
وانثالَ أسبوعٌ، تَزِفُّ
عرائسُ الفجرِ اخضرارَهْ
وتلاهُ ثانٍ لحَّنَتْ
بُشراهُ أعراقَ الحجارَهْ
حتى تبدَّى ثالثٌ
لمَحَتْ ولادتهُ انتحارَهْ
حَشَدَ الخريفُ إزاءَهُ
همجيَّةَ الرِّيحِ المُثارَهْ
وتلاقَتِ الغلواتُ حَوْليهِ،
وأشعلتِ الإغارَهْ
ماذا جرى يا (شهرزادُ)؟
تَضَاحَكي، يا لِلمَرارَهْ!
عشرونَ يوماً، وانثنى
الماضي، فردَّينا الإعارَهْ

* * *

(١) (سجِّلْ مكانك) مُستهل قصيدة ألقاها الزبيري في ذلك الحدث.

مــــن ذا أطــــلَّ، وأجـــهـــشَ
الــمــيــدانُ أحــمــد و«الــوِشــاحُ»

أســـطـــورةُ الأشـــبـــاح دقَّ،
طــبــولَــهُ ســاحٌ، وســاحُ

يــســطــو، فــتــعــتــصــرُ الــرُّبــى
يَــدَهُ، ويــســبِــقُــهُ الــصِّــيَــاحُ

ويَــزُفُّ أعــراسَ الــفُــتــوحِ
إلــى مــقــاصِــرِهِ الــسِّــفــاحُ

«عــوج بــن عــنــق» شــقَّ أنــفَ
الــشَّــمــسِ مــنــكــبُــهُ الــوَقــاحُ

أَلــجــنُّ بــعــضُ جــنــودِهِ
والــدَّهــرُ فــي يــدِهِ سِــلاحُ

أو هــكــذا نَــبَــحَ الــدُّعــاةُ
وعَــمَّــمَ الــفــزعَ الــنُّــبــاحُ

فــاحــمــرَّ مــن وهــجِ الــمــذابــحِ
فــي مــلامــحِــهِ ارتــيــاحُ

واغــبَــرَّ بــالــذَّبــحِ الــمَــســيــرُ
ومــادَ بــالــجُــثَــثِ الــرَّواحُ

وســرى، وعــادَ(الــسِّــنــدبــادُ)
ودربُــهُ الــدَّمُ، والــنُّــواحُ

خــمــسٌ مــن الــسَّــنــوات لا
لــيــلٌ لــهُــنَّ ولا صــبــاحُ

يبِستْ على السُّهدِ العيونُ
وأقعدَ الزَّمنَ الكِساحُ
(ناشدتكِ الإحساسَ يا أقلامُ)[1]
واختنق الصُّداحُ
لم ينبضِ الوادي ولَمْ
ينبُتْ لعصفورٍ جَناحُ
فتناوَمَ التاريخُ والتأمت
على الجمْرِ الجِراحُ
لكِنْ وراء السَّطحِ أسئلةٌ،
يَجِدُّ بها المُزاحُ
أو يُنطوي صوتُ النَّبيِّ
وَتدَّعي فمهُ (سَجاحُ)
فدوى (الزُّبيريُّ) الشَّريدُ
وأفشتِ الوعد الرياح
وتناقلَ الجوُّ الصَّدى
فَزَقَا التَّهامسُ والطِماحُ
ماذا تقولُ الرِّيحُ؟
فالغاباتُ تومىءُ والبِطاحُ
ويُحدِّق الراعي فتخبرهُ
مراتِعهُ الفِساحُ

(١) مطلع قصيدة للزبيري صورت الأوضاع.

سَتَكِلُّ يوماً «شهرزاد»
ويسكتُ السّمرُ المُباحُ

* * *

فإذا (الثُّلايا) والبُطولة[1]
يركُلانِ شموخَ (صالهْ)[2]
فتضاءلَ (الفيلُ) المُخَدَّرُ
وارتدى جلدَ (الثُّعالَهْ)
وكموعدِ الرؤيا أراحَ
الجنَّ، واطَّرحَ الجلالَهْ
وانحطَّ تاجٌ، وارتقى
تاجٌ، عموداً من عَمالَهْ
ماذا يرى (صَبِرٌ)؟ وغاصت، خلف جفنيْه الدلاله
وكما تميدُ على شحوبِ السُّجنِ أروِقَةُ المَلالَهْ
مَضَتِ اللَّيالي الخمسُ
أجهلَ بالمصيرِ من الجهالَهْ
فتحسّسَ الفيلُ المهيضُ،
قواهُ، وابتدرَ العجالَه
وعَلَا الجوادَ، وموّجَ الصّمصامَ،
واكتسحَ الضَّحالَهْ

(١) الثُّلايا: أحد المناضلين الشهداء.
(٢) صالة: قصر الإمام في تعز.

والـشَّـارعُ الـمَـشْـلـولُ يـزمُـرُ،
لـلـبـطـولـةِ والـسَّـفـالَـةْ
وكـمـا انـتـهـى الـشَّـوطُ ابـتـدا
يُـذكـي الـدَّمُ الـغـالـي مـجـالَـهْ
فـيـمـدُّ عـفـريـتُ الـدُّخـانِ
عـلـى أشِـعَّـتِـهِ، ظِـلالَـهْ
ويـخـافُ أنْ يَـلِـدَ (الـثُّـلايـا)
قـبـرهُ، ويـرى احـتـمـالَـهْ
فـتُـعَـسـكِـرُ الأشـبـاح فـي
أهـدابِ عـيـنـيـه خـيـالَـهْ
مَـنْ ذا؟ وَيـتَّـهِـمُ الـصَّـدى
وتـديـنُ يـمـنـاهُ شِـمـالَـهْ
فانهارَ «شمشونٌ» وناءَ برأسِهِ، ووعى انحلالَهْ
واسـتـنـزفَ الـفـلـكُ الـمُـعـطَّـلُ
عـن جـنـاحـيـهِ الـبَـطـالَـهْ
وانـسـاقَ يَـغْـزِلُ كُـلَّ حـيـنٍ
كـوكـبـاً، ويـديـرُهـا لَـهْ
ويَـشِـبُّ نـجـمـاً، لـم يَـعُـدْ
مـن نـبـضِـهِ إلّا ثُـمـالَـهْ
وهـنـا تـلـفَّـتَ مـوعـدٌ
فـي أعـيـنِ الـقِـمَـمِ الـمُـشـالَـهْ

وتـدافـعَ الـزَّمـنُ الـكـسـيـحُ
عـلـى جـنـاحٍ مـن عُـلالَـهْ
وانـثـالَ كـالـرِّيـح الـعـجـولِ
يـلـوِّنُ الـفـلَـكُ اشـتـعـالَـهْ
وتـسـاءلـت عـيـنـاه، مَـنْ ذا
هٰـهُـنَـا؟ فـرأى حِـيـالَـهْ
إشـراقـةَ (الـعُـلُـفـيِّ) إطـراقَ
(الـلُّـقـيّـةِ) وانـفـعـالَـهْ
فـرمـى عـلـى زنـديْـهـمـا الـجُـلَّـى
وأعـبـاءَ الـرِّسـالَـهْ

* * *

وإلـى الـعـشـيِّ تـعـاقَـدا
واسـتـبـطـآ سـيـرَ الـثُّـوانـي
ألَساعةُ المكسالُ مثلُ الشَّعبِ، تجهلُ ما تُعاني
أيـكـونُ مُـسـتـشـفـى (الـحُـدَيـدة)
مـولـدَ الـفَـجـرِ الـيـمـانـي
وعـلـى امـتـدادِ الـيـوم ضـمَّـهُـمَـا
الَـتَّـفَـرُّقُ والـتَّـدانـي
يـتـفـرَّقـانِ مِـنْ الـشُّـكـوكِ
ولـلـمُـنـى، يـتـلاقـيـانِ
يـتـخـوَّفـانِ فـيُـحـجِـمـان
ويـذكُـران فـيـهـزآنِ

هـل بُـحـتَ بـالـسِّـرِّ الـمُـخـيـفِ
إلــى فُــلانٍ أو فُــلانِ؟
إنِّــي أُحــاذرُ مَــنْ رأيــتُ
عــلـى الـطـريـقِ ومَـنْ يـرانـي
كَـمْ طـال عـمـرُ الـيـومِ، لِـمْ
لا يـخـتـفـي قـبـلَ الأوانِ؟
حـتـى ارتـمـى الـشَّـفـقُ الـغـريـبُ
عــلـى سـريـرٍ مِـنْ دُخـانِ
وكــأنَّ هُـدبـيْ مـقـلـتـيْـهِ
شـاطِـئـانِ مُـعـلَّـقـانِ
نـظـرا إلـيـهِ، يُـفـتِّـشـانِ
عـن الـصَّـبـاحِ ويـسـألانِ
وكـمـا أشـارَ (الـهـنـدوانـةُ)
أبـدَيَـا بـعـضَ الـتَّـوانـي
ومـشـى الـثـلاثـةُ شـارعـيْـنِ
مِـنَ الـمـشـانـقِ والأمـانـي
ودعـا الـنَّـفـيـرُ، فـسـارَ (أحـمـدُ)
سـيـرَ مُـتَّـهـمٍ مُـدانِ
يـرنـو، أيـلـمـحُ حُـمْـرَةً؟
كـلَّا، وتَـلـمـعُ نـجـمـتـانِ
فـيـمـورُ داخـلَ شَـخـصِـهِ
شـخـصٌ غـريـبُ الـوجـهِ ثـانـي

ويَعي ضمانَ مُنجِّميهِ
فيستريحُ إلى الضَّمانِ

ودنا فماجَ البابُ وانهالَ
السُّكونُ على المكانِ

مِنْ أينَ نَبْغَتُهُ؟ ويمَّمْ
فجأةً، قِسَمَ الغواني

فتنادتِ الطَّلقاتُ فيهِ
كالزَّغاريدِ القواني

وانهدَّ قهَّارُ البنادقِ
كالجدارِ الأرجواني

أَتَرى حصادَ القبرِ يرجعُ
كالرَّضيعِ بلا لِبانِ

وعلى يقينِ الدَّفنِ ردَّ
بنبضتيْن مِنْ البَنانِ

فتطلَّعتْ مِنْ كُلِّ أُفقٍ
تسألُ الشُّهبَ الرَّواني

كيفَ انطفا الشهبُ (الثلاثةُ)
في ربيعِ العُنفوانِ

وتراجعَ (الباهوتُ) يحرقُ
بالمواجعِ وهو فاني

يحيا ولا يحيا يموتُ
ولا يموتُ بكُلِّ آنِ

فتبرَّجتْ مأساةُ (واق الواق)[1]
تُغْدِقُ كالجِنانِ

وتجولُ تظفرُ مِنْ ذوائِبها
غروباً مِنْ أغاني

وتهزُّ نَهدَيْهَا اعتلاجاتُ
المَحَبَّةِ والحنانِ

فاخضرَّ عامٌ بالمواعدِ
واحتمالاتِ العِيانِ

وأهلَّ عامٌ عَسجَدِيُّ اللَّمحِ
صخريُّ اللِّسانِ

فرمى إلى حَلقِ التُّرابِ
بقيَّةَ البَطلِ الجَبَانِ

وهنا ابتدا فصلٌ تروَّى
فيهِ إبداعُ الزمانِ

* * *

ماذا هُنا؟ (سبتمبرٌ)
أشواقُ آلافِ اللَّيالي

حُرَقُ العصافيرِ الجيا
ع إلى البيادرِ والغِلالِ

بثُّ المسَامِرَ والرؤى العطشى وأخيلةَ الخيالِ

(١) مأساة واق الواق: رواية ثورية للأستاذ الزبيري دعا فيها إلى الثورة والجمهورية.

خـفـقُ الـنـوافـذِ وارتـجـا
فـاتُ الـرِّيـاح عـلـى الـتِّـلالِ
وتـطـلُّـعُ الـوادي وأسـئـ
لـةُ الـنُّـجـومِ إلـى الـجـبـالِ
وتـلـهُّـفُ الـكـأس الـطـر
يـحِ إلـى انـهـدالاتِ الـدَّوالـي
كـان احـتـراقـاتِ الإجـا
بـةِ وابـتـهـالاتِ الـسُّـؤالِ
وتـلـفّـت الآتـي، إلـى
آثـارِ أقـدامِ الأوَالـي
عـشـريـنَ عـامـاً قُـلَّـبـاً
حَـبِـلَـت بِـهَـا أُمُّ الـنِّـضـالِ
نـسـجَـتْـهُ مِـنْ شَـفَـقِ الـمـقـا
صلِ والـجـراحـاتِ الـغَـوالـي
حـتـى أطـلَّ عـلـى عُـقـا
بٍ مِـنْ أسـاطـيـرِ الـمُـحـالِ
فـي كُـلِّ ريـشـةِ جـانـحٍ
مِـنْـهُ (أبـو زيـدِ الـهِـلالـي)
فـي الـنَّـفـخـةِ الأولـى رمـى
بـالـعـرشِ أغـوارَ الـزَّوالِ
وأمـالَ زوبـعـةَ الـرِّمـالِ
إلـى سـراديـبِ الـرِّمـالِ

يُعطي المواسمَ والمَحَبَّةَ
بالْيمينِ وبالشِّمالِ
أنَّى مشى، أجنى (الوليد)
من المُنى وأجدَّ بالي
موجٌ سماويُّ النَّضارة
شاطئاهُ من اللآلي
ماذا هُنا! (سبتمبرٌ)
أتقولُ لي، أجلى المجالي
شيءٌ وراءَ تَصَوُّرِ
الدُّنيا وأبعادِ الجمالِ
فوقَ احتمالاتِ الرَّجاءِ
وفوقَ إخصابِ النَّوالِ

* * *

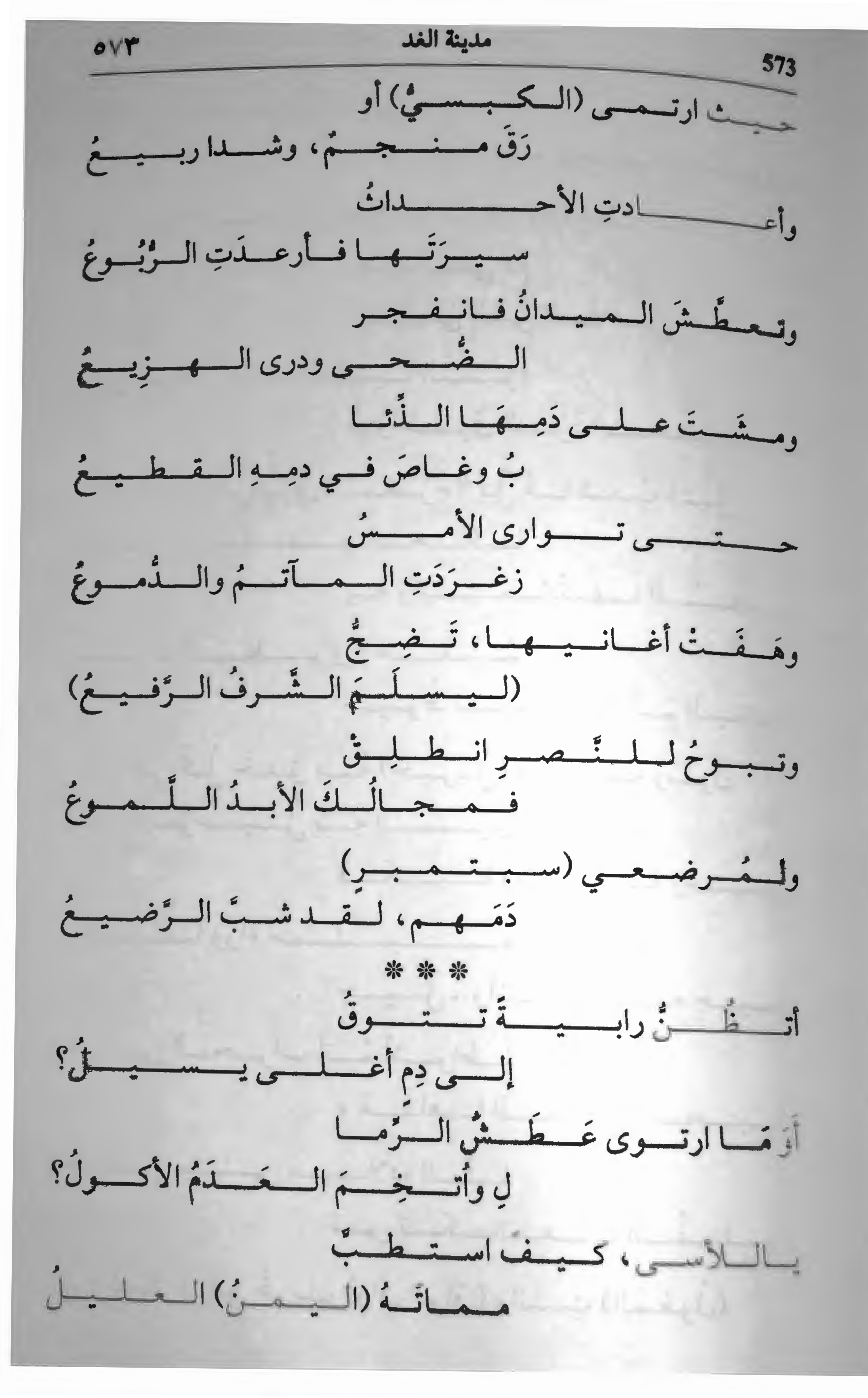
أتقولُ لي؟ وهل انتهى
في جُثَّةِ الأمسِ النُّزوعُ؟

شاءَ الرُّجوعَ وسلَّحتهُ البِيدُ، فانتحرَ الرُّجوعُ
وزَوَتهُ حُفرتُهُ وأطبقَ فوقَ مرقدِهِ الهُجوعُ
وعَلا الدَّخانُ أزقَّةَ البترولِ، فانتبه الصَّريعُ
واهتاجَ ثانيةً فمَدَّ
زنودَهُ (النيلُ) الضَّليعُ
وأحاطتِ الخضراءَ مِنْ
أقوى سواعدِهِ دُروعُ
وارتدَّ ظِلُّ الأمسِ والتحمَ التَّوقُّعُ والوقوعُ

فتنادتِ النِّيرانُ والتقتِ المَصَارِعُ والجُموعُ
وانجرَّ عامان نجومهُمَا وشمسهُمَا النَّجيعُ
فبِكُلِّ رابيةٍ إلى
لحمِ ابنها ظمأٌ وجوعُ
وبِكُلِّ مُنعرجٍ إلى
تمزيقِ إخوتِهِ وُلوعُ
فهُنالكَ انقصفت يدا
ن وثَمَّةَ انتثرت ضُلوعُ
وهناكَ خرَّت قِمَّةٌ
وهُنا هوى تلٌّ مَنيعُ
فلكُلِّ شبرٍ مِنْ دمِ الشُّهداءِ، تاريخٌ يَضوعُ
أرأيتَ حيثُ تساقطوا
كيفَ أزدهى النَّصرُ المُريعُ
حيثُ اغتلى الوادي ولفَّ
(عَلِيّاً)[1] الصَّمتُ الجَزُوعُ
رَضِعَ الدُّجى دمَهُ فأشمسَ
قبلَ أن يَعِدَ الطُّلوعُ
حيثُ التقى (الحمزيَّ) ذا
بَ الغيمُ واحترقَ الصَّقيعُ
حيث انطفا (سندٌ) تدلَّتْ أنجمٌ، وعَلَتْ شُموعُ

---

(١) علي عبد المغني أول شهيد في معارك الثورة على الحدود.



حبث ارتمى (الكبسيُّ) أو
رَقَ منجمٌ، وشدا ربيعُ

وأعادتِ الأحداثُ
سيرَتَها فأرعدَتِ الرُّبُوعْ

وتعطَّشَ الميدانُ فانفجر
الضُّحى ودرى الهزِيعُ

ومشَتَ على دَمِهَا الذِّئا
بُ وغاصَ في دمِهِ القطيعُ

حتى توارى الأمسُ
زغرَدَتِ المآتمُ والدُّموعُ

وهَفَتْ أغانيها، تَضِجُّ
(ليسلَمَ الشَّرفُ الرَّفيعُ)

وتبوحُ للنَّصرِ انطلِقْ
فمجالُكَ الأبدُ اللَّموعُ

ولمُرضعي (سبتمبرِ)
دَمَهم، لقد شبَّ الرَّضيعُ

* * *

أتظُنُّ رابيةً تتوقُ
إلى دمٍ أغلى يسيلُ؟

أوَ مَا ارتوى عَطَشُ الرِّما
لِ وأُتخِمَ العَدَمُ الأكولُ؟

يالَلأسى، كيفَ استطبَّ
مماتَهُ (اليمنُ) العليلُ

ورنـــا الـــســـؤالُ إلـــى الـــســـؤا
لِ وبـــغـــتـــةً وَجـــمَ الـــسَّـــؤولُ

ماذا اسْتَجدَّ فباحتِ الأصداءُ، وارتجفَ الذُّهولُ

لـــبَّـــى الـــدَّمَ الـــغـــالـــي دمٌ
أغـــلـــى إلـــى الـــدَّاعـــي عَـــجُـــولُ

مَـــنْ مـــاتَ؟ واَسْـــتَـــخـــيـــا الـــسؤا
لُ وأطـــرقَ الـــرَّدُّ الـــخـــجـــولُ

أهُنَا (الزبيريُّ) المُضرَّجُ؟ بَلْ هُنَا شعبٌ قتيلُ

وأعـــادتِ الـــقِـــمَـــمُ الـــحـــكـــا
يـــةَ واســـتـــعـــادتْـــهـــا الـــسُّـــهـــولُ

مـــن ذا انـــطـــوى؟ عـــلَـــمٌ
خـــيـــوطُ نـــســـيـــجِـــه الألـــمُ الـــبـــتـــولُ

في كُلِّ خَفقٍ مِنهُ (جبريلٌ) وفي فَمِهِ رَسُولُ

بـــدأ الـــرَّعـــيـــلُ بـــهِ الـــسُّـــرى
فـــكـــبـــا وســـارَ بـــهِ رَعـــيـــلُ

وخـــبـــا وراءَ حـــنـــيـــنِـــهِ
جـــيـــلٌ، وأشـــرقَ فـــيـــهِ جِـــيـــلُ

وعـــلـــى الـــحـــرابِ أتـــمَّ أشـــواطـــاً
، مَـــداهـــا الـــمُـــســـتـــحـــيـــلُ

وعـــلـــى ســـنـــى مـــيـــلادِهِ الـــثّـــا
نـــي تـــكـــاتـــفـــتِ الـــفُـــلـــولُ

لفظَ البلىَ غُربان (واقِ الواقِ) وانثنتِ (المَغُولُ)

فاحتزَّ رحلتَهُ الرِّصا
صُ النَّذلُ والطِّينُ العَميلْ
فغفا وصِدقُ الفجرِ في
نظراتِهِ سَحَرٌ بليلْ
أتقولُ عاجلَهُ الأفولُ؟
فكيفَ أشعَلَهُ الأفولُ؟
فعلى الجبالِ مِنَ اسمه
شُعَلٌ مُجنَّحةٌ تَجولُ
وصدًى تعنقِدُهُ الرُّبى
وهوًى تُسَنبِلُهُ الحقولُ
وبِكُلِّ مرمى ناظرٍ
مِنْ لَمْحِهِ صَحْوٌ غَسيلُ
كيف انتهى ولخطوِهِ
في كُلِّ ثانيةٍ هَديلُ
هو في النَّهارِ الذِّكريا
تُ وفي الدُّجى الحُلْمُ الكحيلُ
وهُنا ضُحًى مِنْ جُرحِهِ
وهُناك من دمِهِ أصيلُ
غربَ الشَّهيدُ وبينَهُ
والمُنتهى الموعودِ (مِيلُ)
مَنْ ذا يَكِرُ إلى مَداهُ؟
وقد خلا مِنهُ السَّبيلُ

فــلــيــبــتــهِــجْ دَمُــهُ إلــى
أبــعــادِ غــايــتــهِ وصــولُ

أَوَ مَــا رأى الــشــهــداءَ كــيــفَ؟
اخــضــوضــرتْ بِــهِــمُ الــفــصــولُ

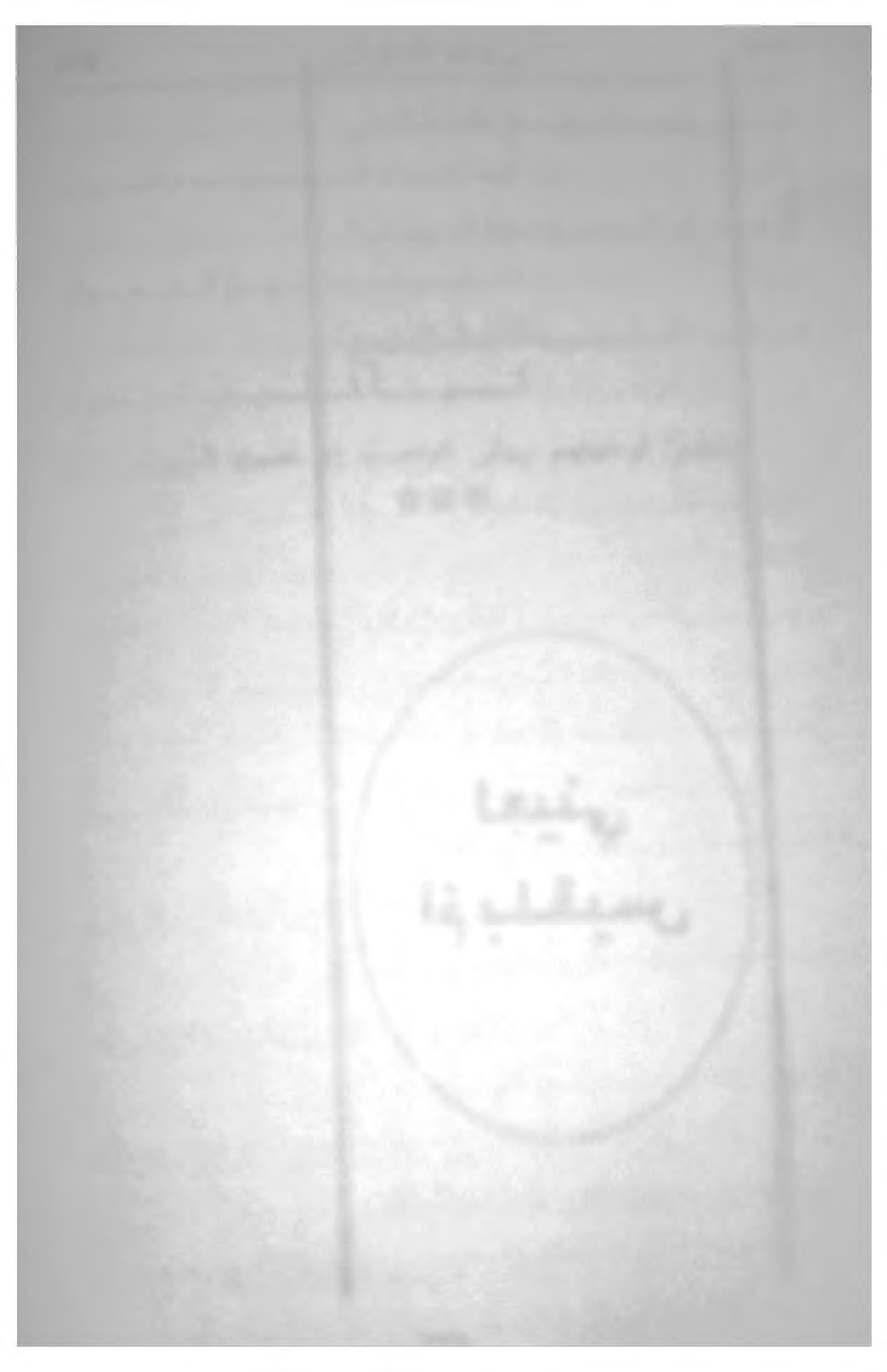
فــرشــوا (الــسَّــعِــيــدةَ) بــالــرَّبــيــعِ
لــيــهــنَــأَ الــضَّــيــفُ الــبَــذولُ

ومَضَوْا لوِجْهَتِهِمْ ويبقى الخِصبُ إن مَضَتِ السُّيولُ

۞۞۞



لعِيني أمّ بلقيس



أنسى أن أموت

تـمـتـصُّـنـي أمـواجُ هـذا الـلَّـيـلِ فـي شَـرهٍ صَـمـوتْ
وتُـعـيـدُ مـا بـدأتْ.. وتَـنـوي أن تـفـوتَ و لاتـفـوتْ
فتُثيرُ أوجاعي وتُرْغمني على وجَعِ السُّكوتْ
وتقولُ لي: مُتْ أيها الذَّاوي... فأنسى أن أموتْ

* * *

لـكـنَّ فـي صَـدري دُجَـى الـموتـى وأحـزانُ الـبـيـوتْ
ونـشـيـجُ أيـتـامٍ... بـلا مـأوى... بـلا مـاءٍ وقـوتْ
وكـآبـةُ الـغَـيـمِ الـشِّـتـائـي وارتـجـافُ الـعـنـكـبـوتْ
وأسَى بلا اسمٍ... واختناقاتٌ بلا اسمٍ أو نعوتْ

* * *

مَنْ ذا هنا؟ غير ازدحامِ الطينِ يهمسُ أو يصوتْ
غيرُ الفراغِ المُنحني... يذوي... يُصِرُّ على الثُّبوتْ
ودمُ الـخُـطـى والأعـيـنُ الـمـلأى بـأشـلاءِ الـكـبـوتْ

* * *

مَنْ ذا هنا؟ غيرُ الأسامي الصُّفر تصرُخُ في خُفوتْ
غـيـرُ انـهـيـارِ الآدمـيَّـةِ وارتـفـاعُ (الـبـنـكـنـوتْ)
وَحدي ألوكُ صدى الرياحِ وأرتدي عُزْيَ الخبوتْ

القاهرة ١٩٧١م

صنعاء
والموت والميلاد

وُلِدَتْ صنعاءُ بسبتمبرْ
كي تلقى الموتَ بنوفمبرْ
لكنْ كي تولدَ ثانيةً
في مايو... أو في أكتوبرْ
في أوَّلِ كانونَ الثاني
أو في الثاني من ديسمبرْ
ما دامتْ هَجعتُها حُبلى
فولادتُها لنْ تتأخرْ
رُغمَ الغثيانِ تَحِنُّ إلى:
أوجاعِ الطَّلقِ ولا تَضجرْ

* * *

ويُنبي عنْ مولِدها الآتي
شفقٌ دامٍ فَجْرٌ أشقرْ
ميعادٌ كالثَّلجِ الغافي
وطيوفٌ كالمطرِ الأحمرْ
أشلاءٌ تخفقُ كالذِّكرى
وتنامُ لتحلُمَ بالمحشَرْ

ورمـــادُ نـــهـــارٍ صـــيــفــيٍّ
ودخــانٌ كــالــحُــلْــمِ الأسْـمَـرْ
ونـــداءٌ خــلــفَ نــداءاتٍ
لا تــنــسَ (عــبــلــةَ) يــا (عــنــتــرْ)
أســمــاءٌ لا أخــطــارَ لــهــا
تُــنــبــي عَــن أســمــاءٍ أخْــطَــرْ

* * *

هــل تَــدري صــنــعــاءُ الــصَّــرعــى
كــيــف انــطــفــأتْ؟ ومــتــى تُــنــشــرْ
كــالــمُــشْــمــشِ مــاتَــتْ واقــفــةً
لــتُــعِــدَّ الــمــيــلادَ الأخــضــرْ
تــنــدى وتَــجِــفُّ لــكــي تَــنــدى
وتــرِفُّ تَــرِفُّ لــكــي تَــضــفَــرْ
وتــمــوتُ بــيــومٍ مــشــهــورٍ
كــي تُــولَــد فــي يــومٍ أشــهــرْ
تَــرمــي أوراقــاً مَــيِّــتــةً
وتُــلــوِّحُ بــالــورقِ الأنْــضَــرْ
وتَــظــلُّ تــمــوتُ لــكــي تَــحــيــا
وتــمــوتُ لــكــي تــحــيــا أكــثــرْ

أبريل ١٩٧٠م

۞ ۞ ۞

من منفى إلى منفى

بـــلادي مـــن يَـــدَيْ طـــاغٍ
إلـــى أطْـــغَـــى إلـــى أجـــفـــى

ومـــن ســجـــنٍ إلـــى ســجـــنٍ
و مـــن مـــنـــفـــى إلـــى مـــنـــفـــى

ومـــن مُـــســـتـــعـــمـــرٍ بـــادٍ
إلـــى مُـــســـتـــعـــمـــرٍ أخْـــفـــى

ومـــن وحـــشٍ إلـــى وحـــشـــيْـــن
وهـــي الـــنَّـــاقـــةُ الـــعَـــجْـــفـــا

* * *

بـــلادي فـــي كـــهـــوفِ الـــمـــوتِ
لا تَـــفـــنـــى ولا تَـــشْـــفـــى

تُـــنـــقِّـــرُ فـــي الـــقـــبـــورِ الـــخُـــرسِ
عـــن مـــيـــلادِهـــا الأصـــفـــى

وعـــن وعـــدٍ ربـــيـــعـــيٍّ
وراءَ عُـــيـــونِـــهـــا أغْـــفـــى

عـــن الـــحـــلـــمِ الـــذي يـــأتـــي
عـــن الـــطَّـــيـــفِ الـــذي اســـتـــخـــفـــى

فـتـمـضـي مـن دُجَـى ضـافِ
إلـى أدجـى . . إلـى أضـفـى

بـلادي فـي ديـارِ الـغـيـرِ
أو فـي دارِهَـا لَـهْـفـى

وحـتـى فـي أراضِـيـهـا
تُـقـاسـي غُـربـةَ الـمَـنـفـى

نوفمبر ١٩٧١م

۞ ۞ ۞

(إلاَّ أنا وبلادي)

تسلياتي كمُوجعاتي، وزادي
مثلُ جوعي، وهَجعتي كسُهادي

وكؤوسي مريرةٌ مثلُ صَحوي
واجتماعي بإخوتي كانفرادي

والصداقاتُ كالعداواتِ تؤذي
فسواءٌ من تَصطفي أو تُعادي

إنَّ داري كغُربتي في المنافي
واحتراقي كذكرياتِ رمادي

يا بلادي! التي يقولونَ عنها:
منكِ ناري ولي دخانُ اتِّقادي

ذاكَ حظِّي لأن أُمي (سعودٌ)(١)
وأبي (مُرشدٌ) وخالي (قمادي)(٢)

أو لأنِّي دفعتُ عن طهرِ أُختي
وبناتي مكرَ الذِّئابِ العَوادي

---

(١) (سعود) اسم نسائي في الريف اليمني.
(٢) (قمادي) عائلة يمنية كبيرة توارثت الفقر.

أو لأنّــي زَعَــمْــتُ أنَّ لــديــهــم
لي حقوقاً من قبل حقِّ (ابنِ هادي)[١]

* * *

يـا بـلادي هـذي الـرُّبـى والـسـواقـي
فـي ضـلـوعـي تـنـهُّـداتٌ شَـوادي
إنَّــمــا مَــنْ أنــا ولـيـسَ بـكَـفِّـي
مـدفـعٌ والـتـرابُ بـعـضُ امـتـدادي!
رُبَّــمــا كـنـتُ فـارِسـاً لـسـتُ أدري
قـبـلَ بـدءِ الـمَـجـالِ مـاتَ جَـوادي

* * *

أَلـعـصـافـيـرُ فـي عُـروقـي جـيـاعٌ
والـدَّوالـي والـقـمـحُ فـي كُـلِّ وادي
فـي حـقـولـي مـا فـي سِـواهـا ولـكـن
بـاعـتِ الأرضَ فـي شـراءِ الـسَّـمـادِ

* * *

يـا نـدى. . . يـا حـنـانَ أُمِّ الـدَّوالـي:
وبِـرُغـمـي يـجـيـبُ مـن لا أنـادي!!
هـذه كـلُّـهـا بـلادي. . . وفـيـهـا
كـلُّ شـيءٍ. . . إلّا أنـا وبـلادي!!

ديسمبر ١٩٦٩م

---

(١) (حق بن هادي) مصطلح للرشوة.

صنعاء
والحلم والزَّمان

صـنـعـاءُ يـا أُخـتَ الـقـبـورِ
ثُـوري فـإنَّـكِ لـمْ تَـثُـوري

حـاولـتِ أن تـتـقـيَّـئِـي
فـي لـيـلـةٍ عَـفَـنَ الـعُـصـورِ

وأردتِ قـبـلَ وسـائـلِ الـبُـنـيـانِ
تـشـيـيـدَ الـقُـصـورِ

ونَـويـتِ فـي تـشـريـنَ أنْ
تَـلـدي أعـاجـيـبَ الـزُّهـورِ

* * *

فـدهـاكِ غَـزوٌ مِـثـلـمـا
يَـحـكُـونَ عـن يـومِ الـنُّـشـورِ

أيـدٍ كـأيـدي الأخـطـبـوط
وأوجـهٌ مـثـلُ الـصُّـخـورِ

فـتـسـاقـطـتْ شُـرفـاتُـكِ الـنَّـعـسـى
كـأعـشـاشِ الـطُّـيـورِ

وانـصـبَّ إرهـابُ الـمَـغـولِ
مـن الـبُـكـورِ إلـى الـبُـكـورِ

وامـــتـــدَّ مـــن بـــابٍ إلـــى
بـــابٍ كـــغـــابـــاتِ الـــنُّـــمـــورِ
حـــتـــى رَأى «نُـــقـــمٌ»[1] ذُراكِ
تَـــخِـــرُّ دامـــيـــةَ الـــظُّـــهـــورِ
ورأى قـــلـــوبـــكِ فـــي الـــضُّـــحـــى
الأعـــمـــى تَـــفِـــرُّ مـــن الـــصُّـــدورِ
ورأى خـــمـــائـــلـــكِ الـــظَّـــلـــيـــلـــةَ
يـــرتـــحِـــلـــنَ مِـــنْ الـــجُـــذورِ
هَـــرَبَ الـــجِـــدارُ مـــن الـــجِـــدارِ
هَـــوَى الـــنُّـــفـــورُ عـــلـــى الـــنُّـــفـــورِ

* * *

صـــنـــعـــاءُ مِـــنْ أيـــنَ الـــطَّـــريـــقُ
إلـــى الـــرُّجـــوعِ أو الـــعُـــبـــورِ
مـــاذا تَـــريـــنَ أتـــســـبـــحـــيـــنَ؟
أتَـــعـــبُـــريـــنَ بـــلا جُـــســـورِ؟
هـــل تُـــســـفـــريـــنَ عـــلـــى الـــشُّـــروقِ؟
أتـــخـــجَـــلـــيـــنَ مـــن الـــسُّـــفـــورِ؟
أتُـــزاحـــمـــيـــنَ الـــعـــالـــمَ الـــمـــجـــنـــونَ؟
يـــا بـــنـــتَ الـــخُـــدُورِ
شـــهـــرٌ، وعُـــدْتِ كـــمـــا أتـــيـــتِ
بـــلا مـــكـــانٍ أو شُـــهـــورِ

(١) (نقم) جبل مطل على صنعاء من الجهة الشرقية.

تتنهَّدينَ بلا أسًى
أو تَضحكينَ بلا سُرورِ

* * *

صنعاءُ ماذا تشتهين؟
أتهدئينَ لكي تَموري
تتوهَّجينَ ولا تَعينَ
وتنطَفينَ بلا شُعورِ
كَمْ تحملينَ ولا تريْنَ
وتعتبينَ على الدُّهورِ
ما زالَ يخذِلُكِ الزَّمانُ
فتبزُغينَ لكي تَغوري
يا شمسَ صنعاء الكسولَ
أما بَدا لكِ أن تَدوري

يوليو ١٩٧٠م

❁ ❁ ❁

بلادٌ في المَنفى

لأنَّ بلَادي الحبيبة
في مُرتَبَاها غريبة
لأنها وهي مَلأى
بالخصبِ... غيرُ خصيبة
لأنَّها وهي حُبلى
بالرَّيِّ عَطشى جَديبة

* * *

جاءَتْ ومَدَّتْ يديها
إلى الأكُفِّ المُريبة
ثُمَّ ارتَمَتْ كعَجوزٍ
مِنْ قبلِ بدءِ الشَّبيبة
تنسى المصيرَ ويأتي
مصيرُها في حَقيبة
لأنَّ دارَ أبيها
لها مَنافٍ رهيبة

عيِّنةٌ
جديدة مِنْ الحُزن

مثلما تعصرُ نهديْها السَّحابَهْ
تُمطرُ الجُدرانُ صمتاً وكآبَهْ
يسقطُ الظِّلُّ على الظِّلِّ كما
تَرتمي فوق السآماتِ الذُّبابَهْ
يمضغُ السَّقْفُ وأحداقُ الكُوى
لَغطاً ميتاً وأصداءً مُصابَهْ
مِزقاً من ذكرياتٍ وهوًى
وكؤوساً مِن جِراحاتٍ مُذابَهْ

* * *

تبحثُ الأحزانُ في الأحزانِ عن
وترِ باكٍ وعن خَلقِ ربابَهْ
عَن نُعاسٍ يملكُ الأحلامَ عن
شجَنٍ أعمقَ من تيهِ الضَّبابَهْ
تسعلُ الأشجارُ تحسو ظلَّها
تجمدُ الساعاتُ من بردِ الرتابَهْ
هٰهُنا الحُزنُ على عادتِهِ...
فلماذا اليومَ للحُزنِ غرابَهْ؟

يـنـزوي كـالـبـومِ يـهـمـي كـالـدُّبـى
يـرتـسـخـي، يـمـتـدُّ، يـزدادُ رحـابَـةْ

يـلـبـسُ الأجـفـانَ، يـمـتـصُّ الـرُّؤى
يـمـتـطـي لـلـعـنـفِ أسـرابَ الـدُّعـابَـةْ

يـلـتـوي مـثـلَ الأفـاعـي، يـغـتـلـي
كـالـمُدى العطشى ويسطو كـالـعصابَـةْ

يـرتـدي زِيَّ الـمُـرائـي... يـنـكـفـي
عـاريـاً كـالـصَّـخـرِ شـوكـيَّ الـصَّـلابَـةْ

* * *

وبـــلا حِـــسٍّ يُـــغـــنِّـــي وبـــلا
سببٍ يبكي ويَستَبكي الـخَطابَـةْ

يـكـتـبُ الأقـدارَ فـي ثـانـيـةٍ
ثُـمَّ فـي ثـانـيـةٍ يـمـحـو الـكـتـابَـةْ

لـلـثَّـوانـي الـيـومَ أيـدٍ وفـمٌ
مـثـلـمـا تَـعـدو عـلـى الـمذعـورِ غـابَـةْ

وعـيـونٌ تـغـزلُ الـلَّـمـحَ كـمـا
تـغـزلُ الأشـبـاحَ أنـقـاضُ الـخـرابَـةْ

مَـنْ يُـنـسِّـيـنـا مـراراتِ الـعِـدى؟
مَنْ يقوِّينا عـلـى حـمـلِ الـصَّـحـابَـةْ؟

مَـن يُـعـيـدُ الـشَّـجوَ لـلأحـزانِ؟ مَـنْ
يـمـنـحُ الـتَّـسـهـيـدَ أوجـاعَ الـصَّـبـابَـةْ؟

مــن يــردُّ الــلَّــونَ لــلألــوانِ؟ مَــنْ

يــهــبُ الأكــفــانَ شــيــئــاً مــن خــلابَــهْ



كــانَ لــلــمــألــوفِ لــونٌ وشــذَى

كــانَ لــلــمــجــهــولِ شــوقٌ ومَــهــابَــهْ!

مَــنْ هُــنــا. . .؟ أســئــلــةٌ مــن قــبــلِ أَنْ

تَــبــتــدي غــرابــاتُ الإجــابَــهْ

فبراير ١٩٧٣م

❁ ❁ ❁

في بيتِها العَريق

مَـنْ؟.. قـلـتُ: أنـا يـا غَـزُّولَـهْ
.. أهـلاً بـحـروفٍ مَـشـلـولـهْ
أهـلاً...! فـي لـهـجـةٍ قـاتـلـةٍ
تـخـشـى أنْ تُـمـسِـيَ مـقـتـولَـه
مـاذا تَـخـشَـيْـنَ؟.. ألـيـسـت لـي
بـالـدَّارِ صِـلاتٌ مَـوصـولَـهْ؟!
أَوَلـسـتُ صـديـقـاً تـعـرِفُـنـي
هٰـذي الـحُـجُـراتُ الـمَـمْـلـولَـهْ!؟

* * *

هـذا الـدِّهـلـيـزُ الـمُـسْـتَـلـقـي
هٰـذي الـجُـدرانُ الـمَـصـقـولَـهْ...

* * *

إصـعـدْ.. لٰـكـن هـل فـي فَـمِـهـا
أُخـرى؟.. أو أُذنـي مَـخـلـولَـهْ؟
وصـعِـدتُ كـمـجـهـولٍ قـلـقٍ
يـجـتـازُ شِـعـابـاً مـجـهـولَـهْ!
ومـعـي صَـعِـدَتْ... كـانـت تـبـدو
جَـذْلَـى بـالـحـسـرةِ مَـكـحـولَـهْ!

كـمـؤَمَّـرةٍ. . . مـنْ تـحـكُـمُـهُـمْ. . .
مــاتــوا، أو بــاتَــتْ مَــعــزولَــهْ

فــي نــصــفِ الــعُـمـرِ بـعـيـنـيْـهـا
أجــيــالُ وعــودٍ مَــمْــطــولَــهْ

وشــظــايــا مــعــركــةٍ بــدأتْ
نــصــراً وارتــدَّتْ مَــخــذولَــهْ

* * *

شــرَّفــتَ، وزادتْ تــرحــيــبــاً
كــزواقِ عــروسٍ مــعــلــولَــهْ

عــنــدي ضــيــفٌ ومــددتُ يَــدي
لِــبَــنــانِ كَــسْــلــى مــقــفــولَــهْ

أهــلاً، فــأجــابَ كــمــن يُــلــقــي
أعــذاراً لــيــسَــتْ مــقَــبــولَــهْ

* * *

إجــلــسْ، قــالَــتْــهَــا واقــتــربــتْ
تــروي أخــبــاراً مَــعــقــولَــهْ

عــنــدي الــجــاراتُ. . وزوجُ (هــدى)
وطــبــيــبٌ. . إنّــي مَــنــزولَــهْ

وهــنــا أنــتــزَعَــتْــنــي قــهــقــهــةٌ
وصَــدى نــحــنــحــةٍ مَــغــلــولَــهْ

فــســمــعــتُ مــن الــغُــرفِ الأُخــرى
أنــفــاسُ حــنــايــا مــتــبــولَــهْ

بوحاً كالحبَلِ المُسترخي
تحتَ الأثوابِ المبلولَهْ
نبراتُ نداءٍ وجوابٍ
كلُهاثِ عجوزٍ مَسعولَهْ
ضحكاتُ ذئابٍ جائعةٍ
همساتُ نِعاجٍ مأكولَهْ
هل هذا البيتُ بعزّتِهِ
أمسى أحضاناً مبذولَهْ؟
بيتُ خدَّاعٌ. ربَّتُهُ
من زيفِ الدَّعوى مجبولَهْ
أيكونُ الخَلُّ سِوى خَلٍّ...
حتى في الكأسِ المَعسولَهْ
لكنْ... ما بالُ الضَّيفِ يرى
وَجهي بلحاظٍ مَذهولَهْ

* * *

ما جِئتُ أُفتِّشُ عَنْ عَبَثٍ
أو عَنْ لحَظاتٍ مسلولَهْ
ما جئتُ لِأنزِلَ منطقةً
بنعوشِ سُكارى مأهولَهْ
قولي لي أنتَ. بلا ذوقٍ
فلتذهبْ... إنّي مَشغولَهْ

* * *

مــا جــئــتُ إلــيــكِ عــلــى أمــلِ
أســفــاري لــيــســت مــأمــولَــهْ

لــكــنِّــي جــئــتُ بــلا ســبــبِ
رُدِّيــنــي. لــســتِ الــمــســؤولَــهْ

ورجــعــتُ كــمــا أقــبــلــتُ بــلا
هــدفٍ كــالــرِّيــحِ الــمــخــبــولَــهْ

يوليو ١٩٧٠م

❁ ❁ ❁

لعينيْ أم بلقيس

لـهـا أغْـلـى حَـبـيـبـاتـي
بـدايـاتـي... وغـايـاتـي
لـهـا غَـزوي وإرهـاقـي
لـهـا أزهـى فُـتـوحـاتـي
وأسـفـاري إلـى الـمـاضـي
وإبـحـاري إلـى الآتـي
لـعـيـنـيْ (أمِّ بـلـقـيـسٍ)
فُـتـوحـاتـي ورايـاتـي
وأنـقـاضـي وأجـنـحـتـي
وأقـمـاري وغَـيـمـاتـي
لـهـا تـلـويـحُ تَـوديـعـي
لـهـا أشـواقُ أوبـاتـي
أُشـرِّقُ وهـي قُـدَّامـي
أُغـرِّبُ وهـي مـرآتـي
إلـيـهـا يـنـتـهـي رُوحـي
ومـنـهـا تـبـتـدي ذاتـي

* * *

أُغـنّـي... وهـي أنـفـاسـي
وأسـكـتُ وهـي إنـصـاتـي

وأظـمـأ... وهـي إحـراقـي
وأحـسُـو... وهـي كـاسـاتـي

أمـوتُ وحُـبُّـهـا مـوتـي
وأحـيـا وهـي مـأسـاتـي

* * *

تُـروِّيـنـي لـظًـى وهـوًى
وأشـدُو ظـامـئـاً: هـاتـي

فـتُـقـصـيـنـي كـعـادتِـهَـا
وأتـبـعـهـا كـعـاداتـي

وأغـزلُ مِـنْ روايـحـهـا
مـجـاديـفـي ومَـرسـاتـي

هُـنَـا وهُـنـاكَ مـولاتـي
وأسـألُ: أيـنَ مـولاتـي؟

* * *

أنـا فـيـهـا وأحـمـلـهـا
عَـلـى أكـتـافِ آهـاتـي

عـلـى أشـواقِ أشـواقـي
عـلـى ذرّاتِ ذرّاتـي

وأذوي... وهـي تـحـمِـلُـنـي
فـتـنـمـو فـي جـراحـاتـي

وأســـألُ: أيـــنَ ألـــقـــاهـــا؟
فـتُـغـلـي فـي صَـبـابـاتـي
وتَـرنُـو مـن أسـى هـمـسـي
ومِـنْ أحـزانِ أوقـاتـي
ومِـنْ صَـمـتـي كـتـمـثـالٍ
أُشَـكِّـلُ وجـهَ نـحَّـاتـي
وتـبـدو مِـنْ شـذى غَـزَلـي
ومِـنْ ضـحـكـاتِ حُـلـواتـي
ومِـنْ نـظـراتِ جـيـرانـي
ومـن لـفـتـاتِ جـاراتـي
ومِـنْ أسـمـارِ أجـدادي
ومِـنْ هـذَيـانِ جَـدَّاتـي
ومِـنْ أحـلامِ أطـفـالـي
ومِـنْ أطـيـافِ أمـواتـي

* * *

هُـنـا مـيـلادُ غـالـيـتي
هـنـا تـاريـخُـهـا الـعـاتـي

* * *

هـنـا تـمـتـدُّ عـاريـةً
وراءَ الـغَـيْـهَـبِ الـشَّـاتـي
تَـجـنُّ إلـى الـغَـدِ الأهـنـى
فـيـمـضـي قـبـلَ أن يـاتـي

١٥/ نوفمبر/ ١٩٧٢م

امرأةٌ وشاعِر

أتُسائلينَ مَنِ التي
آثرتُ... أو أينَ اشتياقي؟

وتردِّدينَ ألستَ مَنْ
أبدعتَ صَحوي وائتلاقي؟

شُطآنُ عينَيَّ... اخضرارُ
مواسمي... دِفئي... مذاقي

بستانُ وجهي.. أمسياتُ
جَدائلي... ضحواتُ ساقي

* * *

سَمَّيتَني وهجَ الضُّحى
قمراً يَجِلُّ على المَحاقِ

بوحُ الزنَابِقِ والورودِ
إلى النُّسيماتِ الرِّقاقِ

أنسيتَني بشريَّتي
ونسيتَ بالأرضِ التصاقي..؟

وذهبتَ يا أغلى مَرايا
الحُسنِ... أو أحلى نِفاقِ

أتُعودُ لي... تبكي غُروبي؟
أو تُغنِّي لا نبشاقي؟

* * *

لن تَعدمي غيري ولَنْ
تلقيْ كصِدقي واختلاقي

قَدْ كُنتُ موثوقاً إليكِ...
مَنْ التي قَطَعتْ وِثاقي؟

لمَّا وَجَدْتُ القُربَ منكِ
أمرَّ مِنْ سهَر الفِراقِ

آثرتُ حُزنَ البُعدِ عنكِ
على مراراتِ التَّلاقي

* * *

وبدونِ توديع ذهبتُ
كما أتيتُ بلا اتِّفاقِ

ونسيتُ بيتَكِ والطَّريقَ
... نَسيتُ رائحةَ الزُّقاقِ

لَمْ أدرِ مِنْ أينَ انطلَقتُ
... ومَنْ لقِيتُ لدى انطلاقي

إنسقْتُ... لا أدري الطَّريقَ
ولا الطَّريقُ يعي انسياقي

حتى المصابيحُ التي
حولي تُعاني كاختناقي

كـــانَ الـــلِّـــقَـــاءُ بـــلا وجـــوهٍ
والـــفِـــراقُ بـــلا مـــآقـــي

فـــلْـــتـــتـــركـــيـــنـــي لـــلـــنَّـــوى
أظـــمـــا وأمـــتـــصُّ احـــتـــراقـــي

وبـــرغـــمِ هـــذا الـــجـــدبِ لـــن
أأَسَـــى عـــلـــى الـــخَـــلِّ الـــمُـــراقِ

* * *

لـــكـــنْ لـــمـــاذا تـــســـألـــيـــن؟
بـــمـــن أهـــيـــمُ... ومَـــنْ أُلاقـــي؟

فـــلْـــتـــســـتـــريـــحـــي إنَّـــنـــي
وحـــدي، وأحـــزانـــي رِفـــاقـــي

كـــالـــسِّـــنـــدبـــادِ بـــلا بـــحـــارِ
كـــالـــغـــديـــرِ بـــلا ســـواقـــي

ورجـــايَ ألَّا تَـــســـألـــي
هـــل مِـــتُّ... أو مـــازِلـــتَ بـــاقـــي؟

١٩٧١م

❁ ❁ ❁

مدينةٌ بلا وجه

أتدرين يا صنعاءُ ماذا الذي يجري
تموتين في شعبٍ يموت ولا يدري..

تموتينَ.. لكِنْ كلَّ يومٍ وبعدما
تموتِينَ تستحينَ مِنْ مَوتكِ المُزري

ويمتصُّكِ الطَّاعونُ لا تسألينَهُ
إلى كَمْ؟ فيستحلي المقامَ ويستشري

تموتينَ... لكن في تَرَقُّبِ مَولدٍ
فتَنسينَ أو ينساكِ ميعادُهُ المُغري

* * *

فهلْ تبحثينَ اليومَ عن وجهكِ الذي
فَقَدْتِهِ أو عن وَجْهكِ الآخر العَصري

إلى أينَ هل تدرينَ مِنْ أينَ..؟ رُبَّما
طَلَعْتِ بلا وجهٍ وغِبتِ بلا ظهرِ؟

تسيرينَ مِنْ قبرٍ لقبرٍ لتبحثي
وراءَ سُكونِ الدَّفنِ عن ضجَّةِ الحَشرِ

ألستنشقينَ الفجرَ في ظلمةٍ بلا
هدوءٍ.. بلا نجمٍ.. يدلُّ على الفجرِ؟

* * *

خبا كلُّ شيءٍ فيكِ لا تسألينَهُ
لماذا..؟ ألا يعنيكِ شيءٌ مِن الأمرِ

وحتى الرَّوابي فيكِ باعَتْ جِباهَهَا
وما عرفَتْ ماذا تبيعُ وما تَشري..!

وحتى عَشايا الصَّيفِ فيكِ بلا رؤًى
وحتى أزاهيرُ الرَّبيعِ بلا عطْرِ

وحتى الدَّوالي فيكِ ضاعَ مَصيفُها
وحتى السَّواقي ضيَّعت مَنْبَعَ النَّهرِ

وحتى أغاني الحُبِّ مات جنينُها
وحتى عيونُ الشِّعرِ فيكِ بلا شِعرِ

أتدرينَ أنَّ الشَّمسَ فوقَكِ لا ترى
وأنَّ لياليكِ المريضاتِ لا تسري

سُدًى تَنشُدينَ الفجرَ في أيِّ مَطلعٍ
وفي ناظرَيْكِ الفجرُ أو ليلةُ القدرِ

يناير ١٩٧١م



صبوة

دكـتـورةُ الأطـفـال إنِّـي هُـنـا
مِـنْ يـومِ مـيـلادي بـلا مُـرضـعَـهْ
عـنـدي عـصـافـيـرُ الـهـوى تـجـتـدي
حـنـانَ هٰـذي الـكَـرمـةِ الـطَّـيِّـعَـهْ
وربـمـا اسـتـكْـذَبْـتِـنـي إنَّـمـا
مـن أيـنَ لـي. . . أن أُحـرِقَ الأقـنـعَـهْ
تَـريـنـنـي كـهـلاً وفـي داخـلـي:
مـن الـتَّـصـابـي صِـبـيـةٌ أَربـعَـهْ
مـجـاعَـةُ الـخـمـسـينَ فـي أَضْـلُـعـي
طـفـولـةٌ أعـتـى مِـنْ الـزَّوبـعَـهْ
خـلـفَ اتِّـزانـي مـائـجٌ صـاخـبٌ
سـفـيـنـةٌ نـاريَّـةُ الأشـرِعَـهْ

* * *

دكـتـورةُ الأطـفـالِ لا تـبـعُـدي
عـنِّـي وعـن مـأسـاتـيَ الـمـوجـعَـهْ
لـقـد زرعـتُ الـحُـبَّ. . . لـكـنـنـي
مـا ذُقـتُ إلا حـنـظـلَ الـمـزرعَـهْ

عُـمـري بـلا مـاضٍ. . . ومُـسـتـقـبـلـي
كـأمـسـيـاتِ الـغـابـةِ الـمُـفـزعَـهْ

٢٣/ يناير / ١٩٧٠م

۞ ۞ ۞

يمني
في بلاد الآخرين

مــن أيــنَ أنــا؟ مَــنْ يــدري
أَوَلـيـسَـتْ لـي جِـنـسـيَّـهْ؟
نَــسَــبــي رايــاتٌ حُــمْــرٌ
وفــتــوحــاتٌ ذَهــبــيَّــهْ
قــلْ لــمــاذا تَــسْــتَــغْــرِبُــنــي
هٰــذي الــزُّمَــرُ الــخَــشَــبــيَّــهْ
يــا إخــوانــي أصــلــي مِــنْ
صــنــعــاء أُمِّــي: (دُبَــعِــيَّــهْ)
صــنــعــاويٌّ... حُــجَــريٌّ!
مــا صــنــعــاء.. مــا الــحُــجَــرِيَّــهْ؟

***

مِــنْ أيــنَ أنــا؟ تــشــويــنــي
بــتــغــابــيــهَــا الــسُّــخــريَّــهْ
عــربــيٌّ لا تــعــرفُــنــي...
حــتــى الــدُّنــيــا الــعــربــيَّــهْ
وأبــي قــالــوا يــمــنــيٌّ
أُمِّــي ـ قــالــوا ـ يــمــنــيَّــهْ

لكن أنستني لوني
وفمي... أيدي الهمجيَّهْ

سنواتٌ جَوعى عَطشى
وقياداتٌ تَبعيَّهْ

وغراباتٌ لا تُروى
وغراباتٌ مَرويَّهْ

* * *

يا ريحُ... بلادي خَلفي
ومعي مثلي منسيَّهْ

حتى أرضي يا أرضي
كأهاليها منفيَّهْ!!

وطني أسفارٌ تمضي
وتعودُ بلا أُمنيَّهْ

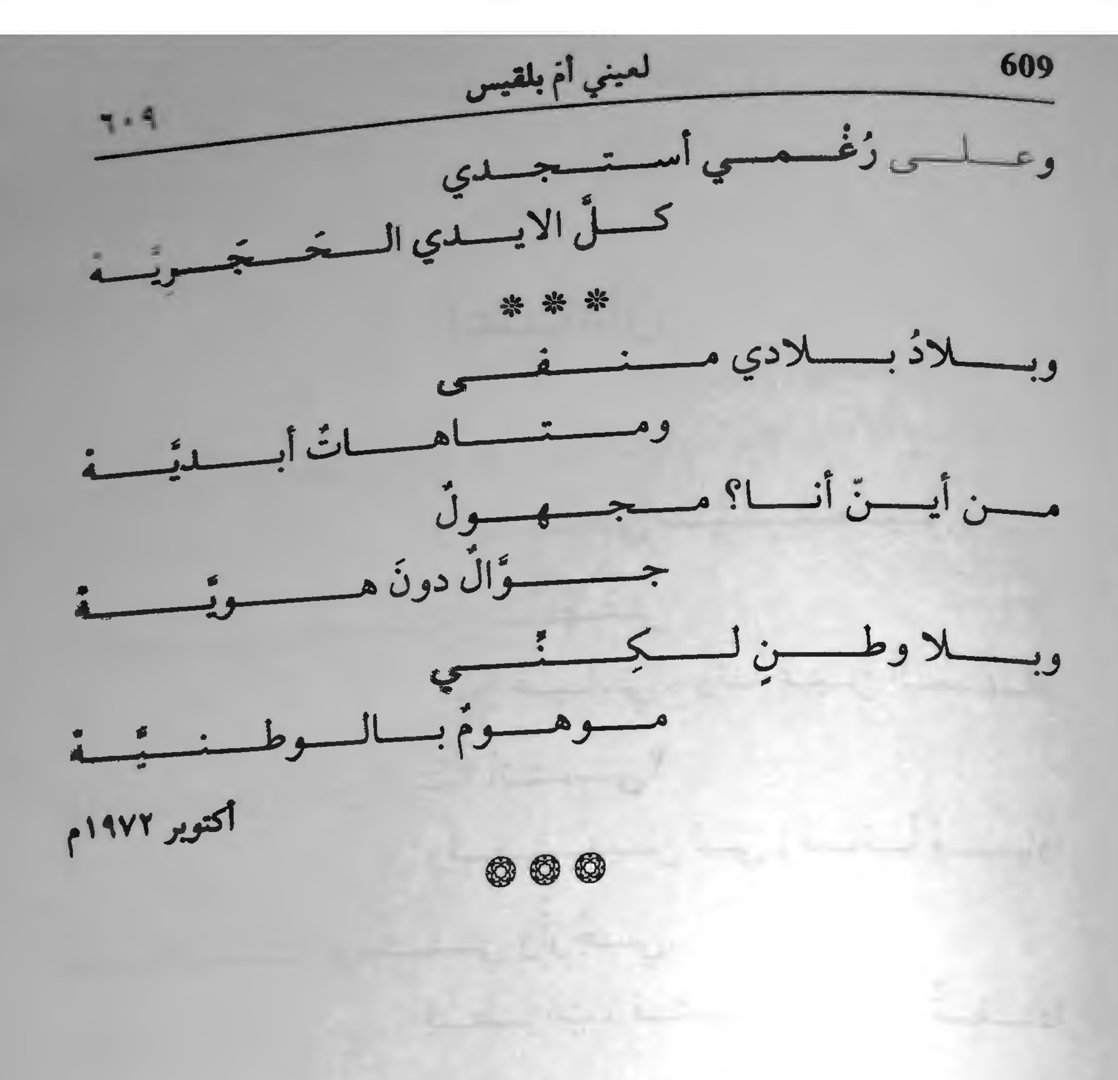
تشريدٌ لا بدءَ لَهُ
ومسافاتٌ وحشيَّهْ

حُرَّاسُ حدودٍ يقظى
وتقانينٌ وثنيَّهْ

مدنٌ لا أسماع لها
وزحاماتٌ عدميَّه

أسواقٌ كُبرى أدنى
ما فيهِنَّ البشريَّهْ

وبدائياتٌ غرقى
في الأقنعةِ العَصريَّهْ



وعــلــى رُغــمــي أســتــجــدي
كــلَّ الايــدي الــحَــجَــرِيَّــهْ

* * *

وبــلادُ بــلادي مــنــفــى
ومــتــاهــاتٌ أبــديَّــهْ
مــن أيــنَ أنــا؟ مــجــهــولٌ
جــوَّالٌ دونَ هــويَّــهْ
وبــلا وطــنٍ لــكِــنِّــي
مــوهــومٌ بــالــوطــنــيَّــهْ

أكتوبر ١٩٧٢م

❁❁❁

اعتيـادان

حـانَ لـي أنْ أُطيـقَ عـنـكِ ابـتـعـادا
والـتـهـابـي سيـسـتـحـيـلُ رمـادا
وتـجيـئـيـنَ تـسـألـيـنَ كـلَـهْـفـى
عـن غـيـابـي، وتـدَّعيـنَ الـسُّهـادا
وتـقـولـيـنَ: أيـنَ أنـتَ؟ أتـنـسـى؟
وتُـعـيـديـنَ لـي زمـانـاً مُـبـادا
أَوَمَـا كـنـتُ أغـتـلـي وأُرَجِّـي
قـطـراتٍ، فـتـبـذُلـيـنَ اتِّـقـادا
تـزرعـينَ الـوعـودَ في جـدبِ عُـمـري
وتـدُسِّـيـنَ فـي الـبـذورِ الـجـرادا

***

كـان لابُـدَّ أنْ أقـولَ: وداعـاً
وبـرغـمـي لا أسـتـطـيـعُ ارتـدادا
غـيـرَ أنّـي أودُّ أن لا تـظُـنّـي
أنـنـي خـنـتُ أو أسـأتُ اعـتـقـادا
ربـمـا تـزعـمـيـنَ أنَّ ابـتـعـادي
عـنـكِ أدنـى (رضـيَّـة) أو (سـعـادا)

أو تـقـولـيـنَ : إنَّ جـوعَ احـتـراقـي
عـنـدَ أُخـرى لاقـى جـنًـى وابـتـرادا
إطـمـئِـنِّـي . . . لـديَّ غـيـرُ الـتـسلِّـي
مـا أعـادي مِـنْ أجـلـهِ وأُعـادى

* * *

قـد أُنـادي نـداءَ (قـيـسٍ) ولـكـن
كـلُّ (قـيـسٍ) وكـلّ (لـبـنـى) الـمُـنـادى
لي نـصـيـبـي مـن الـتـفـاهـات، لـكـن
لـن تـريْـنـي . . . أريـدُ مـنـهـا ازديـادا

* * *

لـم أكـنْ (شـهـر يـار) لـكـن تـمـادَتْ
عِـشـرةٌ صـوَّرتـكِ لـي (شـهـر زادا)
كـان حُـبِّـي لـكِ اعـتـيـاداً وإلـفـاً
وسـأنـسـاكِ إلـفـةً واعـتـيـادا

مارس ١٩٧٠م

❁❁❁

صنعاني يبحث عن صنعاء

هٰذي العماراتُ العوالي ضيّعْنَ تجوالي... مجالي
حولي كأضرحةٍ مُزوَّرةٍ بألوان اللآلي
يلمحنني بنواظرِ الإسمنت من خلف التعالي
هٰذي العماراتُ الكبارُ الخرسُ ملأى كالخوالي
أدنو ولا يعرفْنني أبكي ولا يسألنَ: مالي
وأقولُ: من أينَ الطريقُ؟ وهنّ أغبى من سُؤالي

* * *

كانت لِعميّ هٰهُنا دارٌ تحيط بها الدوالي
فغدت عمارةَ تاجرٍ (هندي) أبوهُ (برتغالي)
وهناك حصنٌ تامرٍ كان اسمهُ (دار الشلالي)
وهناك دارُ عمالةٍ كانَ اسمها (بيت العبالي)
وهنا قصورُ أجانبٍ غُلفٍ كتجّار الموالي

* * *

هل هذه صنعا...؟ مضت صنعا سوى كسرٍ بوالي
خمس من السنوات أجلت وجهها الحرّ (الأزالي)[1]

* * *

من اين يا إسمنتُ أمشي؟ ضاعت الدنيا حيالي

---

(١) أزال: الاسم التاريخي لمدينة صنعاء.

بيت ابنِ أختي في (معمّر) في (الفليحي) بيت خالي
اين الطريق إلى (معمّر)؟ يا بناتي يا عيالي
وإلى (الفليحي) يا زحام. . . ولا يعي أو لا يبالي
بالله يا أماهُ دُلّيني ورقّت لابتهالي
قالت: إلى (النهرين). . . قدّامي وامضي عن شمالي
والى (القزالي) ثم أستهدي بـ(صومعة) قبالي
من يعرف. . (النهرين)؟. . من أين الطريق إلى (القزالي)[1]

* * *

من ذا هناك؟ مسافر مثلي يعاني مثلَ حالي
حشدٌ من العجلات يلهثُ في السباق وفي التوالي
وهناك (نصرانية) كحصان (مسعود الهلالي)
وهناك مرتزق بلا وجه. . . على كتفيه (آلي)[2]

* * *

أَليوم (صنعا) وهي متخمةُ الديار بلا أهالي
يحتلها السِّمسار، والغازي، ونصفُ الرأسمالي
والسائحُ المشبوه، والداعي، وأَصناف الجوالي
من ذا هُنا؟ (صنعا) مضت واحتلَّها كلُ انحلالي

* * *

أمي! أَتلقين الغزاة بوجه مضياف مثالي؟
لم لا تُعادين العدى. .؟ من لا يعادي لا يوالي

(١) معمر والفليحي والنهرين والقزالي: من احياء صنعاء القديمة.
(٢) آلي: نوع من البندقيات.

مَنْ لا يصارعُ... لا نسائيَّ الفؤاد... ولا رجالي

إني أغالي في محبة موطني... لِمَ لا أغالي؟

* * *

من أين أرجع... أو أمرُّ..؟ هنا سأبحث عن مجالي

ستجدُّ أيام بلا منفى وتشمس يا نضالي!

وأحبُّ فجرٍ ما يهلُّ عليك من أدجى الليالي

٣ ـ ٥ ـ ١٩٧٢م



اعترافٌ بلا توبة

غابت هذه القصيدة عن الدواوين السابقة إجابة لرغبة أستاذنا الذي وجهت إليه... ولمّا أصبح بلا رغبة لدخوله عالم الصمت، رغبت القصيدة أن تخرج من مخبئِها كصورة لتحدي الصِّبا... وكصورة لأفكار بعض أساتذة الجيل الماضي:

إِنْ يـدَّعِ الـعـلـمَ فـلا فِـريـةٌ
فـالـصِّـدقُ كـلُّ الـصِّـدقِ فـيـمـا ادَّعـى

لـكـنَّ سِـرَّ الـعـلـمِ فـي نـفـسِـهِ
كـالـعـسـلِ الـصَّـافـي خـبـيـثُ الـوِعـا

* * *

يـقـولُ: شـيـطـانٌ وشـيـطـانـةٌ
دعـتْ. . قـلـبـي. . . أوهَـفَـتْ إذ دعـا

ولـم يَـقُـلْ: إلـفٌ ومـألـوفـةٌ
تـجـمَّـعـا. . . . سـبـحـانَ مَـنْ جـمَّـعـا

* * *

لأنـنـي اسـتـحـلـيـتُ أُمـسـيَّـةً
يَـردُّنـي عـن درسِـهِ مُـوَجَّـعـا

إِنْ كـنـتُ ألـقـى نـادراً حـلـوةً
فـهـو يُـلاقـي. . . دائـمـاً أربـعـا

أريـدُ أُنـسـاً مـثـلَـهُ. . . أشـتـهـي
كـالـنَّـاسِ أنْ أروى. . . وأنْ أشـبـعـا

* * *

يا سيدي المفضالُ قالوا: تَرى
تعليمَ مثلي قطُّ لَنْ يَنْفَعَا

أغلقتَ باب البيتِ والدَّرسِ في
وَجْهي.. سألقى الدَّرسَ والموضِعَا

* * *

يا (لطفُ)... مهما لُمتَّني لم أدَعْ
هذا السلوكَ الشائنَ المُمْتِعا

ولتمنعِ التعليمَ عنِّي كما
تهوى... فخيرٌ منك لن يمنَعا

* * *

أبصرتني من بيتِهَا خارجاً
كالكلبِ... أمشي واجفاً مُسرعا؟

نعم... جَرى هذا وإنْ تبتغِ
شهادةً أقوى سَلِ المضجعا

تقولُ: إنِّي مُنكِرٌ بعدما
ألقَتْ لديكَ التُّهمَةَ البُرقُعَا

فلأعترف... لا ناويساً توبةً
إنِّي ومَنْ سمَّيتَ بتنا معا

١٩٤٧م

تقرير إلى عام ٧١ حيثُ كُنَّا

حـيـثُ كُـنَّـا كـمـا أرادَ الإمـامُ
كلُّ دعوى.. مِنَّا.. علينا.. اتِّهامُ

إنَّـمـا سـوف نَـدَّعـي ولْـتُـصَـدِّقْ
يـا «وصـابـان» ولْـتَـثِـقْ يـا (رجـامْ)

غـيـر أنَّـا وبـعـدَ تـسـعٍ طـوالٍ
حـيـثُ كُـنَّـا كـأنـمـا مـرَّ عـامُ

كـلَّـمَـا جَـدَّ، أنَّـنَـا قـد كَـشَـفْـنـا
أوجُـهـاً دلَّـنـا عـلـيـهـا الـلُّـثـام

وعـرفْـنـا مـن الـعـمـالاتِ صِـنـفـاً
كـانَ أطـرى مـا أحـدثَ «الـعـمُّ سـامُ»

يـرتـدي كـلَّ سـاعـةٍ ألـفَ لـونٍ
ولَـهُ كـلَّ سـاعـتـيْـن نـظـامُ

* * *

حـيـثُ كُـنَّـا، لـكـن لـمـاذا أضَـعْـنَـا
في التَّعادي سبعاً، وفيمَ الخِصامُ؟

جرَّحتنا الحروبُ في غيرِ شيءٍ
وبـلا غـايـةٍ دَهـانـا الـسَّـلامُ

* * *

أَلْـغـزاةُ الـذيـنَ يـومـاً تـلاشَـوْا
بِـقـوانـا، لَـهُـمْ عـلـيـنـا اقـتـحـامُ

إنَّـهُـمْ يُـوغِـلُـونَ فـيـنـا ونُـغـضـي
فـلـمـاذا. . . رِعـنـاهـمـو حـيـن حـامـوا

* * *

ألـرُّكـامُ الـذي نـفـضـنـاهُ عـنَّـا
ذاتَ يـومٍ لَـهُ عـلـيـنـا ازدحـامُ

ونِـعـالُ الـغُـزاةِ وهـي كـثـيـرٌ
فـوقَ أعـنـاقِـنَـا جِـبـاهٌ وهَـامُ

والأُبـاةُ الـذيـنَ بـالأمـسِ ثـاروا
أيـقـظـوا حـوْلَـنـا الـذِّئـابَ ونـامـوا

حـيـنَ قُـلـنـا قـامـوا بـثـورةِ شَـعْـبٍ
قـعـدوا قـبـلَ أن يَـروْا كـيـفَ قـامـوا

رُبَّـمـا أحـسـنـوا الـبـدايـاتِ لـكـن. . .
هـل يُـحِـسُّـون كـيـفَ سـاءَ الـخِـتـامُ؟

مـاتَ (سـبـتـمـبـرُ) الـبـشـيـرُ ولـكـن
أُمُّـهُ نـاهـدٌ هَـواهـا غـلامُ

يناير ١٩٧١م



مواطنٌ بلا وطَنْ

مــــواطـــــنٌ بـــــلا وطـــنْ
لأنَّــــهُ مِـــنَ الــيــمــنْ
تُـــبـــاعُ أرضُ شَـــعـــبِــهِ
وتُـــشـــتـــرى بـــلا ثَـــمَـــنْ
يـــبـــكـــي إذا ســـألـــتَـــهُ
مـــن أيـــنَ أنـــتَ؟.. أنـــتَ مَـــنْ؟
لأنَّـــهُ مِـــنْ لا هُـــنـــا
أو مـــن مـــزائـــدِ الـــعَـــلَـــنْ

* * *

مـــواطـــنٌ كـــانَ حِـــمَـــاهُ
مـــن (قُـــبَـــا) إلـــى (عَـــدَنْ)
والـــيـــومَ لَـــمْ تَـــعُـــدْ لَـــهُ
مـــزارِعٌ ولا سَـــكَـــنْ
ولا ظـــــلالُ حـــائـــطٍ
ولا بـــقـــايـــا مِـــنْ فَـــنَـــنْ

* * *

بـــلادُهُ سَـــطْـــرٌ عـــلـــى
كـــتـــاب: (عِـــبـــرِة الـــزَّمـــنْ)[1]

---

(١) كتاب في التاريخ اليمني القديم.. (لعمارة اليمني).

روايـــــةٌ عـــــن (أســـعـــدِ)
أســـطـــورةٌ عـــن (ذي يـــزنْ)

حـــكـــايـــةٌ عـــن هُـــدهُـــدِ
كـــانَ عـــمـــيـــلاً مـــؤتـــمـــنْ

وعـــن مـــلـــوكِ اســـتَـــبـــوا
أو ســـبـــأوا مـــلـــيـــونَ دَنْ[١]

أَلـــمُـــلـــكُ كـــانَ مُـــلـــكَـــهُـــم
سِـــواهُ (قَـــعْـــبٌ مـــن لَـــبَـــنْ)[٢]

* * *

والـــيـــومَ طـــفـــلُ حِـــمْـــيَـــرِ
بِـــلا أبٍ بـــلا صِـــبـــا

بـــلا مـــديـــنـــةٍ. . بـــلا
مـــخـــابـــىءٍ. . . بـــلا رُبـــى

يَـــعـــزوهُ ألـــفُ هُـــدهُـــدِ
وتـــنـــثـــنـــي بـــلا نـــبـــا

* * *

يـــكـــفـــيـــهِ أنَّ أُمـــهُ
(ريّـــا)[٣] وجـــدَّهُ (سَـــبَـــا)

---

(١) يقال أن ملوك (سبأ) سموا بهذه التسمية لكثرة ما استبوا من النساء.. أو ما سبأوا من الخمر (أي شربوا)

(٢) إشارة إلى بيت (أمية بن أبي الصلت الذي مدح به سيف بن ذي يزن): (هذا هو الملك لا قعبان من لبن).

(٣) (ريّا) بنت الحارث فارسة حميرية شهيرة.

وأنَّ عــــمَّ خــــالـــــه
كــانَ يــزيــنُ (يَــخــضُــبَــا)
وأنَّ خـــالَ عـــمِّــهِ
كــانَ يــقــودُ (أرحــبــا)
كــانــوا يُــضــيــئــونَ الــدُّجــى
ويَــعــبــدونَ الــكَــوكَــبــا[1]
يــدرونَ مــاشــادوا. . . ولا
يــدرونَ مــاذا خــرَّبَــا
يــبــنــونَ لــلــفــارِ الــعُــلــى
ويــزرعــونَ لــلــدُّبــا
يــا نــاســجَ (الإكــلــيــلِ)[2] قُــلْ:
تــلــكَ الــجِــبــاهُ مــن غَــبــا
أَوْ سَــمِّــهــا كــواكــبــاً
تــمــنَّــعــتْ أن تــغــرُبــا
فــهــل لــهــا ذرِّيَّــةٌ
مــنَ الــشــمــوخِ والإبــا؟

* * *

أَلــيــومَ أرضُ (مــأربِ)
كــأُمِّــهــا مــوجَّــهَــهْ

---

(١) إشارة إلى (معبد القمر) في (مأرب).
(٢) (الإكليل): كتاب عن ملوك اليمن القدامى. . (لأبي محمد الهمذاني) من مؤرخي القرن العاشر.

يقودُهَا كأمِّها
فارٌ.. وسوطُ (أبرهَة)[1]

فما أمرَّ أمسها
ويومَهَا ما أشبهَهْ

تبيعُ لونَ وَجهِهَا
للأوجُهِ المُمَوَّهة

(تموزُ) في عيونِهَا
كالعانِسِ المُوَلَّهَة

والشَّمسُ في جَبينِها
كاللَّوحةِ المُشَوَّهَة

* * *

فيا (سهيلُ)[2] هل تَرى
أسْئِلةً مُدلَّهَة؟

متى يفيقُ هٰهُنا
شعبٌ يَعي تنبُّهَه؟

وقبلَ أن يرنو إلى
شيءٍ يَرى ما أتفهَهْ...

فينتقي تحتَ الضُّحى
وجوهَهُ المُنزَّهَة

يَمضي وينسى خلفَهُ
عاداتِهِ المُسَفَّهَة

(١) (أبرهه) القائد الحبشي الذي غزا اليمن.

(٢) نجم يماني عند الفلكيين القدامي.

يَـــفـــنـــى بـــكـــلِّ ذرَّةٍ

مـــن أرضِـــهِ الـــمـــؤلَّـــهَـــة

هُـــنـــا يُـــحِـــسُّ أنَّـــهُ

مـــواطـــنٌ لَـــهُ وطـــنْ

يوليو ١٩٧٠م

❂❂❂

أبو تمام
وعروبة اليوم

ما أصدقَ السَّيفَ! إن لم يُنضهِ الكَذِبُ
وأكذبَ السَّيفَ إنْ لم يصدُقِ الغَضَبُ
بيضُ الصفائحِ أهدى حينَ تحمِلُها
أيدٍ إذا غَلَبَتْ يعلُو بها الغَلَبُ
وأقبحُ النَّصرِ.. نصرُ الأقوياءِ بلا
فَهْمٍ.. سِوى فهمِ كم باعوا.. وكم كَسِبوا
أدهى من الجهلِ عِلمٌ يطمئِنُّ إلى
أنصافِ ناسٍ طَغَوْا بالعلمِ واغتصبوا
قالوا: همُ البشرُ الأرقى وما أكلوا
شيئاً.. كما أكلوا الإنسانَ أو شَرِبوا

* * *

ماذا جرى.. يا أبا تمَّام تسألُني؟
عفواً سأروي.. ولا تسألْ.. وما السَّببُ
يدمى السؤالُ حياءً حينَ نسألُهُ
كيف احتفت بالعِدى (حيفا) أو (النَّقبُ)

مَنْ ذا يُـلَـبِّـي؟ أمَـا إصـرارُ مُـعـتـصـمٍ
كلاَّ وأخزى منَ (الأفشينِ)[1] ما صُلبوا

ألْـيـومَ عـادتْ عُـلـوجُ (الـرُّومِ) فـاتـحـةً
ومَـوطِـنُ الـعَـرَبِ الـمسـلـوبُ والـسَّـلَـبُ

مـاذا فـعـلـنـا؟ غَـضِـبـنـا كـالـرِّجـالِ ولـم
نَـصـدُقْ. . وقد صَدَقَ التَّنجيمُ والكُتُبُ

فـأطـفـأت شُـهُـبُ (الـمـيـراجِ) أنـجُـمَـنـا
وشـمـسَـنـا، وتـحـدَّت نـارَهـا الـخُـطـبُ

وقـاتـلـت دونـنـا الأبـواقُ صـامـدةً
أمَّـا الـرِّجـالُ فـمـاتـوا. . ثَـمَّ أو هـربـوا

حُـكَّـامُـنـا إنْ تَـصَـدَّوا لـلـحِـمـى اقـتـحـمـوا
وإن تَـصَـدَّى لَـهُ الـمـسـتـعـمرُ انـسـحـبـوا

هـمَ يـفـرشـونَ لـجـيـشِ الـغـزوِ أعـيُـنَـهُـمْ
وَيـدَّعـونَ وثـوبـاً قـبـلَ أنْ يَـثِـبـوا

ألْـحـاكـمـون و«واشـنـطـن» حـكـومـتـهُـمْ
والـلَّامـعـونَ. . ومـا شَـعُّـوا ولاغـربـوا

ألْـقـاتـلـون نـبـوغَ الـشَّـعـبِ تَـرضـيـةً
لـلـمُـعـتـديـنَ ومـا أجْـدَتـهُـمُ الـقـربُ

---

(١) (حيدر الأفشين) كان قائد جيش المعتصم، فخانه فصلب وأُحرق، وقال أبو تمام في حرقه: رائيته الشهيرة: الحقُّ أبلج والسيوفُ عواري. .إلخ.

لهم شُموخُ (المُثنّى)[1] ظاهراً ولَهُمْ
هوًى إلى «بابك الخُرْميّ» ينتسبُ

* * *

إذاً ترى يا (أبا تمام) هل كَذَبَتْ
أحسابُنا؟ أو تَناسى عِرْقَهُ الذَّهبُ؟

عروبةُ اليومِ أُخرى لا ينِمُّ على
وجودِها إِسمٌ ولالونٌ... ولا لقبُ

تِسعونَ ألفاً (لعمُّوريَّة) اتَّقدوا
وللمُنَجِّمِ قالوا: إنَّنا الشُّهبُ

قيلَ: انتظارَ قِطافِ الكَرْمِ ما انتظروا
نُضْجَ العناقيدِ.. لكن قبلَها التهبوا

واليومَ تِسعونَ مليوناً وما بَلغوا
نُضجاً.. وقد عُصِرَ الزيتونُ والعنبُ

تنسى الرؤوسُ العوالي نارَ نخوتِها
إذا امتطاها إلى أسيادِهِ الذَّنَبُ

(حبيبُ) وافيتُ من صنعاءَ يحملُني
نسرٌ وخلفَ ضلوعي يلهثُ العربُ

ماذا أحدِّثُ عن صنعاءَ يا أبتِ؟
مليحةٌ عاشقاها: السِّلُّ والجَربُ

---

(١) المثنى بن حارثه الشيباني... الفارس الشهير.

ماتت بصندوقِ «وضّاحٍ»[1] بلا ثمنٍ
ولم يَمُت في حَشاها العِشقُ والطَّربُ
كانت تُراقبُ صُبحَ البَعثِ.. فانبعثت
في الحُلمِ.. ثم ارتمت تغفو وترتقبُ
لكنَّها رُغمَ بُخلِ الغَيثِ ما بَرِحَتْ
حُبلى وفي بطنِها «قَحطان» أو «كَرِبُ»
وفي أسى مُقلتيها يغتلي «يمنٌ»
ثانٍ كحُلمِ الصِّبا.. ينأى ويقتربُ

* * *

«حبيبُ» تسألُ عن حالي وكيف أنا؟
شبَّابةٌ في شفاهِ الرِّيحِ تنتحبُ
كانت بلادكَ (رحلاً)، ظهر (ناجيةٍ)
أمَّا بلادي فلا ظَهْرٌ ولا غَبَبُ
أرْعيت كُلَّ جديب لحم راحلةٍ
كانت رعتهُ وماءُ الرَّوضِ ينسكبُ
ورُحتَ من سفرٍ مُضنٍ إلى سفرٍ
أضنى.. لأنَّ طريقَ الرَّاحةِ التَّعبُ

---

(١) هو: عبد الرحمن بن اسماعيل.. شاعر يماني غلب عليه لقب وضاح لاشراق وجهه ووضوحه.
أحبَّتْهُ (أم البنين) زوج الخليفة (الوليد بن عبد الملك) وعندما اكتشف أمره ساعة وصل خبأته في صندوق.... وعندما عرف الخليفة أخذ الصندوق ورماه في بئر كانت تحت بساطه.

لـكِـنْ: أنـا راحـلٌ فـي غـيـرِ مـا سـفـرِ
رَحلي دمي.. وطريقي الجمرُ والحطبُ
إذا امـتـطـيـتَ ركـابـاً لـلـنَّـوى فـأنـا
في داخلي... أمتطي ناري وأغتربُ
قبري.. ومأساةُ ميلادي على كتفي
وحـولـيَ الـعـدَمُ الـمـنـفـوخُ والـصَّـخـبُ
«حـبـيـبُ» هـذا صـداكَ الـيـومَ أُنـشِـدُهُ
لـكـن لـمـاذا تَـرى وَجـهـي وتـكـتـئـبُ؟
ماذا؟ أتعجبُ من شَيبي على صِغَري؟
إنّي ولِدتُ عجوزاً.. كيف تعتجبُ؟
والـيـومَ أذوي وطـيـشُ الـفَـنِّ يَـعـزفُـنـي
و الأربـعـونَ عـلـى خـدَّيَّ تـلـتـهـبُ
كـذا إذا ابـيَـضَّ إيـنـاعُ الـحـيـاةِ عـلـى
وجـهِ الأديـبِ أضـاءَ الـفـكـرُ والأدبُ
وأنـتَ مـن شِـبـتَ قـبـلَ الأربـعـيـن عـلـى
نـارِ (الـحـمـاسـةِ) تـجـلـوهـا وتـنـتـحـبُ
وتـجـتـدي كـلَّ لـصٍ مُـتـرفٍ هِـبـةً
وأنـتَ تُـعـطـيـهِ شِـعـراً فـوق مـا يـهَـبُ
شرَّقتَ غرَّبتَ من (والٍ) إلى (ملكٍ)
يَـحُـثُّـكَ الـفـقـرُ... أو يـقـتـادك الـطَّـلـبُ
طوَّفتَ حتى وصلتَ (الموصلَ) انطفأتْ
فـيـكَ الأمـانـي ولـم يـشـبـعْ لـهـا أربُ

لـكـنَّ مـوتَ الـمـجـيـدِ الـفَـذِّ يـبـدأهُ
ولادةً مـن صِـبـاهـا تـرضـعُ الـحِـقَـبُ

* * *

(حـبـيـبُ) مـا زال فـي عـيـنيـكَ أسئِلَـةٌ
تبدو... وتَنسى حكاياها فتنتقبُ
ومـا تـزالُ بـحـلـقـي ألـفُ مُـبـكـيـة
من رهبةِ البَوحِ تستحيي وتضطربُ
يـكـفـيـكَ أنّ عِـدانـا أهـدروا دَمـنـا
ونـحـنُ مـن دِمـنـا نـحـسـو ونـحـتـلـبُ
سـحـائـبُ الـغـزوِ تَـشـويـنـا وتـحـجـبُـنـا
يوماً ستحبَلُ من إرعادناالسُّحُبُ.؟
ألا تَـرى يـا «أبـا تـمَّـام» بـارِقـنـا
(إنَّ الـسَّـمـاء تُـرَجَّـى حـيـنَ تـحـتـجِـبُ)

ديسمبر ١٩٧١م

۞ ۞ ۞

نصيحة سيئة

إنْ تـــريـــدي ســيـــارةً وإدارهْ
فـلـتـكـونـي قـوَّادةً عـن جَـدارَهْ

ولـتُـعـدِّي لـكُـلِّ سـلـطـانِ مـالٍ
كـلَّ يـومٍ زواجـةً مُـسـتـعـارَهْ

ولـتـكـونـي عـمـيـلـةً ذاتَ مـكـرٍ
تـشـربـيـنَ الـقـلـوبَ حـتـى الـقَـرارَهْ

ولْـتـبـيـتـي سـريـرَ كـلِّ وزيـرٍ
ولْـتُـمَـنِّـي مَـنْ فـي انـتـظـارِ الـوزارَهْ

وبـهـذا الـنَّـشـاط تُـمـسـيـنَ أعـلـى
مـن وزيـرٍ.. ورُبَّـمـا مُـسـتـشـارهْ

فـسـراويـلُ الـحـاكـمـيـنَ تُـعـانـي
رُغْـمَ تـبـريـدهـا وُثـوبَ الـحـرارَهْ

* * *

أنـتِ أدرى بـهـمْ فـلـيـس لـديـهـم
غـيـرُ مـا تـعـرفـيـن أدنـى مـهـارَهْ

إنَّـمـا.. هـل تـريـن هـذا امـتـيـازاً؟
مـثـلُ هـذا يُـجـريـهِ فـارٌ وفـارَهْ

* * *

لـيـسَ لـلـحـاكـمـيـنَ أيُّ طـمـوحٍ
غـيـرَ تـحـقـيـقِ أُمـسـيـاتِ الـعـهـارَهْ

والـتـمـاسِ الـمُـسـاعـداتِ لـتـفـنـى
جبهةُ الشَّعبِ تحتَ نعلِ التِّجارَهْ

واجـتـلابِ الـمُـخـطِّـطـيـن صنـوفـاً
كـي تـضـيـعَ الـبـلادُ فـي كُـلِّ قـارَهْ

* * *

أنـتِ أدرى بـهـم ولـيـسَ غـريـبـاً
فـالـبـغـايـا عـيـونُ حـكـمِ الـدّعـارِه

أنـتِ تَـشـريـنَـهُـم بـدفءِ الـلَّـيـالـي
فـيـبـيـعـونَ فـي هـواكِ الإمـارَهْ

وتـقـوديـنَ الـمُـنـتـنـاتِ إلـيـهِـم
فـتـقـوديـنـهـم بـأخـفـى إشـارَهْ

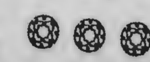
* * *

لا تـضـيـقـي فـلـم يَـعُـدْ ذاكَ سِـرّاً
إنَّ أقـوى الـرِّيـاحِ ريـحُ الـقـذارَهْ

فـلْـتَـزيـدي مـن الـنَّـشـاطِ لـتـبـنـي
كـالـسَّـلاطـيـنِ كـلَّ شـهـرٍ عـمـارَهْ

تـلـكَ أخـزى نـصـيـحـةٍ فـاقـبـلـيـهـا
ـ كـي تـفـوزي ـ ولا تـكـونـي حِـمـارَهْ

لـسـتِ إلّا عـبـارةً ذاتَ وجـهٍ
لـوجـوهٍ دلَّـتْ عـلـيـهـا الـعـبـارَهْ



لافتة على طريق العيد العاشر

لثورة سبتمبر

أيُّها الآتي بلا وجهٍ إلينا
لم تَعُدْ مِنَّا ولاضيفاً لدَيْنا؟

غير أنَّا.. يا لِتزييفِ الهوى
نلتقي اليومَ برغمي رغبتَيْنا

ستَرانا غيرَ مَنْ كُنَّا كما
سوفَ تبدو غيرَ مَنْ كُنَّا رأينا

أسفاً ضيَّعْتنا.. أو ضِعتَ مِنْ
قبضتيْنا يومَ ضَيَّعْنا يديْنا

* * *

قبلَ عشرٍ كُنتَ مِنَّا ولنا
يا تُرى كيفَ تَلاقيْنا... وأيْنا؟

أنتَ لا تدري ولا ندري مَتى
فرَّقتنا الرِّيحُ.. أو أينَ التقيْنا؟

وإلى أينَ مضى السيرُ بنا
دونَ أن ندري.. ومِنْ أينَ انثنيْنا

يومَ جِئنا المُلتقى لم ندرِ مِنْ
أينَ جِئنا وإلى أينَ أتينا؟
رُبَّما جِئنا إليهِ مثلما
يطفرُ الإعصارُ أو سِرنا الهُوينا
رُبَّما جِئنا بلا وجهينِ أو
ضاعَ وجهانا ومَرأى وجهتينا

* * *

عبثاً نسألُ أطلالَ المُنى
بعدَ بؤسِ المُنتهى كيفَ ابتدينا؟
كيفَ ذُقنا وجعَ المِيلادِ كم
ضَحِكَ المَهدُ لنا أو كَمْ بكينا
كيفَ ناغينا الصِّبا.. ماذا انتوى؟
مهدُنا المشؤومُ... أو ماذا انتوينا؟

* * *

لا نَعي كيفَ ابتدينا.. أو متى
كلُّ ما نذكرهُ أنَّا انتهينا؟
أنتَ مهما ترتدي أسماءَنا
مِنْ أعادينا ومحسوبٌ علينا
غير أنَّا كُلَّ عامٍ نلتقي
عادةً والزّيفُ يُخزي موقفينا

صنعاء ٢٦/ سبتمبر/ ١٩٧٢م

الفاتحُ الأعزل

ساهٍ.. في مقعدِهِ المُهمَلْ
كسؤالٍ ينسى أنْ يسألْ

كحريقٍ يبحثُ عن نارٍ
فيهِ عن وقدتهِ يذهلْ

كجنينٍ في نهدَيْ أُمٍّ
لهفى تتمنى أن تحبلْ

* * *

يطفو ويفرُّ كعصفورٍ
توَّاقٍ في قفصٍ مُقفلْ

يستسقي كالحُلْمِ الظَّامي
ويحدِّق كالطَّيفِ الأحولْ

فيشمُّ خُطى الفَجرِ الآتي
في مُنتصفِ اللَّيلِ الألْيَلْ

ويصوغُ الصَّمتَ ضُحَى غَزلاً
وأصيلاً ورديّاً أكحلْ

ويُضيعُ جمالاً مَبذولاً
في الكشفِ عن العدمِ الأجملْ

يـشـدو لـلـزّاويـةِ الـكَـسْـلـى

ويُـصـيـخُ إلـى الـرُّكـنِ الأكـسَـلْ

ويُـفـتّـشُ عـن فَـمِـهِ الـثّـانـي

ويـحِـنُّ إلـى فـمِـهِ الأوّلْ

* * *

والأربـعـةُ الـجـدرانُ إلـى

عـيـنـيْـهِ تُـصـغـي.. تـتـأمّـلْ

تـرنُـو كـفـتـاةٍ تـسـتـجـدي

غَـزَلاً.. وإذا ابـتَـسَـمَـتْ تـخـجلْ

* * *

يـغـلـي ويـمـورُ كـمـا يـعـدُو

فـي كـفِّ الـعـاصـفـةِ الـمِـشـعَـلْ

مَـرمِـيٌّ كـالـقـبـرِ الـمَـنـسـي

وإلـى كُـلِّ الـدُّنـيـا يـرحـلْ

يـغـزو الأقـمـارَ ولا يَـغـيـا

ويـخـوضُ الـبـحـرَ ولا يَـبْـتَـلّْ

* * *

فـي كُـلِّ روايـةِ فـنّـانِ

مِـنْ قِـصَّـتِـهِ الـفَـصـلُ الأطْـوَلْ

فـي كُـلِّ تَـثَـنّـي أُغـنـيـةِ

أنـثـى لـهـواهُ تـتـجـمَّـلْ

فـي كُـلِّ كـتـابٍ عـن بـطـلِ

أخـبـارٌ عـنـهُ لـم تُـنـقَـلْ

* * *

حـيّـاً فـي الـتـاريـخِ الـفـانـي
فـي الـكُـثـبـانِ الـعَـطْـشـى يـخـضـلْ
يـقـتـادُ الـخـيـلَ (كـعـنـتـرةٍ)
يـجـتـرُّ الـزقَّ مـع (الأخـطـلْ)
ويُـنـاضـلُ (قـيـصـرَ) فـي (رومـا)
(كَـسِـبِـرْتـاكـوس) ولا يَـفْـشَـلْ
يـطـوي الإسـكـنـدرَ فـي يـدِهِ
ويـجـولُ عـلـى كـتـفـيْ (أخْـيَـلْ)
ويـردُّ الـيـومَ إلـى الـمـاضـي
ويـعـيـدُ الـمـاضـيَ مُـسـتـقـبلْ
ويـلُـمُّ الأزمـنـةَ الـشَّـتَّـى
لـحـظـاتٍ تـعـرفُ مـا تـجـهـلْ
تـتـشـهَّـى «تـنـوي» تـتـحـدَّى
تـسـتـأنـي «تَـعـدو» تـتـخـيَّـلْ
فـيُـعـفِّـرُ «ابـرهـةً» .. يُـذكـي
عـيـنـيْ (سـيـنـا) بـدمِ الـمُـحـتَـلْ
يـهـمـي فـوقَ (الـجـولانِ) لـظًـى
يـرمـي (بـالـشُّـمْـرِ) عـن الـمـنـهـلْ
يـمـحـو (سـايـجـونَ) بـإصـبـعـهِ
ويُـمـزِّقُ (خـيـبـرَ) بـالـمِـنـجـلْ
يـرمـي عـن صَـهْـوتِـهِ (كِـسـرى)
ويـقـاتـلُ فـي (حـيـفـا) أعـزلْ

يُدميهِ القصفُ ولا يَدمى
يُرديهِ القتلُ ولا يُقتَلْ
يَهفُو من حلقِ الموتِ إلى
أعتابِ الميلادِ الأحفَلْ

* * *

يَجتَثُّ الكونَ ليبدأهُ
أسْخى ويشكِّلَهُ أفضل
ويصوغَ العالمَ ثانيةً
أو يأمُرهُ أن يتحوَّلْ
مَرمِيٌّ يرحلُ من بُعدِ
كالهولِ إلى البُعدِ الأهْوَلْ
في كُلِّ متاهٍ يَستهدي
في كُلِّ حريقٍ يتغسَّلْ
يغزو المجهولَ بلا وعيٍ
ويَعي لا يدري ما يفعلْ
فيعودُ يُشكِّلُ ما ألغى
أو يمضي يمحو ما شَكَّلْ

ديسمبر ١٩٧٢م

⊛⊛⊛

كانوا رجالاً

مَنْ نحنُ يا «صرواحُ» يا «ميتمُ»؟
موتى... ولكن ندَّعي... نَزْعَمُ

ننجرُّ... لانمضي... ولا ننثني
لا نحنُ أيقاظٌ... ولا نُوَّمُ

نغفو بلا نومٍ ونَضحو بلا
صحوٍ... فلا نَرنو ولا نحلمُ

* * *

كم تضحكُ الدُّنيا وتبكي أسًى
ونحنُ لا نبكي ولا نبسمُ

فلمْ يعُدْ يُضحكُنا مُضحِكٌ
ولَمْ تَعُدْ آلامُنا تؤلِمُ

أضاعتِ الأفراحُ ألوانَها
وفي عروقِ الحُزنِ جفَّ الدَّمُ

ماذا..؟ أَلِفنا طعمَ أوجاعِنا
أوْ لَمْ نَعُدْ نشتَمُّ... أو نَطعمُ؟

أزِقَّةُ البترولِ تمتصُّنا
تبصُقُنا للرِّيح.. أو تَهضِمُ

والسيِّدُ المَحكومُ في دارِه
في دارنا المُستحكِمُ الأعظمُ

* * *

بلادُنَا كانت، وأبطالُنا
كانوا رجالاً قبل أن يَحكُموا
يقالُ: كانوا فُهماء الحِمى
واليومَ لا ينوونَ أنْ يَفهموا
ثاروا صباحَ القصفِ لكِنَّهم
يومَ انتصارِ الثَّورةِ استسلموا
وبعدَ عامٍ غيَّروا لونَهُمْ
وبعدَ أيَّامٍ نسوا مَن هُمُو
ياموطني... مَنْ ذا تُنادي هُنا؟
أسكُتْ... لماذا..؟ أنتَ لا تَعلَمُ
إنَّ الطويلَ العُمرِ لا يرتضي
حُبّاً يُنادي.. أو صدًى يُلهِمُ
ترونَ أنْ أنسى يمانيَّتي
كي يطمَئِنَّ الفاتحُ الأغشمْ
ألصَّمتُ أنجى... حسنٌ..! إنَّما
في نارِ صَمتي (يمنٌ) مُرغَمُ
هٰذي بلادي، وهنا إخوتي
أسكُتْ.. تأدَّبْ.. طافرٌ مُجرمٌ
لكن لماذا..؟إنَّ أهلي بَنَوْا
هُنا دياراً، وهُنا خيَّموا

في كُلِّ شبرٍ تنجلي ضحوةٌ
مِن خَطوِهِمْ.. أو يزدهي مَوسمُ

هٰذي الحَصى من بعضِ أشلائِهِمْ
من لحمِهِمْ هٰذي الرُّبى الجُثَّمْ

هذا الضُّحى من وهجِ أبصارِهِمْ
ومِنْ رواهُمْ هذهِ الأنجُمُ

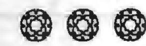
ما زلتُ أدري أنَّ ذا مَوطني
.. لِمْ لا أُناديهِ وعندي فَمُ؟

* * *

بعد الحنين

هــل تــغــفــريــنَ لــو أنّــنــي
أُبــدي الــذي حــاولــتُ أُخــفــي؟
ســأقــولُ شــيــئــاً تــافِــهــاً
يَــكــفــي الــذي قــد كــانَ يــكــفــي
مــا عــادَ يــسبقُــنــي الــحنــيــنُ إلــيــكِ
أوْ يــنــجَــرُّ خــلْــفــي
مــا كــانَ جــبَّــاراً هَــواكِ
وإنَّــمــا قــوَّاهُ ضَــعــفــي
والــيــومَ لا أبــكــي نَــواكِ..
ولا اقــترابــي مــنــكِ يــشــفــي

أغسطس ١٩٦٩م



ساعة نقاش
مع طالبة العنوان

ما جاء بين قوسين على لسان البطلة

ـ أهــلاً! . . أتُــريــديــنَ الــعــنــوانْ؟
مــهــلاً أرجــوكِ . . . لــمــاذا الآن؟

لا أدري الــسَّــاعــةَ . . . أيــنَ أنــا
أوْ مـا اسـمـي . . . أو مِـنْ أيِّ مـكَـانْ؟

فــي صَــدري تــبــكــي أطــيــارٌ
عطشى . . . في جُمجمتِي شيطانْ

* * *

«شــيــطــانٌ أُنــثــى أو ذَكــرٌ . . ؟
شـيـطـانُ (الأعـشـى) أو (حـسَّـانْ)؟»

ـ خــفْــقٌ نــاريٌّ يــعــزفُــنــي
وصــدًى كــأزاهــيــرِ الــرُّمَّــانْ

* * *

(هٰــذي أغــراضُ الــشِّــعــرِ كــمــا
جــرَّبْــتَ ولاداتُ الــوِجْــدانْ)

(تــغْــلــي كــربــيــعٍ مــخْــبُــوءٍ
يشْتـاقُ إلـى لـقْـيـا الـبُـسْـتـانْ)

* * *

(ألـطَّـقْـسُ رديءٌ ثـلـجـيٌّ
أحـيـانـاً... جـمـرِيٌّ أحـيـانْ)
(أخـبـارَ الـيـومِ نـفـوا، هـجـمـوا
كَـسَـروا إحـدى كَـتِـفَـيْ لُـبـنـانْ)

* * *

(ألـديْـكَ جـديـدٌ تُـنـشِـدُنـا؟
مـا زال جـنـيـنـاً... بَـلْ غَـثَـيـانْ
«غـداً الـمـولـودُ سـنـرقُـبُـهُ»
- تـدريـنَ مـواعـيـدَ الـفَـنَّـانْ

* * *

«مـا مـطـلـعُـهـا؟.. أقِـفـا نـأسـى
مـن ذِكـرى سـيـنـا والـجـولان»
كـلُّ الـوطَـنِ الـغـالـي (سـيـنـا)
وجـمـيـعُ مـدائِـنِـنـا (عـمَّـانْ)
«مـوشـي» مـا عـادَ هُـنـاكَ... هُـنـا
وهـنـا ألـفـا «مـوشـى ديَّـانْ»
مـن ذا يـقـتـادُ سَـفـائِـنـنـا؟
يـا ريـحُ... الـمـوجُ بـلا شُـطـآنْ
أتـعـيـدُ الـرِّيـحُ دَمَ الـقـتـلـى
وتَـشِـبُّ شـرايـيـنَ الـمـيـدانْ؟

* * *

أتـريـنَ مـقـابِـرَنـا يـومـاً
تـهـتـاجُ... فـتـقـذِفُـنَـا شُـجـعـانْ

نـهـمـي أمـطـاراً. . . أو نَـهـوي
أشـلاءً. . . أونـمـضـي فُـرسـانْ

«مـعـقـولٌ. . . مـا دُمـنـا نُـشـوى
أنْ يُـنـضِـجَـنـا الألـمُ الـحَـرّانْ»

«أسـخـى الـثـوراتِ جـنًـى وُلِـدَتْ
في الـمَـنـفـى أو خـلـفَ الـقُـضـبـانْ»

أنـسـيـتَ الـقَـهـوةَ: ـ فـلـتَـبـرُدْ
«بَـرَدَتْ جـدّاً سـئـمَ الـفـنـجـانْ»

* * *

«قـل لـي أقـرأت مـقـالاتـي»
ـ فـي أنـقـى سـاعـاتِ الإمـعـانْ

وقـصـائـدكَ الـحـلـواتُ ضُـحًـى
وغـروبٌ صـيـفـيٌّ الأجـفـانْ

ديـوانٌ يـبـدو. . . لا أحْـلـى
مِـنـهُ إلّا أُمُّ الـدِّيـوانْ

«شُـكـراً يـا. . . » وارتـبَـكَـتْ ورَنَـا
مِـنْ عـيـنـيْـهـا خُـبـثٌ فَـتَّـانْ

وتـراءَتْ كـامـرأةٍ أُخـرى
تـلـهُـو فـي داخِـلـهِـا امـرأتـانْ

فـتـنـاسَـتْ لـهـجـتَـهـا الأولـى
وتـنَـاغـتْ كـالـطِّـفـلِ الـجَـذلانْ

وتـنـاعَـسَـتِ الـنّـبـراتُ عـلـى
شـفـتـيْـهـا كـالـفـجـرِ الـنَّـعـسـانْ

* * *

«مـا بـدءُ قـصـيـدتِـكَ الـكُـبـرى؟»
وأضـاءَتْ ضِـحـكَـتُـهـا الـفُـسـتـانْ
ـ مـا زلـتُ أُفـتِّـشُ عـن صـوتـي
وفـمـي... فـي مُـعـتـركِ الألـحـانْ
وأُسـائِـلُ عـن وجـهـي عَـنِّـي
عـن يـومـي فـي تـيـهِ الأزمـانْ
عـن حـرفٍ حُـرٍّ الـوَجـه لَـهُ
نـفـسٌ غَـضْـبـى وفـمٌ غـضـبـانْ
«أَلـشِّـعـرُ الـيـومَ كـمـا تَـدري
ألـوانٌ.. لـيـسَ لَـهـا ألـوانْ»
«كُـلُّ الأنـفـاسِ بـلا عَـبَـقٍ
كـلُّ الأوتـارِ بـلا عِـيـدانْ»
«زمـنُ الـصَّـاروخِ قـصـائـدُهُ
عَـجْـلـى كـالـصَّـاروخِ الـعَـجـلانْ»
«ولِـمَـنْ تَـشْـدو.. والـقـصـفُ هُـنـا
وهُـنـا.. والـعـصـرُ بـلا آذانْ»
أيـديـهِ فـولاذٌ... فـمُـه
طـاحـونٌ... أرجُـلـهُ نـيـران
«يـرنُـو مـن خـلـفِ الـتِّـيـهِ كـمـا
تَـرنُـو الـحـيـطـانُ إلى الـحـيـطـانْ»

«أقـراصُ الـنّـومِ تـبـيـع لَـهُ
أهـدابـاً. . وهُـدوءاً يـقـظـانْ»

* * *

مـا أضـيَـعَـنـا يـا شـاعـرتـي
فـي عـصـرِ الـوزنِ بـلا مِـيـزانْ
فـي ظـلِّ الـغـزوِ بـلا غَـزوٍ
فـي عـهـدِ الـبـيـعِ بـلا أثـمـانْ
أمـوازنـةُ الـقُـوّاتِ سِـوى
تـجـمـيـلِ مـنـاقـيـرِ الـعِـدوان؟

* * *

«فـلـتـسـلَـمْ فـلـسـفـةُ الأيـدي
ولـتـسـقـطْ فـلـسـفـةُ الأذهـانْ»
«كـلُّ الأوراقِ بـمـا حَـمَـلَـتْ
تـشـتـاقُ إلـى ألـفـيْ طـوفـانْ»

* * *

ـ مـا أتـعـبـنـا. . يـا أخـتُ، ومـا
أقـوى وأمـرَّ عِـدى الإنـسـان!
«أدري إنّـا لـم نـتـغـيَّـر
مـهـمـا» عَـصْـرَنُوا[1] «لـون الـطُّـغـيـانْ»
أتـرى الـقُـرصـانَ وإن لَـبِـسـوا
أطـرى الأشـكـالِ. . . سِـوى الـقُـرصـانْ

(١) عصرنوا: جعلوه عصريا.

«تـدري . . مـا زِلـتَ لـمـولاتـي
نـعـلاً . . وأنـا نـعـلُ الـسّـلـطـانْ»
«قُـلْ : لـم نَـتُـركْ وثـنـاً لٰـكِـنْ . .
. . . فـي أنـفُـسِـنـا أصـلُ الأوثـانْ»
«مـا أضـعـفَـنـا شـيءٌ إلّا
مـا فـيـنـا مـن طـيـنِ الإذعـانْ»

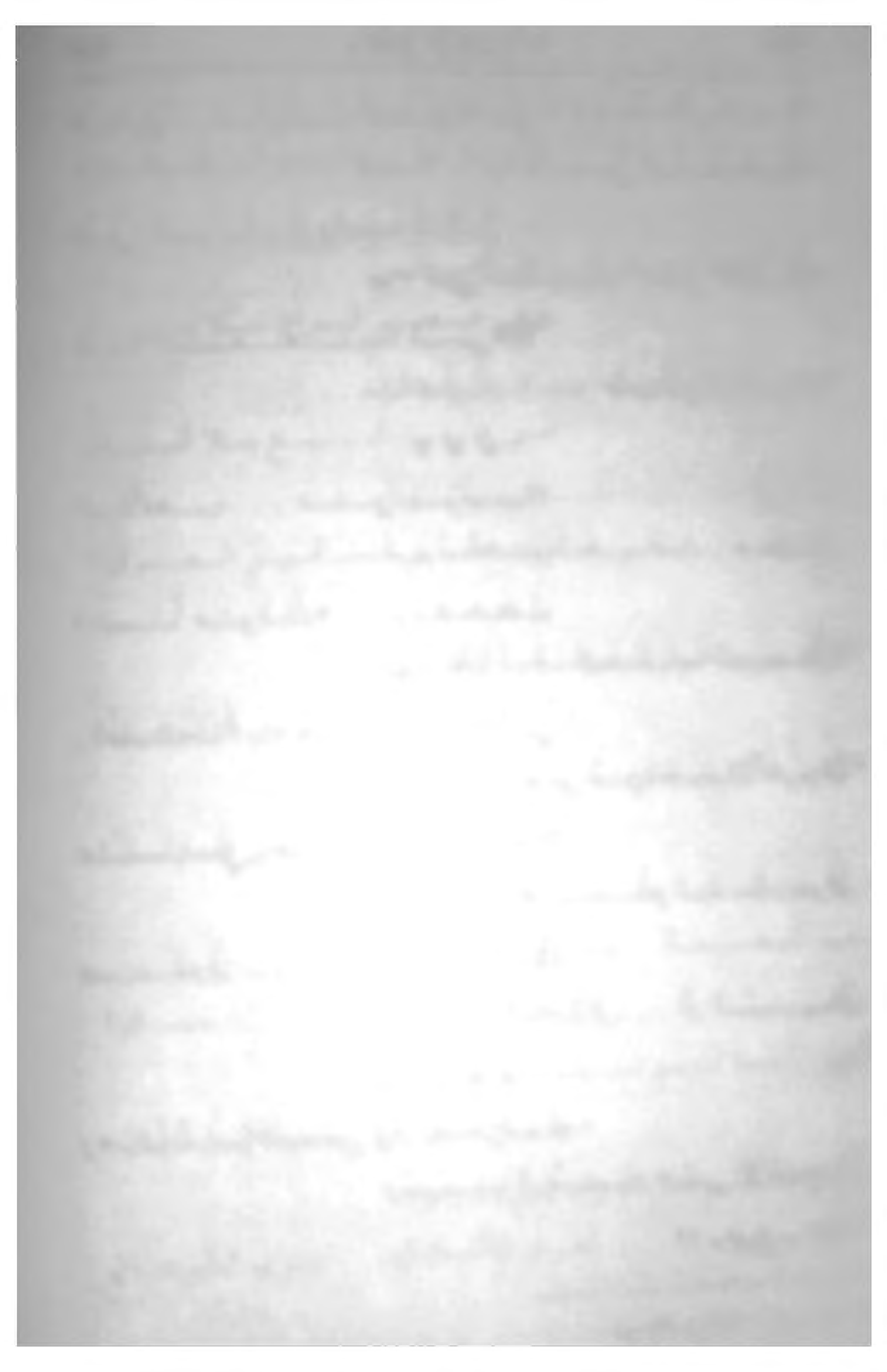
* * *

«فـلْأذهـب . . . عـفـواً طـوَّلْـنـا»
ـ لـم تَـذهـبْ لُـقـيـانـا . . مـجّـانْ
«حـسـنـاً عـنـوانَـكَ» . . . وابـتـسـمـتْ
عـيـنـاهـا . . . كـعـشـايـا (نـيـسـانْ)
ـ (صـنـعـا) يـا سـلـوى عـنـوانـي
بـيـتـي : فـي مُـزدَحَـمِ الأحـزانْ
عـمـلـي : عـزّافٌ مُـبـتـدِئٌ
يـبـكـي أو يَـشـدُو لـلـجُـدرانْ
صـنـدوقُ بـريـدِ . . . مـعـروفٌ
بـرمـيـلُ الـحَـرقِ . . . أو الـنّـسـيـانْ

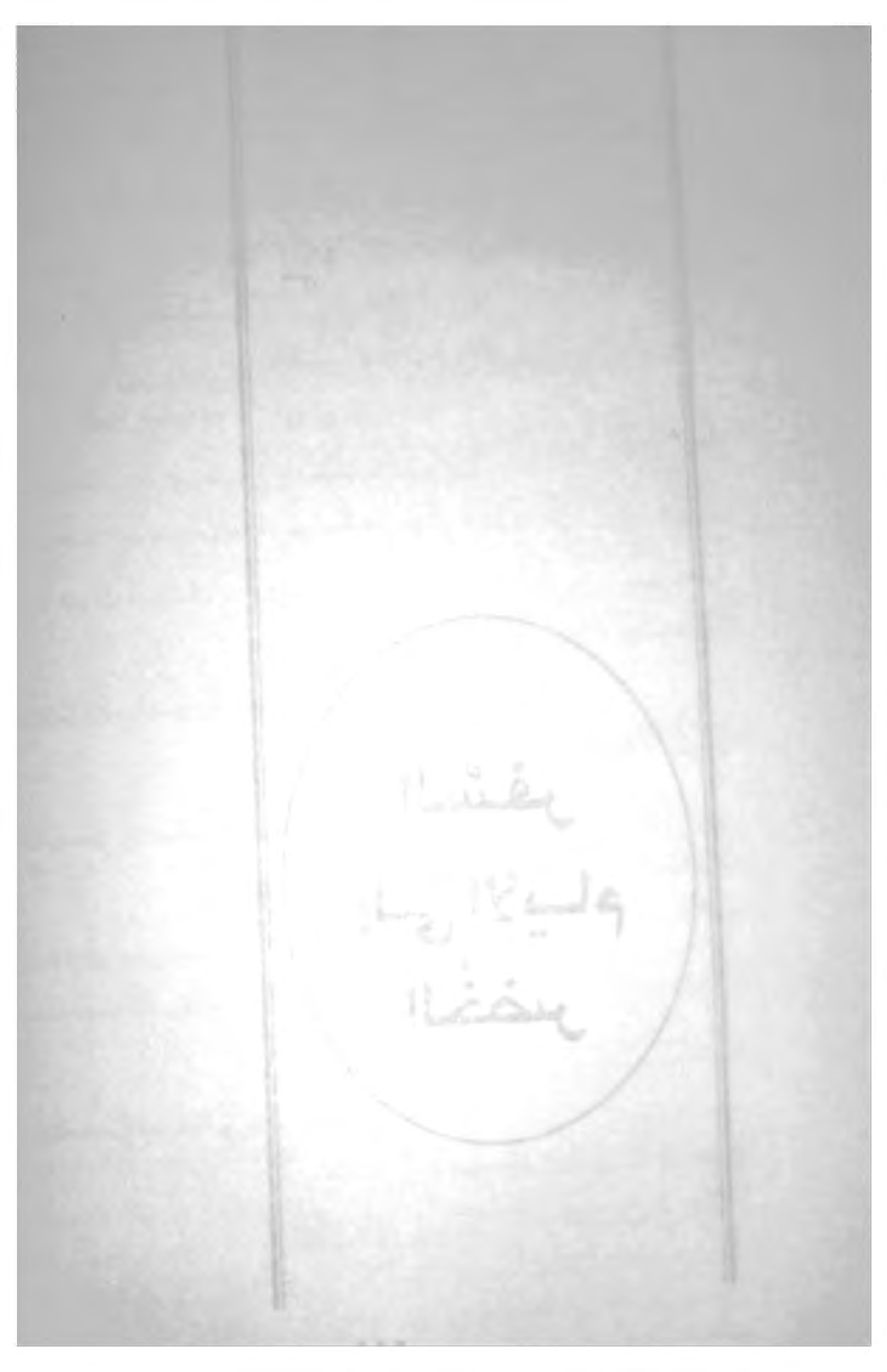
* * *

وهـدأتُ بـرغـمـي وانـصـرفَـتْ
ولَـبِـسـنـا الـصَّـمـتَ عـلـى الأشـجـانْ

١٢ ـ ابريل ـ ١٩٧٢




السَّفر
إلى الأيام
الخُضر



لها..

لتلكَ التي تَفنى وأخلقُ وجهَهَا
وأرفـعُ نَـهـدَيْـهـا وأُبـدِعُ فـاهـا
أذوبُ وأقـسـو كـي أذوبَ لـعـلَّـنـي
أُؤَجِّجُ مـن تـحـتِ الـثُّـلوجِ صِباهـا
وأنـسجُ لـلـحرف الـذي يـسـتـفزُّهـا
دمـي أعـيـنـاً جـمـريَّـةً وشِـفـاهـا

* * *

أذْكُـرُهـا مـرآتَـهـا، عـرقَ مـأربِ
وأنَّ لـهـا فـوق الـجـيـوبِ جِـبـاهـا
وأنَّ اسـمَـهـا بـنـتُ الـمُـلـوك وأنَّـهـا
تـبـيـعُ بـأسـواقِ الـرَّقـيـقِ أبـاهـا
وأنَّ لـهـا طـيـشَ الـفـتـاةِ وأنَّـهـا
عـجـوزٌ. . . لـعِـنِّـيـنٍ تـبـيـعُ هـواهَـا
أُغـنّـي لِـمَـنْ؟ . . لـلـحلـوةِ الـمُـرَّةِ الـتـي
أُبـرعـمُ مـن حُـزنِ الـرَّمـادِ شـذاهـا

لِـصـنـعَـا الـتـي تُـردي جـمـيـعَ مـلـوكِـهـا
وتـهـوى وتَـسـتـجـدي مـلـوكَ سِـواهـا

لِـصـنـعَـا الـتـي تـأتـي وتَـغـربُ فـجـأةً
لـتـأتـي ويـجـتـازُ الـغـروبَ ضُـحـاهـا

❁ ❁ ❁

طقوس الحرف

هُنَا، أُرَقِّمُ الصّدى
وأنمحي كالخَربَشَة
وكالصَّلاةِ أرتقي
وأرتمي كالدَّرْوشَة
أهمي نَدَى وأرتخي
كالتُّربةِ المُرَشَّشَة

* * *

سحابةٌ تزرعُني
تفاحةً ومِشْمِشَة
نعشاً تجرُّه الحَصى
إلى الوعودِ المُنْعِشَة

* * *

مقبرةٌ تُلبِسُني
عباءةً مُزركشَة
عِمامةً زيديَّةً
ولِحيَةً مُنتَفِشَة
عشيَّةٌ تَمُدُّني
للرِّيحِ بيداً مُوحِشَة

جـــنـــازةٌ هِــــنـــديَّـــةٌ
حـــمــامـــةٌ مُـــعَـــشْـشَـــهْ

* * *

عـــصـــفـــوَرةٌ تَـــحِـــمـــلُـــنـــي
صـــفـــيـــحـــةٌ مُـــنَـــقَّـــشَـــهْ
جـــزيـــرةٌ. . . شـــواطِـــئـــاً
ســـفـــيـــنـــةٌ مُـــرَقَّـــشَـــهْ

* * *

حـــقـــيـــبـــةٌ تـــطـــبُـــخـــنـــي
قـــضـــيَّـــةٌ مُـــشَـــوَّشَـــهْ
أمـــســـيـــةٌ كـــهـــفِـــيَّـــةٌ
صـــبـــيـــحـــةٌ مـــغـــبَّـــشـــهْ
بـــيـــتـــاً. كـــتـــابـــاً. شـــارعـــاً
مـــقـــهَـــى. حـــكـــايـــا مُـــدْهِـــشَـــهْ

* * *

ألـــوهَـــةٌ تـــعـــزِفُـــنـــي
وعـــداً غـــريـــبَ الـــوَشْـــوَشَـــهْ
دقـــائـــقـــاً وردِيَّـــةً
مـــواقِـــفـــاً مُـــرتَـــعِـــشَـــهْ

نوفمبر ١٩٧٣م

۞۞۞

لصٌ تحت الأمطار

ألـلّـيـلُ خَـريـفـيٌّ أزعَـن
يَهمي.. يَدوي.. يَرمي.. يَطعَنْ
يَـسـتَـلُّ حِـرابـاً مُـلـهِـبَـةً
يستلقي كالجبلِ المُثخَنْ
يـأتـي ويـعـودُ كـطـاحـونِ
أحـجـاراً وزُجـاجـاً يَـطـحَـنْ
يـعـدوُ كـالأدغـالِ الـغَـضْـبـى
يـسـترخي يَـفْـغَـرُ كـالـمـدفَـنْ
يَـعـرَى... يـتـزيَّـا... يـتـبـدَّى
أشكالاً... يبسمُ... يتغضَّنْ
فـي كُـلِّ جِـدارٍ يَـتَـلَـوَّى
وبُـكُـلِّ مَـمَـرٍّ... يـتـأسَّـن
وبـلا أسـمـاءٍ يَـتَـسَـمَّـى
وبـلا ألـوانٍ... يَـتَـلَـوَّنْ
ويَـشُـمُ بـأُذنـيـهِ، يَـرنـو
قـلـقـاً كـرقـيـبٍ يـتـكـهَّـنْ

* * *

مــن أيــنَ أمُــرُّ؟ هــنــا وَكْــرٌ
مــلــعــونٌ... رادتُــهُ ألــعَــنْ

وخــصــوصــيَّــاتٌ... واقــفــةٌ
تــهــذي كــالــمــذيــاعِ الألْــكَــنْ

وتُــقِــلُّ بــرامــيــلاً تَــســطُــو
تــحــتَ الأضــواءِ ولا تُــسْــجَــنْ

أخــشــابــاً جــدُّ مُــبَــرْوَزَةً
بــأســامــي نــاسٍ تــتــزيَّــنْ

* * *

وهــنــا شُــبَّــاكٌ يَــلــحَــظُــنــي
شــبــحٌ فــي وجــهــي يَــتَــمَــعَّــنْ

شــيءٌ... يــهــتــزُّ كــعــوسَــجَــةٍ
وعــلــى قَــدمَــيْــهِ... يَــتَــوَثَّــنْ

بــابٌ يَــسْــتَــجْــلــي... زاويَــةٌ
تُــصْــغــي... مُــنــعَــطــفٌ كــالــمَــكــمَــنْ

قــنــديــلٌ يَــســهُــو كــالــغــافــي
ويَــعــي كــغــبــيٍّ يَــتــفــطَّــنْ

كــبــريءٍ عــاصٍ يــتــلــقَّــى
إعــدامــاً عــن حُــكــمٍ مُــعــلَــنْ

* * *

مــا هــذا؟ جَــمْــعٌ مُــضْــطَــخِــبٌ
يَــعْــوي أو يــشْــدو... يَــتــفــنَّــنْ

حُـفَــرٌ تَـــنـْزتَـــجُّ روادِفُـــهـــا
حُـــزَمٌ مـــن قَـــشٍّ تَـــتَـــلَـــحَّـــنْ
طَـرَبٌ فـي ذا الـقـصـرِ الـعـالـي
أو عـرسٌ فـي هـذا الـمَـسْـكَـنْ

* * *

ولـــمـــاذا أحـــســـدُ مَـــنْ يَـــبْـــدو
فَـرِحـاً مـن عـيـشَـتِـهِ مُـمْـتَـنْ؟
لا... لَـسـتُ لـئـيـمـاً يـؤسِـفُـنـي
أن يَـهـنـا غـيـري فـي مـأمَـنْ
لٰـكِـنَّ مـسـرّاتِ الـهـانـي
تُـوحـي لـلـعـانـي أن يَـحـزَنْ

* * *

حَـسـنـاً، كـفَّ الـمـطـرُ الـهـامـي
وبـدأتُ كـدَرْبِـي أَتَـعـفَّـنْ
وأخـذتُ كـأُمـسـيـتـي أهـمـي
أتـرَمَّـدُ... أدمَـى... أتـعـجَّـنْ

* * *

أيـسـاراً يـا (صَـنـعـا) أمـضـي
أم أنـتـهـجُ الـدَّربَ الأيـمَـنْ؟
هَـلْ هـذا الأحـسـنُ أم هـذا؟
يـبـدو لا شـيءَ هُـنـا أحـسَـنْ

* * *

فَلْتُقْدِمْ يا (فرحانُ) بلا
خوفٍ.. ما جدوى أنْ تأمَنْ
أقدَمتُ... أظُنُّ بلا ظَنٍّ
وبدونِ يقينٍ أتيقَّنْ
ومَضيتُ، مَضيتُ.. وَصلتُ إلى
حيٍّ... كدخيلٍ يتيمَّن(١)
فهنا إقطاعيٌّ دَسِمٌ
وهنا إقطاعيٌّ أسمَنْ
هذا ما أعتى حارِسَهُ
بَلْ هذا حارسُهُ أخشَنْ
والدَّارُ الشَّامخةُ الأُخرى
تبدو أغنى... لِكنْ أحصَنْ
وهناكَ عجوزٌ وارثةٌ
تُعطي... لو عندي ما أرهَنْ
هَلْ أغْشى مَنزِلها؟ أغشى
فلعلَّ فوائِدَهُ أضمَنْ
لا، لا... فيهِ جُبنُ امرأةٍ
وأنا لو أخنُقُها أجبَنْ

* * *

ألبنكُ حراستُهُ أقوى
ويُقالُ ودائِعُهُ أثمَنْ

(١) يتيمن: يتزيا بزي أهل اليمن.

لـــو كـــانَ الأمـــرُ حِــراسَــتَــهُ
لـخَـسـبـتُ صـعـوبـتَـهُ أمـكَـنْ
أَلـــبَــنــكُ مــغــالـــقُــهُ أُخــرى
تــحـتــاجُ لـصـوصـاً مــن (لَـنْـدَنْ)
كـــلُّ الأمـــوالِ مُـــســلَّـــحــةٌ
بــفــنــونِ الإرهــابِ الــمُــتــقَــنْ
فـلأرجِــع . حــســنــاً . . . لا أدري
أرُجــوعــي . . . أم تــيــهــي أغــبَــنْ؟
ســيَــهِــلُّ غــدٌ . . . ولَــهُ طُــرُقٌ
أنــقــى . . . ومــتــاعِــبُــهُ أهَــونْ
وبــــدأتُ أُحِــسُّ بُــزوغَ فــتًــى
غــيــري، مــنِ مــزقــي يــتــكَــوَّنْ

سبتمبر ١٩٧٣م

❂❂❂

يـداهـا

مـثـلـمـا يـبـتـدِئُ الـبـيـتُ الـمُـقـفَّـى
رحـلـةً غـيـمـيَّـةً تـبـدو وتَـخـفـى

مـثـلـمـا يـلـمـسُ مـنـقـارُ الـسَّـنـى
سَـحَـراً أرعَـشَ عـيـنـيْـهِ وأغْـفـى

هـكـذا أخْـسُـو يـديـكِ إصـبـعـاً
إصـبـعـاً أطـمـعُ لـو جـاوَزْنَ ألـفـا

مـثـلَ عـنـقـوديـنِ أعـيـا الـمُـجـتـنـى
أيَّ حـبَّـاتِـهـمـا أحـلـى وأصـفـى

هـذه أمـلـى، وأطـرى أخـتُـهـا
تـلـكَ أشـهـى، هـذه لـلـقـلـبِ أشـفـى

هـذه أخـصـبُ نُـضـجـاً إنَّـنـي
ضِـعـتُ بـيـنَ الـعـشـرِ لا أمـلـكُ وَصْـفـا

* * *

حُـلـوةٌ تُـغـري بـأحـلـى، كـلُّـهـا
هـتـفـت: كُـلـنـي وصَـدَّتْ وهـي لَـهْـفـى

تـلـكَ أصـبـى، تـلـكَ أنـقـى إنَّـمـا
لـم أُفَـكِّـرْ أنَّ فـي الـبُـسـتـانِ أجـفـى

* * *

أنــتَ مــن أيــنَ؟ ـ كــنــبْــضــيْ وَتَــرِ
ودَنَــتْ شيـئـاً ـ أنـا مـن كُـلِّ مَـنـفـى

صـــمـــتَـــتْ بـــعـــدَ ســؤالٍ قَــرأتْ
مـن صَـداهُ. . . قِـصَّـتي حرفاً فـحـرفا

دمشق ـ أكتوبر ١٩٧٤م



أُغنيةٌ مِنْ خَشَبْ

لـمـاذا الـعـدوُّ الـقـصـيُّ اقـتـربْ؟
لأنَّ الـقـريـبَ الـحـبـيـبَ اغـتـربْ

لأنَّ الـفـراغَ اشـتـهـى الإِمـتـلاءَ
بـشـيءٍ فـجـاء سِـوى الـمُـرتَـقَـبْ

لأنَّ الـمـلـقِّـنَ والـلَّاعـبـيـن
ونـظَّـارةَ الـعـرضِ هُـمْ مَـنْ كَـتَـبْ

لـمـاذا اسـتـشـاطَ زحـامُ الـرَّمـادِ؟
تـذكَّـرَ أعـراقَـهُ فـاضـطـربْ

لأنَّ (أبـا لـهـبِ) لـم يَـمُـتْ
وكـلُّ الـذي مـاتَ ضـوءُ الـلَّـهَـبْ

فـقـامَ الـدُّخـانُ مـكـانَ الـضـيـاءِ
لـهُ ألـفُ رأسٍ وألـفـا ذَنَـبْ

لأنَّ الـرِّيـاحَ اشـتـرت أوجُـهـاً
رجـالـيَّـةً والـغـبـارُ انـتـحَـبْ

أضـاعـت (أزالٌ)[1] بـنـيـهـا غَـدَتْ
لـكُـلِّ دعـيٍّ كـأمٍّ وأب

---

(١) أزال: أحد أسامي صنعاء.

وأقْـعَـتْ، لـهـا قـلـبُ فـاشـيَّـةٍ
ووجـهٌ عـلـيـه سِـمـاتُ الـعـرب

* * *

فـهـل تِـلـكَ صَـنـعـا؟ يَـفِـرُّ اسـمُـهـا
أمـامَ الـتَّـحـري، ويـعـوي الـنَّـسَـبْ

وراءَ الـسِّـتـارِ الـظَّـفـاري عـيـونٌ
صـلـيـبـيَّـةٌ، وفَـمٌ مُـكـتَـسَـبْ

عـجـوزٌ تَـئِـنُّ بـعـصـرِ الـجـلـيـدِ
وتـلـبـسُ آخـر مـا يُـجـتـلَـبْ

* * *

لـمـاذا الـذي كـانَ مـا زالَ يـأتـي؟
لأنَّ الـذي سـوفَ يـأتـي ذَهَـبْ

لأنَّ الـوجـوهَ اسـتـحـالـت ظُـهـوراً
تـفـتِّـشُ عـن لـونِـهـا الـمُـغـتَـصَـبْ

لأنَّ الـمـغـنِّـي أحـبَّ كـثـيـراً
كـثـيـراً، ولـم يَـدرِ مـاذا أحَـبّْ

لـمـاذا تُـمـنِّـي الـظـروفُ الـحـنـينَ
فـتُـغـري وتـعـرضُ غـيـرَ الـطَّـلَـبْ؟

تـغِـلُّ الـعـواسـجُ فـي كُـلِّ آنِ
وفـي كُـلِّ عـامٍ يَـغِـلُّ الـعـنَـبْ

لـمـاذا، لـمـاذا ركـامٌ يـمُـرُّ
ركـامٌ يـلـي دون أدنـى سـبَـبْ؟!

ويَستَفِزُّ الغَضَبُ الحَمْحَمَاتِ
قليلاً، ويعتادُ يَعيا الغَضَبْ

ويُحصي الطريقُ... جدارٌ مَشَى
جدارٌ سيمشي، جدارٌ هَرَبْ

ولا شيءَ غيرُ جدارٍ يقومُ
بوجهي... وثانٍ يعدُّ الرُّكَبْ

وتحكي - أعاجيبَ مَنْ أدبَروا
وجاؤوا - شبابيكَ (بئرِ العَزَبْ)[1]

ولم يَمضِ شيءٌ يُسَمَّى غريباً
ولم يأتِ شيءٌ يُسَمَّى عَجَبْ

لأنَّ الصَّباح دُجَى، والدُّجى
ضُحَى، ليسَ يَدري لماذا غَرَبْ

فلا الصِّدقُ يبدو كصدقٍ ولا
أجادَ أكاذيبَهُ مَنْ كَذَبْ

* * *

لماذا؟! ويمحو السؤالُ السُّؤالَ
وينسى الجوابُ اسمَهُ واللَّقَبْ

ويُضني المُغَنِّي يديْهِ وفاهُ
وشيءٌ يُجَلمِدُ حِسَّ الطَّرَبْ

(١) بئر العزب: أحد الأحياء الراقية في صنعاء.

فـتـمـضـي الـقـوارِبُ مـقـلـوبـةً
وتـأتـي ويَـنـسـى الـمـحـيـطُ الـصَّـخَـبْ

ويـصـحـو الـغـرامُ يَـرى أنَّـهُ
عـلـى ظـهـرِ أغـنـيـةٍ مِـنْ خَـشَـبْ

فبراير ١٩٧٤م

❁❁❁

من بلادي عليها

قُلْ لـهـا... قَـبـلَ أن تَـعُـضَّ يـديـهـا
هَـلْ غـرامُ الـذِّئـابِ يـحـلـو لَـدَيْـهَـا؟
وهـي لـيـسـت شـاةً... ولـكـن لـمـاذا
تـتـوالـى هٰـذي الـهـدايـا إلـيـهـا؟
مُـقلـتـاهـا أظـمـا مـن الـرَّمـلِ... مـاذا
يَـرشُـفُ الـمُـرْتَـوونَ مِـنْ مُـقـلَـتـيْـهـا

* * *

عـشـقُ هـذا الـزَّمـانِ يَـخـلـعُ وجـهـاً
ويُـغـطـي وجـهـاً... ويُـبـدي وُجَـيْـهـا
إنَّـهـم عـاشـقـونَ... فـلْـيـخـدعـوهـا
لَـنْ يُـلاقـوا أعـزَّ مِـنْ جـانـبـيْـهـا
تـحـتـسـي مـنـهـمُ الـجُـنـيـهـاتِ لَـكِـنْ
لا تـرى عـشـقَـهُـمْ يُـسـاوي الـجُـنـيـهـا
تـمـتـطـي كـفُّـهـا الـهـدايـا... ولـكـن
كـلُّ مُـهـدٍ لا يـمـتـطـي مَـنْـكِـبَـيـهـا
فـهـي أشـقـى مـن عـاشِـقَـيـهـا وأقـوى
غـيـرَ أنّـي أخـافُ مِـنـهـا عـلـيـهـا

فبراير ١٩٧٤م



أحزان.. وإصرار

شوطُنا فوقَ احتمالِ الإحتمالْ
فوقَ.. الصَّبِر... لكن لا انخذالْ

نغتلي.. نبكي... على مَنْ سَقَطوا
إنَّما نمضي لإتمام المَجَالْ

دمُنا يَهمي على أوتارِنا
ونُغَنِّي للأماني بانفعالْ

مُرَّةٌ أحزانُنا... لكنَّها
- يا عذابَ الصَّبرِ - أحزانُ الرِّجالْ

نبلعُ الأحجارَ... ندمى إنَّما
نعزفُ الأشواقَ... نشدو للجَمالْ

ندفنُ الأحبابَ... نأسى إنَّما
نتحدَّى... نحتذي وجهَ المُحَالْ

مُذْ بدأنا الشَّوطَ.. جَوْهَرنا الحَصى
بالدَّمِ الغالي وفَرْدَسْنا الرِّمالْ

وإلى أينَ...؟ عَرفْنا المُبتدا
والمسافاتُ - كما ندري - طِوالْ

وكنيسانَ انطلقنا في الذُّرى
نسفحُ الطِّيبَ يميناً وشَمالْ

نبتني لليمنِ المنشودِ مِن
سُهدِنا جسراً وندعوهُ: تعال

* * *

وانزرعنَا تحت أمطارِ الفَنَاء
شجراً مِلءَ المَدى... أعيا الزَّوالْ
شجراً يَحضِنُ أعماقَ الثَّرى
ويُعيرُ الرِّيحَ أطرافَ الظِّلالْ
واتَّقدنا في حشا الأرضِ هوًى
وتحوَّلنا حقولاً.... وتِلالْ
مِشمِشاً.. بُنًّا.. ووروداً.. وندَى
وربيعاً... ومَصِيفاً وغِلالْ
نحنُ هٰذي الأرضُ.. فيها نلتظي
وهي فينا عنفوانٌ واقتتالْ
من روابي لحمِنا هٰذي الرُّبى
من رُبى أعظُمِنا هٰذي الجبالْ

* * *

ليسَ ذا بدءَ التَّلاقي بالرَّدى
قد عشقناهُ وأضناها وِصالْ
وانتقى مِنْ دَمِنَا عِمَّتَهُ
واتَّخذنا وجهَهُ النَّاري نِعالْ
نَعرِفُ الموتَ الذي يَعرِفُنا
مَسَّنا قتلاً... ودُسْناهُ قِتالْ

وتَـقـتَـحِـمُـنـا الـدَّواهـي صُـوَراً
أَكَـلَـتْ مِـنَّـا. . . أَكَـلْـنـاهـا نِـضـالْ
مـوتُ بـعـضِ الـشَّـعـبِ يُـحـيـي كـلَّـهُ
إنَّ بـعـضَ الـنَّـقـصِ روحُ الاكـتـمـالْ

* * *

هٰـهُـنـا بـعـضُ الـنُّـجـومِ انـطـفـأتْ
كـي تـزيـدَ الأنـجـمُ الأُخـرى اشـتـعـالْ
تـفـقـدُ الأشـجـارُ مـن أغـصـانِـهـا
ثُـمَّ تـزداد اخـضـراراً واخـضـلالْ
إنَّـمـا. . يـامـوتُ. . هـل تـدري مـتـى
تـرتـخـي فـوقَ سـريـرٍ مـن مَـلالْ؟
فـي حـنـايـانـا سـؤالٌ. . . مـالَـهُ
من مُجيبٍ. . . وهو يَغلي في اتِّصالْ
ولـمـاذا يـنـطـفـي أحـبـابُـنـا
قـبـلَ أن يـسـتـنـفـدَ الـزَّيـتَ الـذُّبـالْ؟
ثُـمَّ نـنـسـى الـحُـزنَ بـالـحُـزنِ ومَـنْ
يـا ضـيـاعَ الـرَّدِّ ـ يُـنـسـيـنـا الـسُّـؤالْ. . ؟

مايو ١٩٧٣م

❁❁❁

مسافرة بلا مُهِمَّة

يا رؤى اللَّيل... يا عيونَ الظَّهيرهْ
هل رأيتُنَّ موَطني والعشيرهْ؟
هل رأيتُنَّ يحصُباً أو عَسيراً؟
كان عندي هناكَ أهلٌ وجِيرَهْ
ودوالٍ تشقرُ فيها اللَّيالي
ويمدُّ الضُّحى عليها سريرَهْ
ورَوابٍ عيونُهُنَّ شموسٌ
وعليهنَّ كُلُّ نجمٍ ضَفيرَهْ
وسفوحٌ تَهمي ثُغاءً وحبّاً
وحقولٌ تَروي نبوغَ الحَظيرَهْ
وبيوتٌ ينسى الضُّيوفُ لديها
قلقَ الدَّارِ... وانتظارَ المُديرَهْ
يا رؤى، يا نجومُ.. أين بلادي؟
لي بلادٌ كانت بشبهِ الجزيرَهْ
أخبرَوا أنَّها تَجلَّت عروساً
وامتَطَتْ هُدهداً، وطارت أسيرَهْ
وإلى أينَ يا نجومُ..؟ فتومي
ما عرفنا ـ يا أختُ ـ بدءَ المسيرَهْ

مَنْ أنا يا مدى. . ؟ وأُنكرُ صوتي
ويَعبُّ السُّفارُ وجهَ السَّفيرَهْ

مَنْ أشاروا عليَّ كانوا غباءً
ليتَهُمْ موضعي وكنتِ المُشيرَهْ

كيفَ أختارُ. . كيفَ؟ ليسَ أمامي
غيرُ دربٍ، فليسَ في الأمرِ خيرَهْ

رحلَتْ مثلما يَحُثُّ سُراه
موكبُ الرِّيح في اللَّيالي المَطيرَهْ

وارتدى(الفارُ) ناهدَيْها وأنسَت
هجرةُ المُنحنى خُطاها الأخيرَهْ

ورَوَوْا: أشأمَتْ على غيرِ قَصدٍ
ثُمَّ أمسَتْ على (دمشقَ) أميرَهْ

قلعَتْني - يا شامُ - ريحٌ. . وريحٌ
زرعَتْني هُنا. . كُروماً عصيرَهْ

وبرغمي نزلْتُ غيرَ مكاني
مثلما تلتقي العظامُ النَّثيرَهْ

وبلا موسمٍ تَنامَتْ وحَيَّتْ
بالرياحينِ والكؤوسِ النَّضيرَهْ

(وسقتْ من أتى البريصَ إليها
بردى. . خمرةً. . ونُعمى وفيرَهْ)

وعَلَتْ جبهةُ (الخورنَقِ) تاجاً
يا(سِنِمّارُ) أيُّ عُقبى مُثيرَهْ؟!

وهَمَتْ كالنُّجومِ سَعداً ونحساً
وعطايا وحشيَّةً ومُجيرَهْ

(أنتِ كالنَّيلِ مُدركي من أمامي
وورائي.. كلُّ النَّواحي ضريرَهْ)

* * *

وحكَوْا: أنَّها ثيابُ سواها
جمَّلَتْها... وأنَّها مُستعيرَهْ

فرأوْها وصيفةً عندَ (روما)
ورأوْها في بابِ (كِسرى) خفيرَهْ

وبعيراً لبنتِ (باذانَ) حيناً
وأواناً.. تحتَ (النَّجاشي) بعيرَهْ

عندما أحرقَتْ (بنجرانَ)غَزواً
كان ينوي.. صارت رمادَ الجزيرَهْ

أطفأت بالثقاب مدَّ جحيم
أتراها ملومةً أم عذيره..؟

فتهاوَتْ حصًى وطارتْ عُيوناً
هربَتْ من وجوهِها مُستجيرَهْ

وإلى أينَ ثانياً يا منافي
والإجاباتُ كالسُّؤال مريرَهْ؟

* * *

نزلَتْ (يثرباً) هشيماً فكانتْ
بالعناقيد والرَّفيفِ بشيرَهْ

فتناغى النّخيلُ من أينَ جاءتْ
هذه الكَرمةُ العجوزُ النّكيرَهْ؟
جئتُ يا عمُّ من جذوري أرجّي
تربةً من رمادِ حُزني قريرَهْ

* * *

وتجلّتْ في ذلكَ القفرِ دُوراً
وقطوفاً تومي بأيدٍ مُنيرَهْ
ونخيلاً من السُّيوفِ المَواضي
وسيوفاً من القوافي الجَهيرَهْ
وارتمت في (حُرى) طريقاً وكهفاً
ثم أَضحَتْ مَنذورةً ونذيرَهْ
ومصَلّى، وخندقاً، وحصوناً
ونبيّاً، وسورةً مُستطيرَهْ

* * *

وليالٍ مَضَتْ وجاءت ليالٍ
وانقضَتْ عِسرةٌ وجاءتْ عسيرَهْ
فانتضَتْ في يِد (السَّقيفةِ) (سعداً)
أكبرُ القومِ... للأمورِ الكبيره

* * *

يا قريشُ اذكري نَمَتْنا جميعاً
صُحبةٌ سَمحةٌ وقُربى أثيرَهْ
فلكَ السّبقُ والجبينُ المُحلّى
وأنا الجبهةُ الشّموخُ النّصيرَهْ

أنــتِ أمَّــارةٌ. . . أنــا ـ ثُــمَّ قــالــوا:
سَــكَــتَــتْ قــبــلَ أن تــقــولَ ـ وزيــرَهْ

* * *

دهــشــةُ الــبــدءِ ضــيَّــعَــتْ مــن خُــطــاهــا
أوَّلَ الــدَّربِ وهــي حــيْــرى حــســيــرَهْ
وجــهُــهــا غــاصَ فــي غُــبــارِ الــمــرايــا
واسـمُـهـا ضـاعَ فـي الأمـاسـي الـغـفـيـرَهْ
أيــنَ (ســعــدٌ) قــالــوا: رمــاهُ عــشــاءً
مــاردٌ مــن (قُــبــا) يُــســمــى (بــجــيــرَهْ)
وحــكَــوْا: أنَّــهــا اســتــعــارت وجــوهــاً
خبَّأتْ تـحـتَـهـا الـوجـوهَ الـكـسـيـرَهْ

* * *

وإلــى أيــنَ ثــالــثــاً. . .؟ هــل لــسَــيْــري
وانــثــنــائــي مــهــمَّــةٌ بــي جــديــرَهْ؟
أصــبــحَ الــصَّــارمُ الــيــمــانــي بــكَــفِّــي
(مِــرْوداً) فــي يــديْ فــتــاةٍ غــريــرَهْ
وطَــغَــتْ رِدَّةٌ فــعــادتْ نــبــيّــاً
ونــخــيــلاً مــن الــسُّــيــوفِ الــشَّــهــيــرَهْ

* * *

وإلــى أيــنَ رابــعــاً. .؟ لــقــتــالٍ
جَــنَّــحــتْ خــيــلُــهُ وشَــبَّــتْ نــفــيــرَهْ
مَــنْ رآنــي خُــضْــتُ الــفــتــوحــاتِ لــكِــنْ
عُــدْتُ مِــنــهــا إحــدى الــسَّــبــايــا الــطَّــريــرَهْ

* * *

وإلـى أيـنَ خـامِـسـاً. . . يـا قـوافـي؟
هـاجرَ الـحـبُّ والـرَّوابـي الـخَـضـيـرَهْ
فـأتَـتْ ثـانـيـاً(دمـشـقُ) غـرامـاً
قـمـريَّ الـجـبـيـنِ، بـاكـي الـسـريـرَهْ

* * *

قـصـرُ (أُمِّ الـبـنـيـنَ) هـذا، عـلـيـه
- حـسـبـمـا أخـبـرَتْ - سِـمـاتٌ كـثـيـرهْ
جـرَّبَـتْ أعـسـرَ الـفـتـوحِ خـيـولـي
فـلأُجـرِّبْ هـذي الـفـتـوحَ الـيَـسـيـرَهْ
لـم أجـدْ (روضـةً)، فـأدركـتُ أزهـى،
لـعـبـةٍ، حـلـوة. . . ولـكـن خـطـيـرَهْ
وعـلـى مـوعـدٍ رقَـتْ فـي ثـوانٍ
كـتِـفَ الـقـصـرِ بـالـهـوى مُـسـتـنـيـرَهْ
فِـتَـنٌ فـوقَ مـا يـظـنُّ الـتـمـنِّـي،
غـرفـةٌ فـوقَ وصـفِـهـا بـالـوثـيـرَهْ
لـحـظـةً والـتـوى الـسـريـرُ ضـريـحـاً
خـشـبـيّـاً يـمـوتُ. . . يـطـوي زفـيـرَهْ
إيـهِ (وضَّـاحُ) دونـكَ الـبـئـرَ فـانـزِلْ
قـطـعـةً دونَ وصـفِـهـا بـالـحـقـيـرَهْ
ولَـهَـتْ (ديـدَمُـونـةٌ) فـي عُـلاهـا
(وعـطـيـلُ) الـهـوى صـريـعُ الـحـفـيـرَهْ

هــكــذا أخــبــرُوا... لأنَّ بــلادي
خــنــجــرُ الآخــريــنَ وهــي الــعَــقــيرَة

* * *

مـا الـذي جـدَّ؟ أعـولَ الـثَّـأرُ حـتَّـى
لـيـسَ يـدري قـبـيـلَـهُ ودبـيـرَهْ

فـارتـقـى(هـاشـمٌ) و(مـروانُ) ولَّـى
وهـي مـلـغـيَّـةُ الـحـسـابِ... هـجـيرَهْ

مَنْ أنـا..؟ وانـجـلَـتْ لـهـا مـن بـعـيدٍ
لـوزُ (هـمـدانَ) كـالـنُّـجـومِ الـصَّـغـيـرَهْ

ذكـرَتْ أن مـوطـنـاً كـان فـيـهـا
نـسـيَـتْ بِـدأهُ... وتـنـسـى مـصـيـرَهْ

فـانـثَـنَـتْ (هـاديـاً) وقـالـت تُـرابـي
ـ يـا كـنـوزَ الـرَّشـيـدِ ـ أغـلـى ذخـيـرَهْ

* * *

حِـقـبـةٌ... والـتَـوتْ رُبـى مـن أفـاعٍ
غـادراتٍ وهـي الـضَّـحـايـا الـغـديـرِهْ

توَّجَتْ... أسقطَتْ على غيرِ هَذي
وانـتـقَـتْ دون رؤيـةٍ أو بَـصـيـرَهْ

فـانـتـهَـتْ فـاطـمـيَّـةً وهـي (أروى)
ظـاهِـراً... خـلـفَـهُ سِـجـلٌّ وسـيـرَهْ

وتـسـمَّـتْ (بـالـقـرمـطـيِّ) ولـكـن
أنـقـصَـتْـهـا الـمـمـارسـاتُ الـقـديـرَهْ

فـنـفَـت وادَّعَـتْ. . . كـمـا شـاء داع
لبِستْ وجهَهَا. . . وأخفَتْ ضميرَهْ
وأسـرَّتْ قـدسـاً وأبـدَتْ شِـعـاراً
خلفَهُ ـ لو علِمت ـ ألفُ شَعيرَهْ
واستحرَّت خلفَ (النجاحي) وأدمى
فـي رُبـاهـا خـيـولَـهُ وحـمـيـرَهْ

* * *

ثُـمَّ صـارَتْ (مـهـديَّـةً) (ورسـولاً)
نـزلَـتْ واديـاً أضـاعَـتْ شـفـيـرَهْ
فـأقـامـت فـي كُـلِّ صـقـعٍ إمـامـاً
هـيَّـأَتْ نـعـشَـهُ وحـاكَـتْ حـريـرَهْ
وتـسـاقَـتْ دمـاً وشـوقـاً إلـيـهِ
وهـي أظـمـا إلـى الـمـياهِ الـنَّـمـيـرَهْ

* * *

من أتى. . ؟ عاصفٌ من التُّركِ طاغٍ
فـلأمـزِّقْ حـلـوقَـهُ وهـديـرَهْ
إنَّـهُ يـقـذفُ الـسَّـعـيـرَ الـمُـدوِّي
فـلأردُدْ إلـى حـشـاهُ سـعـيـرَهْ
وأعـدَّت لَـهُ الـقـبـورَ إلـى أنْ
دَفَـنَـتْ عـهْـدهُ أجَـدَّتْ نـظـيـرَهْ

* * *

وتـراخـى عـهـدٌ عـثـيـرُ الـلّـيـالـي
وارتَـخَـتْ تـحـتَ رُكـبـتـيْـهِ عـثـيـرَهْ

وبــلا يــقــظــةٍ أفــاقَــتْ ومــدَّتْ
(حـزْيَـزاً) شُـعـلـةً إلى (ضـبـر خيـرَهْ)

* * *

وهـنـاكَ انـطـفَـتْ وأطـفَـتْ وقـالـوا:
خـبـزَتْ لـلـخُـلـودِ أشـهـى فـطـيـرَهْ

وحَـكَـوْا: أنَّـهـا أرادت... ولـكـن
جـيـدُهـا الـمُـنـحـني قـد اعـتـادَ نِـيـرَهْ

وطـوَتْ أربـعـاً وعـشـراً، مُـنـاهـا
مُـسـرعـاتٌ لـكـن خُـطـاهـا قـصـيـرَهْ

* * *

رُبَّـمـا تـخـدعُ الـبـروقُ عـيـونـي
رُبَّـمـا تـحـتَـهـا غـيـوثٌ غـزيـرَهْ

أيَّ شـيءٍ أريـدُ؟ مـا عـدتُ أغْـفـو
أقـلـقَ الـعـصـرُ مـرقـدي وشـخـيـرَهْ

* * *

هـنـا أنـهـتِ الإمـامـاتُ، هَـبَّـتْ
مِـنْ أسـاهـا تـقـودُ أبـهـى مـسـيـرَه

هَـلْ (أيـلـول) مـولـداً وربـيـعـاً
لـم تَـزَلْ تـحـمـلُ الـفـصـولُ عـبـيـرَهْ

وقـلاعـاً تـثـني الـمـغـيـريـن صَـرعـى
وتـلالاً مـدجَّـجـاتٍ مُـغـيـرَهْ

* * *

ثُـمَّ مـاذا؟ أَسـمَـتْ (سـعـيـداً) (نـبـيـلاً)
ودعَـتْ (شُـعـلَـةً) (هـدى) أو(سـمـيـرَهْ)
غـيَّـرتْ شَـعـرَ جـلـدِهـا وهـي لـمَّـا
تـتـغـيَّـرْ ولَـمْ تُـغـيِّـرْ وتـيـرَهْ
فـترةً واجـتـلَـتْ قِـنـاعـاً يُـحـلِّـي
جـبـهـاتٍ إلـى الـقَـفـا مُـسـتـديـرَهْ
أصـبـحَـتْ أطـوعَ الـمـطـايـا ولـكِـن
بـالـتـواءِ الـدُّروبِ لـيـسـتْ خـبـيـرَهْ

* * *

فـلأُسـافـرْ كـعـادتـي. كـلُّ قـفـرٍ
ذبْـتُ فـي نـبـتِـهِ سـكـنْـتُ صـفـيـرَهْ
ورمـادي خـلـفـي يـعـدُّ رجـوعـي
يـعـجـنُ الـرِّيـحَ بـاحـثـاً عـن خـمـيـرَهْ

* * *

رحـلَ الـنَّـبـعُ مـن جـذوري فـهـيَّـا
يـا هـشـيـمَ الـغُـصـونِ نَـتْـبَـعْ خـريـرَهْ
وإلـى أيـن - يا منافي... أخيراً...؟
وتـشـظَّـتْ فـي كُـلِّ مَـنـفـى أجـيـرَهْ
هــكــذا مــا جــرى لأنَّ بــلادي
ثـروةُ الآخـريـنَ، وهـي الـفـقـيـرَهْ

يوليو ١٩٧٣ م

❁ ❁ ❁

الغزو من الداخل

نُشرت هذه القصيدة في أكثر من جريدة ومجلة ومنشور، وكانت مليئة بالأغلاط نتيجة اختلاف الخط النسخي والاستعجال، وهي الآن في صيغتها الصحيحة باستثناء زيادة أربعة أبيات في كل مقطع.

فـظـيـعٌ جـهـلُ مـا يـجـري
وأفـظـعُ مِـنـهُ أنْ تَـدري

وهـل تـدريـنَ يـا صـنـعـا
مَـنِ الـمُـسـتـعـمـرُ الـسِّرِّي

غُـزاةٌ لا أُشـاهِـدُهـمْ
وسـيـفُ الـغـزِو فـي صـدري

فـقـد يـأتـونَ تـبـغـاً فـي
سـجـائـرَ لـونُـهـا يُـغـري

وفـي صـدقـاتِ وحـشـيٍّ
يُـؤنـسِـنُ وجـهَـهُ الـصَّـخري

وفـي أهـدابِ أُنـثـى، فـي
مـناديـلِ الـهـوى الـقَـهْـري

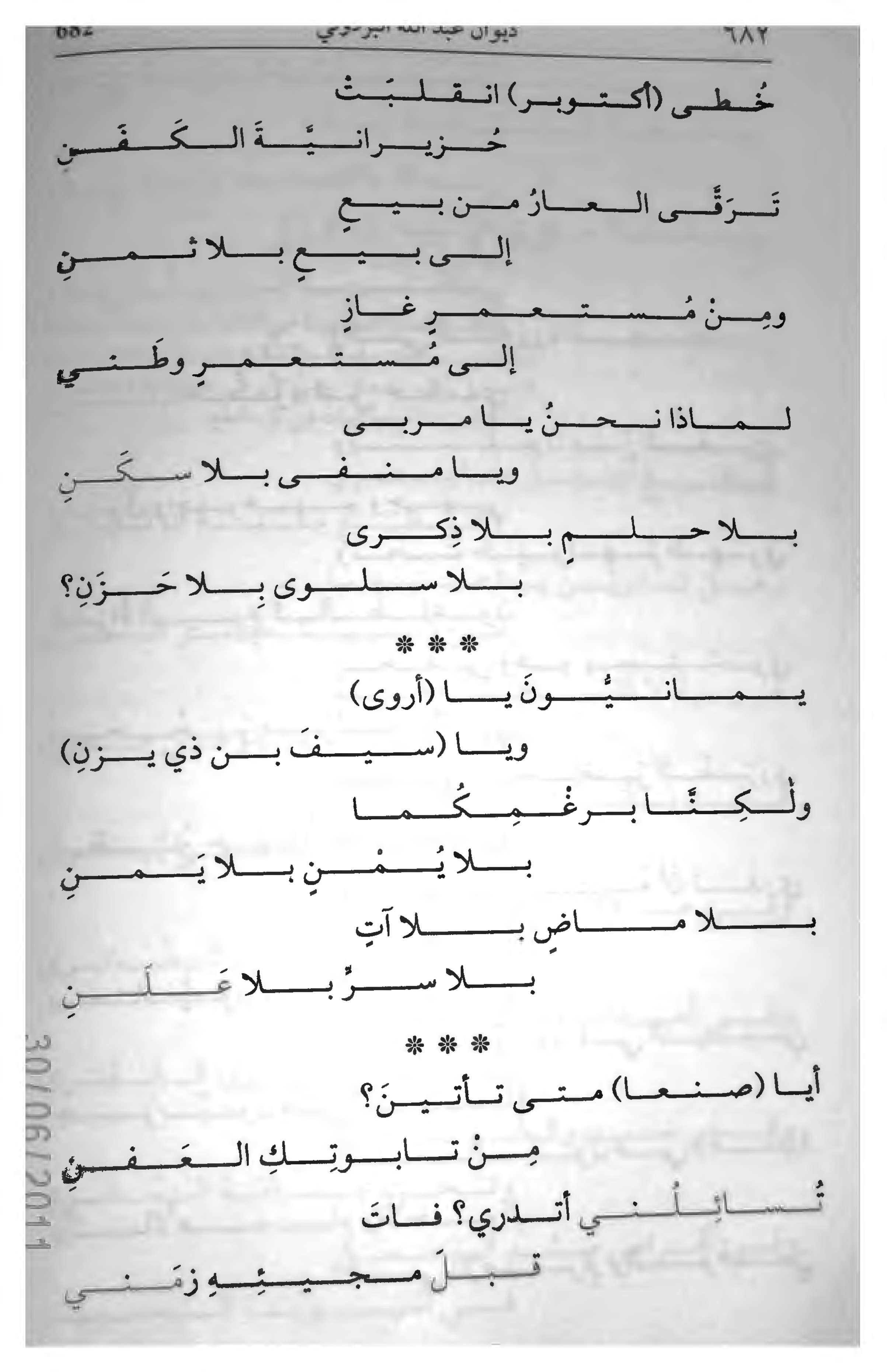
وفـي سـروالِ أُسـتـاذٍ
وتـحـتَ عِـمـامَـة الـمُـقـري

وفـي أقـراصِ مَـنْـعِ الـحَـمْـلِ
فـي أنـبـوبَـةِ الـحِـبـرِ

وفـــي حُـــريّـــةِ الـــغـــثَـــيـــانِ
فـــي عَـــبَـــثِـــيَّـــةِ الـــعُـــمْـــرِ
وفـــي عَـــوْدِ احـــتـــلالِ الأمـــسِ
فـــي تـــشـــكـــيـــلِـــهِ الـــعَـــصْـــري
وفـــي قـــنِّـــيـــنـــةِ الـــويـــســـكـــي
وفـــي قـــارورةِ الـــعِـــطْـــرِ
ويـــســـتَـــخْـــفُـــونَ فـــي جـــلـــدي
ويـــنـــســـلُّـــونَ مِـــنْ شـــعـــري
وفـــوقَ وجـــوهِـــهِـــم وجـــهـــي
وتـــحـــتَ خـــيـــولِـــهِـــمْ ظـــهـــري
غُـــزاةُ الـــيـــومِ كـــالـــطَّـــاعـــونِ
يـــخـــفـــى وهـــو يـــســـتـــشـــري
يُـــحَـــجِّـــرُ مـــولـــدَ الآتـــي
يُـــوَشِّـــي الـــحـــاضـــرَ الـــمُـــزري
فـــظـــيـــعٌ جـــهـــلُ مـــا يـــجـــري
وأفـــظَـــعُ مِـــنـــهُ أنْ تـــدري

* * *

يـــمـــانـــيُّـــونَ فـــي الـــمَـــنـــفـــى
ومَـــنـــفـــيُّـــونَ فـــي الـــيـــمَـــنِ
جـــنـــوبـــيُّـــونَ فـــي (صَـــنـــعـــا)
شـــمـــالـــيُّـــونَ فـــي (عَـــدَنِ)
وكـــالأعـــمـــامِ والأخْـــوالِ
فـــي الإصـــرارِ والـــوَهْـــنِ



خُطى (أكتوبر) انقلبَتْ
حُزيرانيَّةَ الكَفَنِ

تَرَقَّى العارُ من بيعٍ
إلى بيعٍ بلا ثمنِ

ومِنْ مُستعمِرٍ غازٍ
إلى مُستعمِرٍ وطَني

لماذا نحنُ يا مربى
ويا منفى بلا سَكَنِ

بلا حلمٍ بلا ذِكرى
بلا سلوى بِلا حَزَنِ؟

* * *

يمانيُّونَ يا (أروى)
ويا (سيفَ بن ذي يزنِ)

ولٰكِنَّا برغمِكُما
بلا يُمْنٍ بلا يَمنِ

بلا ماضٍ بلا آتٍ
بلا سرٍّ بلا عَلَنِ

* * *

أيا (صنعا) متى تأتينَ؟
مِنْ تابوتِكِ العَفِنِ

تُسائِلُني أتدري؟ فاتَ
قبلَ مجيئِهِ زَمَني

مــــتـــــى آتـــــي ألا تَـــدري
إلــى أيــنَ انــشــنَــتْ سُــفُــنــي
لـــقـــد عـــادَتْ مـــن الآتـــي
إلــى تــاريــخِــهــا الــوثــنــي
فــظــيــعٌ جــهــلُ مــا يــجــري
وأفـــظـــعُ مــنــهُ أنْ تـــدري

* * *

شــعــاري الــيــومَ يــا مــولاي
نــحــنُ نــبــاتُ إخــصــابِــكْ
لأنَّ غِـــنـــاكَ أركَـــعَـــنـــا
عـــلـــى أقـــدامِ أحـــبـــابِـــكْ
فـــألَّـــهْـــنَـــاكَ قُـــلـــنـــا: الـــشَّـــمـــسُ
مـــن أقـــبـــاس أحـــســـابِـــكْ
فـــنَـــمْ يـــا (بـــابـــكُ الـــخُـــرْمـــي)
عـــلـــى (بـــلـــقـــيـــسَ) يـــا (بـــابـــكْ)
ذوائـــبُـــهـــا ســـريـــرُ هـــواكَ
بـــعـــضُ ذيـــولِ أربـــابِـــكْ
وبـــســـمِ الـــلـــهِ ـ جـــلَّ الـــلَّـــهُ ـ
نـــحـــســـو كـــأسَ أنـــخـــابِـــكْ

* * *

أمـــيـــرَ الـــنّـــفـــطِ نـــحـــنُ يـــداكَ
نـــحـــنُ أحـــدُّ أنـــيـــابـــكْ

ونــحــنُ الــقــادةُ الــعَــطــشــى
إلــى فــضــلاتِ أكــوابِــكْ

ومــســؤولــونَ فــي (صَــنــعــا)
وفــرَّاشــون فــي بــابِــكْ

ومــن دَمِــنــا عــلــى دَمِــنــا
تَــمَــوْقِــعُ جــيــشِ إرهــابِــكْ

لــقــد جِــئْــنــا نــجــرُّ الــشَّــغْــبَ
فــي أعــتــابِ أعــتــابِــكْ

ونــأتــي كُــلَّــمــا تــهــوى
نُــمَــسِّــحُ نــعــلَ حُــجَّــابِــكْ

ونــســتــجــديــكَ ألــقــابــاً
نُــتــوِّجُــهــا بــألــقــابِــكْ

فــمُــرْنــا كــيــفــمــا شــاءتْ
نــوايــا لــيــلِ ســردابِــكْ

نــعــم يــا ســيِّــد الأذنــابِ
إنَّــا خَــيــرُ أذنــابِــكْ

فــظــيــعٌ جــهــلُ مــا يــجــري
وأفــظَــعُ مِــنــهُ أن تــدري

نوفمبر ١٩٧٣م

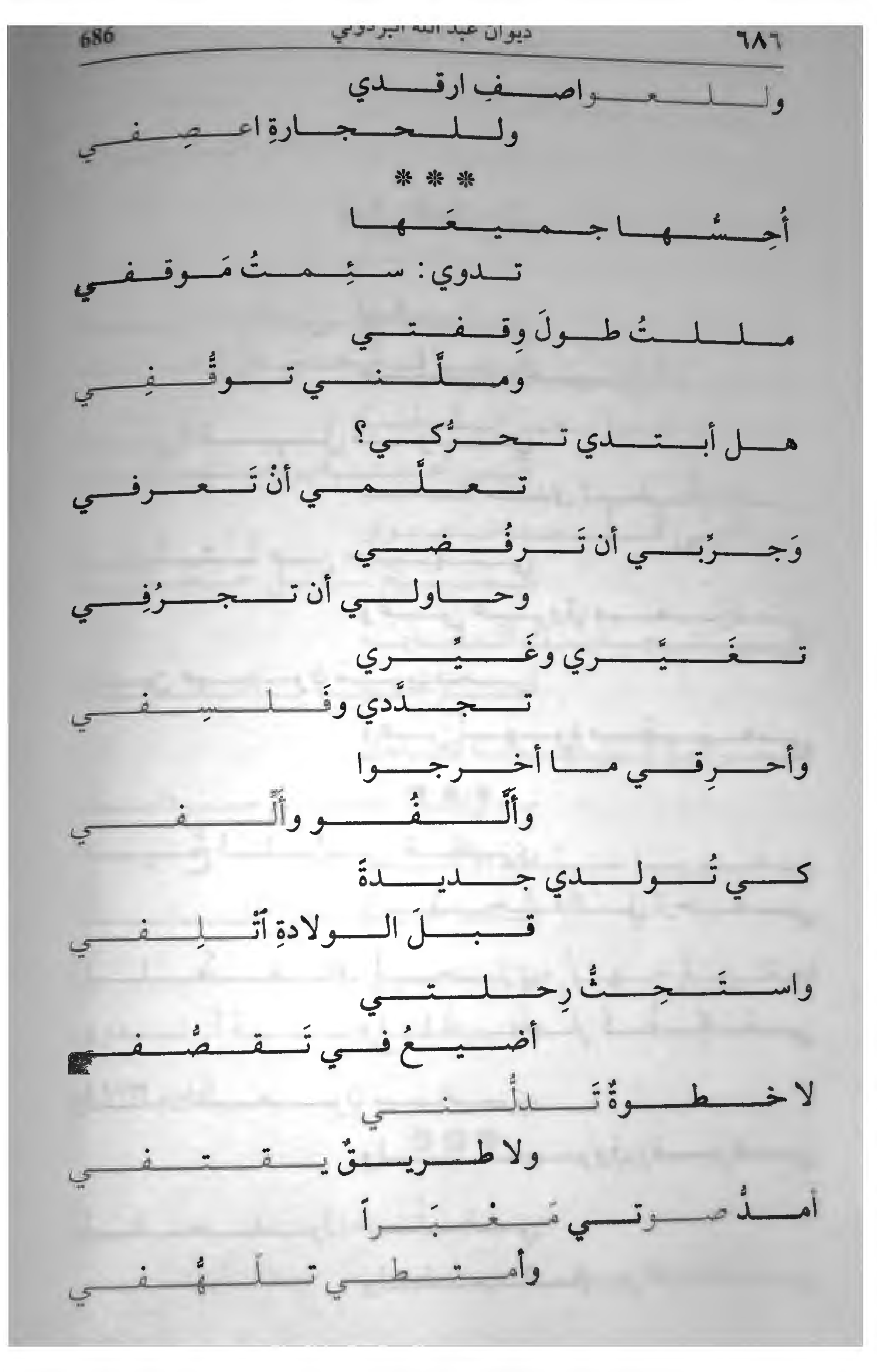
⊛ ⊛ ⊛

قبل الطريق

قبلَ الطَّريقِ أبتدي
سيْري رحيلَ أحرُفي
أجيءُ قبلَ مولدي
بعدَ مدى تخلُّفي
مُفتِّشاً عن جبهتي
وعن عروقِ مِعزَفي
وعن عيونِ مَربعي
وعن نُهودِ مضيَفي

* * *

أصيحُ للرُّبى اقفزي
وللحدائقِ ازحفي
وللضِّفافِ أبحري
وللبحارِ كَفكِفي
وللغُصونِ سافري
وللعروقِ رَفرِفي
وللحقولِ حَلِّقي
وللمقابرِ اهتفي



وللعواصفِ ارقدي
وللحجارةِ اعصفي

* * *

أُحِسُّها جميعَها
تدوي: سئِمتُ مَوقفي
مللتُ طولَ وِقفتي
وملَّني توقُّفِي
هل أبتدي تحرُّكي؟
تعلَّمي أنْ تَعرفي
وَجرِّبي أن تَرفُضي
وحاولي أن تجرُفِي
تغَيَّري وغيِّري
تجدَّدي وفَلسِفي
وأحرِقي ما أخرجوا
وألِّفُوا وألِّفي
كي تُولدي جديدةً
قبلَ الولادةِ آتْلِفي
واستَحِثُّ رِحلتي
أضيعُ في تَقصُّفي
لا خطوةٌ تَدلُّني
ولا طريقٌ يقتفي
أمدُّ صوتي مَغبَراً
وأمتطي تلَهُّفي

وأجـتـلـي عـوالِـمـاً
مـنـفـيَّـةً وأنـتـفـي
مُـحـمَّـلاً جِـنِّـيَّـةً
حُـبلـى ووجـهـاً مـتـحـفـي
جـلـدُ الـرَّصـيـفِ مِـئـزَري
لـونُ الـرِّيـاحِ مِـعْـطَـفـي
جـنـسـيَّـتـي غـرابـتـي
مـمـلَـكَـتـي تَـطَـرُّفِـي
مـديـنـتـي قـصـيـدَةٌ
أُشـعِـلـهـا وأنـطـفـي
حـبـيـبَـةٌ تُـمـيـتُـنـي
دقـائـقـاً وتـخـتـفـي
حـريـقـةٌ تَـشـرَبُـنـي
أشـرَبُـهـا وأشـتـفـي

***

أجِـسُّ نـبـضَ نـجـمـةٍ
عـلـى جـبـيـنـي تَـنْـكَـفِـي
أغـيـبُ فـي تَـمـزُّقـي
كـي يـهـتـدي تَـكَـشُّـفـي

أكتوبر ١٩٧٣م

السَّفر إلى الأيامِ الخُضْر

يـا رفـاقـي... إن أحـزنَـتْ أُغـنـيـاتـي
فـالـمـآسـي... حـيـاتُـكُـمْ وحـيـاتـي

إن هَـمَـتْ أحـرُفـي دمـاً فـلأنِّـي
يـمـنـيُّ الـمِـدادِ... قـلـبـي دواتـي

أمـضـغُ الـقـاتَ كـي أبـيـتَ حـزيـنـاً
والـقـوافـي تـهـمـي أسًـى غـيـرَ قـاتـي

أنـا أُعـطـي مـا تـمـنـحـونَ احـتـراقـي
فـالـمـسـاراتُ بـذرُكُـمْ ونـبـاتـي

غـيـرَ أنّـي - ومِـديـةُ الـمـوتِ عَـطْـشـى
فـي وريـدي - أشـدو فـأُلـغـي وفَـاتـي

فـإذا جـئـتُ مُـبـكـيـاً فـلأنـي
جِـئـتـكُـمْ مِـنْ مَـمَـاتِـكُـمْ ومَـمَـاتـي

عـاريـاً... مـا اسـتـعـرتُ غـيـرَ جـبـيـنـي
شـاحـبـاً... مـا حـمـلـتُ غـيـرَ سِـمـاتـي

جـائـعـاً... مـن صَـدى (ابـنِ عـلـوانَ) خُـبـزي
ظـامـئـاً مَـنْ ذبـول (أروى) سُـقـاتـي

* * *

رُبَّما أشتهي وأنعلُ خطوي
كُلَّ قصرٍ يومي إليك فتاتي؟
أقسمَ الجدُّ... لو أكلنا بثديي
لقمةً من يدٍ.. أكلتُ بناتي (١)

* * *

قد تقولونَ ذاتيَ الحسُّ... لكنْ
أيَّ شيءٍ أحسُّ..؟ من أينَ ذاتي؟
كلُّ هذا الرُّكامِ جلدُ عظامي
فإلى أينَ مِنْ يديهِ انفلاتي؟
يحتسي من رمادِ عينيهِ لَمحي
يرتدي ظلَّ رُكبتيهِ التفاتي
تحتَ سكِّينه تناءى اجتماعي
وإلى شِدقِهِ تلاقى شتاتي
آخرَ الليلِ... أوَّلَ الصُّبحِ. لكنْ
هل أحسَّتْ نهودَها أُمسياتي؟

* * *

هل أداري أحلامَكُمْ فأُغَنِّي؟
للأزاهيرِ والليالي شواتي...
عندما يُزهر الهشيمُ سأدعو:
يا كؤوسَ الشَّذى خُذيني وهاتي

---

(١) إشارة إلى المثل الحِميري، تموت الحرةُ جوعاً ولا تأكُل بثدييها

أَلـشِّـتـاءُ الـذي سـيـنـدى عـقـيـقـاً
يبـتـدي مـوسـمَ الـورودِ الـلَّـواتـي...

ليسَ قَـصـدي أن تيـأسـوا، لـخُـطـاكُـمْ
قـصَّـةٌ مِـنْ دمِ الـصُّـخـورِ الـعـواتـي

* * *

يـا رفـاقـي فـي كُـلِّ مـكـسـرِ غُـصـنٍ
ـ إنْ تـوالـى الـنَّـدى ـ ربـيـعٌ، مُـواتـي
يـرحـلُ الـنَّـبـعُ لـلـرَّفـيـفِ ويَـفْـنـى
وهـو يُـوصـي: تَـسَـنْـبـلـي يـا رُفـاتـي
والـرَّوابـي يـهـجُـسْـنَ: فـيـمَ وقـوفـي
هٰـهُـنـا يـامـدى... سـأرمـي ثـبـاتـي؟
سـوفَ تـأتـي أيـامُـنَـا الـخُـضْـرُ لٰـكـنْ
كـي تـرانـا نـجـيـئُـهـا قـبـلَ تـأتـي

أغسطس ١٩٧٤م

۞ ۞ ۞

صنعاء...
في طائرة

علـى الـمقـعـدِ الـرّاحـلِ الـمُـسْـتَـقـرُ
تـطـيـريـن مـثـلـي . . . ومـثـلـي لـهـيـفَـهْ
ومـثـلـي . . . أنـاصِـرْتُ عـبـدَ الـعـبـيـدِ
وأنـتِ لـكُـلِّ الـجـواري وصـيـفَـهْ
كِـلانـا تُـخـشِّـبُـنـا الأمـنـيـاتُ
وتـعـصِـرنـا الـذِّكـريـاتُ الـعـنـيـفَـهْ
فَـقَـدْنَـا الـخـلـيـفـةَ . . . مُـذْ بـاعَـنـا
إلـى كُـلِّ سـوقٍ . . . جـنـودُ الـخـلـيـفَـهْ

* * *

أصـنـعـا إلـى أيـنَ . . ؟ أمـضـي أعـودُ
لأَمـضـي . . . كَـأنّـي أؤدي وظـيـفَـهْ
مَـلَـكْـتُ الـمـطـاراتِ والـطَّـائـراتِ
وأكـلـي (جـرادٌ) لأنّـي سـخـيـفَـهْ
ومـمـلـكـتـي هـودجٌ مـن ريـاح
تـروحُ عَـجـولاً . . . وتـأتـي خـفـيـفَـهْ
أتـبـكـيـنَ؟ لا . . . لا ومـن تـؤسِـفـيـنَ
إذا أنـتِ مـقـهـورةٌ أو أسـيـفَـهْ

ومــاذا ســيــحــدثُ لــو تــصــرُخِــيــن
وتــذْـزريــنَ الــدُّمــوعَ الــكــثــيــفَــه

ســيــرنــو إلــيــك الــرَّفــيــقُ الــلَّــعــيــقُ
ويــنــــاك حــيــن تــمــرُّ الــمُــضــيــفَــةْ

ويــعــطــيــك قُــرصــيْــن مِــنْ إســبــريــن
فــتًــى طــيِّــبٌ. . . أو عــجــوزٌ لــطــيــفَــهْ

وقــد لا يــراك فــتًــى أو عــجــوز
ولا يــلــمحُ الــجــارُ تــلــك الــضَّــعِــيــفَــهْ

أتــصــغِــيــن . . ؟ لا صــوت غــيرُ الــضَّــجــيــج
وغــيرُ اخــتــلاج الــكــؤوسِ الــمُــطــيــفَــهْ

لــقــد أصــبــحَــتْ رؤيــةُ الــبــاكــيــاتِ
لــطــولِ اعــتــيــادِ الــمــآســي ألــيــفَــهْ

* * *

تــخــافــيــن. . . مــاذا؟ عــلــى أيِّ شــيء
تــخِــيْــفِــيــنَ؟ . . أصــبــحــتِ أنــتِ الــمُــخــيــفَــهْ

فــلَــمْ يــبــقَ شــيءٌ عــزيــزٌ لــديــك
أضــعْــتِ الــعَــفــافَ ووجْــهَ الــعــفــيــفَــهْ

عــلــى بــابِ (كــســرى) رمــيــتِ الــجــبــيــن
وأســلــمْــتِ نــهــديــك يــومَ (الــسَّــقــيــفَــهْ)

ويــعْــتِ أخــيــراً الــحــي (تُــبّــعِ)
وأهــدابَ (أروى) وثــغــرَ (الــشَّــريــفَــهْ)(١)

* * *

(١) الشريفة دعمي: مؤلفة وشاعرة من نوابغ القرن الثاني عشر الهجري.

أتُعطيكِ (واشنطنُ) اليومَ وجهاً؟
خُذي.. حسناً.. جرِّبي كلَّ جِيفَهْ

فقد تُلْفِتينَ بهذا السُّقوطِ
كأخبارِ مُنتحرٍ في صحيفَهْ

* * *

أصنعا... ولكنْ متى تأنفينَ
يقولونَ قد كُنتِ يوماً مُنيفَهْ

متى منكِ تمضينَ عَجْلى إليك؟
ترَيْنَ اخضرارَ الحياةِ النَّظيفَهْ

أمِنْ قلبِ أُغنيَةٍ مِنْ دموع
ستأتينَ..؟ أَمْ مِنْ حنايا قذيفَهْ

مايو ١٩٧٤م

بين المِدية والذَّابِحْ

وحشةُ الخارجِ تَعوي حولَهُ
ثُمَّ تَنفيهِ إلى داخِلِهِ
غربةُ الدَّاخلِ تَرميه... إلى
مائجٍ يَبْحَثُ عن ساحِلِهِ
راحلٌ منهُ إليهِ... دربُهُ
شاردٌ أضْيَعُ مِنْ راحِلِهِ
بعْضُهُ يسألُهُ عن بعضِهِ
ردُّه أخْيَرُ من سائِلِهِ

* * *

باحثٌ عن قتلِهِ يعدو على
مِديةِ الذَّبحِ إلى قاتِلِهِ
يأكلُ الموتُ بقايا عُمرِهِ
ويُغَنِّي في يَديْ آكِلِهِ
فَمُهُ أصغرُ مِنْ صيحتِهِ
عبئُهُ أكبرُ مِنْ حامِلِهِ

٢٥/٩/١٩٧٤م

شاعرٌ.. ووطَنُهُ في الغربة

كانَ صُبحُ الخميسِ أو ظهرُ جُمعَةْ
أذهَلَتْنِي عني عن الوقتِ لوعَةْ
دَهشَةُ الراحلِ الذي لم يُجَرِّبْ
طعمَ خوفِ النَّوى ولا شوقَ رَجْعَةْ
حين نادت إلى الصُّعودِ فتاةٌ
مثل اختي بُنَيَّةُ الصَّوتِ، رَبعَةْ
منذُ صارَتْ مُضِيفةً لِقُبوها
(سوزَنَا) واسمها الطفوليُّ (شَلعَةْ)

* * *

إنَّ عصريَّةَ الأسامي علينا
جلدُ فيلٍ على قوامِ ابنِ سَبعَةْ
هل يُطرِّي لونُ العناوين سفراً
مَيِّتاً زوَّقَتْهُ آخرُ طبعَةْ

* * *

حانَ أن يُقلع الجناحان... طِرنا
حفنةً مِنْ حَصى على صدرِ قلعَةْ
مقعدي كانَ وشوشاتِ بِلادي
وجهُ أرضي في أدمُعي ألفُ شمعَةْ

ووصلنا... قُطِّرت مأساةُ أهلي
منْ دمِ القلبِ دمعةً بعدَ دمعَهْ

* * *

زعموني رفعتُ بندَ التَّحدِّي
واتَّخذتُ القتالَ بالحرفِ صنعَهْ

فليكُنْ... ولأمُتْ ثلاثينَ موتاً
كُلَّما خُضتُ سِتَّةً هاجَ تسعَهْ

كُلَّما ذُقتُ رائعاً مِنْ مَماتي
رُمْتُ أقسى يداً وأعنفَ روعَهْ

* * *

ألأني يا موطني... أتَجزَّأ
قِطعاً من هواكَ في كُلِّ رُقعَهْ

نعتوني مُخرِّباً أنتَ تدري
أنَّها لَنْ تكونَ آخرَ خِدعَهْ

عَرَفُوا أنَّهُمْ أُدينوا فسَنُّوا
للجواسيسِ تهمةَ الغيرِ شِرعَهْ

عندما تفسُدُ الظُّروفُ تُسَمَّى
كُلُّ ذِكرى جميلةٍ سوءَ سُمعَهْ

يُظلِمُ الزَّهرُ في الظلامِ ويَبدو
مثلَ أصفى العيونِ تحتَ الأشِعَّهْ

* * *

يا رحيلي هٰذي بلادي تُغنِّي
داخلي تغتلي تدُقُّ بِسُرعَهْ

كنتُ فيها ومُذْ تغَّيبتُ عنها
سكنتني من أرضِها كُلُّ بقعَهْ
إلتَقَتْ فيَّ (صعدة) و(المُعلَّا)
ألقطاعاتُ داخلي صِرن قِطعَهْ
صِرْتُ للمَوطِنِ المُقيمِ بَعيداً
وطناً راحلاً، أفي الأمرِ بِدعَهْ!؟
أحتسي موطِني لظًى، يحتسيني
من فمِ النَّارِ جرعةً إثرَ جُرعَهْ
في هواهُ العظيمِ أفنى، وأفنى
والعذابُ الكبيرُ أكبرُ مُتعَهْ

١٩٧٣ ـ ١٩٧٤م

۞ ۞ ۞

مناضِلٌ في الفراش

مَـنْ أنـتَ مـاذا تـساوي؟
وكـلُّ مـا فـيـكَ خـاوي
تُـحِـسُّ جِـلـدَكَ ثـلـجـاً
مُـطـيَّـنـاً وَهْـوَ كـاوي
تَـئِـنُّ. تُـخـفـي ضـجـيـجـاً
أنـتَ الـصَّـدى وهـوَ عـاوي

* * *

أَلـدَّاءُ فـيـكَ عـنـيـدٌ
يـقـوى ولـكِـنْ تُـقـاوي
لا تـسـتـطـيـعُ تُـوالـي
ولا تُـطـيـقُ تُـنـاوي

* * *

وكـنـتَ تُـضـنـي الـدَّواهـي
تُـعـيـي حـلـوقَ الـمـهـاوي
تـنـوي قـبـورُكَ لِـكـنْ
تـجـتـازُهـا غـيـرَ نـاوي
تـدوسُ هَـولاً وتُـدمـي
هـولاً عـنـيـفَ الـمَـسَـاوي

* * *

تـلـوحُ لـلـقَـبْـضِ وَهـمـاً
وتـخـتـفـي فـي الـمَـلاوي

فـمِـن رصـيـفـيْـنِ تـأتـي
إلـى رصـيـفـيْـنِ تـأوي

تـبـدو بـكُـلِّ مـكـانٍ
تـخـفـى بـسـحْـرٍ سَـمَـاوي

***

والآنَ تـسـطـو عـلـيـهِـمْ
وأنـتَ وحـدَكَ ثـاوي

كـسـلانُ كـالـجِـذعِ تـقـوى
عـلـيـكَ أدنـى الـهـراوي

لا تـشـتـهـي أيَّ شـيءٍ
وكـلُّ مـا فـيـكَ طـاوِي

تَـعُـبُّ عـشـريـنَ قُـرصـاً
وأنـتَ كـالأمـسِ ذاوي

لا الـطِّـبُّ يـعـرفُ داءً
ولا الـدَّواءُ يُـداوي

***

كُـلُّ الـقـلاعِ الـلَّـواتـي
أقـلَـقْـتَـهـا فـي تَـهـاوِي

فـاهْـدأ فـخـطـوكَ مـاضٍ
والـدَّربُ مُـصـغٍ وراوي

سبتمبر ١٩٧٤م

غريبان.. وكانا هما البلد

دليــــل

عزيزي القارئ.. أحببت قبل أن تدخل إلى هذه القصيدة: أن تحمل في يدك هذا الدليل إلى زواياها المعتمة بغبار الأحداث وأثرية الأسماء.

١ ـ (أُمُّهُ مِنْ سورةِ المَسَدْ): في البيت الثالث. . . إشارة إلى حمّالة الحطب في سورة المسد وهي تدل على الفقر والكدح.

٢ ـ (بينون): في البيت الثالث عشر: حصن من المرمر: بناه (الملك أسعد الكامل)، ويقع في منطقة (ثوبان ـ الحدا)؛ وليس له شهرة بين الآثار على غرابته لصعوبة الوصول إليه.

٣ ـ (صخرٌ من السَّدّ): في البيت الرابع عشر، إشارة إلى سد مأرب الذي تَهَّدم، وأصبحت أحجاره شريدة يسأل بعضها عن بعض.

٤ ـ يشير البيت الخامس عشر والسادس عشر إلى الغُربة الدائمة لليمنيين، والسفر بأسماء مستعارة وبجوازات مختلفة، تكلف تغيير الاسم لملاءمة الجواز حتى يصبح للمسافر في كل بلد إسمٌ آخر. . . فقد يحمل الحي جواز الميت، ويستعير المسافر جواز العائد. . . ويكفي أن يغير اسمه حتى لا يتكلف ثمن جواز آخر هذا قبل فكرة صورة المسافر على جوازه.

٥ ـ (الرامي): في البيت السابع عشر: اسم مرض يفتك بالأبقار حتى يكاد يستأصل الحظائر، ويُسمي مجتمع القُرى هذا المرض (أحمد الرامي)، اختصرته لطول الاستعمال فسمته (الرامي)، وفي بعض المناطق (الطاعون)، وتنسب إليه صفات

غريبة. . . بعد دخوله إلى القرى، يتحدث البعض إلى البعض أنهم وجدوه في الطريق إلى القرية، وله أربع أرجل يمشي عليها منتصباً كالإنسان، وله عشر أيد أظفارها كالسكاكين المحمرة اللون. . . وهذا الرعب في وصفه نتيجة تأثيره في الأبقار التي تعتبر وسائل الحرث ومصادر الغذاء كاللبن والسمن. والوقت الذي يطرأ فيه هذا المرض يعتبر حدثاً يؤرخ به أهل القُرى.

٦ ـ (الإدريسي): في البيت التاسع عشر هو (محمد بن علي الإدريسي) أمير صَبية الذي أتى من أفريقيا، واحتلَّ المنطقة التهامية من اليمن، واشتعلت بينه وبين اليمنيين حروب عامين. . . وكانت له الجولة الأولى حتى هُزم في حرب ثالثة عام ١٩٣٢م.

٧ ـ (حيكان) في البيت(٢١) اسم لأكثر من وادٍ في أكثر من منطقة حتى أصبح رمز الخصب، وفيه يقول الحكيم اليماني (علي بن زايد):

مـا لـذَّلـي مـثـل حـيـكـان المـسـبـلـي يُـشـبـع إنـسـان
والـتُّـلـم يُـمـلـي غـرارة

وهذا غاية الخصب.

٨ ـ (الدودحية): في البيت (٢٢) هي بنت شابَّة وقعت في الحب في الثلاثينات، وأدَّى بها إلى حمل صورة المحبوب في بطنها. . . ولأنها من طبقة فوقية انتشرت الحكاية حتى وصلت إلى قاضي المنطقة، فأمر بربطها مع أبيها ومحبوبها، وشدَّ على ظهورهم الطبول وصبغهم بالقطران، ودارت بهم الجموع على المنطقة حتى أصبحت تلك الحكاية مادة الأغاني الشعبية مدة عشرين عاماً، وقد تفنَّن الشعب في هذه الأغاني فعبرت عن

التعبير وعبرت عن الشوق إلى المليحة وعن الحسد لمن نالها، وقد امتد أثر هذه الأغنية إلى الآن فأحيا أداءها الفنان (علي الآنسي) في أغنية: (خَطَرْ غُصنُ القَنا).

حرب السَّبْعْ: في البيت (٢٦) إشارة إلى حروب السنوات السبع مع القوى الاستعمارية والرجعية منذ انفجار ثورة سبتمبر ١٩٦٢م إلى آخر عام ١٩٦٧م.



غريبان.. وكانا هُما البلد

مَنْ ذلكَ الوجهُ. . . ؟يبدو أنه (جَنَدي)
لا . . . بل (يريمي) سأدعو، جدَّ مُبتعدِ

أَظُنُّهُ (مُكردَ القاضي) كقامتِهِ
لا . . بل (مثنّى الرداعي) (مرشدَ الصَيَدي)

لعلّه (دبعيٌّ) أصلُ والدِهِ
مِنْ (يافِعٍ) أُمُّهُ مِنْ سورةِ المَسَدِ

عرفتُهُ يمنيّاً في تَلَفُّتِهِ
خوفٌ. . . وعيناهُ تاريخٌ مِنْ الرَّمَدِ

من خُضرةِ القاتِ في عينيْهِ أسئلةٌ
صُفرٌ تَبوحُ كعودٍ نصفِ مُتَّقِدِ

رأيتُ نخلَ (المُكلاّ) في ملامِحِهِ
شمَّيتُ عِنْبَ (الحَشا) في جيدهِ الغَيِدِ

مِنْ أينَ يا ابني؟ ولا يرنو وأسألُهُ
أدنو قليلاً: صباح الخير يا ولدي

ضمّيتُهُ ملءَ صدري. . . إنَّهُ وَطَني
يبقى اشتياقي. . . وذُوبي الآنَ يا كَبِدي

يَسْعَدْ صباحُك يا عمّي أتعرفُني؟
فيكَ اعتنقتُ أنا قبّلتُ منكَ يدي

لاقيتُ فيكَ (بكيلاً) (حاشداً) (عَدَنَاً)
ما كنتُ أحلمُ أن ألقى هنا بلدي

رأيتُ فيكَ بلادي كلُّها اجتمعَتْ
كيفَ التقى التِّسعةُ المليونَ في جسدِ

* * *

عرفتُ مَنْ أنتَ يا عمِّي، تلالُ (بَنَا)
(عيبانُ) أثقلَهُ غابٌ من البَرَدِ

(شمسان) تنسى الثريَّا فوقَ لحيتِهِ
فاهاً وينسى ضحى رجليهِ في الزَّبدِ

(بينون) عريانُ يمشي ما عليه سوى
قميصِهِ المرمريِّ الباردِ الأبدي

صخرٌ مِنْ السَّدِّ يجتازُ المُحيطَ إلى
ثانٍ يُنادي صداهُ: مَنْ رأى عُمُدي؟

* * *

ما اسمُ ابن أمي؟(سعيدٌ) في (تبوكَ) وفي
(سيلانَ) (يحيى)، وفي (غانا) (أبو سندِ)

* * *

وأنتَ يا عمُّ؟ في (نيجيريا) (حسنٌ)
وفي (الملاوي) دَعَوني (ناصر العَنَدي)

سافرْتُ في سنة (الرَّامي) هربتُ على
عَمِّي غداةَ قَبَرْنا (ناجيَ الأسدي)

مِنْ بعدِ عامينِ من أخبارِ قتلِ أبي
خلفَ (اللَّحِيَّةِ) في جيشٍ بلا عَدَدِ

أيامَ صاحوا: قوى (الإدريسيَ) احتشَدَتْ
وقابلوها: بجيشٍ غيرِ مُحتَشِدِ

* * *

رحلتُ في ذلكَ التّاريخِ أذكُرُهُ
كأنّها ساعةٌ يا (سعدُ) لم تَزِدِ

صباحَ قالوا: (سعودٌ) قبلَ خُطبتِها
حُبلى، و(حيكان) لم يحبلْ ولم يلدِ

و(الدَّودحيةُ) تَهمي في مراتِعِنا
أغانيَ العارِ والأشواقِ والحَسَدِ

ودَّعتُ أغناميَ العشرينَ (مُحصَنَةً)
حتى أعودَ... وحتى اليومَ لم أعُدِ

* * *

مَنْ ماتَ يا ابني؟ مَنْ الباقي؟. أتسألُني!
فصولُ مأساتنا الطُّولى بلا عَددِ

ماذا جرى في السنينَ السِّتِّ من سَفَري؟
أخشى وقوعَ الذي ما دارَ في خَلَدي

مارسْتُ يا عمُّ حَربَ السَّبع مُتَّقِداً
تقودُني فطنةٌ أغبى من الوَتدِ

كانت بلا أرجُلٍ تَمشي بلا نظرٍ
كانَ القتالُ بلا داعٍ سوى المَدَدِ

* * *

وكيفَ كُنتُمْ تنوحونَ الرِّجالَ؟ بلا
نوحٍ نموتُ كما نحيا بلَا رشَدِ

فـوجٌ يـمـوتُ ونـنـسـاهُ بـأربـعَـةٍ
فـلَـمْ يَـعُـدْ أحـدٌ يـبـكـي عـلـى أحـدِ

وفـوقَ ذلـكَ ألـقـى ألـفَ مُـرتـزقٍ
في اليومِ يسألُني... ما لونُ مُعتَقَدي

بلا اعتقادٍ... وهُمْ مِثلي بلا هدفٍ
يا عمُّ... ما أرخصَ الإنسانَ في بَلَدي

والآنَ يا ابني؟.. جوابٌ لا حدودَ لَهُ
اليومَ أُدجي لكي يخضرَّ وجهُ غَدي

سبتمبر ١٩٧٤م



ابنُ فُلانة

لا تَسلْ مَنْ أنا . . . فلاِسمي صِلاتٌ
بالتَّي أرضعَتْهُ ذوبَ المهانهْ
كيف أحكي . . . فُلاناً ابنَ فُلانِ
ورِفاقي يدعونني ابنَ فُلانهْ
إن رأوْني أبدو رصيناً أشاروا
علَّمَتْهُ تلكَ البتولُ! . . الرَّصانهْ
وإذا لا حظوا قميصي جديداً
ردَّدوا: فوقَ رُكبتيْها خزانهْ
دخلُها كلَّ ليلةٍ نصفُ ألفٍ
أحسنوا الظَّنَّ. تُهمةٌ لا إدانَهْ
ولدَيْها كما يقولونَ جَيْشٌ
درَّبَتهُ خبيرةٌ في المجانهْ
وهي سِمسارةٌ لكُلِّ دعيٍّ
فوقَ هذا . . . ولِلعِدى قهرمانَهْ
أعجبَتْ سادةَ النُّقودِ فأعطَوْا
وجدُوا عندَها أحطَّ استكانهْ
حَسَناً . إنَّها عليهِمْ دليلٌ
إن تَخَفَّوْا دلَّتْ بأخزى إبانَهْ

نحنُ ندري . . . هل أبدعوا غيرَ هذا
وانتزافَ البلادِ في كُلِّ حانَهْ

كان يحكي هذا . . . وهذا يليهِ
ويُداجي هذا بُخبثِ الرَّزانَهْ

ألفُ أمّ روَتْ حكاياتِ أُمِّي
لبنيها فَردَّدوا في أمانَهْ

* * *

بيتُها أشهرُ البيوتِ جميعاً
ولَهُ دونَ كُلِّ بيتٍ حَصانَهْ

إنَّني ساقطٌ . . . لأنَّ لأُمِّي
عند أغنى الرجالِ أعلى مكانَهْ

* * *

لا تَلُح لي يا اسمي . . . فإني جبانٌ
حينَ تبدو بفضلِ تلكَ الجبانَهْ

ياالتي يخبرونَ عَنْها كثيراً
أتركيني . . . ودَّعْتُ دارَ الإهانَهْ

صِرتُ غَيري . . . رميتُ باسمي ورائي
وسأعتادُ جِدَّتي بالمِرانَهْ

فبراير ١٩٧٤م

❁❁❁

الهدهدُ السَّادِس

مـن أيـنَ لـي يـا (مـذحـجـيّـة)
وتـرٌ كـقِـصّـتِـكِ الـشَـجـيّـة؟
أيـنَ انـطـفَـتْ عـيـنـاكِ؟ . . أسـكـتْ
أيـنَ جـبـهـتُـكِ الأبـيّـة؟
أُسـكـت. . . أتـبـتـدعـيـن يـومـاً
جـبـهـة أعـلـى طـريّـة؟
أُسْكُتْ. . . رجـعـتُ إلى الـتَّـعـقُّـلِ
لا أريـدُ الـعَـبـقـريّـة
أوَلـيـسَ فـلـسـفـةُ الـهـزيـمـةِ
أن أمـوتَ تـعـقُّـلـيّـة؟
وهَـلِ الـعـمـالـةُ حـكـمـةٌ؟
وهـلِ الـشَّـجـاعـةُ مـوسـمـيّـة؟
أُسـكُـتْ. . . ولـكـن لـسـت مـن
أبـطـالِ تـلـكَ الـمـسـرحـيّـة
بـعـدَ الـغـروبِ سـتَـبـزُغـيـن
كـشـمـسـكِ الـبـكـرِ الـجـريّـة
أُسـكـتْ. . . لأنَّ الـجـوَّ أحـجـارٌ
حـلـوقٌ بـربـريّـة

أَلـشِّـعـرُ أقـوى فـاعـزفـي
رِئَـتَـيْـكِ أو مـوتـي شـقـيّـهْ

* * *

أَلـصَّـمـتُ يُـعـشِـبُ طُـحْـلُـباً
حُـمَّـى، ذيـولاً، عـوسـجـيَّـهْ
وقـرونَ أشـبـاحٍ كـأبـوابِ الـسُّـجـونِ الـعَـسـكـريَّـهْ
سـقـفٌ مِـنَ الـحـيَّـاتِ والأيـدي وألـوانِ الـمَـنـيَّـهْ
يـطـفـو ويـركـضُ يَـمـتـطـي
عـيـنـيْـهِ يـسـقـطُ كـالـمـطـيَّـهْ

* * *

مـاذا هُـنـا؟.. شـيءٌ كـلا شـيءٍ
شـظـايـا مـتـحـفـيَّـهْ
أَلـلَّـيـلُ يـبـحَـثُ عَـنْ ضُـحـى
والـصُّـبـحُ يـبـحـثُ عـن عـشـيَّـهْ
هـرب الـزَّمـانُ مـن الـزمـانِ
خـوَتْ ثـوانـيـهِ الـغـبـيَّـهْ
مـن وجـهـهِ الـحـجـري يـفـرُّ
إلـى شـنـاعـتِـهِ الـخـفـيَّـهْ
حـتـى الـزَّمـانُ بـلا زمـانٍ
والـمـكـانُ بـلا قـضـيَّـهْ

* * *

أَلـتَّـابـعـونَ بـلا رؤوسٍ
والـمـلـوكُ بـلا رعـيَّـهْ

والـمُـسـتـغِـلُّ بـلا امـتـيـازِ
والـفـقـيـرُ بـلا مـزيَّـهْ

* * *

مَـنْ ذا هُـنـا: ؟ (صـنـعـا) بـلا
صـنـعـا، وجـوهٌ أجـنـبـيَّـهْ

مـتـطـوِّعـونَ وطـيِّـعـاتٌ
أوصـيـاءُ بـلا وصـيَّـهْ

حُـزَمٌ مِـنَ الـشَّـعـرِ الـمُـسـرَّحِ
والـعـيـونِ الـفـوضـويَّـهْ

خـبـراءُ فـي عُـقْـمِ الإدارةِ
وافـدونَ بِـلا هـويَّـهْ

ومـسـافـرونَ بـلا وداعٍ
واصـلـونَ بـلا تـحـيَّـهْ

ومُـؤَمْـرَكـونَ إلـى الـعـظـامِ
لـهـم وجـوهٌ فـارسـيَّـهْ

ومُـؤَمْـرَكـاتٌ يـرتـديـن
قـمـيـصَ (لـيـلـى الـعـامـريَّـهْ)

كـتـلٌ مـن الإسـمـنـتِ لابـسـةٌ جـلـوداً آدمـيَّـهْ

تـسـعـونَ فـوجـاً والـمـسافـةُ في بـدايـتِـهـا الـقَـصِـيَّـهْ

يـا (هـدهـدُ) الـيـومَ، الـحـمـولـةُ
فـوقَ طـاقِـتـكَ الـقـويَّـهْ

هٰـذي حـقـائِـبُـكَ الـكِـبـارُ
تَـنِـمُّ عـن خُـبْـثِ الـطَّـوِيَّـهْ

* * *

هـل جِـئْـتَ مِـن سـبـأٍ؟
وكـيـفَ رأيـتَـهُ؟ . . أضحى سَبِيَّهْ
ولَّـى، عـلـيـهِ عـبـاءةٌ . . .
مِـنْ أُغـنـيَـاتِ (الـدَّودَحـيَّـهْ)
سقطَ المُتاجرُ، والتِّجارةُ، والمُضَحِّي، والضَّحيَّهْ
حـتـى الـبـقـاعُ هَـرَبْـنَ مِـنْ
أسـمـائِـهِـنَّ الـحِـمْـيَـرِيَّـهْ

* * *

هـل لـلـقَـضـيَّـةِ عَـكْـسُـها؟
هـل لـلـحـكـايـةِ مـن بـقـيَّـهْ؟
كـلُّ الـمـخـلـوقِ أقـلُّ مـن
هٰـذي الـجـبـالِ الـيَـحْـصُـبِـيَّـهْ

كـلُّ الـسِّـلاحِ أقـلُّ مِـنْ
هٰـذي الـمـلايـيـنِ الـعَـصِـيَّـهْ

* * *

(صـنـعـاءُ) مـن أيـنَ الـطَّـريـقُ؟
إلـى مـجـالـيـكِ الـنَّـقِـيَّـهْ
وإلـى بـكـارتِـكِ الـعـجـوزِ
إلـى أنـوثـتِـكِ الـشَّـهِـيَّـهْ

يـا زوجـةَ الـسَّـفَّـاحِ والـسّـمـسـارِ يـا وجـهَ الـسَّـبِـيَّـهْ
سـقـطَـتْ لَـحـى الـفـرسـانِ
والـتـحَـتِ الـمُـسِـنَّـةْ والـصَّـبـيَّـهْ

فبراير ١٩٧٤م



يوم ١٣ حزيران

جـبـيـنُـهُ دبَّـابـةٌ واقـفَـهْ
أهـدابُـهُ... دبَّـابـةٌ زاحـفـه

لـيـس لـهُ وجـهٌ... لـه أوجـهٌ
مـمـسـوحـةٌ كـالـعـمـلـةِ التَّـالـفَـهْ

سـاقـاهُ جـنـزيـران... أعـراقُـهُ
إذاعـةٌ مـبـحـوحـةٌ راجـفَـهْ

تـلـغُـو كـمـا تـسـقـي الريـاحُ الـحـصـى
تـخـمَـرُ كـالـجِـنـيَّـةِ الـرَّاعِـفَـهْ

بـعـدَ قـلـيـلٍ... مـنـتـا مـرَّةٍ
وعـدٌ كـسـكـر الـلـيـلـة الـصـائـفـه

وبـعـدَ عـشـريـنَ احـتـمـالاً، بَـدَتْ
ولادةٌ مـكـرورةٌ زائـفَـهْ

حـمـاسـةٌ صـفـراءُ مـعـروقـةٌ
أنـشـودةٌ مـسـلـولـةٌ واجِـفَـهْ

شـيءٌ بـلا لـونٍ... بـلا نـكـهـةٍ
مـاذا تُـسَـمِّـيـهِ؟ الـلُّـغـى الـواصـفَـهْ

يـا عـمُّ: دبَّـابـاتٌ.. إنّـي أرى
- هـذا انـقـلابٌ - جـدَّتـي عـارفَـهْ

نـفـسُ الـذي جـاء مـراراً كـمـا
تـأتـي وتـمـضـي دورةُ الـعـاصـفَـهْ
وسـوفَ يـأتـي... ثُـمَّ يـأتـي إلـى
أن تـسـتـفـيـقَ الـثَّـورةُ الـوارفـه

* * *

لا يـركـبُ الـشَّـعـبُ إلـى فـجـرِهِ
دبَّـابَـةً... لا يـمـتـطـي قـاذفَـهْ
أَلـشَّـعـبُ لا هِـشـاً، صـابِـراً
مُـمـتـطـيـاً أوجـاعَـهُ الـنَّـازفَـهْ
يـأتـي.. كـمـا تـأتـي سـيولُ الـرُّبـى
نـقـيَّـةً خـلَّاقـةً جـارِفَـهْ
يـبـرعِـمُ الـشَّـوقُ الـحَـصَـى تـحـتَـهُ
والـشَّـمـسُ فـي أجـفـانِـه هـاتِـفَـهْ
وتَـهـجِـسُ الأعـشـابُ فـي خـطـوِهِ
هـجْـسَ الـمَـجـانـي لـلـيـدِ الـقـاطِـفَـهْ

* * *

يـا عـمُّ: دبَّـابـاتٌ قُـلْ: لُـعـبـةٌ
سـخـيـفَـةٌ كـالـلُّـعـبـةِ الـسَّـالِـفَـهْ
لـكـنْ لِـمـاذا لـمْ تُـثِـرْ لـفـتـةً؟
ولا اسـتـفـزَّتْ لـمـحـةً كـاشـفَـهْ
لأنَّ مَـنْ كـانـوا مـضَـوْا وانـثـنـوْا
طـائـفـةٌ ولَّـت بَـدَتْ طـائـفَـهْ

أَلـمُـنـتـهـي أمـسـى هـو الـمُـبـتـدي
والـصُّـورةُ الـمـخـلـوقـةُ الـخـالـقـهْ
قـد يـسـتـعـيـرُ الـعـزفُ غـيـرَ اسـمـهِ
لـكـنـهـا نـفـسُ الـيـدِ الـعـازفـهْ

* * *

دبَّـــابـــةٌ أُخـــرى. . . وأُخـــرى. . ولا
ألـقـى رصـيـفٌ نـظـرةً خـاطـفـهْ
لـم تـلـتـفِـتْ دارٌ. . . ولا بُـقـعـةٌ
بـدَتْ عـلـى أمـنٍ ولا خـائـفـهْ
شـيءٌ جـرى لـم يـسـتـدِرْ شـارعٌ
ولا انـجـلَـتْ زاويـةٌ كـاسِـفـهْ
مـاذا جـرى؟ لـم يـجـرِ شـيءٌ هـنـا
صـنـعـاءُ لا فَـرحـى. . . ولا آسـفـهْ
أَلـقـاتُ سـاهٍ. . . والـمـقـاهـي عـلـى
أكـوابـهـا مـحـنـيَّـةٌ عـاكِـفـهْ

* * *

مـاذا جـرى؟ لاحِـسَّ عـمَّـا جـرى
ولا لـــديْـــهِ ومـــضـــةٌ هـــادفَـــهْ
مـاذا يـعـي الـتـاريـخُ؟ مـاذا رأى؟
ولَّـى بـلا ذكـرى. . بـلا عـاطـفَـهْ

١٩٧٤م

بينَ ضَياعيْن

كُلُّ ما عِندَنا يزيدُ ضياعا
والذي نرتجيهِ ينْأى امتناعا

نتشَهّى غداً، يزيدُ ابتعاداً
نُرجعُ الأمسَ. . . لا يطيقُ ارتجاعا

بين يومٍ مَضَى ويومٍ سيأتي
نزْرعُ الريحَ نبتَنيها قِلاعا

والذي سوف نبتَنِيهِ يُوَلّي
هارِباً. . . والذي بنَينا تداعى

* * *

نمتطي موجةً إلى غيرِ مرسى
إن وجدْنا ريحاً فقدْنَا الشّرَاعَا

وإلينا جاءَ الشُّراةُ تِباعاً
حبِلَتْ أخصبُ الجيوبِ تِباعَا

لا يُحِسُّ الذي اشتَرَانا لِمَاذا
والذي باع ما دَرى كيف بَاعَا!

فتَهَاوى الذي تَلقَّى وأعْطَى
وشمخْنَا مستهزئين جِياعَا. . !

يناير ١٩٧٤م

۞۞۞

أصيل من الحب

قــد كــان لا يــصــحــو ولا يَــروى
والــيــومَ لا يــســلــو ولا يَــهْــوَى
يــنــســى، ولــكــنْ لــم يــزلْ ذاكــراً
حــبــيــبــةً، كــانــت لَــهُ الــسَّــلــوى

* * *

وكـــان إنْ مَـــرَّ اســـمُـــهـــا أزهَـــرَتْ
فـــي قـــلـــبـــهِ الأشـــواقُ والـــنَّـــجْـــوَى
وانـــثـــالـــتِ الـــســـاعـــاتُ مـــن حـــولِـــهِ
أحـــلامَ عُـــشَّـــاقٍ بـــلا مَـــأوَى
وكـــانـــتِ الـــحـــلـــوى لـــطـــفـــلِ الـــهَـــوَى
والآنَ.. لا خـــلاًّ، ولا حَـــلْـــوَى

* * *

وكـــانَ يـــشْـــكُـــو إن نَـــأتْ أو دَنَـــتَ
لأنَّـــهَـــا تَـــســـتـــعـــذبُ الـــشَّـــكـــوى
كـــانـــت لـــديـــهِ الـــكـــلَّ لا مـــثـــلُـــهـــا
لا قـــبـــلُـــهـــا لا بـــعـــدَهـــا حَـــوَّا
فـــأصـــبـــحَـــتْ واحـــدةً لا اســـمُـــهـــا
أحـــلـــى ولا مـــجـــنـــونُـــهـــا أغْـــوَى

* * *

يـودُّ أن يَـهْـوَى فـيـخـبُـو الـهَـوَى
ويـشـتـهـي يـنـسَـى فـلا يـقْـوَى

فـلـمْ يـعـذ فـي حـبِّـهِ صـادقـاً
ولـيـس فـيـهِ كـاذبَ الـدَّعْـوَى

أصـيـلُ حـبٍّ يـسـتـعـيـدُ الـضُّـحَـى
ويـنـطـوي فـي الـلـيـلـةِ الـعَـشْـوَى

١٩ ـ ٢ ـ ١٩٧٤م

❁❁❁

ألوان من الصمت

مثلُ طفلٍ حالمٍ يصحُو ويغفُو
يرسبُ الصمتُ بعينيْهِ ويطفُو

ينطوي خلفَ تلوِّي جلده
كعُقابٍ ينتوي الفتكَ ويعفُو

يهمسُ الإنشادَ... ينسى صوتَهُ
يتزيَّا بالهَوَى يحنو... ويجفُو

يحتسي أنفاسَهُ... يرسِلُهَا
زمَراً كالنَّخل ترتدُّ وتَهْفُو

ينحني.. يرحلُ في لِحيتهِ جاثِياً
ينْجَرُّ.. يغبرُّ... ويصفو

بعضُهُ ينسلُّ مِنْهُ... بعضُهُ
يمتَطي أطرافَ كفَّيْهِ ويقفُو

* * *

صرخةُ المذياعِ تُدمي هجسهُ:
قاتلُوا في (قبرص) اليوم وكفُّوا

(الفيتكنج) استحَالوا شَجَراً
هبطوا كالجمرِ كالعُقبانِ خَفُّوا

* * *

إرتدى أبطالُ سيجون الحصى
دخلوا الأعشابَ كالأعشابِ جَفُّوا

* * *

حشَدَتْ (واشنطن) الموتَ سدًى
ركضَ الأمواتُ أخطاراً وحفُّوا
أنبتَتْ كُلُّ حصاةٍ موكباً
كعفاريتِ الرُّبى اصطفُّوا وصَفُّوا
وثَبُوا كالسَّيلِ، كالسَّيل انثنَوْا
تحتَ أمطار اللَّظى احمرُّوا ورفُّوا

* * *

قررَّ الأقطابُ حلاًّ حاسماً... للمآسي
لحظةً، تَابُوا وعَفُّوا
إستشفُّوا أنَّ إقلاقَ الأَسى
يطلقُ الأطفالَ... هذا ما استشفُّوا
إنتهَتْ أخبارُنا فانتظروا
واستراحُوا ساعةً، غَنَّوْا وزفُّوا
يَخْلعُ الصَّمتُ هنا ألوانَهُ
يتعبُ التمزيقُ فيها ثُمَّ يرفُو

أغسطس ١٩٧٤م

۞۞۞

ثرثرات محموم

كان يحكي.. يبكي.. يجيبُ.. يُنَادي
يدَّعي.. يشتكي.. يصافي.. يُعَادي

مرحباً (سعيدُ).. خذ نورَ عيني
أسكتي.. هاتِ بُنْدُقِي يَا (عُبادي)..

غادَرتْ عُمقَهَا البحارُ وجاءَتْ
ركبتْ ظلَّهَا الرِّمالُ الحَوَادي

* * *

هل تخافينَ أن أموت؟ حياتي
لم تحقِّقْ شَيئاً يثيرُ افتِقَادِي

كنتُ كالآخرينَ، أمشطُ شَعْري
أنتقي بزَّتِي، أبيعُ كَسَادي

أشتري (ربطة)[1]، وأصحو بكاس
وبكاسٍ أُطفي شموع سهادي

وأُوَالي بلا اعتقادِ وأنوي
سحقَ مَنْ لم يتاجروا باعتِقَادي

كلُّ هٰذَا عُمْرِي... وعمرٌ كَهٰذا
لا يُسَاوي.. عذابَ يومِ ولادِي

* * *

(١) ربطةً: حزمة قات

إسقِني يا(صلاح).. زدْ.. مَنْ دعَاني؟
يـا عـيـالَ الـكـلابِ: ردُّوا جَـوادي
كـيـف أقـضـي ديْـنـي ولـيـس ببيتـي
غـيـرُ بـيـتـي ومِـعـزفٌ غـيـرُ شـادي
والّـذي كـانَ والـدي... صَـارَ طـفـلـي
مـن أُداري عـنـادَه أو عـنـادي؟

* * *

لـبسَـتْ قـامـةُ الـرِّيـاحِ جَـبـيـنِـي
نـسـي الـلَّـيـلُ رجـلَـه فـي وِسَـادي

* * *

زَوَّجَـتْ بـنـتَـهَـا بـعـشـريـن ألـفـاً
بـاعَ (نـاجـي سـعـيـد) (زيـدَ الـجَـرَادي)
كـلُّ آتٍ مَـضَـى... أتـى كـلُّ مـاضٍ
ضـاع فـي كُـلِّ رايـحٍ كـلُّ غـادي
(مَا كَفَى واحِداً كَفى اثنين).. قالوا
أكـلـونـي.. ويـحـذرونَ ازدرادي
ولأنّـي مُـجـوَّفٌ مـثـلُ غـيـري
بِـغـتُ وجـهـي لـوجـهِ مـائِـي وزَادي
أليـساريُّ رزقُ الـيـمـيـنـي.. وقـالـوا:
أجْـودُ الـخُـبـزِ مِـنْ طـحـينِ الـتَّـعَـادي
من سيعطي (سعداً) حُساماً بصيراً
ثـالـثُ الـسَّـاعـديْـنِ، ذيـلُ، حِـيـادِي

* * *

ذاتَ يـومٍ كـانـتْ مـمـراتُ (صـنـعـاء)
مـن نـبـيـذٍ ومِـنْ زهـورٍ نـوادي

تَـتَـهَـادى الـنُّـجـومُ فـي كـلِّ دَرْبٍ
كـالـغَـوَانِـي. فـأيـن ذَاكَ الـتَّـهَـادي؟

سـألـوا مـن أَنَـا.. وصـرَّحـتُ بـاسـمـي
كـامـلاً.. أنـكـروا بـأنـي (مُـرَادي)

* * *

قلت (إبِّي).. (عنسيٌّ).. (زبيديٌّ) أشاروا
أَلـريـالاتُ نـسـبـتـي وبـلادي

أضـحـكـتْـهُـمْ كـتـابـةُ اسـمي... وفـوْراً
بَـيَّـضَـتْ خـضـرةُ الـنُّـقُـودِ مِـدَادِي

* * *

عـنـدهُ نـعـجـةٌ فـأمـسـى مـديـراً..!
نـهـدُ أنـثـى مـؤهَّـلٌ غـيـرُ عَـادِي

أَلـحـلـيـبُ الـذي يُـسـمَّـى جـلـوداً
طازجاتٍ.. أمسىَ سريرَ (ابنَ هَادي)[1]

قَـبـلَ بـدءِ الـزَّواجِ طُـلِّـقـتْ.. صَـارَتْ
كـلُّ زوجـاتِـهِـمْ.. خـيـولَ رقَـادي

كـانَ يـخـشـى أبـي فَـسـادِي ويـبـنـي
يـومَ عُـرسـي رفـضْـتُ.. عـاشَ فـسـادي

---

(١) ابن هادي: اشتهر بالرشوة فسميت باسمه.

كنتُ أعتادُهَا (غَزَالاً). . فأضحَتْ
(فاتناً). . ودَعِ الهَوَى يَا فُؤَادِي

* * *

من أرادَ النَّجاةَ. . ماتَ ليحيا
والذي لم يَمُتْ. . . إلى الموتِ صادي
سَلَّحُونَا (شيكي)[1] وقَالوا عليكُمْ
وعليكم. . . حسبُ القَرارِ القيادي
كانَ (يحيى) كالتَّيسِ يعدو ويثْغُو
و(مثنَّى) يُلقي خِطاباً زيادي[2]
وهَجمنَا. . . متْنَا قليلاً. . . أفقنا
موتُنَا كانَ مولِداً لا إرادي
ورجعنا. . . وللصخورِ عيونٌ
كالصَّبَايَا وللرَّوَابِي أيادي

* * *

إنَّ تحتَ القناعِ والوجهِ وجهاً
يختفي تحتَ ظهرِهِ. . . وَهْوَ بادي
صاحبُ الوَاديَينِ ـ دونَ تمنٍّ ـ
نَالَ ألفاً. . . وباعَ مليونَ وادي

* * *

بدءُ ليلي حبٌّ، بدونِ عشاءٍ
نصفُ يومي هوى. . وخبزٌ معادي

---

(١) شيكي: نوع من البندقيات يكشف للعدو باضاءته مصدر الرماية الليلية.
(٢) زيادي: نسبة إلى زياد بن أبيه صاحب الخطبة الشهيرة (البتراء).

هـل سـأعـتـاد وجـهَ غـيـري بـوجـهِـي؟
زَعَـمُـوا. . . ربَّـمَـا أخـونُ اعـتـيـادي

قـلـتَ لـي: أنْ ذا (أكـيـداً) ولـكـن
أيُّ شـيءٍ مـؤكَّـدٌ يـا (حَـمـادي)؟

* * *

آه. . . مَـاذا أريـدُ؟ أدري وأنـسـى
ثـم أنـسـى. . أنِّـي نـسـيـتُ مُـرَادي

* * *

كـان يـحـكـي. . . وفَـتَـحْـتَـا مُـقْـلـتـيْـهِ
مـثـلَ ثـقـبـيْـنِ. . فـي جـدارٍ رمـادي

يناير ١٩٧٤م



في الشاطئ الثاني

يـا وجـهَـهَـا فـي الـشـاطـئ الـثَّـانـي
أسـرجْـتُ لـلإبـحـار أَخـزَانِـي
أشـرغْـتُ يـا أمـواجُ أوردَتِـي
وأَتـيـتُ وخْـدِي فـوقَ أشـجَـانِـي
ولِـمَ أتـيـتُ؟ أتَـيْـتُ مـلـتـمـسـاً
فَـرحـي وأشْـعَـارِي وإنـسَـانِـي

* * *

مِـنْ أيـنَ؟ لا أرجـوكِ لا تـسَـلـي
تـدريـنَ. . . وجـهُ الـرِّيـحِ عـنْـوَانِـي
لـو كـانَ لـي مـن أيـن قـبـلَ هـنـا
قـدّرتُ أنَّ الـتِّـيـهَ أنـسـانـي
مِـنْ أيـنَ ثـانـيـةٌ وثـالـثـةٌ
أضـنـيـتُ بـحـثَ الـرَّدِّ أضـنـانـي
مـن قـبـريَ الـجـوَّالِ فـي جـسـدي
مـنَ لا مـتـى مـن مـوتِ أزمـانـي
مـنَ أخـبـرتْـنـي عـنـكَ؟ لا أحـدٌ
مَنْ دلَّـنـي. . ؟ عيناكِ. . . شيطاني

قلقي حنينُ العمرِ عَفرتَتِي
في البحثِ عن تربيتِكِ الحاني
عن نبضِ أعراقي وعن لغتي
عن منبتي من عقمِ أكفاني
أَعَلَيَّ أفنى هٰهُنَا عطشاً...
جوعاً؟ وفي كَفَّيْكِ بُستَاني

* * *

حانَ اقترابي منكِ... أينَ أنا؟
أَلشَّوقُ أقصاني وأدناني
من أينَ لي يا ريحُ معجزةٌ
يا موجُ أينَ رأيْتَ رُبَّاني؟
يا صبحَها مِنْ أينَ مدَّ يَداً
يا عطرَهَا مِنْ أينَ نَادَاني؟
أَلشاطىءُ اللَّهفَانُ يدفعُنِي
وأخافُ هذا المعبرَ القاني
مِنْ أينَ يا جذْلى أمدُّ فَمِي
ويدي إلى بستانِكِ الهاني؟
مِنْ أينَ؟ إنَّ البعدَ قرَّبنِي
مِنْ أينَ؟ إنَّ القربَ أقصاني

* * *

اليومَ كانَ البدءُ يا سَفَري
وغداً سألقَاهَا وتلقاني

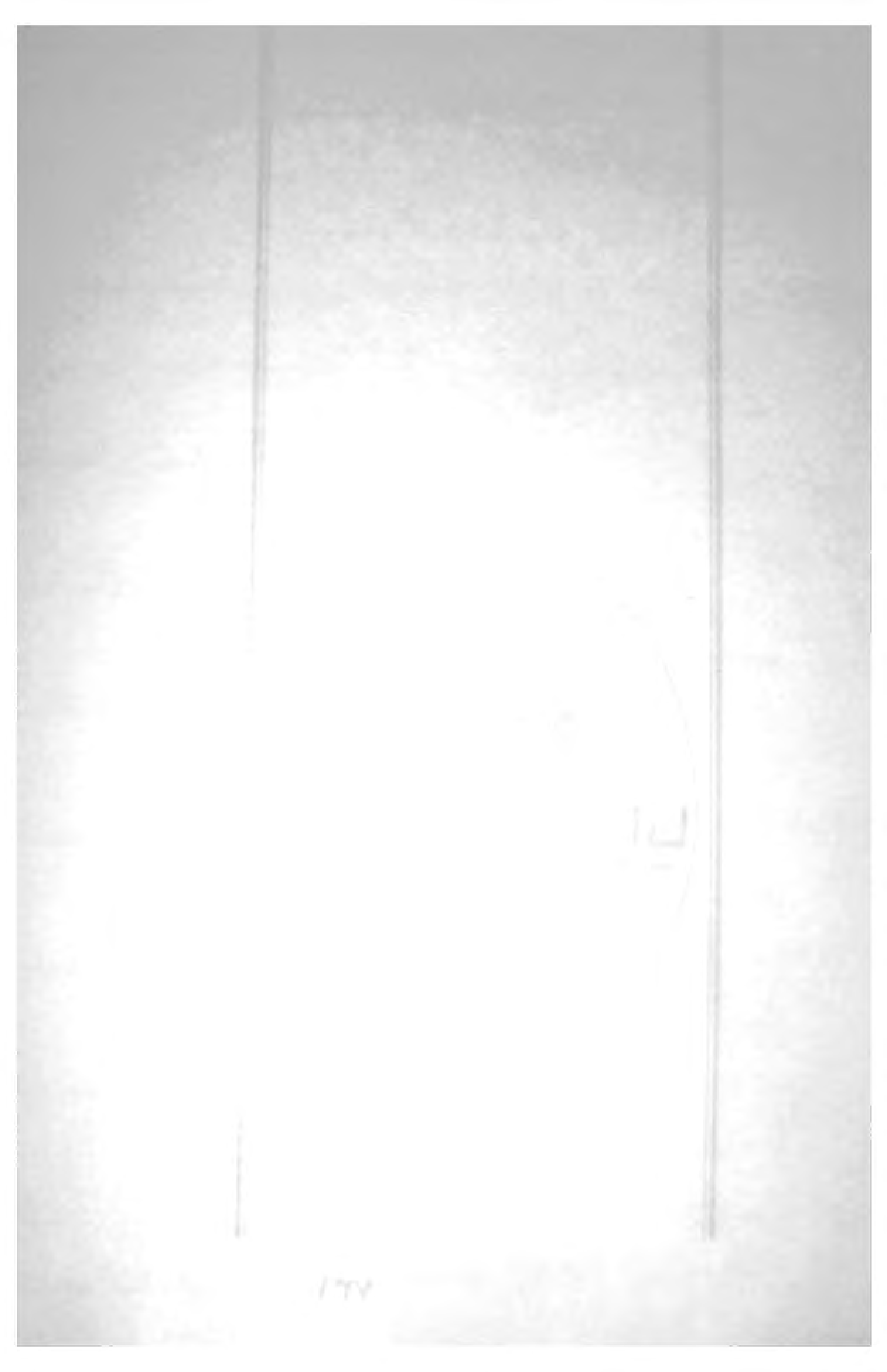
فـلـتـنـتـظِـرني حـيـثُ أنـتَ غـداً
يـا وجـهـهَـا فـي الـشـاطـىءِ الـثـانـي

دمشق ـ أكتوبر ١٩٧٤م






وجـوه
دخانية في مرايا
الـلـيـل



بين الرجل والطريق

كان رأسي في يدي مثل الشفقة
وأنا أمشي، كساعات الضحالة
وأنادي: يا مصرات، إلى أيـ
ـنَ تنتحرُ طوابيرُ الشفقة؟
يا براميـل القمامات، إلى
أينَ تمضين..؟ إلى دور الثقافة
قلْ برميلٍ إلى الدورِ..؟ نعم
وإلى المقهى..؟ أجراسُ الحلاقة
لم فاذا...؟ ورصيفٌ مثقلٌ
برصيفٍ... يحسبُ الصمتَ حصافة

• • •

فهنا قصفٌ... هنا يهوي دمٌ
ربّما سعفةُ لوريد اللطافة
ما الذي..؟ مَنْ أطلقَ النارَ؟.. شذى
زادتِ [illegible] و[illegible] عشقة
وزحامُ الشرقِ يشتدُّ... بلا
نظرةٍ عجلى... بلا أيِّ التفاتة
لم يَعُدْ للقتلِ وقعٌ..؟ ربّما
لَمْ تعُدْ للشارعِ الدامي رهافة

لا فـضـولٌ يـرتَـئِـي... لا خـبـرٌ
خـيـفـةٌ كـالأمـن.. أَمْـنٌ كـالـمَـخَـافَـهْ

* * *

مـا الـذي؟.. مـوتٌ بـمـوتٍ يـلـتـقِـي
فوقَ موتي... مَنْ رَأى في ذا طَرافهْ؟
نـهضَ الـموتَـى.. هـوى مَنْ لَـمْ يَـمُـتْ
كـالنُّعـاس الـموتُ..؟ لا شيءَ خُرافَهْ

* * *

يَاَ عَشَايا... يا هُنا... يا رِيحُ... مَنْ
يشْتَري رأسي، بحلقومِ (الزَّرَافَهْ)؟
بـيـن رِجْـلـي وطـريـقـي، جُـثَّـتـي
بـيـن كـفِّي وَفَـمِـي، عـنفُ الـمَسَـافَـهْ
أَلـمُـحَـالُ الآنَ يَـبْـدُو غـيـرُهُ
كـذَّبـت (عـرَّافـةُ) (الـجـوف) الـعِـرَافَـهْ
هـهُـنَـا أُلـقـي حُـطَـامِـي..؟ حـسـنـاً
رُبَّـمَـا تُـلـفـت عـمـالَ الـنَّـظَـافَـهْ
ربـمـا تـسـألُـنـي مـكـنـسَـةٌ.. مـا أنـا
أوْ تـزدري هٰـذي الإضَـافَـهْ

(نوفمبر ١٩٧٥م)

ذيـل:

- في البيت الخامس عشر (عرافة الجوف) وهي ربعة بنت سنان، كانت تتهم النجوم إذا فشلت في تنبُّها عن المستقبل.

❁❁❁

زامر
القفر العامر

تـغـنِّـي؟.. أغَـانِـيـكَ بـيـنَ الـرُّكَـامْ
عـيـونٌ يـفـتِّـتُـهُـنَّ الـزِّحَـامْ
نُـهـودٌ تـسـاقـطُ مـثـلَ الـحَـصَـى
جـبـاهٌ يـمـزِّقُـهَـا الإرتِـطَـامْ
وأنـتَ تُـغَـنِّـي بِـلا مـبـتَـدَا
بـلا خـبـرٍ عـن دُنُـوِّ الـخِـتَـامْ
ووجـهُـكَ فـعـلٌ لَـهُ فـاعـلان
مـضـافٌ إلـى جـرِّ مـيـمٍ ولامْ

* * *

لـهٰـذا تُـغَـنِّـي بـدونِ انـقـطـاع
يَـثـورُ عـلـى وجـهِـكَ (ابـن الـحَـرَامْ)
عـلـى جـلـدكَ الـبـنـكـنـوتِـي، عـلا
سُـعـالُ الـعَـشَـايَـا، وبـيـعُ الـمَـنَـامْ
وسـوفَ تُـغَـنِّـي إلـى أَنْ يـرفَّ
صـداكَ ربـيـعـاً ويـهـمـي حَـمَـامْ
لأنَّـكَ أشـواقُ راعٍ (بـإبٍّ)
وأحـلامُ فـلَّاحـةٍ فـي (شِـبَـامْ)

وأعـــراسُ كـــاذيـــةٍ فـــي (حَـــرَازْ)
وأفـــراحُ سُـــنْـبُـلـــةٍ فِـــي (مَـــرَامْ)

* * *

لأنَّ حـــروفَـــكَ عُـــشْـــبِـــيَّـــةٌ
كـــعـــيـــنـــيْـــكَ يـــا نـــبـــيَّ الإهـــتـــمَـــامْ

تُـــزَمِّـــرُ لـــلـــســـهـــلِ كـــي يَـــشْـــرَئِـــبَّ
ولـــلـــسَّـــفـــحِ كـــي يـــخـــلـــعَ الإحـــتِـــشَـــامْ

ولـــلـــمُـــنـــحَـــنَـــى كـــي... يـــمـــدَّ يَـــدَيْـــهِ
ويُـــعـــلـــي ذَوائـــبَـــهُ لـــلـــيَـــمَـــامْ

ولـــلـــبـــيـــدرِ الـــمُـــنْـــطَـــفِـــي. كـــي يَـــشِـــعَّ
ويـــورقَ فـــي الـــمِـــنْـــجَـــلِ الإبـــتِـــسَـــامْ

ولـــلـــشَّـــمْـــسِ، كـــي تـــجَـــتـــلِـــي أوجـــهـــاً
دُخَـــانِـــيَّـــةً، فـــي مَـــرَايَـــا الـــظَّـــلامْ

مِـــنَ الـــحَـــقْـــلِ جـــئـــتَ نـــبـــيّـــاً إلـــيـــهِ
ومـــا جـــئـــتَ مِـــنْ (هـــاشـــمٍ) أو (هِـــشَـــامْ)

أَغَـــانِـــيـــكَ بَـــوْحُ رَوَابِـــي (الـــعُـــدَيْـــنِ)
مُـــنَـــاكَ تَـــشَـــهِّـــي دَوالـــي (رِجَـــامْ)[1]

لأنَّ بـــقـــلـــبـــكَ صـــومُ الـــحُـــقُـــولِ
تُـــغَـــنِّـــي لـــتـــســـودَّ صـــفـــرُ الـــغَـــمَـــامْ

* * *

---

(١) إبْ، شبام، حراز، مرام، العدين، رجام. اسامي مناطق من مختلف جهات اليمن.

هــواكَ اعــتــنــاقُ الــنَّــدَى والــغُــصــونِ
لأنَّ غَــرَامَــكَ غــيــرُ الــغَــرَامْ

تــمــوتُ أسَــى، كــي تُــشــيــعَ الــسُّــرُور
تُــغــنّــي - وأنــتَ الــقــتــيــلُ - الــسَّــلام

مايو ١٩٧٦م



صيَّاد البروق

وَحْـدي... نـعـم كـالـبـحـرِ وحـدي
مــنِّــي ولـــي، جـــزرِي ومـــدِّي
وحـــــدي وآلافُ الــــرُّبـــى
فـوقـي... وكـلُّ الـدّهـرِ عـنـدي
مـن جـلـديَ الـخَـشَـبـيِّ أَخْـرُجُ
تـــدخـــلُ الأَزمـــانُ جـــلْـــدِي
مِـــن لامُـــنـــى، آتـــي، أعـــودُ
مـضـيَّـعـاً قـبـلـي وبـعـدِي
كـحـقـيـبـةٍ مـلأى ولا تـدري
كـــبـــابٍ، لا يُـــؤدي
مـــشـــروعُ أغـــنـــيـــةٍ، بِـــلا
صـــوتٍ، كـتـابٌ غـيـرُ مُـجـدي
شـــيءٌ يُـــخَـــبِّـــئُـــنِـــي الـــدُّجَـــى
فـــي زرعِ سُـــرَّتـــهِ وَيُـــبْـــدي
منْ تَشْتَهِي... مَنْ أنتَ يا جُنْدي؟
هَـــلْ أُســمِّـــي غـــيْـــرَ جُـــنْـــدي؟
حـــاولْـــتُ مـــثـــلـــكَ مـــرةً...
أبـــدُو ذكـــيّـــاً... ضـــاعَ جُـــهْـــدِي

مَـن أنـتَ يـا مَـجْـدي أفـنْـدِي؟
قـال لـي: (مَـجْـدِي أفَـنْـدِي)

مـاذَا تُـضـيـفُ إلـى الـغُـروبِ
إذا وصـفـتَ الـلَّـونَ وَرْدِي؟

هل أنتَ مِثْلِي؟ أكْشِفُ المَكْشُوفَ
حـيـنَ يـغـيـمُ قَـصْـدِي؟

... مـثـلـي ركبتُ ذُرى الـمشيـبِ
وَمَـا وصـلـتَ سـفـوحَ رُشْـدِي

* * *

أسـرعُ... ويـنـجـرُ الـطـريـقُ،
ويـنـثَـنِـي... يـعـمَـى ويَـهْـدِي

قَـفْ عـنـدَ حَـدِّكَ حـيـثُ أنـتَ
وهَـلْ هُـنَـا حـدٌّ لِـحَـدِّي؟

كـانـوا هُـنَـالِـك يـضْـحَـكُـونَ
يُـودُّونَ فـمَ الـتَّـعَـدِّي

بـاسـمـي يُـوشُّـونَ الـخِـيـانَـةَ
يـسـفَـحُـونَ دَمِـي. بـزنْـدِي

بـي يـرفـلـونَ لـيَـخْـفِـرُوا
بـيـدِيَّ فـي فـخـذيَّ لَـخـدِي

* * *

فـأمُـوتُ. لَـكـنْ يـغـتَـلِـي
فـي كـلِّ ذرّاتـي الـتَّـحَـدِّي

أهــوي بــلا كــفَــيْــنِ. . تــرفــعُ
جــبــهَــتِــي. لــلــشَّــمــسِ بِــنــدي

مَــاذَا؟ وأيــنَ أَنَــا؟ وأصــعــدُ
مــن قــرارات الــتَّــردِّي

بــعــدَ اعــتــصــارِ الــكَــرمِ يــنــشــدُكَ
الــرحــيــقُ: بــدأتُ عــهــدي

ســتــصــيــرُ يَــا هٰــذا الَّــذِي
أدعــوهُ قَــبــري الآن مــهــدي

وأجــيءُ مــن نــارِ الــبــروقِ. . .
يــســنــبــلُ الأشــواقَ رَعــدي

نوفمبر ١٩٧٦م

مأساة... حارس الملك

سيِّدي: هٰذي الرَّوَابِي المُنتِنَهْ
لَمْ تَعُدْ كالأَمسِ، كسلى مُذْعِنَهْ
(نُقمٌ)[1] يهجسُ، يُغلِي رَأْسَهُ
(صَبرٌ)[2] يَهذِي، يحدُّ الأَلسِنَهْ
(يسلحُ) يُومِي، يرى ميسرةً
يرتَئي (عيبان)، يَرنُو ميمنَهْ
لذُرَى (بَغدَانَ) أَلفا مُقلةٍ
رفعَتْ، أنفاً كَأَعلَى مِئذَنَهْ

* * *

أُقتلوهم، واسجُنُوا آباءَهم
واقتُلوهُمْ، بَعدَ تكبيلِ سَنَهْ
أمرُكُمْ لكنْ! ولكن مثلُهُمْ
سَيِّدي: هٰذي أَسَامِي أَمْكِنَهْ
هُمْ شياطينٌ، أنا أعرفُهُمْ
حينَ أَسْطُو، يَدَّعُونَ المَسْكَنَهْ

---

(١) (نقم) و(عيبان) جبلان مطلان على (صنعاء).
(٢) (صبر) جبل مطل على (تعز)، (يسلح) ربوة بين منطقة صنعاء والمناطق الوسطى.

(صَـبِـرٌ) وغـدٌ، أَنَـا رقَّـيـتُـهُ
كَـانَ خَـبَّـازاً، أَحِـلَّـهُ مِـغْـجَـنَـهْ

(نُـقـمٌ) كَـانَ حِـصَـانـاً لأبـي
إِطـحـنـوه عـلَـفـاً لـلأخـصِـنَـهْ

أُقـتـلـوا (يـسـلـح) أَلـفـيْ مَـرةٍ
إِسْحَبُوا (عيبانَ) حَتَّى (مؤسَنةْ)(١)

إِقـلـعـوا (بـعـدانَ) مـنْ أغـرَاقِـهِ(٢)
أُنـقلـوا نـصفَ (بـكيـلٍ) (مَقَبَنَهْ)(٣)

* * *

أمـرُكُـمْ لـكـن! ولـكـن إِقـطـعـوا
رأسَـهُ، دَعْ عَـنْـكَ هٰـذِي الـلـكـنَـنَـهْ

عـنْ أبـي، عـن جـدّه مـمـلـكـتـي...
طـلـقـةٌ بـثَّـتْ خـيُـوطَ الـعَـنْـعَـنَـهْ

سـيِّـدي: إطـلاقُ نـارٍ، رُبَّـمَـا
ثـورةٌ، قُـلْ تـسـلـيـاتٌ مُـخْـزِنَـهْ

* * *

هـاجـسٌ فـي صـدرِ مَـوْلانَـا أتـتْ
مَـنْ تَـخَـوَّفْـتَ، أَكَـانَـتْ مُـمْـكِـنَـهْ:

---

(١) (موسنه) منطقة تبعد عن (عيبان) بأكثر من ١٠٠ كيلو متر.
(٢) (بعدان) مجموعة جبال محزمة بالقرى والحقول.
(٣) (مقبنة) منطقة قريبة من (تعز) كانت تخضعها وما حولها رجال منطقة (بكيل) الواقعة شمال (اليمن).

آخِرُ الـهـمـسِ، سـكـوتٌ أوْ لَـظَـى
أولُ الــعَـزْفِ الـمُـدَوِّي دَنْـدَنَـهْ

ألـجـهـاتُ الأربـعُ احـمـرَّتْ، عَـوَتْ
ألـسـمـاءُ الآنَ، صَـارَتْ مِـدْخَـنَـهْ

مـهـرجـانٌ دمـوِيٌّ... مـا الَّـذِي
شَـبَّ عـيـنَـيـه؟ وَمَـنْ ذَا لَـوَّنَـهْ؟

ألـشـيـاطـيـنُ الـذيـنَ انـفـلـتُوا
عـرفُـوا أدْهَـى فـنـونِ الـشَّـيـطَـنَـهْ

* * *

إمضِ يا جُـنْـدي ومزِّقْـهُمْ... نعم
فـرصـةٌ أخـرجُ، أرْمِـي الـسـلـطَـنَـهْ

أُشـعِـرُ الـثـوَّارَ أنِّـي مـنـهـمـو
سَـوفَ تـبـدُو سـيِّـئـاتِـي حَـسَـنَـهْ

لـسـتُ مـن عـائِـلـةِ الأسْـيَـاد يِـا
إخـوتـي، إنِّـي (مـثـنَّـى مُـحـصـنَـهْ)

إنَّـنِـي سـيـفٌ لِـمَـنْ يـحـمِـلُـنـي
خـادمُ الأسـيـادِ، كـلَّ الأزمـنـه

* * *

كـنـتُ فـي كَـفَّـيْ (أَبِـي جـهـلٍ) كَـمَـا
كـنـتُ فـي تِـلـكَ الأَكُـفِّ الـمُـؤمِـنَـهْ

فـي فَـمِـي (أُرْجَـوزَتَـا هـنـدٍ) كَـمَـا
فـي فـمـي (الأعـرافُ) و(الـمـمـتَـحَـنَـهْ)

كـنـت فـي كَـفَّـيْ (يَـزِيـدٍ) شـعـلـةً
فـي يـدِ (الـسِّـبـطِ) شَـظَـايَـا مُـثْـخَـنَـهْ

وتـمـضـعـبـتُ بـكـفَّـيْ (مُـصْـعَـبٍ)
و (لـمـروانٍ) حـذِقْـتُ الـمَـرْوَنَـهْ

أعـرفُ الـمـوتَ (مـقـامـاتٍ) هُـنَـا
هٰـهُـنـا أشـدوُ الـمَـنَـايَـا (الـمـيـجَـنَـهْ)

يـنـتـضـيـنـي، مَـنْ يُـسَـمَّـى سَـيِّـداً
أو هـجـيـنـاً، والـيـدُ الـمـسـتـهْـجِـنَـهْ

إنَّـنـي لـلـمُـعـتَـدي، بـي يَـغْـتَـدِي
لـلـمُـضَـحِّـي، بـي يُـفـدِّي مَـوْطِـنَـهْ

حـيـنَ قُـلْـتُـمْ ثـورةٌ شَـعْـبِـيَّـةٌ
جـئـتُـكُـمْ أشـتـاقُ كَـفّـاً مُـتْـقِـنَـهْ

رافِـضـاً كـالـشَّـعْـبِ أنْ يُـدمِـيَـنـي
(أَخْـزَمٌ) ثـانٍ جـديـدُ (الـشِّـنْـشِـنَـهْ)[1]

عَـلَّـمـتْ خـطـوي حـمـاسـاتُ الـذرى
قـلـقَ الـرِّيـحِ وفَـنَّ الـمـكـنـنـهْ

لا عِـيَـالـي شَـكَّـلُـوا مـبـخـلـةً...[2]
لِـيَـدَيَّ، لا بـنـاتـي مَـجْـبَـنَـهْ[3]

* * *

---

(١) (الشنشنه) الطبيعة أو العادة السيئة وفيها إشارة إلى المثل العربي (شنشنه أعرفها من أخزم) تعبيراً عن العقوق.

(٢) مبخلة: أسباب البخل

(٣) مجبنه: أسباب الجبن، في الأثر: الاولاد مجبنة مبخلة.

صِرتُ غَيرِي، ولعَينيْ موطِنِي
صغتُ جُرحِي أنجماً مستوطِنَهْ

عن مَمَاتي: وردةٌ تحكي، وعن
مَولدِي في الموتِ تُنبِي سَوسَنَهْ

* * *

فترةً، وارتدَّ مولانا إلى...
ألف مولى، سلطناتِ (كَومَنَهْ)[1]

أيَّ نَفعٍ يجتنِي الشَّعبُ إذا،
مَاتَ (فرعونُ) لتَبْقَى الفرْعَنَةْ؟

نَفْسُ ذاكَ الطَّبل، أَضْحَى ستةً
إنَّما أَخْوى وأعلى طَنْطَنَهْ

يَمّنُونِي، يَسّرُونِي، تَوّجُوا
مَنْ دَعَوْهَا الوسَطَ المُتَّزِنَهْ

جاءَنا المحتلُّ، في غيرِ اسمِهِ
لبسَتْ وجهَ النبيِّ القَرْصَنَهْ

سادتي عَفواً! سَتَبدُو قصَّتِي
عندكُمْ عادِيَّةً، مُمْتَهَنَهْ

* * *

كنتُ سَجَّاناً أدقُّ القيدَ عَنْ
خبرةٍ؛ صرتُ أُجيدُ الزَّنْزَنَهْ

---

(١) (الكومنة) دعوى الشجاعة في اللهجة المحلية.

أقـتـلُ الـمـقـتـولَ، أُدمـيـهِ إلـى...
أن أرى الأسـرارَ، حُـمْـراً مُـعـلَـنَـهْ

قَـدْ تـطَّـورتُ، عـلـى تـطـويـرهِـمْ
وأَنَـا نـفـسُ الأَدَاةِ الـمُـوْهَـنَـهْ

مِـحـنَـتـي أَنِّـي - كَـمَـا كـنـتُ - لـمـن
هـزَّنـي، مـأسـاةُ عُـمـري مُـزْمِـنَـهْ

أكتوبر ١٩٧٦م

❁ ❁ ❁

الأخضر المغمور

لكي يستهلَّ الصبحُ، من آخرِ السُّرى
يحنُّ إلى الأسنى، ويعمى لكي يَرَى
لكي لا يفيقَ الميِّتونَ. ليظْفَرُوا
بموتٍ جديدٍ... يُبْدعُ الصحوَ أغْبَرَا
لكي يُنبِتَ الأشجارَ... يمتدُّ تَربةً
لكي يصبحَ الأشجارَ والخصبَ والثَّرَى
لكي يستهلَّ المستحيلُ كتابهُ...
يمدُّ لَهُ عينيْهِ، حِبْراً ودفتَرَا

* * *

لأنَّ بهِ كالنَّهرِ أشواقَ باذِلٍ
يعاني عناءَ النَّهرِ، يجري كما جَرَى
يروِّي سواهُ، وهو أظما من اللَّظَى
ويهوي، لكي ترقَى السفوحُ إلى الذُّرَى
لكي لا يعودَ القبرُ ميلادَ ميِّتٍ
لكي لا يُوالي قيصرٌ، عَهْدَ قَيْصَرَا

* * *

لأنَّ دمَ (الخضراءِ) فيهِ معلَّبٌ
يذوبُ ندًى، يمشي حقولاً إلى القُرَى

لأنَّ خطاهُ، تُنبِتُ الوردَ في الصفا
وفي الرملِ أضحى، يعشقُ الحسن أحمرا

هُنَا أَوْ هُنَا يَنْمُو، لأنَّ جذورَهُ
بكلِّ جُذورِ الأرضِ، ورديةَ العُرَى

* * *

عن أعينِ (الغِيلانِ) يركضُ حافِياً
ويجترُّ من أحجارِ (عيبانَ) مئزَراً

يقولونَ، من شكلِ الفوارسِ شكلُهُ
نَعَمْ.. ليس تكسيّاً، لِمَنْ قَادَ واكتَرَى

* * *

له (عبلةٌ) في كلِّ شبرٍ ونسْمَةٍ
وما قالَ إنّي (عَنْتَرٌ) أو تَعَنْتَرَا

ولا كانَ دلّالَ المَنَايَا حصانُهُ
ولا بَاعَ في سوقِ الدَّعَاوى ولا اشْتَرَى

يحبُّ لذاتِ البذلِ، بالقلبِ كلِّهِ
يحبُّ ولا يدري، ولا غيرُهُ دَرَى

لأنَّ بِهِ سرَّ الحُقُولِ تُحِسُّهُ
يشعُّ وينْدَى، لا تعي كيفَ أَزْهَرَا

* * *

حكاياتُهُ، لونٌ وضوءٌ، عرفتَه؟
كشعبٍ كبيرٍ، وهوَ فَردٌ من الوَرَى

بسيطٌ (كقاعِ الحقلِ) عالٍ (كيافعٍ)[1]
عميقٌ، كما تكسو العناقيدُ (مِسْوَرَا)

* * *

ومن أينَ؟ من كلِّ البِقَاعِ، لأنَّه
يجودُ ولا يدرونَ، مِنْ أَينَ أَمْطَرَا
يغيمُ ولا يدرونَ، من أينَ يَنْجَلِي
يغيبُ ولا يدرون، من أينَ أَسْفَرا
وقد يعتريه الموتُ، مليونَ مرةٍ
ويأتي وليداً، ناسياً كُلَّ ما اعتَرى
تَدُلُّ عليهِ الرِّيحُ، هَمْساً إلى الضُّحَى
وتروي عَطَايَاه العَشَايَا، تَفَكُّرَا

* * *

هُناك شَدَا كالفجرِ، أورقَ هٰهُنَا
هُنَا رفَّ كالمَرْعَى، هنالك أَثْمَرَا
لأنَّ خُطاهُ برعَمَتْ شهوةَ الحَصَى
لأنَّ هواهُ، في دمِ البذرِ أقمَرَا
تُرَى ما اسمُهُ؟ لا يعرفُ الناسُ ما اسمُهُ
وسوفَ تسمِّيهِ العصافيرُ، أَخْضَرَا

يناير ١٩٧٦م

۞۞۞

(١) قاع الحقل ـ يافع ـ مسور: مناطق يمنية خصبة.

المحكوم عليه

قـيـل عـن (م. . ن) أَضْـحَـى مُـهِـيـلا
هـل تَـحـرَّيـتَ أنـتَ؟ مـا نَـفْـعُ قـيـلا؟

. . . إشْـتَـرى مـرةً أمَـامِـي كـتـابـاً
اسـمـهُ. . . كيف تقـهرُ المُسْتَحِيلا

ومَـضَـى شـاهـراً لـهُ، كـأمـيـرٍ
أُمـويٍّ. . . يَـهُـزُّ سـيـفـاً صـقـيـلا

راح يُـومـي إلى الـوزَارَاتِ. . يـحـكي
لصديقَيْنِ. . . سوفَ نَشفي الغَليلَا

* * *

قـلـتُ هَـلْ صـارَ ثـائـراً. . . وعـلـى مَـنْ
وهـوَ مِـنَّـا. . . هـل يـصبحُ الـهرُّ فـيلَا؟

ذاتَ يـومِ رأيـتُـهُ وَسْـطَ مـقـهَـى
ورآنـي، أغـضـى ومَـالَ قـلـيـلا

كـان فـي حَـلْـقـةٍ مِـنَ الـنَّـاسِ. يُـبْـدي
مِـنْ نَـزَاهـاتِـهِ شُـروقـاً بـلـيـلا

قسَّـمَ الـثـائرِيـنَ صِـنـفـيْـن. . . صـنـفـاً
مـنـفـعـيّـاً، صِـنـفـاً نـقـيّـاً أَصِـيـلا

لاحَ لِـي. كـالـمُـريـبِ. لا بـل تـبـدّى
كـخـطـيـر، يـريـدُ أمـراً جَـلـيـلا

* * *

دَسَّ يَـوْمـاً فـي جـيـبـهِ شـبـهَ ظـرفِ
قُـزمُـزِيٍّ. لـمـحـتُـهُ مُـسْـتَـطِـيـلا
مـرةً إشْـتـرى الـجـريـدَةَ.. سَـمَّـى
نـصـفَـهـا خـائـنـاً، ونِـصْـفـاً دَخِـيـلا
(كـي أُنَـمِّـي أُمِّـيَّـتـي أشْـتَـرِيـهَـا)
أعـجـبَ الـعـابـريـنَ، أرضـى (خـلـيـلا)
صـنَّـفَ الـكـاتـبـيـنَ.. هـذا عـمـيـلاً
لـعـمـيـلٍ، وذا دَعـاهُ الـعَـمِـيـلا
كـان يـرنـو إلـيـهِ، كـلُّ رصـيـفٍ
مثلَ مَنْ يَجْتَلِي غُموضاً جَمِيلا

* * *

سـكـنَ (الـقـاعَ) مـدةً و(شُـعُـوبـاً)[1]
نـصـفَ شـهـرٍ وحـلَّ شـهـراً (عـقـيـلا)
أجَّـرَ الـدّورَ، بـاسـمِ بِـنـتِ أخـيـهِ
وأكـترى فـي (الـمـطـيـطِ) بـيـتـاً نـحـيـلا

* * *

وعلى الذُكرِ... كم لديه بيوتٌ..؟
تِـسـعـةٌ... هَـلْ تَـراهُ رَقـمـاً ضـئـيـلا؟

---

(١) (القاع) (شعوب) (عقيل) (المطيط) اسماء احياء في صنعاء.. ويسمى الاخير مضافا (شارع المطيط).

إبـتـنـى مـنـزلـيْـنِ، وهـوَ وزيـرٌ
سـبـعـةً عـنـدمـا تـولّـى وكِـيـلا

كـان لِـصّـاً مـحـصَّـنـاً، إن تـولّـى. . .
وطـنـيّـاً إذَا غَـدَا مـسـتـقـيـلا

يـشـتـهـي الآن مَـنْـصِـبـاً. . . ذاكَ سـهـلٌ
وهـو يـدري إلـى الـوصـولِ الـسَّـبِـيـلا

عــلَّ أسـيـادَهُ الَّـذيـن امـتـطـوْهُ
أنـفـذوهُ. . . بـل واستَجَادُوا الـبَـديـلا

لـم يـكـنْ ثـائـراً، عـلـى أيِّ حـالٍ
إنَّـمـا قَـدْ يـثـوِّرُ الآن جِـيـلا

يَـسْـتـفِـزُّ الـركـودَ أيُّ ضـجـيـجٍ
أوَّلُ الإنـفـجـار يـبـدو فَـتـيـلا

* * *

خـمـسـةٌ يـقـبـضـونَ فـوراً عَـلـيـهِ
إحـتـيـاطـاً. . . لـقـد مَـلَـكْـنَـا الـدَّلـيـلا

سـيِّـدي. . . لَـمْ نَـجِـدهُ فـي أيِّ شـبـرٍ
إبـحـثـوا جـيِّـداً. . . بَـحَـثْـنَـا طَـوِيـلا

هــاتِ (م. . . خ) ثـلاثـيـنَ عَـيْـنـاً
إنـتـخـبْ أنـتَ. . . مـن تـراهُ كَـفِـيـلا

لـم نـجـدْهُ، يـقـولُ عـنـهُ أُنَـاسٌ
إنَّـهُ كـالـرِّيـاحِ، يَـهْـوَى الـرَّحـيـلا

لـم نـجـده، صـوتٌ: قَـبَـضْـنَـا عَـلـيـهِ
ألـبـسـوهُ، سَـوْطـاً وقـيـداً ثـقـيـلا

أنــزِلــوه زِنْــزَانَــةً، أنــتَ أَدْرى
يـا أبـا الـضـرب، كـيـفَ تَـرْعَـى الـنَّـزِيـلا

* * *

كـيـفَ نـلـقـى يـا (م. . ن) خَـلاصـاً
سـاءَنــي أَنْ أَرى الـعــزيــزَ ذَلـيــلا

أنــتَ أغْــلَــى أحِــبَّـتِــي مــن زمــانٍ
كـنُــتَ شَـهْـمـاً، ومـا تـزالُ نَـبِـيـلا

إنَّ عــنــديَ رَأيــاً، عــســى تَـرْتَـضِـيـهِ
لـيــسَ مِــنْ عَــادَتــي أردُّ الـزَّمِــيـلا

مــنــزلاً لــلــمــديــرِ، أُكــتـبْـه بـيْـعـاً
سوف يُنْجِيكَ. . . هَلَ تموتُ بَخيلا؟

* * *

لـم يـوافـق. . إضـربْـهُ حَـتَّـى تُـلاقِـي
نـصـفَـهُ مـيِّـتـاً، ونـصـفـاً عَـلـيـلا

* * *

وهــنــا ضـجَّ حــارسٌ، كــان يُـصـغِـي
مـا لَـكُـمْ يـأكُـلُ الـمَـثِـيـلُ الـمثـيـلا

مـثـلُـكُـم كــان ثـائـراً، فـرجـعـتُـمْ
نـصـفَ مِـيـلٍ، فـتـابَ وارتـدَّ مـيـلا

كـلُّ مَـا بَـيْـنَـكُـم. . سـقـطـتُـمْ عُـرَاةً
وهَــوَى حــامــلاً رداءً غــسِــيــلا

هَــلْ تُــريــدونَ قَـتْـلَـه؟ مـاتَ يـومـاً
مثلَكُمْ. . . كيف تَقْتُلونَ القَتيلا؟

أغسطس ١٩٧٥م

أمام المفترق الأخير

يا شعرُ... يا تَاريخُ... يا فلسفهْ
من أينَ يَأتي، قلقُ المَعْرِفَهْ؟
من أينَ يأتي؟ كلُّ يومٍ لهُ
غرابةٌ... رائحةٌ مُزجِفَهْ
نألفُهُ شيئاً... فيبدو لنَا
غيرَ الذي نعتادُ... كي نألفَهْ
لٰكنْ لَهُ في كلِّ يومٍ فَمٌ
ثانٍ... يَدٌ ثالثةٌ مُرهَفَهْ
حيناً لهُ كِبْرٌ... وحيناً لَهُ
تواضعٌ أغبى من العَجْرَفَهْ
وتارةً تعلو وتهوي بهِ
أجنحةٌ غيميَّةُ الرَّفْرَفَهْ
أصَمُّ كالأحجارِ... لٰكنَّهُ
يَذوي. ولا صوتٌ لهُ، لا شَفَهْ
يَنْوي كَفنَّانٍ. بلا فكرةٍ
يغلي... كطيشِ الفكرةِ الْملحِفَهْ
نحنُ أنَا ماسَويونَ لا
نملكُ للمأساةِ غيرَ الصِّفَهْ

يَـجْـتـرُنَـا الـخـبـزُ، فـتـقـتَـاتُـنَـا
-مـن قـبـلِ أن نـشـتـمَّـهَـا-الأرغِـفَـهْ
نـمـوتُ ألـفـيْ مـرَّةٍ... كـي نَـرَى
كـلَّ يـدٍ مـشـبـوهـةٍ، مُـسـعِـفَـهْ

* * *

يـا دورُ يـا أسـواقُ، مـاذا هُـنـا
مـوتٌ تُـغَـاوي، وجْـهَـهُ الـزَّخْـرَفَـهْ
رعـبٌ صـلـيـبـيٌّ، لـهُ أعـيـنٌ
خـضـرٌ... وأيـدٍ بَـضَّـةٌ مـتـلِـفَـهْ

* * *

يـا فُـنـدقَ (الـزهْـرَا) مُـحـالٌ تـعِـي
قـضـيـةَ (الـمَـنـصُـورةِ) الـمُـؤسِـفَـهْ
ويـا (مَـخَـا)... مـاذا سَـيـبـدُو إذَا[1]
تـقـيَّـأَتْ أسْـرَارَهَـا الأغَـلِـفَـهْ؟
تَـفـنَّـنَ الـمـوتُ... فـأَضْـحَـى لَـهُ
جـلـدٌ أنـيـقٌ... مِـديَـةٌ مُـتـرفَـهْ
يَـمـتَـصُّ بـالـقَـتْـلِ الـحـريـري كَـمَـا
يـجـتـاحُ، بـالـوحـشـيَّـةِ الـمُـسـرِفَـهْ
يُـلَـمِّـعُ الأوبـاءَ، كـي تـرتـدي
بـراءةً أظـفَـارُهَـا الـمُـجْـحِـفَـهْ

* * *

(١) المخا: فندق بصنعاء، والمنصورة حي شعبي جوار فندق الزهراء بصنعاء أيضاً.

756

مـن أيـنَ نـمـشـي يـا طـوابـيـرُ. . . يـا
سـوقـاً مِـنَ الأنْـيَـابِ والـهَـفْـهَـفَـهْ؟

مِـنْ أيـنَ يـا جـدرانُ. . . يـا خِـبـرةً
تُـزوِّقُ الـتـمـويـتَ، والـسَّـفْـسَـفَـهْ؟

مـن هٰـهُـنـا. . . أومِـن. . وتَـجْـتَـازُنَـا
- مـن قـبـلِ أن نـجـتـازَهـا - الأرصِـفَـهْ

* * *

هـل نـنـثـني يـا شَـوْط؟ هـل يـنـثـنـي
نـهـرٌ يُـريـدُ الـعُـشْـبُ، أن يـوقِـفَـهْ؟

هُـنَـا طـريـقُ، لا يُـؤدِّي. . . هُـنَـا
دربٌ. . . إلـى الـرَّابـيَـةِ الـمـشـرِفَـهْ

هٰـذا عـنـيـفٌ، ولـهُ غـايـةٌ
وذا بـلا قـصـدٍ؛ ومـا أعـنَـفَـهْ

مارس ١٩٧٥م

هاتف.. وكاتب

أُكـــتـــبْ... لا تَـــتَـــعـــطَّـــلْ
مـــا أقـــســـى. أنْ أفـــعَـــلْ
صـــارت كـــفُّـــي؛ رجْـــلاً
مـــا جـــدوى، أن تَـــكْـــسَـــلْ؟
لـــم أســـتَـــولِـــدْ حَـــرْفـــاً
جـــدّد حـــرفـــاً مُـــهْـــمَـــلْ
تـــدري؟ لـــلـــحـــرفِ صـــبـــاً
يـــفـــنـــى؛ وصـــبـــاً يـــحـــبـــلْ

* * *

مـــن يُـــخْـــرجُـــنِـــي مـــنِّـــي؟
أَلـــبـــحـــثُ عـــنِ الـــمَـــدْخَـــلْ
أَلـــخـــفـــض إلـــى الأعـــلَـــى
أَلـــرفـــعُ إلـــى الأســـفَـــلْ
أَلـــتَّـــوقُ إلـــى الأَقْـــسَـــى
أَلـــصـــدُّ عَـــنِ الأســـهَـــلْ
أَلـــمـــوتُ إلـــى الأَنْـــهَـــى
أَلـــبـــدءُ مـــنَ الأأْصـــلْ

* * *

أُكْــتُــبْ شِــعْــراً، فــكــراً
أنــفــاســاً؛ تَــتَــشَــكَّــلْ
تــمــهــيــداً. . عــنــوانــاً
تــفــعــيــلاتِ أفــعــلْ
إِهــمِــسْ شــيــئــاً. حــتَّــى
كــالــقــمــح إلــى (الــمِــنــجــلْ)
هــمــسُ الأرضِ الــوجْــعــى
فَــنٌّ، عــنــدَ الــجَــدْوَلْ
ولِــخــفْــقِ الــبــذرِ صدًى
فــي إبــداعِ الــمَــشْــتَــلْ

* * *

أَتــرانِــي مــخــنــوقــاً؟
إِهــمِــسْ؛ لا تَــتَــمَــهَّــلْ
جَــرِّبْ، فــلــديْــكَ فَــمٌ
وجــنــونٌ يَــتَــعَــقَّــلْ
قــتَــلــونــي، مــراتٍ
أُكــتــبْ كــي لا تُــقــتَــلْ
بــدمِ الــمَــوْتِ الــثَّــانِــي
تــمــحــو الــمــوتَ الأوَّلْ
حــاولْ. . . حــاولــتُ بــلا
جَــدْوَى، مَــاذا أَعْــمَــلْ؟

* * *

إشتقت كما يبدو
ماذا؟ طفح المرجل
شهوات الحبر على
شفتيك، دنت تسأل
تتشكل أقباساً
أكواخاً تتأمل
مشروعاً جذرياً
ينسى أنْ يتأجل
أطفالاً أبطالاً
أشجاراً تتهدل
أظمئت الآن، ولا
تدري، ماذا تتهل؟
إستقبل ما يأتي
وتخير، ما تقبل
آتي الماضي، أدهى:
ماضي الآتي؛ أعضل!

* * *

فلتكتب، تحقيقاً
عن ماضي المستقبل
عن أحجارٍ طارت
وصقورٍ تترجل
عن ماءٍ، صار دماً
ودمٍ أمسى، مخمل

عـــن تـــاريـــخٍ ثـــانِ
عـــن أشـــغـــالٍ تُـــشْـــغَـــلْ

عـــن (صـــنـــعـــا) ثـــانـــيـــةً
مـــن ضِـــرَّتِـــهَـــا، تـــرحَـــلْ

عـــن وجـــهِ (يَـــزَنِـــيٍّ)
ولَّـــى وأتـــى أجـــمـــلْ

عـــن مـــعـــنًـــى. لا يـــعـــنـــي
عـــن خَـــجَـــلٍ، لا يَـــخْـــجَـــلْ

عـــن حـــيٍّ لا يـــخـــيَـــى
عـــن قَـــبْـــرٍ يَـــتَـــغَـــزَّلْ

عـــن مـــيْـــتٍ يـــتَـــنَـــدَّى
مـــولـــوداً مُـــسْـــتَـــعْـــمَـــلْ

عـــن زوايـــةٍ وَلَـــدَتْ
ثـــوريّـــاً مُـــســـتـــعْـــجِـــلْ

* * *

مَـــنْ يُـــعـــطـــيـــنـــي لـــغـــةً
أعـــلَـــى، ويـــداً أطـــوَلْ؟

لـــوْلـــي صـــوتٌ أعـــتـــى
لـــوْلـــي حـــبـــرٌ أقـــتَـــلْ

أُكـــتـــب عَـــمَّـــا تَـــدْري
تـــســـتـــكْـــشِـــفُ مَـــا تَـــجْـــهَـــلْ

مايو ١٩٧٥م

۞۞۞

تحت السكاكين

بعينيهِ حُلمُ الصَّبايَا، وفي
حناياه، مقبرةٌ مستريحَهْ

* * *

لِنيسانَ يشدو، وفي صدرِهِ
شتاءٌ عنيفٌ... طيورٌ جريحَهْ

بلادٌ، تهُمُّ بميلادِها...
بلادٌ تموتُ، وتمشي ذبيحَهْ

بلادانِ، داخلهُ هٰذهِ
جنينٌ، وهٰذي عجوزٌ طريحَهْ

وآتٍ إلى مهدِهِ يشرَئِبُّ
وماضٍ يَئِنُّ، كشكلى كَسيحَهْ

زمانانِ، داخِلهُ يغتلي
دجًى كالأفاعي... وتندى صبيحَهْ

ورُغمَ صريرِ السَّكاكينِ فيه
يُغنِّي، يُغنِّي... وينسى النَّصيحَهْ

فتخضرُّ عافيةُ الفنِّ فيهِ
وأوجاعُهُ وحدهُنَّ الصَّحيحَهْ

أيا شمعةَ العُمْر ذوبِي... يُلحُّ...
فَتَسْخُو وتومي: أأبدُو شَحيحَهْ؟

فيُولَدُ في قلبهِ كلَّ يوم...
ويحملُ في شَفَتَيْهِ ضريحَهْ

* * *

يُوالي، فيرفضُ نصفَ الولاءِ
ويُبدي العداواتِ، جَلوَى صريحَهْ

لهُ وجهُهُ الفرْدُ... لا يرتَدي
وجوهاً تُغطِّي الوُجُوهَ القَبيحَهْ

* * *

يُعرِّي فضائحَ هذا الزَّمَانِ
ويعرى، فيبدو كأنقى فَضِيحَهْ

تَرَى وجهها الشمسُ فيهِ كما
ترى وجْهَهَا، في المَرَايا المليحَهْ

يناير ١٩٧٥م

⊛⊛⊛

بعد سقوط المكياج

إلى (الفا ـ ح)

غيرَ رَأْسِي. . . اعطني رأسَ (جَمَلْ)
غيرَ قلبي. . . اعطني قَلبَ (حَمَلْ)
رُدَّني ما شئتَ. . . (ثوراً)، (نعجةً)
كي أُسَمِّيكَ. . . يمانيّاً بَطَلْ
كي أُسَمِّيكَ شريفاً. . . أو أرى
فيكَ مشروعَ شريفٍ مُحتَمَلْ
سَقَطَ المكياجُ، لا جدوى بأن
تَستَعيرَ الآنَ، وجهاً مفتَعَلْ

* * *

كُنتَ حسبَ الطَّقسِ، تبدو ثائراً
صرتَ شيئاً. . . ما اسمُهُ؟ يا للخَجَلْ
ينقُشُ البوليسُ، ما حققتَهُ
من فتوحٍ با (المواسي) في المُقَلْ
با (الهَرَاوي) با (السّكاكين). . بِمَا
يجهلُ الشيطانُ. . . من أخزى الحِيَلْ
تقتُلُ المقتولَ، كي تحكُمَهُ
ولكي ترتاح. . . تشوي المعتقَلْ

هـل أُسَـمِّـيـكَ بـهـذا نـاجـحـاً؟
إن يكـن هـذا نـجـاحـاً. . . مـا الفَـشَـلْ؟

* * *

إنَّــمــا أرجــوك، غَــلِّـطْـنــي ولـو
مَــرَّةً كُــنْ آدمــيّــاً. . . لا أقَــلّْ

قُـلْ أنـا الـكـذَّابُ، وامـنـحْـنـي عـلـى
حِـسِّـكَ الإنـسـانـيَ الـشـعـبـيِ، مَـثَـلْ

فـلـقـد جـادلـتُ نَـفْـسِـي بـاحـثـاً
عَــنْ مَـزَايَـاك، فـأَعْـيَـانـي الـجَـدَلْ

أنـتَ لا تَـقْـبَـلُ جَـهْـلـي إنَّـمَـا
لـيـسَ عِـنْـدي، لـلـخـيـانـاتِ غَـزَلْ

* * *

أيُّ شـيءٍ أنـتَ؟ يـا جـسـر الـعِـدَى
يـا عـمـيـلاً، لـيـس يـدري مـا الـعَـمَـلْ

ردَّنِـي غَـيْـري، لـكـي تـبـصـرنـي
لـلـذُّبـابِ الآدمـي، نَـهْـرُ عَـسَـلْ



سندباد يمني
في مقعد التحقيق

كَمَا شئتَ فَتِّشْ. . . أينَ أُخفي حقَائبِي
أتسألني من أنتَ؟. . أعرفُ واجبي
أجِبْ، لا تُحاولْ، عمُركَ، الإِسمُ كاملاً
ثلاثونَ تقريباً. . . (مثنَّى الشواجبي)
نَعَمْ، أين كنتَ الأمسِ؟ كنتُ بمرقَدِي
وجمجُمَتي في السجنِ في السُّوقِ شَارِبي
رَحلْتَ إذنْ، فيمَ الرّحيلُ؟ أظنُّهُ
جَديداً، أنا فِيهِ طريقِي وصَاحِبِي
إلى أينَ؟ من شعبٍ لثانٍ بداخِلِي
متى سوفَ آتي! حين تَمضِي رَغَائِبي
جوازاً سِيَاحيّاً حَمَلْت؟. . جَنَازَةً
حملتُ بجلدي، فوقَ أيْدِي رَوَاسِبِي
. . . من الضِفَّةِ الأُولَى، رحلتُ مُهَدَّماً
إلى الضفةِ الأخرى، حَملتُ خَرَائِبِي
هُراءٌ غريبٌ لا أعيه. . . ولا أنا
متى سوفَ تدري؟ حينَ أنسَى غرائِبِي

* * *

تحدَّيتَ بالأمسِ الحكومةَ، مجرمٌ
رهنتُ لَدَى الخَبَّازِ، أمسِ جَوَارِبِي

منِ الكاتبُ الأدنى إليكَ؟ ذَكَرْتُهُ
لَدَيهِ كَمَا يبدو، كِتَابي وكاتِبِي

لدى مَنْ؟ لدى الخمّارِ، يكتبُ عندَهُ
حسابي، ومَنْهى الشهرِ، يَبْتَزُّ رَاتِبِي

قرأتَ لهُ شيئاً؟ كؤوساً كثيرةً
وضيَّعتُ أجْفَاني، لديهِ وحَاجِبِي

قرأتَ - كما يحكونَ عَنكَ - قَصَائِداً
مهرَّبةً... بل كنتُ أوَّلَ هَارِبِ

أما كنتَ يوماً طالباً؟.. كنتُ يا أخي
وقدْ كَانَ أستاذَ التَّلاميذِ، طَالِبِي

قرأتُ كتاباً مرةً، صرتُ بعدَهُ
حماراً، حماراًلا أرَى حَجْمَ رَاكِبِي

* * *

أحَبَبْتَ؟ لا بل مِتُّ حُبّاً... من التَّي؟
أحبيتُ حَتَّى لا أعِي، مَنْ حَبَائبِي

وكَمْ مِتَّ مراتٍ؟.. كثيراً كَعادتِي
تموتُ وتحيا؟ تلك احدى مَصَائِبي

* * *

ومَاذا عنِ الثُّوَّارِ؟ حتماً عرفتَهُمْ!
نَعَمْ، حاسَبُوا عَنِّي، تغذَّوْا بِجَانِبِي

وَمَاذَا تحدَّثتُمْ؟ طلبتُ سجارةً
أظنُّ وكبريتاً... بلوْا مِنْ أَقَارِبي

شكوْنَا غَلاءَ الخُبزِ... قُلنَا ستنْجَلي
ذكرنَا قليلاً... موتَ (سَعْدَان مارِبي)

ومَاذا؟ وأنسَانَا الحكاياتِ مُنْشِدُ
(إذا لم يسالمْكَ الزمانُ فَحَارِبِ)

وحينَ خرَجْتُمْ، أينَ خبَّأْتَهُمْ، بلا
مغالطةٍ؟ خبأتُهم، في ذَوائِبي

لدينا مَلَفٌّ عنك... شكراً لأنَّكُمْ
تصونونَ، ما أهمَلتُهُ من تَجَارِبي

لقد كنتَ أمِّيّاً حِمَاراً وفجأةً...
ظهرتَ أديباً... مُذْ طَبَخْتُمْ مَآدِبي

خذُوهُ.. خذوني لَنْ تَزِيدوا مَرَارتي
دَعُوهُ... دَعُوني لَنْ تَزِيدُوا مَتَاعِبِي

يوليو ١٩٧٥م



الآتون.. من الأزمة

يا حَزَانَى... يا جميعَ الطيِّبينْ
هٰذِهِ الأخبارُ... من دارِ اليَقينْ

قرَّروا الليلةَ.. أن يتَّجِرُوا
بالعَشَايا الصفرِ... بالصبح الحَزينْ

فافتَحُوا أبوابَكُمْ، واختَزِنُوا
من شُعاعِ الشَّمسِ، ما يكفي سِنِينْ

وَقِّعُوا مشروعَ تقنين الهَوَى
بالبطَاقَاتِ، لكلِّ العَاشِقِينْ

ما أَلِفتُم مثلَهُمْ أن تَعْشَقُوا
خدَرَ الدفءِ، لَكُمْ عشقٌ ثَمِينْ

* * *

قرَّروا بيعَ الأَمَانِي والرُّؤى
في القَنَانِي، رَفَعُوا سِعْرَ الحَنينْ

فَتَحُوا بَنْكَينِ للنَّوْمِ، بَنَوا
مصْنَعاً، يطبخُ جوعَ الكَادِحينْ

إنَّكُمْ أجدرُ بالسُّهْدِ الَّذي
يَعِدُ الفجرَ بوصلِ الثَّائرينْ

* * *

بَــدَأُوا تــجـفِـيــفَ شــطــآنِ الأسَــى
كـيَ يـبـيـعُـوهَـا، كـأكـيـاسِ الـطَّـحِـيـنْ
عـلَّـبُـوا الأمْـرَاضَ. . . أعـلَـوْا سِـعْـرَهَـا
كـي يـصـيـرَ الـطـبُّ، سِـمْـسَـاراً أمـيـن
حسناً. . . تجويعكُم. . . تعطيشُكُمْ
إنَّـمـا الـخـوفُ، عـلـى الـوَحْـشِ الـسَّـمِـيـنْ

* * *

شَـيَّـدوا لـلأمـنِ، سِـجـنـاً راقِـيـاً
تـسـتَـوي الـسِّـكِّـيـنُ فِـيـهِ والـطَّـعِـيـنْ
إنَّ مَـجَّـانِـيَّـةَ الـمَـوْتِ عَـلَـى
رأيِـهِـمْ حـقٌّ لـكـلِّ الـعَـالَـمِـيـنْ
أزمَـةُ الـنَّـفْـطِ، لَـهَـا مـا بـعـدَهَـا
إنَّـكُـم فـي عـهـدِ، (تـجَّـارِ الـيَـمِـيـن)
فـاسْـبِـقُـوهُـمْ يَـا حَـزَانَـى. وارْفَـعُـوا
عَـلَـمَ الإِضْـرَارِ وَرْدِيَّ الـجـبـيـنْ
واخـرُسُـوا الأجْـواءَ، مِـنْـهُـمْ قـبـلَ أَنْ
يُـعـلِـنُـوهـا، أَزْمـةٌ فـي الأوكْـسِـجِـيـنْ

* * *

إنَّـهُـمْ أَقْـسَـى وأَذْرَى، إنَّـمَـا
جَـرَّبُـوا مـعـرفـةَ الـسِّـرِّ الـكَـمِـيـنْ
عـنـدَمَـا تَـذْرُونَ، مَـنْ بـائِـعُـكُـم
يـسـقـطُ الـشَّـارِي، وسـوقُ الـبَـائِـعِـيـنْ

عـــنَـــدمَـــا تَـــدرُونَ مَـــنْ جَـــلَّادُكُـــمْ
يُـحـرقُ الـشَّـوكُ، ويَـنْـدى الـيَـاسَـمـيـنْ

عَـنْـدَمَـا تـأتـونَ فـي صَـحْـو الـضُّـحَـى
تـبـلـعُ الأنـقـاضُ، كَـلَّ الـمُـخْـبِـريـنْ

إنَّـــكُـــمْ آتـــونَ، فـــي أعـــيـــنـــكُـــمْ
قَـــدَرٌ غَـــافٍ، وتَـــاريـــخُ جَـــنـــيـــنْ

نوفمبر ١٩٧٤م

❁ ❁ ❁

في وجه
الغزوة الثالثة

حَسَناً. . . إنَّما المهمَّةُ صَعْبَهْ
فلْيكن. . . ولْنَمُتْ بكلِّ مَحَبَّهْ
يُصبح الموتُ مَوطِناً. . . حينَ يُمسِي
وطنٌ أنتَ منهُ، أوحشُ غُرْبَهْ
حين تُمسي من هَضْبةٍ بعضَ صَخْرٍ
وهي تَنْسَى، أنَّ اسمَهَا كانَ هَضْبَهْ
فلْتُصلِّبْ عِظَامَنا الأرْضُ، يدري
كلُّ وحشٍ. . . أنَّ الفريسةَ صَلْبَهْ
ولْنَكُنْ للحِمَى الذي سوفَ يأتي
من أَخَاديدِنا. . . جُذُوراً وتُربَهْ
مبدعاتٌ هِي الولاداتُ. . . لكنْ
موجعاتٌ. . . حقيقةٌ غيرُ عَذْبَهْ

* * *

ولماذا لا تبلعُ الصوتَ؟. . عفواً
من توقِّ إرهابِهِمْ، زادَ رَهْبَهْ
كيف نستعجلُ الرصاصَ! ونخشى
بَعْدَ هٰذَا، نباحَ كَلبٍ وكَلبَهْ

هـل يـردُّ الـسـيـولَ وحـلُ الـسـواقـي؟
هـل تـدمّـي قـوادمَ الـرِّيـحِ، ضَـرْبَـهْ؟

أنـتَ مـن مـوطـنٍ يـريـدُ... يـنـادي
مِـنْ دمِ الـقَـلـبِ، لـلـمُـهِـمَّـاتِ شَـغْـبَـهْ

* * *

إتَّـفـقْـنَـا... مـاذا هـنـاك؟ جـدارٌ
بـل جـبـيـنٌ، عـلـيـهِ شـيءٌ كـقُـبَّـهْ

ربَّـمـا (هِـرَّةٌ) تُـلاحـقُ (فـأراً)
ربـمـا كـانَ طـائـراً خَـلْـفَ حَـبَّـهْ

إنَّـمَـا هـل يَـرَى الـتَّـفَـاهـاتِ حـيٌّ؟
تـلـتـقـي أحـدَثُ الـخُـطُـورَاتِ قُـرْبَـهْ

هـل تـرى مَـنْ هُـنَـاك؟ غـزواً يُـقَـوِّي
قَـبْـضَـتَـيْـهِ، يـحـدُّ مـلـيـونَ حَـرْبَـهْ

يـحـتَـذِي (الـبـنـكـوتَ) يـومـي إلـيـهِ
وعـلـيـه مـن الـبَـرامـيـلِ جُـبَّـهْ

إنَّـهُ ذلـك الَّـذي جـاءَ يـومـاً
وإلـى الـيـومِ، فـوقَـنَـا مِـنْـهُ سُـبَّـهْ

* * *

قـبـل عـامٍ وأربـعـيـنَ اعـتَـنَـقـنَـا
فـوقَ (أبـهـى) عـنـاقَ غـيـرِ الأَحِـبَّـهْ

والـتـقـيْـنـا بـهِ (بـنـجـرانَ) حـيـنـاً
والـتـقـيـنـا بـقـلـبِ (جـيـزَانَ) حِـقْـبَـهْ

والتقينا على (الوديعَةِ) يوماً
والمَنَايا على الرُؤوسِ مُكبَّهْ
جاءَ تلكَ البقاعَ . . . خُضْنَا هَرَبْنَا
وهي تعدُو وراءَنَا مُشرئبَّهْ
إنَّهَا بعضُ لَحمِنَا، تتلوَّى
تحتَ رجليْهِ، كالخُيولِ المُخِبَّهْ
في حَشَاها، مِنَّا بذورٌ حَبَالى
وجذورٌ ورديَّةُ النَّبضِ خِضَبَهْ

* * *

مالهُ لا يكُرُّ كالأمسِ؟ أضحَتْ
بين مَنْ فوقِنَا، ونغليْهِ صُحبَهْ
إنَّهُم يَطْبِخُونَنَا، كي يذُوقُوا
عندما يُنضِجُوننا، شَرَّ وَجْبَهْ
خَصْمُنا اليومَ غيرُهُ الأمس طَبْعاً
ألبراميلُ أمركَتْ (شيخَ ضَبَّهْ)
عِندَهُ اليومَ قاذفاتٌ ونفطٌ
عندَنَا مَوْطِنٌ، يَرَى اليومَ دَرْبَهْ
عندهُ اليومَ خِبَرةُ الموتِ أغلى
عنَدنَا الآنَ، مهنةُ الموتِ لُعْبَهْ
صارَ أغنَى، صِرْنا نَرَى باحتقارِ
ثروةَ المعتَدي، كسروالِ (قحبَهْ)
صارَ أقوى . . . فكيفَ نقوى عليهِ
وهو آتٍ؟ نمارسُ الموتَ رَغْبَهْ

ونُـدمِّـي الـتِّـلالَ، تـغـلـي فَـيَـمْـضِـي
كـلُّ تـلٍّ دامٍ، بـألـفـيْـنِ رُكـبَـهْ

ويُـجـيـدُ الـحَـصَـى الـقـتـالَ، ويـذْري
كـلُّ صَـخْـرٍ، أنَّ الـشـجـاعـةَ دُرْبَـهْ

يَـضْـعُـبُ الـثـائـرُ الـمـضَـحِّـي ويـقـوَى
حيـنَ يـدري، أنَّ الـمُـهـمَّـةَ صَـعْـبَـهْ

(فبراير ١٩٧٥م)



أمسية حجرية

كـغـرابٍ يـرتـمِـي فَـوقَ جَـرَادَه
سقطتْ وَجْعَى، تَدَلَّتْ كالوِسَادَهْ
كنسيجِ الطُّحْلُبِ الصيفي نَمَتْ
أعْشَبتْ فيهَا، وفي وَجْهي البَلَادَهْ
وعلى الجدرانِ، والسقفِ ارتَخَتْ
مثلَ فَخذيْ مرْأةٍ بعدَ الوِلَادهْ
تحتَسِينِي، تحتسي هادئةً
مثلَ مَنْ صَارَ لديهِ القَتلُ عَادَهْ
تَرتَدِي الأنقاضَ والشَّوكَ على
جيدهَا من أعينِ الموْتَى قِلادَهْ

* * *

كنتُ أَذوي، باحثاً عن مطلعٍ
كَانَ يهذي عابرٌ، (فرحانُ غَادَهْ)
سأُسَمِّيهِ (ظفاراً) (مَذْحَجاً)
لو أتتْ أُنثى، أُسمِّيها (سَعَادَهْ)
هَلْ لَهَا، أو هَلْ لهُ مُستَقْبَلٌ؟
هل وُلِدْنا نحنُ، في حضنِ الرَّغَادَهْ؟

أمِنَتْ (سيجون) (بَيْروتُ) ابتدَتْ
تَرتَمي ترمي، بلا أَدْنَى هَوَادَهْ
نَفسُ ذَاكَ الدورِ (يحيى) قالَها:
كيف أضحَى نابُها، كيرَ الحِدَادَهْ

* * *

كنتُ أصْغي... يا دُجى: قافيةً
لمحةً يُعطي، حكاياتٍ مُعَادَهْ
كان مخمورٌ يُدَوِّي: من أنا
إنَّنِي (عنترةٌ) هاتوا القِيَادَهْ
ردَّني (إبليسُ) عن أبوابِهِ
وثناني الشيخُ، عن بيتِ العِبَادَهْ

* * *

كنت أفنَى... كان يغزو جارةً
فارسٌ يَروي، أعَاجيبَ الإِرَادَهْ
بَعْدَ مَضْغِ القَاتِ، - فيما يدَّعِي -
يغتدي (كَبْشاً) يعبُّ الشَّايَ (سَادَهْ)
يخطف البكرَيْنِ، من بُرجَيْهِمَا
لبطولات الهَوَى - طبعاً - ريادَهْ

* * *

حارسٌ يبتزُّ ما يحرسُهُ
ويَدينُ الصبحَ (سَعْداً) أو (قَتَادَهْ)
راحَ يَحْكِي: أنَّهُ يَلقَى الذي
كابَدَ (الفاروقُ)، في عامِ الرَّمَادَهْ

يـا دكـاكـيـنُ. . . ويـومـي: رشـوةً
فـي عُـهـودِ الـمـالِ، تَـزدادُ الـنَّـكَـادَهْ

كنتُ أُنهي الشطرَ. . . جارٌ يبتَدِي
خَـصْـمَـهُ، أشبعتَ للقاضي الـمَزَادَهْ

شَـاهِـدٌ مـخـتَـرِفُ ألـبَـسَـهُ
حـضـرَةُ القـاضِـي، قـميصاً من زَهَادَهْ

يستَوي في الزَّمنِ السِّمْسَارِ، من
يُلْهَمُ الـهجوَ، ومَنْ يُغْرِي الإشادَهْ

قـالَ لـي: مـن أنـتَ؟ نـذلٌ إنَّـنـي
مـثـلُـهُ مُـستَـعـمَرٌ، بـاسمِ السِّيَادَهْ

* * *

طفلُ جاري كان يستسقي. . . أنا
كـنـتُ أرجُـو. لـحظةً حُـبْـلى جَـوَادَهْ

* * *

مَـنْ هُـنَـا؟ كَـلـبٌ يُـهَـوْهِـي، هِـرَّةٌ
تَـتَـنَـزَّى، مـنـزلٌ يـشـدُو (حَـمَـادَهْ)

شـارعٌ يَـبْـكـي الـضَّـحـايَـا، مكتبٌ
يـمـنـحُ الـجَـانـي، وسَـامـاً وشَـهَـادَه

جُـثَـثٌ تَـهْـوي، بـلا فِـائـدَةٍ
خـنـجَـرٌ دامٍ، لَـهُ كُـلُّ الإفَـادَهْ

* * *

زادتِ الأمـسـيـةُ الـوَجْـعَـى أسَـى
مـثـلَ غـيـري لـم أزِدْ، أنـتَ الـزيـادَهْ

أتَـرَى الـصَّـرْعَـى؟ لـهـمْ بَـدءٌ، مَـتَـى؟
يـنـضـجـونَ الآنَ، فـي جـوفِ الإِبَـادَهْ

كُنْتُ أَفْنَى.. لـم تُـجِبْ، كنـتُ عـلى
زَعْـمِـهَـا أزدادُ، نُـضْـجـاً وإجَـادَهْ

يونية ١٩٧٥م



في الغرفة الصَّرعى

شيءٌ بعينَيْ جدارِ الحزنِ يلتَمِعُ
يَهِمُّ، يخبرُ عن شيءٍ، ويمتنِعُ

يريدُ يَصرخُ، يُنبي عَنْ مَفاجأةٍ
لكنَّهُ قبلَ بدءِ الصوتِ، ينقطعُ

يغوصُ يبحثُ، في عينيْهِ عن فَمِهِ
تغوصُ عيناهُ فيهِ، يقْتفي، يَدَعُ

عَمَّ يُفَتِّشُ؟ لا يدري، يضيع هنا
يقومُ يبحثُ عنهُ، وهو مضطجِعُ

يومي إلى السَّقفِ، تسترْخي أَناملُهُ
تمتَدُّ كالدُّود، كالأجراس تَنْزَرِعُ

* * *

مِنْ أينَ يا بابُ يأتي الرعبُ؟ تلمحُهُ
مِنْ أيِّ زاويةٍ، يَغْشوشِبُ الوَجَعُ؟

يمشي على فَمِهِ، هذا السكونُ على
أطرافِ أرجُلِهِ، يهوي ويَرْتَفِعُ

يصفرُّ كالسُّلِّ، يهمي من عَبَاءَتِهِ
ينحلُّ كالقشِّ كالأسمالِ يجتَمِعُ

كمومسٍ، باغتَ البوليسُ مَرْقَدَهَا
كمُقبلينَ على أشلائِهِمْ، رجِعوا

كـمـيِّـتـيــنَ، يــمــدُّونَ الأكــفَّ إلــى
مـوت جـديـدٍ يـمـنِّـي، وهَـوْ يـبـتَـلِـعُ

* * *

أَلـصـمـتُ يـسـقُـطُ، كـالأحـجـارِ بَـارِدةً
عـلـى الـزَّوَايَـا، ولا يـشـعـرْنَ مـا يـقَـعُ
تُصغي إلى بعضِهَا الجدرانُ، واجفةً
تـئـنُّ تَـحْـمَـرُّ، كـالـقـتـلـى وتـمـتَـقِـعُ

* * *

في هـذهِ الـغـرفـةِ الـصَّرْعـى، أسَـى قـلـقٌ
يـطـولُ كـالـعـوْسَـجِ الـنَّـامِـي ويـتَّـسِـعُ
أَلـحـزنُ يـحـزَنُ، مـن فـوضـى غَـرَابـتِـهِ
فـيـهـا ويـفـزَعُ، مـن تـهـويـشِـهِ الـفَـزَعُ

ديسمبر ١٩٧٥م



وجوه
دخانية في مرايا الليل

أَلدُّجى يَهْمِي... وهذا الحزنُ يهْمِي
مطراً من سُهدِهِ، يظما ويُظمي

يتعبُ اللَّيْلُ نزيفاً... وعلى
رُغمِهِ يدمى، وينجرُّ ويُدمِي

يرتَدي أشلاءَهُ، يمشي على
مُقْلتَيْهِ حافياً، يَهذي ويومي

يرتَمِي فوقَ شَظَايا جلدِهِ...
يطبخُ القَيْحَ، بشدقَيْهِ ويَرْمِي

***

أيُّهَا اللَّيلُ.. أُنَادي إنَّما
هل أُنَادي؟ لا... أظنُّ الصوتَ وهمِي

***

إنَّهُ صَوْتِي... ويبدو غَيرُهُ
حين أُصغي بَاحِثاً عن وجهِ حُلْمي

من أنا؟... أسألُ شخصاً داخلي:
هل أنا أنت؟ ومن أنتَ؟ وما اسمي؟

***

أيُّهَا الحَارسُ تَدْرِي من أَنَا؟
إشتروا نومي.. طويلٌ ليلُ هَمِّي

الأَنـــي حــارسٌ يــا سـيـدي؟ . . .
زوّجـوهـا ثـانـيـاً، ألـمـالُ يُـعْـمِـي

مــن أنـا؟ . . ألـلّـيـلُ يـبـنـي لـلـرؤى
قامةً كالرُمح، من جِلدي وعَظْمي

لا تـعـي سـكـران؟ تـسـعٌ أعـلـنـت
أوّلَ الأخـبـارِ، مـا سـمّـوهُ رَسْـمـي

مـن أنـا؟ . . صـار ابـنُ عـمّـي تـاجـراً
واشـتـرى شـيـخُ ثـريٌ، بـنـتَ عـمّـي

هَــلْ تَـنَـامُ الـصُّـبْـحَ؟ سـيـارتُـهـا
عـبـرتْ قُـدّامَ عَـيْـنِـي، فـوقَ لَـحْـمِـي

إِصـغِ لـي أرجـوكَ؟ . . أغـرى أمَّـهـا
شيَّدَتْ قـصـرَيْـنِ، مـن أشـلاءِ هَـدْمـي

* * *

من أنا يا تكسِ؟ أفْلستُ وما شَبِعُوا. . .
مَــنْ مِــنْ حُــمــاةِ الأمــنِ يَـحْـمِـي؟

مِنْ هُنا، سِرْ، ها هُنَا قِفْ، رخْصَتِي
ما الذي حمَّلتَ، فتّشْ، هاتِ قسمي

خمسةٌ للقاتِ. خمسونَ لَهُمْ. . .
وانتَهَى دَخْلِي، وأنْهَى السّلُ أُمّي

* * *

عـاجِـنَ الـفـرنِ. . أتـدري؟ سَـنَـةً
وأنـا أعْـجِـنُ أحـزانـي وَغَـمّـي

مـن أنـا؟ كـانـت تـرى والـدتِـي
ذُلَّ بعضِ النَّاسِ، تحتَ البَعْضِ حَتْمِي
غِبْتَ عن قصْدي!... رفيقي غائبٌ
من ليالٍ، رأيهُ في الحبسِ (جَهْمِي)[1]

* * *

مـا الَّـذي أفـعـلُـهُ؟، كـلٌّ لَـهُ
شـاغـلٌ ثـانٍ، وفـهـمٌ غـيـرُ فَـهْـمِي
داخـلـي يَـسْـقُـطُ فـي خـارجِـهِ
غُربَتي أكبرُ مِنْ صَوْتِي، وحجمِي
(نُـقُّـمٌ) يـرنُـو بـعـيـداً، سـيِّـدي
هـل تـرى فـي ضائـعِ الأرقَـامِ، رَقْمِي؟
طـحـنَـتْ وَجْـهِـي - لأنِّـي جَـبَـلٌ
خيلُ كِسْرَى، عجنتْهُ خيلُ نَظْمِي[2]
أعـشـبَـتْ أرمِـدَةُ الأَزْمَـانِ فـي
مُقَلتيَّ، جلمدَتْ شَمسِي ونَجْمِي
تـذهـبُ الـرِّيـحُ، وتَـأْتِـي وأَرَى
جبـهَتـي فـيـهـا وهٰـذا حَـدُّ عِـلْـمِي

* * *

(١) نسبة إلى قصيدة الشاعر العباسي علي بن الجهم:
قالوا حبست.. فقلت ليس بضائري
حـبـسـي وأيُّ مـهـنـدٍ لا يـغـمـد
(٢) إشارة إلى الاستعمارين الفارسي والتركي.

مــن هُــنَــا أســألــه، مَــنْ ذا هُــنَــا؟
غــيــرَ ثــوبٍ، فــيــهِ مــا أدعــوهُ جِــسْــمِــي

مــن أنــا والــلــيــلــةُ الــجَــرْحَــى عــلــى
رُغــمِــهَــا تَــهْــمي، كَــمَــا أهــمي بِــرُغْــمِــي؟

هــل كَــفــى يــا أرضُ غَــيْــثــاً؟ لــم تَــعُــدْ
تــغــســلُ الأمــطــارُ، أَوْجَــاعِــي وعُــقْــمِــي

إبريل ١٩٧٥م



خـوف...

هٰــذي الأكـــاذيـــبُ الــجــديـــدهْ
مـــوتٌ لَـــهُ أيـــدٍ، عَـــديـــدَهْ
تَــنــبَــتُّ أوكـــاراً، طـــوابـــيـــراً
عـــمَـــاراتٍ، مَـــديـــدَهْ. . .
تُــــزْدي. . . وفـــورًا تـــرتَـــدي
وجـهَ الـشَّـهـيـدِ، صِـبَـا الـشَّـهـيـدَهْ
حـلْـقَ الـمـرثِّـي، تـسـتـعـيـرُ
وتـحْـتَـذِي، لـحـمَ الـقَـصـيـدَهْ
تـهـمـي مُـؤكَّـدة الـخـطـورَهْ
وهـــي لا تـــبـــدو، أكـــيـــدَهْ
غـيـرَ الَّـذي تُـبْـدي، تـريـدُ
ولَا تَـــراهـــا، كـــالـــمُـــريـــدَهْ
يـدعـونـهـا «دَعـمـاً» مُـسَـاعـدةً
مـــبـــادرةً، حَـــمـــيـــدَهْ
وحـــقـــيـــبـــةً رَحّـــالـــةً
بـيـن (الـرشـيـدَةِ) و (الـرَّشِـيـدَهْ)
وعـــداً، مـــوافـــقـــةً،
مُـــنَـــاوَرَةً، زيـــاراتٍ مُـــفِـــيـــدَهْ

هــبــةً بــلا عِــوَضٍ... قــروضــاً،
ذاتَ آجــالٍ، بَــعــيــدَهْ
لــكــنْ لِــمَــاذا يُــغــدِقُــونَ؟
أشــمُّ رائــحــةَ الــمَــكِــيــدَهْ
وأرى مــؤامــرةً، لَــهَــا
شــكْــلُ الأُخــوَّةِ، والــعَــقــيــدَهْ
تــدنُــو كــمشــفِــقَــةٍ، كــعــاشــقــةٍ،
كَــقَــاتِــلــةٍ، عَــتِــيــدَهْ
مــاذا؟ أُسَــمِّــيــهــا؟ تُــبَــلِّــدُنِــي،
أُسَــمِّــيــهَــا الــبَــلــيــدَهْ
وتــزيــدُ مِــنْ أُمِّــيَّــتــي
هٰــذي الإذاعــةُ، والــجَــرِيــدَهْ
هٰــذي الــدِّرامــاتُ الَّــتِــي
تــبْــدوُ بــطــولــتُــهــا، مُــجــيــدَهْ
أَأَخَــافُ مــن كَــرَمِ الــمــسَــاعِــدِ؟
أمْ أخــافُ مِــن (الــسَّــعِــيــدَهْ)؟

مارس ١٩٧٦م

❁❁❁

التاريخ السِّرِّي..
للجدار العتيق

يُريدُ أن يَنْهَارَ هذا الجدارْ
كي ينتهي، من خيفةِ الإنهِيَارْ
يريدُ لكنْ، ينثني فَجأةً
عنْ رأيِهِ، يحسُو حليبَ الغُبَارْ
يَهِمُّ أن يَرْثي، جِداراً هَوَى
يَرَاهُ فوراً، صارَ ألفينِ دَارْ

* * *

عجيبةٌ يا ريحُ... ماذا جرى؟
تشابَهَ الميلادُ، والإنتِحَارْ
أختارُ هذا ما تَرَى... من رأى
قبلي رُكاماً؟ أحسَنَ الإختِيَارْ
ألإنفجارُ المبتدي - عادةً -
يُعطي رماداً، قد تسميّه نارْ
ألَمْ تُجَرِّبْ؟ كلُّهمْ جَرَّبُوا
منهى التَّردِّي، أوّلَ الإنفجارْ
يرتدُّ مَذهُوشاً، إلى جلدِهِ
كهاربٍ يَخشَى، سقوطَ الإزارْ

كـحـقـلِ دودٍ، وَسْـطَ رُمَّـانَـةٍ
كـشـوبِ لـصٍّ، خـارجٍ مـن حِـصَـارْ
يـبـدو كـإنـسـانٍ، لأشـواقِـهِ
روائـحُ الـمَـلـهَـى، وشـكـلُ الـقِـطَـارْ
عـلـيـه جِـلْـدٌ ورقـيٌّ لَـهُ...
عـشـرونَ قـرْنـاً، تـقـبـلُ الإِعـتـصـارْ
كـمُـدَّعٍ، ـ مـوطِـنُـهُ عِـنـدَهُ
عـلـى قـمـيـصِ الـعـيـدِ ـ، أحـلَـى زرارْ

* * *

أنـا هُـنـا، أعـلـى الـرُّبـى قـامـةً
يـدايَ لا تَـلـقـى الـيـمـيـنُ الـيَـسَـارْ
بـلْ لـيـس لـي كـفٌّ لـسـيـفٍ، أمـا
سِنانُ[1] (عـمْـروٍ) ذاك! أمـضى الـشِّفَـارْ
فـي لـحـيـةِ (الـمَـرِّيـخِ)، لـي مـكـتـبٌ
نـهـدُ (الـثـريـا) فـوق بـابـي شِـعَـارْ

---

(١) سنان (عمرو) إشارة إلى (عمرو بن العاص) عندما هاجمه(علي بن أبي طالب) فاحتال (عمرو) تفاديا لسيف (علي) فكشف له عورته فاستحيا (علي) وتراجع وقد أشارت إلى هذه الحادثة كثير من الأشعار كقول بعضهم:

بـطـل يـصـول بـسـوأتـيـه
لا بـصـارمـه الـذكـر

وكقول أبي فراس:

ولا خـيـر فـي رد الـردى بـمـذلـة
كـمـا رده يـومـاً بـسـوأتـه عـمـرو

لكنني كالسَّهلِ، لا سُورَ لي
مُفَتَّحٌ للفتحِ، والإنجِرَاز

تصَوَّروا، يَومَ اعتدى جيرتي
أنعلتْ وجهي، خيلُ حُسنِ الجِواز

أهوى التَّسَاوي، قاطعاً كلَّ مَنْ
يبدو طويلاً، كي يساوي القِصَاز

يَوْمَ اشتكَتْ قمعَ الخِمارِ ابنتي
أنصفتُ، البستُ البنينَ الخِمَازْ

وهٰهُنا يُنتهي، لكنْ يَبتَدي
يقصُّ عنْ أصدائِهِ، باختِصَاز

* * *

يُقعي كجنديَّينِ، عادا بلا
نصرٍ يبولانِ، دمَ الانتصار

يشتاقُ لوْ يعدو، كسيارةٍ
لو يحملُ البحرَ، كإحدى الجِرَازْ

لو وجهُهُ نعلا حصانَيْنِ، لو
ساقاهُ (مبغا) في قميصِ النَّهَاز

لو تصبحُ الأبحارُ بيدًا، ولَوْ
عواصمُ الأضقاعِ، تمسي بحَاز

يطيرُ لكنْ، يرتئي نعلُهُ
ترقيعَ رجلَيْهِ، بماءِ الوَقَاز

لا شـيءَ غـيـرَ الـنّـعـلِ، جِـذْرٌ لـهُ
يُـلـهـى بـهٰـذَا الـقـشِّ، ريحُ الـقَـرَازْ

* * *

هـلْ مـتُّ؟ يـبـدو مـتَّ، لا إنـهـا
دعـايـةٌ، زيـفٌ، دخـانٌ مُـثـارْ

(مـسـرور) تـدري كـيـفَ إِسـكـاتـهـمْ
لا تـبـقَ حـيـاً، صـدقَـتْ (جُـلّـنـارْ)

تـسـدُّ بـابَ الـريـحِ، كـي لا تَـرَى
إنّـي دخـانٌ، مـن رُؤى (شَـهْـريـارْ)

أَلـشـعـبُ، داءُ الـشـعـب تَـقـتـيـلُـهُ
أشـفـى، لـيـبـقـى الأمـنُ، والإزدهـارْ

يـهـونُ حِـقـدُ (الـشّـمـر) يـا (كـربـلا)
لـو لـمْ يـكـنْ فـي كـفِّـه (ذو الـفـقـار)[1]

مـاذا؟ أتَـدعـو حـكـمـتـي فُـرصَـةً
لـلـغزوِ؟ قـلْ: صـحّـحتُ بـدءَ الـمَـسَـارْ

كـيـفَ ألاقـي جـبـهـةً خـارجـي
وفـي قَـذَالـي، جـبـهـةٌ مـن شَـرَارْ

---

(١) ذو الفقار: السيف الشهير لـ(علي بن أبي طالب).. قيل أن (معاوية) اشتراه من (الحسن بن علي) وفي معركة (كربلاء) حمله (الشمر) واحتز به رأس (الحسين) فكان يقول(يزيد) عند ذكر مصرع (الحسين): انما قتلته بسيف أبيه، وفي رواية، بسيف جده باعتباره هدية من (النبي) إلى (علي) يوم فتح (خيبر).

لا لـمْ أمُـتْ جـدّاً، أمـا رايـتـي
خـفّـاقـةً، فـوقَ ظـهـورِ الـفِـرَارْ!

حـوافـرُ الـمـحـتـلِّ، فـي شَـارِبـي
لـكـنّـنـي أُشـبـعـتُ، مـنـهُ الـدَّمَـارْ

لأنّـنـي جـزَّأتُـهُ... نـصـفُـهُ
سيفي، ونـصـفٌ داخلـي مـسـتَـشَـارْ

وهـهـنـا يُـنْـهـي، يـرى وجْـهَـهُ
مِـنْ مـنـكِـبـيْـهِ، فـي مَـرَايـا الـفَـخَـارْ

غـنّـي (الـبـزا)(جـولـيـان) اخـلـعـي
عـبـاءَتـي، سـاقـي أدِرْهـا، أدَارْ

يـودُّ لـوْ مـا بـيـن فـخـذَيْـه فـي
إحـدى يـديـهِ، خـاتَـمـاً أو سِـوَارْ

جـريـدةٌ، أخـبـارُهـا عَـنْ حـصًـى
ينمو، وعـن (ديـكِ) تَـعَـشَّـى(حِـمَـارْ)

روايـةٌ، أبـطـالُـهـا عـوسـجٌ
يـمـشـي، وأطـيـارٌ تـبـيـعُ الـمَـحَـارْ

* * *

لـي جـبـهـةٌ من مـوقـدِ (الـشّـنـفـرى)
وجـبـهـةٌ مـطـبـوخـةٌ، بـالـبُـخَـارْ

لـي غـيـرِ جـلـدِي، أعـشـبـتْ قـامـتي
وكـان جـلـدي، مـن شـمـيـم (الـعَـرَارْ)

رأسِـي سِـوَى رأسِـي الَّـذي كـانَ لـي
يـا سـادَتِـي بـيـنـي، وبـيـنـي قِـفَـار

* * *

بـيـنـي وبـيـنـي، مـن يُـسـمَّـى أنـا
فـوقَ الأَنَـا الـثَّـانِـي، أنـا الـمُـسْـتَـعَـار
وهْـهُـنَـا يُـصـغِـي... أقـلـتُ الـذي
أعْـنـي؟ وهـلْ أعـنِـي؟ هُـنـا الإِبـتِـكَـار

* * *

يـودُّ لـو كـفَّـاهُ، أشْـهـى صـدًى
لـمـغْـزَفٍ، لـو مـقـلـتَـاهُ (هَـزار)
لـو قـلـبُـهُ مـنـديـلُ، (عـرَّافـةٍ)
لـو أنـفُـهُ، مـروحـةُ الإنـتِـظَـار
يـريـدُ مـا لـيـسَ يَـعـي، يـبـتَـدِي
يَـعـي وقَـدْ فَـاتَ، أوانُ الـبِـذَار
ألـموسـمُ الـوهـمـيُّ، لأغـبـى الـمُـنى
يُعطي - قُبيْلَ الحَرْث - وهمَ الثِّمَار

* * *

مَـاذَا أنَـا؟ شَـيءٌ مـسـيـخٌ بـلا
عـرقٍ، بـلا شَـيءٍ، يـسـمَّـى إِطَـار
قـد كـانَ يَـنْـمُـو الـطِّـفْـلُ، والـيـومَ لا
يـنـمُـو صـغـيـرٌ، كـي يـطـولَ الـكِـبَـار

* * *

يعودُ يُنهي الكأسَ، من بدئِها
فيبتدي قبلَ الشَّرابِ الخُمارْ[1]

هل كنتُ أحكي؟مطلقاً... من حكَى
في داخلي كأن ينامُ الحِوارْ

* * *

يُريدُ أن ينهارَ، خصرُ الضُّحَى
واللَّيلُ كي ينهارَ، هذا الجِدَارْ

فبراير١٩٧٦م

❁❁❁

(١) الخُمار: وجع الرأس من كثرة الشراب.

الأميرة... وتحولات مرايا العشق

كَمَا تَرَيْنَ، حَوِّلِي
لوْني فَمِي، عُمْرِي الوَجِيعْ
إليكِ يا أميرَتِي
قلبي يُؤجِّجُ الصَّقِيعْ
ولْتَجعَلي، عُشْبَ دَمِي
بعضَ شوارِبِ الرَّبِيعْ
ولْتغزليني للرُّبَى
جَدَائِلاً مِنَ النَّجِيعْ
مَدَائِناً، تعدو إلى
أبوابِ عَالمٍ مُريعْ
حكايةً، قاتيَّةً
على مَرَاتِعِ القَطِيعْ
خطورةً سرِّيَّةً
قبلَ حُدُوثِهَا تَشِيعْ
قصيدةً بلا فَمٍ
جنسيَّةً بلا ضَجِيعْ

مــحــبَّــةً فــضــيــحــةً
إدانـــةً، بِـــلَا شَــفِــيــغ
عــنــقــودَ طَــلٍّ فــي جــنــيــن
كــلِّ نــبــتَــةٍ يَــضِــيــغ

* * *

مـــا شــئــتِ مـــولاتِـــي أرى
مـــا تـــأمـــريـــنَ أَسْــتَــطِــيــغ
فَــلْــتُــبْــدِعــيــنِــي، صــيــحــةً
ولادَةً، مـــوتـــاً فَـــظـــيـــغ
بـــدْءاً بـــلا بِـــدَايـــةٍ
نـــبـــوَّةً، بـــلا تـــبـــيـــغ...
سَــيــفــاً لَــهُ، أَلْـــفَـــا يَــدٍ
مُـــقَـــارِعـــاً، بِـــلا قَـــريـــغ
طـــفـــولـــةً، بِـــلا صـــبـــاً
أمـــومـــةً، بـــلا رَضـــيـــغ
مـــســـافـــراً، مِـــنْ نَـــفْـــسِـــهِ
فـــي نَـــفْـــسِ غـــيـــرِهِ يَـــبِـــيـــغ
شـــيـــئـــاً يُـــضَـــيِّـــعُ اســـمَـــهُ
يَـــعِـــي أســـامِـــيَ الـــجَـــمِـــيـــغ
مِـــن الـــرِّيـــاحِ يـــشـــتَـــري
كـــلَّ الَّـــذي لَـــهَـــا يـــبـــيـــغ

جــوعــانُ يُــطــعِــمُ الــحَــصَــى
لــحــمــاً ويــأكُــلُ (الــضَّــريــعْ)[1]
دربــــاً إلــــى ثــــلاثــــةٍ
بــــابــــاً إلــــى بــــابٍ وَســــيــــعْ
كَــــمَــــا تــــريــــن، حَــــوّلــــي
لــوّنــي فَــمِــي، عــمــري الــوَجــيــعْ

إبريل ١٩٧٦م

⊛⊛⊛

(١) الضريع، طعام سكان جهنم.

ليلة فارس الغبار

مَلَّيْتُ مَملكةَ الجبينِ العَالي
فَوَقَعتُ مِنْ رَأسي، إلى سِروَالِي
كانَ المساءُ يجُرُّنِي كَذُيولِهِ
وأجرُّ خَلفَ جَنازَتي، أَذْيَالي
أختالُ كالسُّلطانِ، حاشيتي الحَصَى
تحتي - بلا فخرٍ - حصانُ الوَالِي
جَيْشي عفوناتُ الأَزِقَّةِ تحتَفِي
حولي، ورايَاتِي خيوطُ سُعالِي

* * *

أهلاً، وكيفَ الحالُ؟ شكراً أدَّعي
تَرَفَ الأميرِ، حَصَافةَ (اللِّبْرَالِي)
أبدو كماليٌّ، يُعَادِي مالَهُ
وأفيقُ أسخرُ، بالفقيرِ المَالي
لكنَّنِي أزمِي، ورايَ حقيقتِي
وأُجيدُ تمثيلَ المحبِّ السَّالِي

* * *

في طينةِ الحُمَّى، أغيبُ دقائقاً
عنِّي وأصحو ز يَرْتَمِي أمثَالي

أنسى تفاصيلي، كبدءِ روايةٍ
قبل البدايَةِ، ينتهي أبطَالي

وأعودُ، قُدّامي ورائي جَبْهَتي
نعلي وسَاقي، في مكانٍ قذَالي

عُريانُ يلبسُني الذبابُ أحِسُّني
كالنعشِ كالبئرِ العميق الخَالي

كسريرِ ماخورِ، يُجفِّفُ بعضُهُ
بعضاً، وينتظرُ النَّزِيفَ التَّالي

* * *

هل كنتُ؛ أين أنا؟ أفتِّشُ لمْ أجدْ
شخصي الجديدَ، ولا كَيَانِي البَالِي

من أينَ يا جدرانُ جئتُ؟ خلالها
أمشي، وأرجُلُها تجوسُ خِلالِي

كانَ الطَّريقُ بلا يدينِ، يقول
خَلَطَتْ يميني، حكْمَتي بشمَالي

لا دربَ غيري، منتهايَ كَأَوَّلِي
أنوي السؤالَ، يرُدُّ قبلَ سُؤَالي

الشمسُ، تبحثُ عن جبينٍ تَزْدَهِي
فِيهِ فَتهْوِي، ترتدي أَوْحَالي

هل غيرُ هَذا يا طريقُ تقولُ لِي؟
أسألتَ؟ يمضي يحتَذِي أَوْصَالِي

فأفرُّ من فخذي إلى فخذي، ومن
عـزقٍ إلـى عـزقٍ، أجـرُّ خَـبَـالـي

* * *

فوقي سوى رأسي، وشيءٌ تحتَهُ
رأسي وفي جلدي، عجينٌ آلِي
شيءٌ كسقفِ السجنِ، ينفيني إلى
غيري، ويُرجعُني إلى أَسْمَالِي

* * *

والآنَ هل خِرسَتْ هَوَاتِفُ أزمتي؟
نامَتْ، وأسْهَرتِ الرُّكَامَ حِيَالِي
كانتْ، كوكرِ المُخْبِرينَ عَشِيَّتِي
تجري ورايَ، تُهيِّءُ اسْتِقبَالِي
وبلا عَشَاءٍ بتُّ ذاكَ لأَنَّني
بعدَ الغروبِ، لبستُ (إِمبْريَالِي)

* * *

أعطيتُ قوتَ الشَّهرِ، أثمنَ تافهِ
ليصيرَ - أرخصَ ما يكونُ - الغَالِي
أصبحتُ مكتشفَ التَّفاهَةِ فَاتِحاً
بعجين ثانيتيْنِ، جذبَ لَيَالي

* * *

جربْتُ قتلَ الوقتِ، لكن هٰأنا
بتُّ القَتيلَ، وما قتلتُ مَلالِي
ماذا فعلتُ؟ أردتُ شُغلَ بَطَالَتِي
لكنْ أردتُ، وما عرفتُ مَجَالِي

ليالٍ بيروتية..
في حقائب سائح عربي

سِـــوَاهَـــا، حـــلـــوةً أَطْـــرَى
وهـــاتِ زجـــاجـــةً أخـــرى

وثـــالـــثـــةً ورابـــعـــةً
وأنـــتَ بـــعـــادِتـــي أَدْرَى

* * *

لِـــمـــســـؤولٍ مـــلايـــيـــنِـــي
أعـــدُّوا الـــسَّـــهـــرةَ الـــكُـــبْـــرَى

لأمِّـــيٍّ ـ لـــيـــلـــحـــمِ الـــنَّـــاسِ
مِـــنْ كُـــلِّ الـــمُـــدَى ـ أقْـــرَى

مـــزاجُ الـــسَّـــيِّـــدِ الـــبـــرمـــيـــلِ
ضـــارٍ، يـــعـــشـــقُ الأضْـــرَى

فـــهَـــاتُـــوا الأغـــنـــجَ الأَقْـــوَى
وهـــاتُـــوا الـــعَـــانـــسَ الـــشـــعـــرى

وهـــاتـــوا الأرشـــقَ الـــطـــولـــى
وهـــاتـــوا الأســـمـــنَ الـــصُّـــغْـــرى

لأن حـــقـــائـــبَ الـــسُّـــلـــطـــانِ
مـــن حـــلـــواتِـــنَـــا أغْـــرَى

ومـن أجـسـادنـا أمـلـى
فـمَـنْ بـجـلـودنـا أخـرى؟

* * *

لأنَّ بـلادَهُ جَـزَبَـى
بـدونِ إرادةٍ، أسـرى
فـأمَسى الـوحْشُ، في (الـمبغى)
وفـي الـمـذيـاعِ، مـا أبْـرَى

* * *

وكـانـتْ تـلـبسُ الـلحـظَـاتُ
نـهـراً طـائـرَ الـمَـجْـرَى
وكـانَ الـلَّـيـلُ يـستَّـلـقِـي
كـسـقـفِ الـحـانَـةِ الـسـهْـرَى
وكـانَـتْ غُـرْفَـتِـي الـعـطْـشَى
بـأظـفـارِ الأسَـى شَـجْـرا
كـعـصـفـورٍ بـلا لـونٍ
يـجـيءُ الـحُـلـمُ والـذِّكْـرَى
كـأشـلاءٍ مِـنَ الأحـجَـارِ
تـكـبـرُ. تـرتَـدِي تَـعْـرَى
كـشُـرطِـيَّـيْـنِ يَـقْـتـسِـمَـان
فِـخْـذَيْ أجـيـرةٍ سَـكْـرَى
وكـانَ الـسـوقُ سـيَّـافـاً
حـصـانـاً، مـن حُـلَـى كِـسْـرَى

وبــحــراً، يــمــتَــطِــي مُــهْــراً
ومُــهــراً، يــمــتَــطِــي الــصــحــرا

ولــلأَبْــوابِ أنــفــاسٌ
كــســجــنٍ، يــطــبــخُ الأَسْــرَى

وكــانــت أنــجــمٌ تَــدنُــو
تُــوَاســي الــحــانَــةَ الــحَــسْــرَى

* * *

وشــابَ الــلَّــيــلُ، والــســلــطــانُ
فــي بَــوَّابَــةِ الــمَــسْــرَى

يــغــوصُ بــعــمــقِ رجــلــيْــهِ
مــن الــيُــمْــنــى، إلــى الــيُــسْــرَى

ومــن كَــبْــشٍ، إلــي شــاةٍ
ومــن أهْــنَــا، إلــى أمْــرَا

لِــهٰــذَا تــرتــجــيــهِ (الــقُــدسُ)
يــرفــعُ بــيــرقَ الــبُــشْــرَى

أغسطس ١٩٧٥م



فـراغ..

مـــاذا هـــنـــا أفـــعـــلُـــهُ؟
يَـــشْـــغِـــلُـــنـــي أَشْـــغَـــلُـــهُ
أعْـــطِـــيـــه نـــارَ داخـــلـــي
مـــا عـــنـــدَهُ يـــبـــذُلُـــهُ
يـــجـــرحُـــنِـــي، أُجِـــسُّـــهُ
يـــشـــربُـــنـــي، آكـــلُـــهُ
يـــمـــتـــصُّـــنِـــي أذيـــبُـــهُ
يـــحـــرقُـــنِـــي، أُشـــعـــلُـــهُ
يُـــذهـــلُـــنِـــي عـــن عـــدمـــي
عـــن عُـــقْـــمِـــه، أُذهِـــلُـــهُ

* * *

مَـــاذَا هُـــنَـــا؟ أرفُـــضُـــهُ
مـــاذا هُـــنَـــا؟ أقـــبـــلُـــهُ
مـــنْ ذا هـــنـــا يـــقـــتـــلُـــنـــي؟
مـــاذا هـــنـــا أقـــتـــلـــهُ؟
لا شـــيء غـــيـــرُ مـــيِّـــتٍ
ومـــيِّـــتٍ يـــحـــمـــلُـــهُ

* * *

ألـــوقـــتُ لا يـــمـــضـــي ولا
يـــأتـــي خـــوتْ أرجُـــلُـــهُ

أقـــدامُـــهُ رؤوسُـــهُ
رؤوسُـــهُ أسْـــفَـــلُـــهُ

أمـــامَـــهُ وراءهُ...
آخـــرُهُ أوَّلـــهُ

لا يَـــتْـــتَـــهِـــي لـــغـــايـــةٍ
لأنَّ لا بـــدءَ لَـــهُ

* * *

مَـــاذَا أقـــولُ يَـــا هُـــنَـــا؟
ومـــا الَّـــذي أَعْـــمَـــلُـــهُ؟
مَـــاذا؟ ومـــثـــلـــي مـــيِّـــتٌ
هـــذا الَّـــذِي أســـألُـــهُ

يوليو ١٩٧٥م

❂❂❂

الضَّباب..
وشمس هذا الزمان

يشتهي الصمتُ، أن يبوحَ فينْسَى
ينتوي أن يرقَّ، يمتدُّ أَقْسَى

ينزَوي خلفَ ركبتَيْهِ، كحُبْلى
يرعشُ الطلقُ بطنَهَا، وهي نَعْسَى

* * *

أيَّ شيءٍ تُسِرُّ يا صمتُ؟ تعلو
وجهُهُ صخرتانِ، شعَثاً وملسَا

ربَّمَا لا يُحِسُّ، أوْ ليسَ يدري
وهو يغلي بالحسِّ، مَاذا أحسَّا

* * *

تشرئبُّ الثُّقوبُ، مثلَ أكفٍّ
فاقداتِ البنَانِ، تشتاقُ لَمْسَا

ينبسُ العُشْبُ، بالسؤالِ كطفلٍ
يتهجّى قحْطَ الرّضاعةِ دَرْسَا

قبلَ أن تبزغَ البراعيمُ، ترمي
لفتاتٍ، تخافُ لَمْحاً وهجْسَا

يـحـذرُ الـمَـيْـتُ رمـسَـهُ، وجـنـيـنٌ
قـاذفٌ وجْـهَـهُ، إلـى الـمَـهْـدِ رَمْـسَـا

* * *

مـا الَّـذِي يسـتـجـدُّ؟ لا شـيء يُـجْـدِي
كـلُّ شـيءٍ، يـبـيـعُ وَجْـهَـيْـهِ بَـخْـسَـا

وجْـهُـكَ الـداخـلـي، لـعـيـنـيكَ مـنـفـى
وجـهُـكَ الـخـارجـي، لـرجـلـيْكَ مَـرْسَـى

أنـتَ مـثـلـي، بـيـنـي وبـيـنـي جـدارٌ
وجـدارٌ بـيـنـي، وبـيـنـك أجـسـى [1]

أصـبـحَـتْ (عـامـرٌ) جـواداً (لـرومـا)
وجـلـوداً سُـمـرًا، يـخـبِّـئـنَ (فُـرْسَـا)

بـعـدَ (بـاذان)[2] جـاء بـاذانُ ثـانٍ
(عـبـدريٌّ) سـبـى (يـريـمـاً) و(عـنـسـا)

كـان يـسْـطـو (جـنـبـولَ) ثـم تَـوَارَى
وانـتـقـى بـاسـمِـهِ (لـذُبـيـانَ) (عـبْـسَـا)

---

(١) أشد قسوة وحدة.

(٢) (باذان) قائد النجدة الفارسية التي تحولت إلى احتلال بديل للاحتلال الحبشي، . . (يريم) و(عنس) أخصب المناطق اليمنية أو أكثرها عطاء، لامتدادها وكثرة سدودها في ذلك الحين. . فقد قيل: انه كان على أرضها ثمانون سداً، وتسمى عنس قديما. . (مذحج) كما كانت (يريم) تسمى (يحصب) او بالضاد. . (عبدري) نسبة الى (عبد الدار) جد الامويين. (ذبيان) و(عبس) قبيلتان عربيتان متقاربتان، تقاتلتا نحو اربعين عاما حتى حدود الإبادة.

مـا الـذي يـسـتـجـدُّ؟ تـنـوي بـروقٌ
تنهمي تنثني، من الخوفِ تَغْسَا

* * *

يـمـتـطـي نـفـسَـهُ الـضـبـابُ ويـأتـي
كالمسجَّى، يلقِّنُ الصمتَ هَمْسَا

يـحـتـوي كـلَّ مَـغـبَـرٍ، يـتـلـوَّى
فـي عـيـونِ الـكُـوى، رؤى جدَّ خرْسَا

* * *

يـحـتـذي سـاعـديْه، عـيـنـيْه يـهـوي
خـاسِـئـاً يـرتـقـي، أحَـطَّ وأخْـسَـى

كـجـدارٍ يـنـهـارُ، فـوق جـدارٍ
كـغـبـارٍ، يـسـتـنـزفُ الـرِّيـحَ جِـنْـسا

يـتـبـدَّى، عـلـيـه جـلـدُ الـصَّـحَـاري
وطـلاءٌ، تـشـمُّ فـيـهِ، (فـرنـسـا)

وركـامٌ مـن الـتَّـلاويـن، حَـتَّـى
لا يُـبَـقِّـي، لأيِّ (حِـربـاء) لِـبْـسَـا

كـجـرادٍ لـهُ حـوافـيـرُ خـيـلٍ
كـمَـلاهٍ، مـن بَـولِـهَـا تَـتَـحَـسَّـى...

* * *

صـمـتٌ، مـا الـوقـتُ؟ لا أرى مـا أُسَـمِّـي
لا الـصـبـاحُ ابـتَـدَا ولا الـلَّـيـلُ أمْـسَـى

لـم يـعـدْ ـ يـا ضـبـابُ ـ لـلـوقـت وقـتٌ
والـمـكـانُ انـمَـحـى؟ عـلـى الـريـحِ أرسَـى

أنـنِـي يـا ضـبـابُ، أسـمـعُ شـيـئـاً
إسـمـه مـوْطِـنِـي، يُـغـنِّـي ويـأسـى

مـلءُ هـذا الـرحـابِ، يـمـتـدُّ يـرمِـي
عـنـهُ نَـفْـسـاً، ويـبـتَـدي مـنـهُ نَـفَـسَـا

ذاكَ وادي (عَـسَـى) نـعـمْ كـانَ يـومـاً
وتـخـطَّى وادي (عـسـى) مَـنْ تـعَـسَّـى

أتُـراهُ؟ يـحـمـرُّ، يـرنُـو بـعـيـدا
ومُـنـاهُ تـجـتـازُ، عـيـنـيْـهِ حـدْسَـا

مـا الـذي؟ لا تُـحِـسُّـهُ! كـيـف تـدري؟
ومـتـى كـنـتَ؟ أنـت تـمـلِـكُ حِـسَّـا

* * *

أتـرى هَـذِهِ الـعـيـونَ الـدَّوامـي
تـحـتَ رجـليْـكَ؟ سـوف تُـنبتُ شَـمْـسَـا

شـمـسُ هـذا الـزَّمـانِ، مـن تـحـتِ تـبـدُو
ثـمّ تَـعـلـو، تُـفـجِّـرُ الـمـوتَ عُـرسَـا

يوليو ١٩٧٦م

۞۞۞

الوجه السبئي..
وبزوغُهُ الجديد

يقولونَ، قبلَ النجومِ ابتدَيتْ
تضيءُ، وتجتازُ، لولا، وليتْ
وكنتَ ضُحى (مَارِبٍ) فاستَحَلْتَ
لكلٍّ بعيدٍ سِراجاً، وزَيتْ
يقولونَ، كُنتَ، وكُنتَ، وكنتَ
وفي ضحوةِ العمرِ، أصبحتَ ميتْ
ولَمْ يبقَ منكَ، على ما حكَوا
سوى عِبرةٍ، أو بقايا صُوَيتْ
و(نونيَّةٌ) شَبَّها (دِعبلٌ)
وأصدأُ (بائيَّةٍ) (للكُميتْ)

* * *

ولكنْ متى مُتَّ، كنتَ (بُخَيْتاً)
فصِرتَ شعوباً، تُسمَّى «بُخَيتْ»
لأنَّ اسمكَ امتدَّ فيهم، رأوكَ
هناكَ ابتديتَ، وفيكَ انتهيتْ

فـأيـنَ ألاقـيـكَ هـذا الـزَّمـانَ
وفـي أيِّ حـقـلٍ؟ وفـي أيِّ بـيـتْ؟

ألاقـيـكَ، أرصِـفـةً فـي (الـريـاضِ)
وأوراقَ مـزرعـةٍ فـي (الـكـويـتْ)

ومـكـنـسـةً فـي رمـالِ الـخـلـيـجِ
وشَـتْ عـن يـديْـكَ، وأنـتَ اختـفَـيـتْ

وإِسـفـلـتَ أسـواقِ مُـسـتَـعـمِـرٍ
أضـأتَ مـسـافـاتِـهـا، وانـطَـفـيـتْ

وروَّيْـتَـهَـا مـن عـصـيـرِ الـجـبـيـنِ
وأنـتَ كـصـحـرائِـهـا، مـا ارتـويـتْ

* * *

فـكُـنـتَ هـنـالـكَ، سـرَّ الـحـضـورِ
و(شيكاً) هُنا، كلُّ فصليْنِ(كيْت)

بـريـداً: لـنـا شـجـنٌ، كـيـف (سـعـدٌ)
و(أروى)؟ وهـل طـالَ قـرنـاً (سُـبَـيْـتْ)

* * *

ولـكـنْ متى مُـتَّ، يُـنـبـي الـعـبـيـرُ
عـلـى سـاعـديْـكَ، وعـن مـا ابـتَـنَـيـتْ

ومـا دُمـتَ تَـبـنـي، وتـهـدي سـواكَ
سـيـحـكـونَ، مـنـكَ إلـيـكَ اهـتـديـتْ

ومـن تـجـربـاتِ الـنـهـايـاتِ، جِـئـتَ
ولـيـداً، وقـبـلَ الـبـزوغِ انـتَـقَـيـتْ

أمِـثْـلُ الـربـيـعِ، لـبِـسـتَ الـمـغـيـبَ
وأنـــضـــرُ مـــن كُـــلِّ آتٍ أتـــيـــتْ

سبتمبر ١٩٧٦م

ذيـل:

- في البيت الخامس (نونية دعبل) (وبائية الكميت) قصيدتان شيعيتان تشيدان باليمن إشارة إلى افتخار دعبل بالقحطانية وإلى الفكر الشيعي في بائية الكميت.
- في البيت السادس (بخيت)اسم ابن مذحج الذي امتدت منه قوافل العرب من الجزيرة.
- في البيت الثالث عشر لفظه (كيت) وهي رمز للعدد غير المعروف.
- في البيت الرابع عشر (سُبيت) وهو اسم لكل ثور يولد يوم السبت لأنه رمز للحراثة.



طيفٌ ليليٌّ

هــزَّ كــفَّـيْــهِ، وأرجـــفْ
لــحــظــةً، ثُــمَّ تــوقَّــفْ

وبـــلا داعٍ، تـــأنَّـــى
مــثــلَ مَــنْ يــنــوي، ويــأسَــفْ

مــثــلَ مَــنْ ـ بــالــخــوفِ ـ يُــردي
وهـــو مـــن قـــتـــلاهُ، أخـــوَفْ

* * *

مــرحــبــاً شــرَّفــتَ، لــكــنْ
مــا اســمُــهُ؟ مــن أيــنَ شَــرَّفْ؟

فــجــأةً جــاءَ، كــوحــشٍ
وعــلــى الــفــورِ. تــلــطَّــفْ

عــلَّــهُ شَــمَّ عــبــيــرَ (الــقــا
تِ) فــأخــضــرَّ وفــوَّفْ(١)

وارتــدى جِــلــداً «مَــعِــيــنــيّــاً»
وجــلــبــابــاً مُــنــصَّــفْ(٢)

وتــبــدَّى. كــنــديــم
كــمــغــولــيٍّ، تَــصَــوَّفْ

(١) تكاثفت وازدادت ألوان غصونه. (٢) جلباب مقسوم إلى نصفين.

كـطـفـيـلـيٍّ قـديـمٍ
خـارجٍ مـن جـوفِ مـقـصَـفْ

* * *

كـانَ فـي يـمـنـاهُ تـابـوتٌ
وفـي يُـسـراهُ مِـغـزَفْ
لـونُـهُ مِـنْ كـلِّ وادٍ
شـكـلُـهُ مِـنْ كُـلِّ مـتـحـفْ
ولـهُ وجـهٌ شـتـائـيٌّ
وسـروالٌ مُـزخـرَفْ
وقـوامٌ شـبـهُ قِـزمٍ
وقـذالٌ، نـصـفُ أهـيَـفْ
وفُـضَـولٌ يـمـلـكُ الـدُّنـيـا
بـديـنـارٍ مُـزيَّـفْ
هـكـذا يـبـدو، ولـكـنْ
سـرُّ مـاضـيـهِ، مُـغـلَّـفْ
ربـمـا كـانَ أمـيـراً
أو لـسِـمـسـارٍ مـوظَّـفْ
أو (لـذي رَيْـدانَ) سـيـفـاً
أو لـخـيـلِ الـفُـرسِ مَـعـلَـفْ
أو حـصـانـاً لـجـبـانٍ
أو نـبـيّـاً، دونَ مـصـحَـفْ

* * *

رُبَّــمــا مــاتَ مِــراراً
ربــمــا أبــقــى، وأتــلــفْ

رُبَّــمــا أشــتــى بــنَــيــشــانَ
وفــي كــانــونَ، صــيَّــفْ

رُبَّــمــا لــلــريــحِ غَــنَّــى
ربــمــا لــلــصــمــتِ، ألَّــفْ

فــهــو يــلــغُــو. كــغــبــيٍّ
ويُــرائــي، كــالــمُــثَــقَّــفْ

مــثــلُ مَــنْ يــعــنــي، ويَــحْــكــي
غــيــرَ مــا يَــعــنــي، مــحَــرَّفْ

يــعــرفُ الــبــابَ، فــيــدنــو
ثُــمَّ يَــنْــسَــى مــا تَــعَــرَّفْ

حُــلْــمُــهُ أكــبــرُ مِــنْ عــيــنــيْــهِ
مِــنْ كــفَّــيْــهِ أعْــنَــفْ

يــركُــضُ الــشــكُّ بــهُــدْبــيْــهِ
ويُــســتــلْــقــي، كــمُــتْــرَفْ

تــســعــلُ الأشــيــاءُ كــالأطــفــالِ
كــالــفــيــرانِ تــزحَــفْ

وهــو كــالــشُّــبَّــاكِ ســاهٍ
وكــحــدِّ الــسَّــيْــفِ مُــرهَــفْ

راجِــلٌ وهــو قــعــيــدٌ
طــائــرٌ وهــوَ مُــسَــلْــحَــفْ

بِـــيَـــدِ يُـــومـــي، بـــأخـــرى
يُـــرعِـــشُ الـــذقـــنَ الـــمـــنـــتَّـــفْ

* * *

ســـاعَـــةً وارتَـــدَّ، لٰـــكـــنْ
وجـــهُـــهُ عـــنـــدي تَـــخَـــلَّـــفْ

عـــنـــدَ ذاكَ الـــركـــنِ، أقْـــعـــى
عـــنـــدَ هـــذا الـــركـــنِ، رفـــرَفْ

فـــي رُؤى الـــســـقـــفِ، تـــنـــدَّى
وعـــلـــى الـــبـــابِ، تَـــكـــثَّـــفْ

هٰـــهُـــنـــا كـــالـــوعـــدِ، أغْـــرى
وهُـــنـــا كـــالـــمـــوتِ، طَـــوَّفْ

هٰـــهُـــنـــا مـــثـــلـــي، تَـــشَـــهَّـــى
وهُـــنـــا مـــثـــلـــي، تـــفَـــلْـــسَـــفْ

مارس ١٩٧٦م

۞ ۞ ۞

الغبارُ والمَرائي الباطنيَّة

هُهُنا الجدرانُ، تَذمى وتُفكِّرُ
وعلى أرؤسِها تمشي، وتنظُرْ
بعضُها يزحمُ بعضاً هارباً
بعضُها يُقْبِلُ كالخيلِ، ويُدبِرْ
بعضُها يمشي، ولا يمشي، يرى
مثلما يستقرئُ الأسرارَ، مُخبرْ

* * *

أَلمرائي، باطنيَّاتٌ هنا
تحجبُ الرائي، وفي عينيْهِ تُسفِرْ
يُجهِدُ الإبصارَ، في رؤيتِها
وسوى ما ينفعُ التقريرُ، يُبصِرْ
عجَباً رغمَ التعرِّي، تنطوي
ذاتُها فيها، وذاتُ الغيرِ تُظهِرْ

* * *

ما الذي شاهدتُ، تقضي مهنتي
أنْ أرى سِرّاً، فيَخْفَى وأُقدِّرْ

أَلــمــدادُ الأبــيــضُ الــسّــرِّي بــلا
أيِّ سرٍّ. . ما الـذي يُـبـدي ويُـضـمِـرْ؟
تَـبْـذِرُ الأوراقُ. . . لـكـنْ مـالَـهـا
في يـديْـكَ اتَّـسَـخَـتْ من قـبـلُ تُـثـمِـرْ؟
لـمْ تَـكُـنْ غـيـرَ أجـيـر، لا تَـخَـفْ
إنَّ أغـبـى مـنـكَ، مَـنْ سـوفَ يـؤجِّـرْ
مِـنْ، إلـى، مـثـلُ ذبـابٍ يـرتـمـي
مـثـلُ ذكـرى، لا تُـلاقـي مَـنْ تُـذكِّـرْ
مـثـلُ أفـكـارٍ أضـاعَـتْ فـمَـهـا
وتُـلاقـيـهِ، فـتـنـسـى أن تـعَـبِّـرْ
لا يَـعـي الآتـي، إلـى أيـنَ ومِـنْ،
لـيـسَ يـدري صـادِرٌ، مِـنْ أيـنَ يُـصْـدِرْ
أَلـغـبـارُ امـتـدَّ سـقـفـاً أرجُـلاً
أَعْـيُـناً مثلَ الـحصى، تغلي وتـمـطرْ
أيـديـاً رمـلـيَّـةً دوديَّـةً
تـكـتـبُ الأحـلامَ، والـريـحُ تُـفـسِّـرْ

* * *

حـسـنـاً مـاذا؟ هـوى الـسَّـقـفُ: ابـتـدا
وابـتـدَتْ بـعضُ شـقـوقِ الأرضِ تُـقـمِـرْ
رُبَّـمـا عـادَ كـمـا كـانَ؟ سُـدًى
إلـتـقـى الـوجـهُ، ومـرآةُ الـمـبـشِّـرْ

أَلـرُّفـاتُ الـمُـكـرَمـيَّـاتُ[1] الـتَـقَـتْ

بـدأتْ مـن تـحـتِ جلـدِ الـموتِ، تُزهِرْ

مايو ١٩٧٦م

❁ ❁ ❁

(١) نسبة إلى (المكرم بن أحمد) زوج الملكة (أروى) ومُفلسِف أسرار المذهب.

فهرس المحتويات

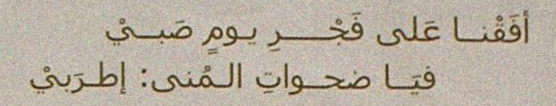
في طريق الفجر

مدينة الغد

لعِيني أمّ بلقيس

السَّفر إلى الأيام الخُضر

وجوه
دخانية في مرايا الليل



أفَقْنا عَلى فَجْـرِ يومٍ صَبـيْ
فيـا ضحـواتِ المُنى: إطـرَبيْ

أتدرينَ ، يا شمسُ مـاذا جرى؟
سلبْنا الدُّجى فجرَنا المختَبي

وكـان النُّعاسُ علـى مُقلتيكِ
يُـوشـوِشُ كَـالطّائـرِ الأزغـبِ
أتـدرين أنّا سَبَقنـا الـرَّبيـعَ
نُبشّرُ بالمـوسِـمِ الطَّـيـبِ ؟
ومـاذا؟ سؤالٌ علـى حاجبَيكِ
تَزنْبقَ في همسِكِ المُذْهَبِ
وسرنا حُشوداً تطيرُ الـدّروبُ
بأفـواجِ ميـلادِنـا الأنجـبِ
وشعباً يُدوّي : هـي المعجـزاتُ
مُهودي، وسيفُ (المثنّىَّ) أبي
غَرَبْتُ زمـانـاً غـروبَ النَّـهارِ
وعُدْتُ يقـودُ الضُّحى مَوكِبي

أَضأْنا المدَى ، قبل أن تستشفَّ
رؤى الفجـرِ ، أخيلةُ الكوكَبِ
فـولّـى زمـانٌ كعِـرضِ البَغِـيِّ
وأشـرقَ عهـدٌ كقلْـبِ النّبي
طلعنـا نُدلّي الضّحـى ذاتَ يومٍ
و نهتفُ : يا شمسُ لا تغرُبي

(سبتمبر١٩٦٢)



الجمهورية اليمنية
وزارة الثقافة
الهيئة العامة للكتاب
صنعاء

الهيئة العامة للكتاب
ص.ب. : ١٩٧٧٤ - هاتف: ٤٤٥٣٧٣ - فاكس : ٤٤٥٣٦٨